

السَّلام إلى أين ؟

فَتَنبَهُوا واحذروا

الشيخ الدكتور

محمد بن حامد حَوَارِي



السلام إلى أين ؟

فتنبهوا واحذروا ..

القسم الأول - طلاب السلام

القسم الثاني - المعارضة إلى أين ؟

القسم الثالث - صراع الصهيونية مع الإنسانية

القسم الرابع - شهود يهوه

الشيخ الدكتور

محمد بن حامد حواري



ISBN 978-9957-05-169-3 (ردمك)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



دار الضياء للنشر والتوزيع

عمان - الأردن

صندوق بريد : ٩٢٥٧٩٨ - الرمز : ١١١٩٠

هاتف وفاكس : ٥١٧٨٥٠٢ ٦ ٩٦٢ ٠٠

البريد الإلكتروني : info@daraldia.com

الموقع على الإنترنت : www.daraldia.com

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية ٢٠٠٧/١٠/٣٢٣٥

٩٥٦,٠٩٣

حواري ، محمد حامد

السلام إلى أين ؟ قننوها واحذروا / محمد حامد حواري .

عمان : دار الضياء للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٧

(٣٠٨ ص).

ر.إ. (٢٠٠٧/١٠/٣٢٣٥).

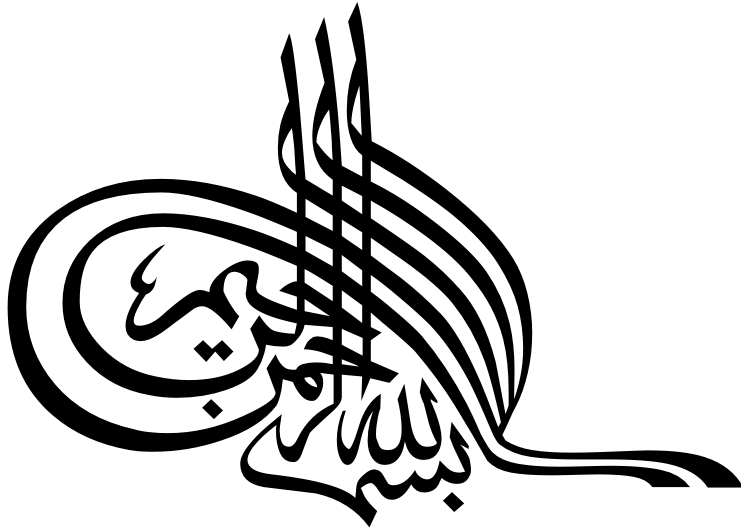
الواصفات : // الصهيونية // السلام // معاهدات // السلام // فلسطين // إسرائيل /

■ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

جميع الحقوق محفوظة

١٤٢٩ هـ | ٢٠٠٨ م

صمم الغلاف أنس أحمد الجدع



نبذة من سيرة المؤلف

انطلقت مجموعة من عائلة (حَوَارِيّ) مغادرين الحجاز ليستقروا في مختلف بلاد الشام.

إنها فرع من آل النبي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ومن نسل ابن عمته صفية بنت عبد المطلب المعروف بالزبير رضي الله تعالى عنهما، ذلك لأنه روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: [ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق (ليأتوا بأخبار عدوهم)، فانتدب الزبير، ثم ندبهم، فانتدب الزبير، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن لكل نبي حوارياً وحواريّ الزبير» (لأنه الوحيد الذي تكررت منه الاستجابة)].

وقد وُلد الكاتب في ربيع الثاني لسنة ١٣٥٠ للهجرة من نسل حواريّ رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم الزبير بن العوام رضي الله عنه، وهو ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها، ويلتقي نسبه بنسب رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في سيد قريش قصي بن كلاب، وعمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وأخواله حمزة والعباس رضي الله عنهما، وأولاد خاله علي وجعفر رضي الله عنهما، وحماه أبو بكر رضي الله عنه.

هذا وقد ولد الكاتب من أبوين حَوَارِيّين، واستشهد والده حامد وعمه الوحيد فارس في الجهاد ضد الاستعمار البريطاني وعماله.

وقد التحق الكاتب صاحب هذه السيرة بالجامعة السورية بدمشق ليتخرج بإجازة (ليسانس) في الآداب ثم بإجازة (ليسانس) أخرى في التربية.

وباشر بعدها عمله في الكويت ليقضي ثلاثين عاماً من عمره هناك حتى عام ١٩٩٠م بين التدريس والإشراف الفني والإداري والدراسات والبحوث والترجمة والنشاط في مختلف المجالات الفكرية والسياسية.. ودرس خلالها مقرر درجة الدبلوم العالي في الدراسات الإسلامية العليا في القاهرة.

وقد كتب أكثر من مائة وعشرين دراسة شملت جميع الميادين التربوية والثقافية والعلمية والاتصالات، بالإضافة للعديد من سلاسل المقالات التربوية والثقافية والإدارية التي نشرت في دوريات يومية وأسبوعية كويتية.

وقد شملت مؤلفاته الكتب التالية :

١. دعوة من جامع الأحكام ، وهو دراسة لتفسير الإمام القرطبي في أربعة أجزاء، بالإضافة لدليل بموضوعات وأهداف السور.
٢. الإيمان يغير الإنسان ، في قسمين ، وقد ترجمهما وسجلهما على أشرطة ،
٣. أنمة الشريعة الإسلامية،
٤. لمن كان له عقل .. فليتبدر هذه البحوث الإسلامية الخمسة عشر،
٥. السلام .. إلى أين ؟ في أربعة أقسام،
٦. ولوج المعرفة .. في خمسة أقسام،
٧. الإمام جابر بن زيد رضي الله عنه إمام المذهب الإباضي .

وقد نال الكاتب درجتى (الماجستير) والدكتوراه في موضوع مقارنة الأديان الستة: الإسلام والنصرانية واليهودية والهندوسية والبوذية والكونفوشية، ثم نال درجة دكتوراه أخرى في مجال دراسة تفسير القرآن الكريم.

ونجد في هذا الكتاب حشدا من الأدلة والشواهد التاريخية والفكرية والسياسية على أن نجاحاً لن يكون لهذا المدعو السلام بين المسلمين واليهود، بين العرب واليهود، بين الفلسطينيين واليهود.. مهما تذرع دعائه بذرائع المساعدة سواء الأمريكية أو الأوروبية.. فالكل يحمل العداة العقائدي للمسلمين أهل فلسطين الحقيقيين وأهل كل بلاد الإسلام ، ونظرة في العالم الإسلامي بعامة وفي فلسطين بخاصة تظهر ذلك تماماً.

وختاماً نسأل المولى سبحانه وتعالى أن يجعل في هذا الكتاب الخير للإسلام ودعوته، وأن يجزي مؤلفه خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين .

المشرف

admin@hawarey.org

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٩	تقديم
١٠	القسم الأول : طلاب السلام
٦٠	القسم الثاني : المعارضة إلى أين ؟
١١٣	القسم الثالث : صراع الصهيونية مع الإنسانية
١١٥	١- ترجمة ودراسة كتاب قضية إسرائيل
١٥٦	٢- دراسة كتاب صراعنا مع اليهود
١٧٠	٣- دراسة كتاب اليهود في القرآن الكريم
١٩١	٤- دراسة كتاب اليهود المعتدون ودولتهم (إسرائيل)
٢٢٣	٥- ترجمة ودراسة كتاب التاريخ اليهودي ، الدين اليهودي ، وزن ثلاثة آلاف عام
٢٩٥	القسم الرابع : دراسة كتاب شهود يهوه

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدي ومولاي رسول الله وعلى آله وصحبه
ومن والاه واتبع طريقه إلى يوم الدين، وبعد

لقد اختار من اختار ما يسمونه طريق السلام مع الصهيونية لحل مشكلة فلسطين بل
للتخلص من فلسطين والفلسطينيين، فانطلقوا في هذا الطريق كخيار استراتيجي كما
يقولون مستعنيين في ذلك بالغرب الأروبي والأمريكي، ظنا منهم بأنهم بعلمانيتهم يقفون
معهم ضد الصهيونية، وما دروا بل تجاهلوا الخيار الاستراتيجي المعاكس لخيارهم
بوقوف ذلك الغرب بشقيه بجانب الصهيونية .. فيا قوم، لتتدبروا بسرعة هذا الحشد
الكبير من الشواهد القولية والعملية الذي اشتمل عليها البحث بجوانبه المتعددة لتروا
بأم أعينكم ذاك التواطؤ بين الحقد الصليبي والعدوان الصهيوني ليس ضد فلسطين وأهل
فلسطين فحسب وإنما ضد البلاد الإسلامية وأهلها بكاملها .. وإلا فما هذه الحرب التي
أعلنت ، وما زالت تعلن ، ضد الإسلام باسم الإرهاب !؟

وللقارئ الكريم أن يرى بعيني بصره وبصيرته ذلك جليا من خلال ما يرويه له الباب
الأول من هذا الكتاب بذاك الحشد الهائل من الأدلة والبراهين المأخوذة من أقوالهم هم
في الغرب الصليبي الصهيوني.. وأما تلك المعارضة في الأقطار العربية التي ما فتئت
تتلهى بالتقاط فتات موائد الفكر الغربي الديمقراطي أو الفكر الإشتراكي اليساري ، ناهيك
عن الإسلامي الإصلاحية، فإنها ما زالت تحاول إثبات وجودها هنا أو هناك متجاهلة
بأنها جزء من لعبة التعددية المرسوسة لها ولبلدانها من ذاك الغرب الصليبي الصهيوني ،
وأنها تلمس في الباب الثاني من هذا الكتاب ما يكشف عن حالهم ومساراتهم التي تظهر
وكانهم لا يملكون من أمرهم شيئا..

وأما هذا الواقع الصارخ الذي يتحدث عنه الباب الثالث من الكتاب فإنه يترك للعبد من
الكتب والكتاب الذين تحدثوا عن ذلك فأجادوا الحديث عن صراع الصهيونية مع
الإنسانية، وليس فقط مع الإسلام والمسلمين ، فإنه يصرخ بملء شذقيه في وجوه
طلاب السلام مع الصهيونية ومن يساندها من الغرب، وفي وجوه المعارضة التي
ارتضت لنفسها هذا الدور المخزي الترقيعي للأوضاع العربية المهترئة ..

وانظروا الى ما يشتمل عليه هذا الباب الأخير من الكتاب، الباب الرابع، إنه يتحدث
عن لعبة من لعب الصهيونية الماكرة ، إنها لعبة الدس الخبيث على المسيحية بحجة
الدعوة إليها من خلال هذه الحركة الصهيونية المسماة بشهود يهوه الواردة في هذا
الكتاب .. فمتى يفيق الطرفان : طلاب السلام ومعارضوه أمام هذه الهجمة الصليبية
الصهيونية الشرسة ضدهم وضد بلادهم وضد إسلامهم !؟

المؤلف

القسم الأول

طلاب السلام

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدي رسول الله وعلى آله وصحبه ومن
والاه ، وبعد

فإننا أيها السادة ، طلاب السلام من العرب، وطلاب العون الغربي في ذلك،
اسمحوا لنا أن نستأذنكم بمخاطبتكم بهذا الأسلوب بدلاً من أسلوب البحث التقليدي الممل..
والبعيد عن الإثارة.. ولنبدأ بمقدمة تذكّر بأن تطلعكم لأوربة خاصة أن تتدخل لدفع عملية
هذا (السلام) لنهايتها الإيجابية بسرعة حتى لا تبقى أمريكا منفردة بها وهي المنحازة
ضدكم، بأن هذا التطلع في غير محله، لما لأوربة من ماض عريق في الأحقاد الصليبية
ضدكم وضد بلادكم ودينكم، ولسندها للصهيونية في الهجرة والاستيطان في فلسطين أولاً
ثم في إقامة دولتها وتثبيت تلك الدولة ثانياً بالإضافة لحقدكم ضدكم أخيراً..

تذكير .. وتذكير ..

عملية التطويق الأروبي الأولى للشرق الإسلامي

واذكروا بأن عملية التطويق الأولى قد بدأتها البرتغال، أو من استقل عن الأندلس
الإسلامية التي كانت أكثر البلاد حقداً على الإسلام والمسلمين، وكان ذلك عندما تحركت
البرتغال بسفنها بمحاذاة الشاطئ الأفريقي جنوباً لتصل إلى الشرق الأقصى بحملة صغيرة
قادها النبيل فاسكو دا غاما حيث حطت في كلكتا الميناء الهندي عام ١٤٩٨ م ورجعت
بشحنة من البهارات والتوابل لتضرب طريق البحر المتوسط الشرقي وتحرم الممالك من
أهم مصدر لدخلهم، وتحقق النجاح بالإعداد لإيقاع هزيمة بالمسلمين بعد فشل الحروب
الصليبية.

واذكروا بأن الملك البرتغالي هنري الملاح (١٣٩٤-١٤٦٠ م) كان وراء ذلك بعد
أن كان قد اكتشف رأس الرجاء الصالح قبل ذلك ثم أرسل فاسكو مستهلاً خطة استراتيجية
للقضاء على قوة المسلمين السياسية وللتبشير بالنصرانية، وهو والذي أداه انزعاجه
الشديد لسيطرة المسلمين على المحيط الهندي فعمد إلى إعداد الكثير من السفن المسلحة
التي أخذت تعتدي بأسلوب القرصنة على السفن المسالمة وغير المسلحة، ثم استولوا
على جزيرة سقطره عند باب المنذب، وأغاروا على مدينة عدن المجاورة، وحاولوا

التنسيق مع ملك الحبشة لتحويل مجرى نهر النيل عن مصر، ولكنهم اتجهوا مغتربين بقوتهم إلى جدة لغزو الحجاز لولا أن علموا بالأسطول المصري وهو يبحر إلى جدة فهربوا من البحر الأحمر فطاردهم إلى عدن وشاطئ الهند الغربي حتى أوقع بهم هزيمة في معركة تشول عام ١٥٠٨م، مما ضاعف الحقد الصليبي الذي دفع نائب ملك البرتغال ليرسل أسطولاً ضخماً هزم به الأسطول المصري في العام التالي وسيطر على جزيرة غوا ثم على البحر العربي ثم واصل إبحاره باتجاه الملايو والمحيط الهندي حتى سيطر على مدينة ملقا عام ١٥١١م ثم عاد ليستولي على هرمز ثم البحر المتوسط والأحمر بالتواطؤ مع الحبشة.

وعلى أثر سقوط غرناطة عام ١٤٩٢م بيد الإسبان وتعرض المسلمين للقتل، وبروز قوة الصقويين الشيعة في فارس، وتطلعهم للتوسع لخلافهم المذهبي مع المماليك.. فتح الطريق أمام الصليبيين إلى فلسطين..

ولولا سيطرة الدولة العثمانية على بلاد الشام ومصر والحجاز بعد هزيمة المماليك في معركة مرج دابق بشمال سورية عام ١٥١٦م للاقت قوة البرتغال وحلفاؤهم نجاحاً كبيراً.

مهمة إنقاذ الخلافة العثمانية للمشرق الإسلامي

واسألوا أنفسهم يا قوم عن المهام التي اضطلعت بها دولة الخلافة العثمانية في إنقاذ المشرق الإسلامي من أروبة طويلاً..

فبعد أن أخذت تفتح أروبة حتى وصلت جيوشها أسوار فيينا حقت الضربة القوية لرفع الحصار البحري البرتغالي عن العالم الإسلامي ولا سيما بعد أن ضمت العالم العربي إليها وأرسلت حملة بحرية كبيرة وصلت ساحل الهند الغربي وعادت دون أن تقضي على النفوذ البرتغالي هناك وإن ضمت العراق عام ١٥٣٤م وخففت ضغط حصارهم على التجار المسلمين وإمارات الخليج وطردتهم من البحر الأحمر وشرق أفريقيا، وصمدت أمام البحرية الإسبانية في المتوسط وسواحلها، وطردتهم من المغرب العربي، وإن كانت قد وصلت هناك متأخرة بعد سقوط غرناطة وتجنيد الإسبان لكثير من الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين في جيوشهم ضد المسلمين..

واشتد الصراع بين الدولة العثمانية في المشرق وإسبانية في المغرب، وإن انحاز المسلمون في المغرب للعثمانيين مما جعل نفوذهم يمتد إلى الجزائر وتونس وطرابلس ومما سبب فشل حملة شارل الخامس الصليبية الضخمة على مدينة الجزائر عام ١٥٤١م، ولكن المغرب بقي بعيداً عن الحكم العثماني وعن ضغط الاحتلال الأوروبي حتى احتله الفرنسيون والإسبان مع بداية القرن العشرين.

عملية التطويق الأروبي الثانية للشرق الإسلامي

واذكروا، يا قوم، أنه بعد أن تطور التطويق الأروبي للعالم الإسلامي إلى الاحتلال نتيجة تفاوت قوة أروبة وتفوقها على قوة المسلمين، وظهور ذلك بالحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨-١٨٠١م) لضرب خصمها البريطانية في مستعمراتها الشرقية، وفشل تلك الحملة لهزيمة أسطولها أمام الأسطول البريطاني في موقعة أبي قير، أنه بعد ذلك قد اشتد الصراع البريطاني الفرنسي على بلادنا، فاحتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢م ووقعت معها اتفاقاً ودياً عام ١٩٠٤م بعد أن كانت قد أخذت تأكيد لمحمد علي مع أنه كان عنصراً أساسياً في طرد الفرنسيين من مصر، وكان موضع تقدير لدى السلطان في استنبول بعد أن استعان به في إخضاع الوهابيين الخارجين عليه في الجزيرة العربية، وما كان كيدها ضده إلا بعد أن لمست خطره على مستعمراتها البحرية وطرق تجارتها مع الهند، وبعد أن وجدت الدولة العثمانية مستعدة للعمل ضده على أثر هزيمة جيشها أمام جيشه عند قونية، مما جعل الدولتين بالتعاون مع فرنسا والنمسة وروسية تنهي هذا النزاع بحصر محمد علي في مصر تابعاً للدولة العثمانية وذلك بتوقيع اتفاق ضده في لندن عام ١٨٤٠م، لأنه رفض شروط التراجع عن زحفه خارج مصر، ومما جعل فرنسا التي كانت تدعمه تتخلى عنه وتشارك في تقرير مصيره وحصره في مصر يحكمها حكماً وراثياً في أسرته، وكل ذلك لحقدهم الصليبي ضده وخوفهم من أن يعيد توحيد العالم الإسلامي في ظل خلافة قوية تخلف الخلافة العثمانية الضعيفة.

التنافس الأروبي على التجارة العثمانية

واذكروا، يا سادة، أثر التنافس الأروبي على التجارة العثمانية، والذي بدأ بالغزوالبرتغالي الذي هزم محل محله الهولندي فالإنكليزي والفرنسي، الذي نشب التنافس فيما بينهم ليعيد الأهمية للطريق البري للتجارة عبر الدولة العثمانية بالإضافة للطريق البحري، ويستمر ذلك طيلة القرون الثلاثة السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر، عندما انتقل التطويق الأروبي إلى طور الاحتلال في الداخل بسبب ضعف الدولة العثمانية، وعندما انتهت حرب السنوات السبع بين بريطانيا وفرنسة بانتصار الأولى عام ١٧٦٣م مما رسخ قدمها في الهند وفتح أمامها أسواق منطقة الخليج العربي بعد أن أنهت فيه الصراعات القبلية وزعته على مشيخات سبعة في مطلع عام ١٨٢٠م ليستمر احتلالها العسكري له طيلة القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين.

خلاصة صلة أروبة بالعالم الإسلامي

واذكروا، يا قوم، ما تحقق في صلة العالم الإسلامي بأروبة في هذه الفترة، وأنه بعد أن احتلت مناطق وأقطار منه بصورة مباشرة، وسيطرت بريطانيا على الخليج باسم مشيخات ثم سمته إمارات ثم جعلت منهم مجلس التعاون لدول الخليج العربية، وبعد أن احتلت وجزأت أقطار الشمال الأفريقي، فقد جاء دور أقطار ما سموه بالهلال الخصيب،

وهي بلاد الشام والعراق، فمزقتها في فترة قياسية (١٩١٨-١٩٢٢م) التي انقضت ما بين دخول الحلفاء أرض حلفائهم واحتلالها بالخدیعة والغدر وبين التآمر الخفي والسافر في أروقة عصابة الأمم.

مؤتمر سان ريمو

وهل تذكرون، يا سادة، بهذا الصدد مؤتمر سان ريمو، وآثاره؟

إنه ذلك المؤتمر الذي عقد في نيسان عام ١٩٢٠م وتقرر فيه تقسيم بلاد الشام إلى ثلاثة أقسام: سورية، ولبنان، ووضعاً تحت الانتداب الفرنسي، وفلسطين والعراق، ووضعاً تحت الانتداب البريطاني، واقتطع جنوب سورية وسمي شرق الأردن ونصب عليه الإنجليز الأمير عبد الله بن الشريف حسين، وقسموا سورية إلى أربع دول مستقل بعضها عن بعض، وضموا أربعة أقاليم هي البقاع وحاصبية وراشية ومرجعيون إلى متصرفيات طرابلس وبيروت وصيدا وصور لتصبح لبنان الكبير بعد أن كانت من سورية.. ولكن الفتن التي كان يشعلها الفرنسيون والإنجليز لم تنته إلا بتوقيع اتفاقيات أسموها بالاستقلال لكيانات بلاد الشام والشرق الهزيلة، كما لم تنته في فلسطين إلا بتحويل الانتداب البريطاني إلى دولة (إسرائيل)، وأنى لها أن تستقر وتدوم!!

وعد بلفور

ولا شك أنكم، يا سادة، تذكرون وعد بلفور بشأن فلسطين عام ١٩١٧م، وما انتهى إليه.. إنه ذلك الوعد الذي تعهدت بموجبه بريطانية، الدولة المنتدبة على فلسطين، بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، والذي بذلت كل أسباب النجاح له أثناء انتدابها، والذي أعلنت منظمة الأمم المتحدة بموجبه وموجب ما رافق الانتداب من الأعباء بريطانية قيام دولة واحدة في فلسطين هي (إسرائيل) بعد أن رفضت الدول العربية السبعة آنذاك قرار التقسيم بأسلوب المناورة ليكون الحق الشرعي دولياً إقامة الدولة الواحدة (إسرائيل) والتي تمكنت بالدعم الأوروبي والأمريكي ليس فقط من البقاء بل السيطرة على المنطقة العربية كلها.

فهل تذكرون ذلك كله، يا سادة، ولا تحتاجون للمزيد من التذكير بجوانب صلة أروبة الصليبية الحاقدة على الشرق الإسلامي كله هي وريفتها الصهيونية الماكرة؟

نقطة من المقدمة إلى الموضوع

ولكن هذا (الخطاب) يصر على الانتقال من هذا العرض المثير كمقدمة إلى الموضوع الأكثر إثارة بعد أن فرضت (إسرائيل) بقوة على المنطقة وأخذت الأعباء البحث عن السلام بينها وبين الدول العربية تأخذ طريقها خفية ووراء الكواليس حيناً وجهرة ووراء المؤتمرات والمباحثات حيناً آخر.

تغيير الحدود الإسرائيلية

وبالمناسبة، ألا تذكرون، يا قوم، رفض (إسرائيل) لتلك الحدود التي قامت أولاً عليها عندما وجدت الفرصة سانحة لتحطيمها وتجاوزها عام ١٩٥٦م مما سمي بعدوان السويس الثلاثي عندما تعاونت مع بريطانية وفرنسة لتضطر أمريكا آيزنهاور للتدخل وتهديد الثلاثة بالانسحاب من منطقة السويس وقطاع غزة؟

إنه الصراع على بلادنا بين أروبة وأمريكا.. ولكن هل انتهى الصراع إلى هنا؟ إن أحداً منكم لا يجهل مأساة عام ١٩٦٧م التي ما زالت آثارها ماثلة للعيان، والتي جعلت بهمة قادة الدول العربية.. مرتكزاً (لعملية سلام الشرق الأوسط)، والتي أعادت (إسرائيل) فيها احتلال سيناء وقطاع غزة كما احتلت الضفة الغربية والجولان بقتال مسرحي.

حرب الـ ٧٣ التحريكية

ولكن لماذا لا تستكرون هذا التهجم والتشاؤم وتقولون: ألم يسترد العرب كرامتهم في حرب الـ ٧٣ المجيدة؟! فيجيبكم قائدها الأول أنور السادات الرئيس المصري في حينه بأنها كانت حرب تحريك لا حرب تحرير، وأنه (وعزیزه) كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية آنذاك قد خطط لها ليصل الجيش المصري بعد اختراق خط بارليف إلى مسافة محددة يعلن عندها وقف إطلاق النار بين الطرفين ثم تبدأ المفاوضات..

وكان ما كان بغض النظر عن حرب الدبابات الذي خاضها الجيش المصري مخالفاً أوامر رئاسته مما احتاجت معه (إسرائيل) للتهديد النووي المزعوم أو النجدة الأمريكية الكافية.. فكان الأخير، وكانت ثغرة الدفرسوار، وكانت مفاوضات الفريق الجمصي في الخيمة (أو الخيبة سيان) ١٠١، وكانت بداية التحريك للسلام بين العرب واليهود والذي سار بفك الارتباط الأول فالثاني على الجبهة المصرية ووقف عند الأول على الجبهة السورية.

وبعدها جاءت رحلة السادات (الميمونة) إلى القدس ليكسر الحاجز النفسي كما يظن، حاجز الكراهية بين العرب واليهود، ثم تبعها التوقيع لاتفاقية صلح كامب ديفيد الذي يكثر بعدها الهرج والمرج بين الدول العربية بأسلوب التينيس وإفقار أهل المنطقة من روحهم القتالية الاستشهادية وجعلهم تحت مطارق المشاكل الاقتصادية مستعدين للقبول بما تفرضه عليهم دولهم لا بما تريده لهم.. لأنهم رضوا أو كرهوا يجب أن يوافقوا..

من آثار اتفاقيات أوسلو

وحالة الأمة منها

إنكم، يا سادة، تذكرون ذلك وأكثر بكثير منه مما يتصل بعملية السلام هذه، والتي كما أشرنا قد فرضت على أهل هذه المنطقة فرضاً بعد أن وضعوا بين فكي الكماشة:

القبول الموعود بالحياة الرغدة (الموهومة)، والرفض المههد بالشقاء المتواصل.. وبعد أن منعوا من التفكير إلا بالخيار بينهما ولا سيما وضغط وسائل الإعلام وما تتناقله من تصريحات من هنا وهناك لا تترك للعقل لحظة للتفكير بل تملأ الليل والنهار بكل أنواع المغريات والملهيات من أمثال المياريات الرياضية المتنوعة الإقليمية والدولية، والتي لا ينتهي المتابع لها إلا ليتابع الركض وراء لقمة العيش..

فهل، يا قوم، هذا الحال هو مما ينتج (السلام) الحق أم أن صناع هذا السلام يعلمون أنه لا مجال لصناعته بغير هذا الحال!؟

وأنتم، يا سادة فلسطين والعرب بل المسلمين أجمعين، هل ترون أن فلسطين ما زالت على عهدكم بها كما تركها الإنجليز عام ١٩٤٧م أم أن تطوراً قد لحقها إعداداً لها لتكون موطناً لليهود، وتكونون أنتم وكل من يتصل بفلسطين بصلة على استعداد لقبول ذلك؟

تطور فلسطين السياسي

انظروا يا سادة لهذا البلد الإسلامي كيف بدأت مأساته بوعده بلفور في ١١/٢/١٩١٧م الذي نص على إنشاء وطن قومي لليهود فيها مراعاة لاستراتيجية بريطانية في شرقي المتوسط، وليكون اليهود الموالين لها بالقرب من مصر وقناة السويس كما قال هربرت صموئيل عام ١٩١٤م (إذا أجبنا مطالب اليهود في فلسطين نكون قد أوجدنا في جوار مصر وقناة السويس دولة جديدة موالية لنا) تحقيقاً لإيجاد الحاجز الذي يفصل مصر عن بلاد الشام ليضعف الطرفين بأسلوب (فرق تسد)، هذا إذا لم يمكننا من الوصول لعمق البلاد وأهلها بعمليات غسيل المخ والجيب!!

دمج وعد بلفور في الانتداب البريطاني

واذكروا كيف أدخل وعد بلفور في مقدمة قرار الانتداب ليكونا سياسة واحدة نقلت عدد اليهود من ٤٨ ألفاً عند إعلانه عام ١٩٢٢م إلى ٦٤٠ ألفاً عام ١٩٤٨م عند انتهائه وذلك بفضل (جنود السلاح البريطاني) كما قال والان كاتنغهام، آخر مندوب سامي بريطاني، وبفضل وثيقة الانتداب التي نصت على إقامة حكم ذاتي لليهود والعرب في البلاد، ولكن بريطانية لم تفعل ذلك خوفاً من ضالة الأقلية اليهودية بجانب الأكثرية العربية الساحقة.

لجان التنفيس وخدعة الكتاب الأبيض

واذكروا كيف كانت تلجأ بريطانية لإرسال لجان للتحقيق في الاضطرابات للتنفيس عن احتقان العرب ضد التحيز البريطاني المكشوف والسماح بتدفق الهجرة

اليهودية إليها، فمن لجنة هايكرافت بعد قلاقل عام ١٩٢٠م، إلى قرارات التهنة بعد فتنة ١٩٢٤م، إلى الحد المؤقت من الهجرة بعد اضطرابات ١٩٢٩م، إلى التهنة بعد اضطرابات ١٩٣٦م..

ولا ننسى لجنة بيل عام ١٩٣٥م التي رأت الحل الوحيد لفلسطين هو تقسيمها إلى ثلاثة أقسام: عربي يضم لدولة شرقي الأردن، ويهودي يصبح دولة يهودية، والقدس وما حولها وتبقى تحت الانتداب.

وبعد اضطرابات ١٩٣٨م جاءت لجنة لدراسة التقسيم مع استمرار قمع الاضطرابات مما دفع العرب لرفض التقسيم فتعلن بريطانيا العدول عنه فتتكشف هذه المناورة كلها.. ولكنها تدعو ممثلي العرب واليهود في مطلع عام ١٩٣٩م إلى مؤتمر المائدة المستديرة في لندن ليعلن مقترحات رفضها الطرفان، فتعلن بعدها سياستها في كتاب أبيض وذلك استباقاً للحرب العالمية التي أخذت نذرها في الظهور بعد أن اكتسح هتلر الأراضي التشيكوسلوفاكية..

وتعلن عندها في كتابها الأبيض إقامة دولة فلسطينية مستقلة بعد عشر سنوات ترتبط بمعاهدة مع بريطانيا، كما تعلن أشياء أخرى لصالح العرب بحجة أن تحويل فلسطين إلى دولة يهودية يناقض صك الانتداب.. وما هو إلا خداع واستغفال للعرب ليحاربوا معها في الحرب المقبلة، ولتقيم في النهاية دولة يهودية تشكل رأس رمح للنفوذ البريطاني والغربي، وتحرس قناة السويس وأبار النفط وأنابيبه في الشرق كله. وما نلمسه من قول قادة (إسرائيل) بطول ذراعهم الحربي ليصل إلى أبعد بلد نفطي في الخليج بل في العالم الإسلامي إلا تأكيد لذلك.

وسياسة الاسترضاء المخادعة

واذكروا لعبة نشر مراسلات مكماهون - حسين لاسترضاء العرب في الحرب واعتذار بريطانيا عن سوء التفاهم بسبب بعض الفقرات، وكيف أنها كانت تستثني فلسطين من مناطق الاستقلال التي وعدت العرب بها، وكيف هب الصهاينة ضد سياسة الترضية للعرب وهاجموا الكتاب الأبيض، مما جعل تشرشل يشجبه ولو أقره مجلسا العموم واللوردات بسبب الحرب، هذا الإقرار الذي جعل الخديعة تنطلي على العرب فيظنون ببريطانية خيراً.

وأكاذيب بريطانية مع الهاشميين

فهل نسي العرب ما فعلته بريطانيا في مصر والعراق والأردن والخليج؟ هل نسوا ما فعلته بالأمير عبد الله عندما ورطوه في الإعلان عن استهدافه تحرير سورية من الفرنسيين لولا تحالف فرنسا مع بريطانيا؟! وعندما أكرهوه بالرضى بحدود إمارته

ويبقى يحلم بسورية؟! وعندما طلب منه تشرشل في اجتماع القدس بأن يحرص على الوفاق مع بريطانيا ولا يتحدى فرنسة على أمل أن تقبله ملكاً على سورية؟! وعندما أسكتوه عن المطالبة بعرش العراق بدلاً من أخيه فيصل بتطميحه بعرش سورية الموهوم؟! وعندما جعلوه يثير زعماء الدروز وهوران ليثوروا على فرنسة ويطالبوا به ملكاً عليها؟! وعندما أوحوا له بأن يطلب من حكومة لندن الاتحاد مع سورية قبل إعلان مشروع سورية الكبرى الإنجليزي؟! وعندما أوهموه بتوسط الملك فيصل بطلب من لورنس بينه وبين المعارضة؟! وعندما أسكتوه عن طلب ما يزجج بريطانيا وهي التي تحميه من هجمات السعودية على الأردن بعد أن دفعت ابن سعود للمطالبة بالعقبة ومعان بحجة أنهما كانتا تابعتين للحجاز؟!

وخذاعها بالمؤتمرات

وإذا كنتم نسيتم شيئاً من ذلك مما لا يجوز أن ينسى لصلة الأردن بفلسطين وفلسطين بالأردن، فهل نسيتم عدد المؤتمرات الفلسطينية التي سمحت بريطانيا بانعقادها خلال فترة الانتداب، والمؤتمرات العربية والإسلامية، وذلك من أجل تنفيس التحركات ضدها وتوجيهها الوجهة التي تريدها، ويأتي الوقت المحدد لقيام (دولة إسرائيل) دون أن يملك أحد من قادة الدول العربية السبعة إلا المشاركة في الأعمال الحربية المسرحية ضدها ليهزموا جميعاً أمامها وتثبت أمام شعوبهم بأنها أقوى منهم جميعاً؟!

والاغتتيال ونكت الوعود

وهل نسيتم كيف قتل الملك غازي غيلة وغدرأ عندما صرح بمعارضته لسياسة بريطانيا وفرنسة في العراق وبلاد الشام كلها؟! وكيف دعم الإنجليز بالمال والسلاح ابن سعود حتى استولى على الجزيرة العربية وطرد الهاشميين؟! وكيف أوهمت بريطانيا كلاً من ابن سعود والشريف حسين بدوره الحيوي في توحيد العرب والمسلمين، فسار معها ابن سعود حتى وحد نجد والحجاز بمذابح تقشعر لها الأبدان، وسار معها الشريف حسين حتى انتهى إلى النفي والموت في قبرص بعد أن نكتت بوعودها له بدولة عربية واحدة يكون ملكاً عليها؟! وكيف أسكتت الشريف حسين عندما أعلن نفسه خليفة للمسلمين بعد إلغاء (أتاتورك) الخلافة عام ١٩٢٤م وعاد يطالب بالحجاز، وأسكتت ابن سعود عن المطالبة بجنوب الأردن، وأنهت النزاع بينهما لينصرفا للأعمال المهمة معها ولخدمتها؟!

وتأكيد أكاذيب اليهود

وهل ما زلتم، يا سادة، بحاجة لشواهد وأدلة تؤكد لكم أن تعهدات الصهيونية في فلسطين أقل ثباتاً واحتراماً من تعهدات بريطانيا التي أنشأت لهم وطناً ودولة بالحديد

والنار هناك في فلسطين، وأن حزبا العمل والليكويد ليسا بأكثر من وجهين لعملة قدرة واحدة، وأنهم لا عهد ولا ذمة لهم طيلة عهودهم مع الإسلام والمسلمين؟! فكيف ترضون بحل معهم غير الحل العقائدي الإسلامي الذي يفرض قلعهم كدولة وكيان سياسي من أرض فلسطين، وإلزام من يرتضون منهم العيش مع المسلمين في ظل حكم إسلامي بأن يكونوا أهل ذمة؟!

وإنشاء مهزلة الجامعة العربية

فهلأ سمحتم إذن، يا سادة، أن نعرض عليكم نماذج من مواقف وأقوال وأفعال الصهيونية والصليبية الأوروبية، مقدمين لذلك بذكر أمرين اثنين هامين لهما وثيق الصلة بتلك النماذج وهما: إنشاء الجامعة العربية، ودور بريطانية في ذلك:

أما إنشاؤها فقد جاء نتيجة لتغلب فكرة الوحدة العربية على فكرة الوحدة الإسلامية، وذلك تحت تأثير الفكر القومي الذي تولت الحركات القومية نشره بتغذية من الإرساليات التبشيرية الأوروبية والأمريكية، وكرد فعل من المسلمين والنصارى العرب ضد فكرة التتريك الطورانية التي حملها وتعصب لدعوتها حزب الاتحاد والترقي التركي..

ذلك أنه كان هناك منذ بداية محادثات الوحدة العربية بين الأقطار العربية بعد الحرب العالمية الثانية نظريتان: النظرية الهاشمية التي كان يؤيدها الحكام الهاشميون في العراق والأردن، والنظرية السعودية التي كانت تؤيدها بلاد الشام باستثناء سورية، وتأييدها مصر للتخلص من النفوذ البريطاني الذي لاحظته يقف وراء النظرية الأولى، التي كانت تدعو لمشروع سورية الكبرى أو الهلال الخصيب الذي يضم بلاد الشام الأربعة مع العراق، بينما تدعو الثانية لجامعة تضم الدول العربية كلها وعلى رأسها مصر، مع ترك الباب مفتوحاً لخطوات وحدوية أخرى..

وكان لاختلاف نزعات واتجاهات القادة العرب فيما بين فكرة القومية العربية في أدنى حدودها بحصرها في مشروع سورية الكبرى أو الهلال الخصيب، إذا لم يضاف إلى ذلك مشروع وحدة وادي النيل بين مصر والسودان ومشروع وحدة المغرب العربي، وما بين فكرة القومية العربية في أقصى حدودها، وذلك بتجاوز هذه الوحدات المتعددة إلى وحدة عربية واحدة تشمل الدول العربية من المحيط إلى الخليج..

كان لاختلاف القادة العرب في ذلك الكلمة النهائية في الأخذ بأحد الاتجاهين وإن كانا في النهاية يصبان في المجرى البريطاني الذي كان يمسك بين أصابعه جميع خيوط اللعبة السياسية بشقيها في ذلك الوقت..

ودور بريطانية في ذلك، وشواهد عربية

وأما دور بريطانية في نشوء الجامعة فقد ظهر في تصريحين لأنطوني إيدن وكان الأول عام ١٩٤١م وكان الثاني عام ١٩٤٣م وقد أيد فيهما البرنامج الاتحادي الذي

أجمع عليه العرب، مع أنه قصد من الأول الحصول على نتائج سياسية واستراتيجية، ومن الثاني إيهام القادة العرب مع قرب تحقق النصر للحلفاء بأن بريطانيا تريد توحيد سياستها مع العرب مما يجعلهم يمنحونها احتكار واردات المنطقة العربية وتوسع نفوذها، كما قال مونتان الفرنسي، إلى سورية ولبنان بربطهما في الاتحاد العربي المسير برغباتها، وتتخلص من فرنسا الشريك المربك بفضل رجالها المختصين بالشؤون الشرقية من أمثال لورد كيلرن.. ولكن برفو الفرنسي رد عليه بأن الجنرال سبيرز كفيل بتهيئة سورية لتكون شريكاً جيداً في الاتحاد العربي بواسطة صلاته الودية مع رجال الكتلة الوطنية التي نجحت في الانتخابات..

ولم تترك إيطاليا الميدان فارغاً لبريطانية كما كشفت صحيفة علاقاتها الدولية بأن مناورتها من تأييد القومية العربية وتطلعها للوحدة هو لإنشاء نظام موحد للعرب تسيطر عليه السياسة البريطانية، ويمكنها به مقاومة الخطر الروسي من الوصول إلى مياه المتوسط الدافئة، وقطع الطريق على التدخل الأمريكي، ذلك التدخل الذي يطمع بالنفط العربي وفرص التجارة الواسعة بعد الحرب، كما قال سبيرز الأمريكي، مما قد ينسف مركز بريطانيا ومصالحها في الشرق الأوسط.. وهذا ما حصل بالفعل.

وأما هال ليرمان الإنجليزي فقد كان يرى أن سياسة (فرق تسد) قد مضى عهدها وجاءت سياسة (وحد واحكم)، ولهذا تدعم بريطانيا الاتحاد العربي لتحصل على مد نفوذها للدول غير الموالية دون حاجة للتدخل غير المرغوب، كما تدعمه من أجل المحافظة على مصالحها في الشرق وتمنع روسية وأمريكا الطامعتين فيه والقادرتين على تمزيقه وامتلاك نفضه.

وشواهد صهيونية

فأذكروا ذلك كله، يا سادة، مما يكشف عن دور بريطانيا في صناعة هذه (الجامعة)، والدواعي لذلك، وأذكروا بهذا الصدد ما كان يردده الصحفي الصهيوني جون كيمش من أن الجامعة العربية قامت بفضل المعونة والضغط البريطانيين لمقاومة فرنسا في سورية ولبنان ومقاومة اليهود في فلسطين..

ولكن الصهيوني الأمريكي هورفيتز كان يرفض هذا الرأي في كتابه (الصراع من أجل فلسطين) ويقول بأن بريطانيا مستمرة التأييد لليهود في فلسطين ضد أماني العرب مما يعرض خططها للخطر، وأن تشرشل وبعض وزرائه يؤيدون الصهيونية.

ولهذا كله فقد كانت مصلحة بريطانيا ظاهرة في عدم ترك الأقطار العربية السبعة دون ربط وتوجيه يحقق لها الاستقرار اللازم لحفظ تلك المصالح ويمنع أي طامع في أسواق المنطقة ومواردها، وينفذها من ورطتها في فلسطين ومن مسؤوليتها تجاه العرب واليهود معاً.

واستخدام مصر لذلك

واذكروا أنه بسبب ذلك قد اختارت بريطانيا مصر لتكون واسطة الاتصال بين الدول العربية، وطلبت من النحاس ذلك، وتدخلت مباشرة لتتهدى تردد لبنان والسعودية في الانضمام لبرنامج هذا الاتحاد، حتى اتصل اللورد موين وزير الدولة البريطاني بالسعودية ليؤكد لابن سعود بأنه لا ضرر من الانضمام إلى الجامعة..

واذكروا كيف تجاهلت في نفس الوقت المشروع الهاشمي في الهلال الخصيب أو سورية الكبرى لمعارضة فرنسا وابن سعود ولبنان ومصر ووطنيي سورية له، وسارت في تنفيذ مشروع الجامعة العربية بمفردها حتى أعلن في ٢٢/٣/١٩٤٥م.. فكان في الحقيقة منعاً للوحدة لأنه نص (على أساس احترام استقلال الدول وسيادتها) مما ينفي أي وحدة أو اتحاد.

والهدف منها

وهكذا تحقق، يا قوم، لبريطانية كل ما استهدفته من منع الوحدة بين البلدان العربية بواسطة تلك (الدمى) التي كانت تحركها، وإن كانت تلك الجامعة لم تستطع أن تحافظ على مصالحها بفعل تلك الانقلابات التي حدثت في سورية ومصر بالذات، وبفعل التحول في السياسة السعودية، مما أحل النفوذ الأمريكي محل النفوذ البريطاني، وبخاصة بعد أن تكشف على أثر انهيار الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١م، وأصبح ينفرد كقطب واحد في السياسة الدولية، ومما جعل الحكام العرب، سواء كانت قلوبهم ما زالت معلقة ببريطانية أو أصبحت مع أمريكية، لا مطلب لهم إلا مسايرتها على أمل، كما يقولون، أن تضغط معهم على (إسرائيل) حتى توافق على السلام معهم.. وكأنهم نسوا أو تناسوا أن من كان يفكر بمجرد الاتصال باليهود كان يعتبر خانناً يستحق الموت!

والآن لتتساءل عما يجري هذه الأيام حول عملية السلام،

ودفع المنظمات الشعبية للتطبيع:

لقد كان هذا الضجيج الهائل حولها قد أفقد سكان المنطقة أو على الأقل بعضهم المتنفس القدرة على التفكير السليم ضد هذه الطبخة، مما جعلهم يتحركون كما يراد لهم وكأنهم في حالة تنويم مغناطيسي، وجعل الأصابع الخفية تنجح في تحريك البعض منهم لعقد (مؤتمر دولي من أجل السلام) في القاهرة في الفترة ما بين ٥ و٦/٧/٩٩م تحت إشراف منظمات وصفت بغير الحكومية من مصر والأردن وفلسطين وبالطبع (إسرائيل) ليذاع عنه تأييد أوروبية وأمريكية وروسية له وإن عارضته المنظمات الإسلامية والمسيحية في مصر والأردن بالذات.. مما يستثير العجب ممن عقده بعد ذلك !!

واستجداد السلطة بأروية

ويتهاوى، يا سادة، هذا العجب يوم ١٧/٧/٩٩م ونحن نسمع مطالبة السلطة الفلسطينية من الاتحاد الأوربي ليطور أسلوباً للعمل مع (عملية السلام) ويلعب دوراً مكثفاً فيها.. فأصحاب (القضية)، كما يسمون، هم السباقون في الهرولة فلم العتب على غيرهم؟! فأى دور تريد السلطة أن تلعبه أروية وهي تعلم أن أوراق العملية كلها وليس فقط ٩٩% منها بيد أمريكا؟! أم أن اللعبة الأمريكية كانت تريد المشاركة الشكلية الأروبية لتسد جميع المنافذ على اللوبي الصهيوني كما تسترضي أروية بعد أن سيطرت على المنطقة بما تؤملها به من المصالح لتستخدمها في تحالفاتها في العالم معها!؟

نقد الغرب للصهيونية

واعلموا، يا سادة، بأن الصهيونية التي تتهاكون على (السلام) معها لن تستطيع أن تخفي عورتها حتى أمام مفكري الغرب من أمثال أنتوني والاس الذي يرى أنها حركة مزيفة في إحياء اليهود لأنها تعتمد كما يقول على الطابع الاستعماري في تجميع اليهود من الشتات في أرض فلسطين مع أنهم، كما يقول أيضاً، لم يعيشوا فيها سوى ٣٧٠ سنة متقطعة في عمر الزمن ثم انقطعوا عنها عشرات القرون، بينما أهلها الأصليون لم يغادروها قط..

ويقول بأن ما اتخذته اليهود لأنفسهم من معازل (جيتو) في أروية وروسية ليست إلا لحرصهم على التميز عن الآخرين ومنع ذوبانهم معهم.. وأنهم، كما قال، هم الذين اخترعوا فكرة اللاسامية بشهادة بروتوكولاتهم وتلمودهم ليستغلوها، كما يجري الآن، ويواصلوا بالسير على خطين: التجميع في (إسرائيل)، والإبقاء على الشتات، مما يحقق لهم ما استهدفوه في فلسطين، وما يستهدفونه في دعمه وسنده المالي والسياسي من الخارج، مما جعل الصهيوني ألون سالمون يصرح بأن يهود الشتات هم الأصدقاء الوحيدون لـ (إسرائيل).

فمن هم، يا سادة، هؤلاء اليهود في حقيقتهم؟

إنكم ولا شك تعلمون حق العلم بأنهم أتباع موسى عليه السلام الذين عاد بهم من مصر بعد تعرضهم للاضطهاد لعزلتهم عن كيان مصر الاجتماعي في ظل حكم الفراعنة، وأنهم قد ارتكبوا من التعنت والعصيان لله تعالى، كما يتحدث عنهم القرآن الكريم، ما يفوق الوصف مما استحقوا عليه لأنواع من العذاب، وانتقل إفسادهم إلى قتل العديد من الأنبياء ومحاولة قتل عيسى عليه السلام الذي أرسله الله إليهم لولا أن أنقذه الله تعالى منهم.. فهل يا ترى هناك من لا يعلم أكثر من هذا بكثير عن فسادهم وإفسادهم، وعن مواقفهم منكم ومن بلادكم ودينكم، و من السيد المسيح عليه السلام قبل وبعد البعثة النبوية؟

فاعلموا، يا سادة،

مما يلي شيئاً من أكاذيب كتبهم وتلمودهم

١- لقد ارتد المسيح عن اليهودية وعبد الأوثان! وأنه ساحر ومجنون! وأن أتباعه كفره مثله بل أخط الكفرة!

٢- أن كنائس المسيحيين بيوت الضالين ومكان القاذورات! ووعاظها كلاب نابحة!

٣- أن أنجيلهم يجب حرقها! ويجب لعنهم ثلاث مرات في اليوم لأنهم والمسيح في الجحيم! ولأن أمه أنتت به من الزنا!

اضطهاد الرومان لهم

ولم يكتفوا بهذا الطعن بالسيد المسيح عليه السلام وأتباعه بل اضطهدوهم حتى سخر الله تعالى لهم من يضطهدهم، فهاجمهم نبوخذ نصر البابلي ونفاهم إلى العراق حيث استقروا حتى أعادهم قورش المجوسي إلى فلسطين ليعودوا للعصيان والفساد فسخر الله تعالى ثانية من اضطهدهم عندما طاردهم الرومان حتى تفرقوا في الأرض، واستوطنت شرذمة منهم يثرب انتظاراً لنبي بشرت به التوراة وحددت أوصافه ومكان بعثته. ورأوا أنه جامع لشملهم ومعيد لأمجادهم.. ولكنهم لحسدهم كفروا بمحمد عليه وآله السلام الذي جاء من إسماعيل عليه السلام، وأخذوا يكيدون له ولدعوته مستعينين بعداء مشركي العرب في البداية له، مما جعلهم يستحقون ما نالوه من العقوبة بعد انتصار الإسلام وقيام دولته في المدينة.

ولكن، هل توقف، يا سادة،

هؤلاء الذين تسعون للصلح معهم عن كيدهم بعد ذلك؟

إنكم تعلمون أنهم بعد أن عجزوا عن النيل من الرسول عليه وآله السلام، وعن تحريف القرآن والسنة، قد أخذوا يزرعون الشكوك والخلافات بين المسلمين، فساهموا في إيجاد العديد من الفرق الشاذة في التاريخ الإسلامي، كما زينوا للناس المذاهب والأفكار والمبادئ الحديثة من شيوعية ورأسمالية وديمقراطية واشتراكية وقومية ووطنية وماسونية ووجودية.. بعد أن كانت لهم يد خبيثة في صنعها، وذلك بما يستخدمونه من وسائل خفية في إشاعتها من خلال الخمر والنساء والأموال..

كيف لا وأن عقولهم الشيطانية التي نجحت في ذلك قد نجحت أيضاً في إشعال الفتن والخلافات بين البشر وذلك عن طريق الجمعيات السرية والعنيفة التي أبدعوا في تنظيمها وإخفاء حقيقة أهدافها في مختلف المجالات الفكرية والسياسية والاجتماعية والفنية والدينية والرياضية من أمثال الماسونية والروتارية.

إفسادهم لعقيدة النصرانية ونشر الأفكار الهدامة بين المسلمين

واذكروا، يا قوم، بأن الدين النصراني عندما كان يشكل العقبة الكئود في طريقهم في البداية قد اعتبروه ألد أعدائهم، فقالوا عنه وعن رسوله ما قالوا، ثم عمدوا إلى تخريبه من الداخل، بتحريف عقائده السليمة بدس عقائد الوثنية إليه، فكانت عبادة المسيح، والثنوية، والتثليث.. وأنهم يعد أن اطمأنوا على هذا التخريب توجهوا بكل قواهم وكيدهم ضد الإسلام وأهله فأخذوا يشيعون المذاهب الهدامة بين المسلمين ليعزلوهم عن دينهم كما فعلوا مع النصارى، مكررين استخدام وسائلهم القذرة من ملذات وشهوات..

فنجحوا حيث وجدوا ضعاف النفوس ممن لا يخلو منهم مجتمع ولا زمان، فطبقوا بذلك تعاليم تلمودهم الناطق بديانتهم الشيطانية المحرفة و التي لا بد لكل مسلم من الإطلاع عليها ليعرف حقيقة هؤلاء الذين تجري الهرولة للصالح معهم..

ولكن الواجب لهذا (الكتاب المفتوح) أن يستكمل ذكر نماذج الأقوال والأفعال والموافق الصهيونية والصليبية التي بدأنا بها من قبل، ففعل أولئك المهرولين أن يتحسسوا مواقع أقدامهم قبل أن يأتيهم حساب شعوبهم وأمتهم العسير إن كانوا يشكون بحساب رب أمتهم، فيعيدوا النظر في هذه الهرولة ويحولوها بالاتجاه المعاكس، اتجاه الإعداد لإطلاق صيحة (الله أكبر، حي على الجهاد) التي يخشى سماعها الكفر كله.

أقوال زعماء الصهيونية ضد الإسلام وبلاده

يقول أبا إيبان في رياليتيه الفرنسية عام ١٩٦٦م بأن الاختلاف في الشرق الأوسط أكثر ملائمة لإسرائيل من التوحيد والانسجام، بحيث تعيش ضمن فسيفساء من دول دون صعوبة وإن بقيت شوكة في جسم متجانس!! فما رأيكم أيها السادة بهذا القول؟

ويقول أبا إيبان أيضاً ولكن في مجلة جون أفريك عام ١٩٦٧م بأن (إسرائيل) المنتصرة تقرر النظام الجديد في الشرق الأوسط، ولا بد لتحقيق ذلك من ثورة في الضمير العربي ليقبل (إسرائيل) كعضو فيه وليس كعنصر أجنبي مفروض عليه!! ما رأيكم بهذا أيضاً وما رأيكم بالتعاون في تنفيذه!!

ويقول مناخيم بيغن بأنه لولا انتصارهم في مجزرة دير ياسين لما قامت (إسرائيل)، وأن على الإسرائيليين ألا يشفقوا على عدوهم حتى يبيدوه ويبيدوا الحضارة الإسلامية ليبنوا على أنقاضها حضارتهم!! فما رأيكم بهذا القول أم خدعتم بتوقيع بيغن على صلح السادات!!

ويقول هرتزل في (يومياته) بأنه (إذا كانت مشيئة الله أن نعود إلى وطننا التاريخي فنحن نرغب في العودة كممثلين للحضارة الغربية..) فهل أعجبكم يا سادة هذا المكر والخداع الهرتزلي للغرب ليساندهم في تحقيق هدفهم؟!

واسمعوا ما قاله خليفة هرتزل الداهية ناحوم غولدمان بأنه لا يرى التمثيل وإنما بناء الحضارة العبرانية على أنقاض الحضارة الإسلامية بدون عنف وقوة.. ولكنه يفضح نفسه عندما يردد نداء موسى دايان الذي أذاعته إذاعة (إسرائيل) في ١٢/٢/١٩٥٢م بأن (على الشعب أن يتهيأ للحرب، وعلى الجيش الإسرائيلي أن يقاتل وهدفه الأسمى بناء الإمبراطورية الإسرائيلية!!) فهل أعجبكم هذا؟! أم أن كثرة ترده على أسماعكم له قد جعلكم تستخفون به؟!

وانظروا، يا سادة، إليهم وهم يجمعون التبرعات قبيل حرب ١٩٦٧م تحت شعار (قاتلوا المسلمين)!! وانظروا إلى بطاقات سياحتهم بعد تلك الحرب وهم يكتبون عليها (المؤذنون الجدد في الشرق الأوسط)!! تهكماً بدينكم.. وقرأوا عبارة كتبت عليها (هزيمة الهلال) لعلها تستثيركم! وتستثير الشفقة فيكم على أولئك اليساريين منكم الذين تحدثت عنهم لوموند الفرنسية عام ١٩٦٧م بأنهم اختاروا طريق الماركسية ورفضوا دينهم الإسلامي لأنه بزعمهم وجهلهم لم يتطور كما تطور الدين المسيحي!!

دعم المخابرات البريطانية للصهيونية

واسمعوا، يا سادة، المدعو (لورنس العرب) وهو يتحدث في تقاريره السرية عن سعيه لتحقيق هدفه في إقامة دولة عربية قومية في سورية تكون تحت الحماية البريطانية وتمولها وتوجهها الصهيونية العالمية.. ويكشف عن تأييده لوعده بلفور كوسيلة لكف مطامع فرنسة عن سورية كلها..!

وانظروا إليه وهو يحتقر الدكتور ماك أنيس، كاهن الأبرشية الإنجليكانية في القدس عندما رفض فكرة إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين فقال له (كان الأفضل لك أن تفعل شيئاً آخر غير الاحتجاج ولكنك لا تصلح حتى لتنظيف حذاء وايزمن)!!

وانظروا إليه وهو يصرح في (رسائله) بإسقاط الخلافة العثمانية لتنفرد دولة بريطانية بالشرق، ويستبعد الوجود الفرنسي، وتخلق بدلاً منه (إسرائيل)..!

واقروا أحد تقاريره لمخابراته عام ١٩١٦م بعنوان (سياسات مكة) وهو يحدد أهداف دولته والغرب ب (تفتيت الوحدة الإسلامية، ودر الإمبراطورية العثمانية وتدميرها..

وإذا عرفنا كيف نعامل العرب.. فنضعهم في دوامة من الفوضى السياسية داخل دويلات صغيرة حاقدة ومتنافرة.. وإن كانت مستعدة دائماً لتشكيل قوة موحدة ضد أية قوة خارجية!!)

ولكن ماذا كانت تفعل مخابرات بريطانية في القاهرة في هذا الوقت لتحقيق أهدافها؟

كان، يا سادة، الكولونيل جيلبر كلايتون يؤسس مكتب مخابراتهم باسم (المكتب العربي البريطاني في القاهرة) ويعد، كما تقول (الوقائع السرية في حياة لورنس العرب)، مع مجموعة من الضباط مخططاً عملياً (لتطويع حركة القومية العربية في خدمة الأهداف الحربية البريطانية) منسجماً في ذلك مع خطة المفكر الصهيوني ماكس نوردو لاستغلال حركة القومية العربية لضرب العرب بحكام العثمانيين، والقضاء على الطرفين في فلسطين بالذات ليجدها اليهود فارغة من السكان.. وذلك بتوجيه تلك الحركة وجهة تطال فيها فلسطين فتصبح (أرض آباننا من جديد.. محور اهتمام العالم السياسي ومحط أنظاره..) فما رأيكم يا دعاة القومية العربية؟!

وانظروا إلى الصهيونية وهي تمول لورنس لإقامة دولة قومية عربية في سورية تتخلى عن الإسلام تماماً.. وتخدم مصلحة بريطانية في الشرق منقسماً على نفسه في دويلات متناحرة!!..

وانظروا إليه وهو يتظاهر بمنح العرب الحرية والاستقلال بهدف إلحاق بلدانهم بدولة بريطانية مستخدماً الوعد بذلك كأفضل وسيلة ليقاوم العرب مع دولته دون أن ينفذ لهم وعده.. والأفضل لنا أن ننتصر وننكث بوعدنا من أن ننكسر..) فما رأيكم بوعودهم وعهودهم؟!

واذكروا تقارير لورنس هذا لمخابراته التي كان يؤكد فيها ضرورة إزالة (خطر الإسلام) بالقضاء على أي تكتل إسلامي ولو رمز الخلافة والخليفة دون نفوذ!!

أكاذيب الغرب

فها هي أكاذيب بريطانية وأوربية ومعهم أمريكا ما زالت تخدمكم، فتشاركون في كذوبة حوار الشمال والجنوب ومكافحة الإسلام باسم التطرف والمحافظة على الديمقراطية والتعددية وحقوق الإنسان وأمثالها من الشعارات البراقة التي تشغلكم عن حقيقة تأمرهم عليكم وعلى إسلامكم؟!

فتذكروا إذن قول لورنس في أحد تقاريره (.. لو تمكنا من تحريض العرب على انتزاع حقوقهم من تركية فجأة وبالغف لفضينا على خطر الإسلام إلى الأبد، ودفعنا المسلمين إلى إعلان الحرب على أنفسهم، فنمزقهم من داخلهم وفي عقر دارهم..!!)

بن غوريون

واقرأوا يا سادة، في كتاب بن غوريون (بعث ومصير إسرائيل) ما يراه أن الخطر الأمني على (إسرائيل) ينبع من حركة الفتح الإسلامي التي كانت قد أحدثت (الزلزلة الروحية التي بدلت معالم الشرق الأوسط وآسية الوسطى وشمال أفريقيا كلها..!!)

فما رأيكم أيها السادة وأنتم تشاركون بنشاط بمحاربة الصوحة الإسلامية معهم
باسم الإرهاب!؟

غوستاف لوبون

واذكروا غوستاف لوبون، هذا المفكر الفرنسي الشهير الذي وُصف بالمنصف
للسلطان عليه وآله السلام وأتباعه، واقرأوا ما رددته في كتابه (حضارة العرب) بأن أتباع
محمد عليه وآله السلام (كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم الساحقة، وأننا لم نحرر منهم
في الحقيقة إلا بالأمس..)

فأي إنصاف هذا يا قوم!؟

هل غابت العقول حتى بتنا نمدح من يطعننا في ظهورنا!؟

واقرأوا مع سعد جمعة في كتابه (المؤامرة ومعركة المصير) ما يقوله يوجين
روستو اليهودي الأمريكي الذي كان أحد كبار مخططي السياسة الأمريكية في الشرق بأن
الإسلام قد خضع لسيطرة الغرب منذ قرن ونصف فقط، وأن ذلك قد ترك آثاراً بعيدة في
البلاد الإسلامية أوقعت أهلها في عدم وعي (كيف يتفاعلون في علاقاتهم الداخلية
والخارجية على حد سواء) وجعلتهم يشعرون بالهانة أمام طغيان الحضارة الغربية على
حضارتهم الإسلامية وإن كانت (السياسة العربية ما زالت تعيش على أحلام وأمجاد
الإمبراطورية الإسلامية.. التي كانت تقسم العالم إلى فئتين متعارضتين.. هما دار السلام،
أي الإمبراطورية الإسلامية، ودار الحرب، أي أعداء تلك الإمبراطورية، على أساس
الحديث (الكفر ملة واحدة).. فأين وعيكم على مخططات الغرب وأمريكا بالذات ضدكم
وضد إسلامكم!؟

لوبون وشم الرسول عليه وآله وصحبه السلام

وارجعوا إلى (منصفكم) لوبون واقرأوا وصفه لرسولكم عليه وآله السلام
(بالمتهوس الشهير) في كتابه المار ذكره (حضارة العرب) وهو يقول: (.. وإن من
عجائب التاريخ أن يلبي نداء ذلك المتهوس الشهير.. شعب جامح لم يقدر على قهره أحد،
وأن تنهار أمام اسمه أقوى الدول، وألا يزال يمسك وهو في قبره بملايين الناس تحت
لواء الإسلام..!!)

وانظروا إلى هذا الغوستاف وهو يعبر عن دهشته من استمرار فعل الحضارة
الإسلامية حتى بعد انهيار سلطان الإسلام السياسي بوقت طويل (.. فقد دام عمل العرب

الحضاري إلى ما بعد زوال سلطانهم السياسي بوقت طويل..) ويفسر ذلك بحقده الدفين بضالة الجزية التي كانوا يأخذونها بالقياس مع ضخامتها للأسياذ السابقين!!
فيا لهذا التهم والتفسير والسقيمين وإن كان ذلك يتناسب مع العقول التي لا تفهم إلا التعاملات المالية!!

وفهمه السيء، واعترافه الحاقذ

هكذا، يا سادة، فهم لوبون وأمثاله من مخططي السياسة الغربية عدل الإسلام ورسالته السامية للبشرية في دعوته لهم لاعتناقه بتسامح ودون إكراه، وفي حسن تعامله مع أعدائه!!

وانظروا إليه و هو يعترف بمرارة بأن (الصراع العظيم المتمثل بالحروب الصليبية الذي تعرض له العالم لم يكن غير نزاع عظيم بين أقوام من الهمج - يقصد أوربة- وحضارة تعد من أرقى الحضارات التي عرفها التاريخ..) ويعلل ذلك لأن المسلمين (استطاعوا أن يحولوا إسبانية مادياً وثقافياً في نصف قرن، وأن يجعلوها على رأس جميع الممالك الأوربية) ويقول (.. وكانت إسبانية الإسلامية البلد الأوربي الوحيد الذي تمتع فيه اليهود بحماية الدولة ورعايتها، فصار عددهم ضخماً جداً)..

ويواصل اعترافه بما حل بالأندلس من سوء المصير عندما تخلصت من الحكم الإسلامي فيقول (..والإسبان وحدهم هم الذين تمكنوا من التخلص من الحضارة الإسلامية ولكنهم لم يفعلوا ذلك إلا ليقعوا في الانحطاط العضال..).

وحقده على الحضارة الإسلامية

ولكنه، يا قوم، هل توقف عند هذا الاعتراف بفضل الحضارة الإسلامية، أم هي مجرد إقرار بالواقع ما أسرع ما ينساه الحاقذ؟

ها هو ينتقل إلى تحذير أهل حضارته الغربية مما يخشونه أشد خشية.. (رغم ما بين الشعوب الإسلامية من فروق عنصرية فإنك ترى ما بينها من التضامن الكبير ما يمكن أن يشدها ويجمعها تحت راية واحدة في أحد الأيام..)! فأى حقد في هذا التحذير؟! وأي إنصاف ينسبونه لهذا العالم في حق الإسلام وحضارته؟!

والآن، هل في الجعبة من أمثال هذه الشواهد المريرة؟

أرنولد توينبي يحذر من الصحوة الإسلامية

إذن إليكم، يا سادة، هذا المؤرخ العالمي البريطاني الشهير أرنولد توينبي.. الذي سار على خطى لوبون بدقة متناهية وهو يتحدث في محاضراته عن (مستقبل الإسلام) عام

١٩٥٢م عندما حذر الغرب بقوله (صحيح أن الوحدة الإسلامية نانمة، ولكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ..)!

وعندما ذكره بانتصار الإسلام في مناسبتين تاريخيتين (عندما حرر الإسلام سورية ومصر من السيطرة اليونانية وأظنه يقصد الرومانية في عهد الخلفاء الراشدين إلا إذا قصد الفكرية لا السياسية، وعندما احتفظ الإسلام بقلعته قوية صامدة أمام غزو الصليبيين والمغول..)! وعندما أذره (.. وهكذا فإن الوضع الدولي الراهن، إذا سبب حرباً عنصرية، فإنه يمكن للإسلام حينئذ أن يتحرك ليلعب دوره التاريخي مرة أخرى..) وعندما أنهى تحذيره بقوله (وأرجو ألا يتحقق ذلك!!)

فيا عجباً لهذا المؤرخ الكبير وهو يرجو ألا تستيقظ الوحدة الإسلامية (النانمة) وألا يتحرك الإسلام (ليلعب دوره التاريخي)!! فما هذا الحقد الصليبي الدفين؟!

وانظروا إليه، يا قوم، وهو يشوه الحقائق التاريخية عندما يرى أن شر التمييز العنصري وشر الإدمان على الخمر هما سبب انحطاط الغرب أمام الإسلام.. وأن على الغرب أن يحذر هذه الحضارة الإسلامية!!

فهل تجاهل هذا المؤرخ أو جهل أفكار الحضارة الإسلامية التي تقوم عليها المساواة بدلاً من التمييز بين الشعوب المفتوحة، والتي تحرم الخمر وكل مفسدات الفرد والمجتمع؟! أم هو الحقد الصليبي؟!

وانظروا إليه وهو يواصل تحذير الغرب من الصحوة الإسلامية التي قد تجيء بسبب فشل الغرب في تحقيق تجانس من هذا التنافر الناتج من غزو الغرب للعالم، والتي قد تؤدي على انفجار مدمر لأن الإسلام، كما يزعم، لديه هذه الإمكانيات المدمرة، وإن كانت العوائق الذاتية، كما يقول، قد أخذت تفقده هذا التأثير لأن الوحدة الإسلامية عارض غريزي، كما يدعي، يظهر مع ظهور عدو داخل الحمى..

هكذا إذن الإسلام ووحده في نظرك يا تويني! وأن العوائق الذاتية وليس التآمر والكيد من كل جهة وبالذات الغرب هي سبب فقد التأثير!! وإلا فما معنى تحذيره من انفجار الصراع في الغرب بين العمال والسلطات بسبب التمييز العنصري والخمر مما يؤدي للجوء العمال للإسلام الخالي من هذين الشرين كمحل أمثل لمشاكلهم في المساواة والفضيلة عندما يسمح له بدور يؤديه..! فمن الذي يسمح أو يمنع من ذلك غير الغرب وحقده الصليبي الصهيوني؟!

وإقراره بالعجز في فهم تأثير الإسلام

وانظروا إلى هذا المؤرخ وهو يعترف في محاضراته تلك بأن الإسلام (قادر على التأثير في المستقبل بأساليب تسمو على فهمنا وإدراكنا).. فكم كان حرياً به لو كان نزيهاً مع نفسه، منصفاً لغيره أن يجد في عجزه عن فهم الإسلام وإدراكه دافعاً

يدفعه لدراسته بعمق واستنارة، فيقبل على اعتناقه، كما حصل مع العديد من العلماء أمثاله، وعندها سيدرك بحق مفهوم المساواة والفضيلة لدى الإسلام، ويدرك بأنه جاء «رحمة للعالمين» وليس أفيوناً للشعوب ولا لمجرد تنظيم علاقة العبد بربه بالعبادات، وإنما هو مبدأ كامل بعقيدته وتنظيماته..

ولكنه للأسف نجده بدلاً من ذلك يعود ويتحدث بشماته عن سقوط دولة الخلافة العثمانية وهو يعدد ما أسماه بإصلاحات الانقلابيين الأتراك: من تغيير الدستور، وخلق الخليفة، وإلغاء منصبه، وتجريد علماء الإسلام من مناصبهم، وحل منظماتهم، وإزالة حجاب المرأة المسلمة، وإرغام الرجال على ارتداء القبعات.. ويقول (..) وباختصار فقد كنست الجمهورية التركية الشريعة الإسلامية كلها، وطبقت القانون المدني السويسري وقانون الجزاء الإيطالي، وفرضت هذين القانونين بعد تصويت المجلس الوطني عليهما، وغيرت الأحرف العربية بأخرى لاتينية، وهذا أمر لا يتم إلا بطرح القسم الأكبر من التراث الأدبي العثماني القديم..!! فهنيئاً لدعاة التغريب القومي والعلماني بمؤرخهم الشهير!!

كلود كوهين والاستعمار الإسرائيلي

واقرأوا، يا دعاة السلام، هذا المقال الذي نشرته لوموند الفرنسية لكاتبه كلود كوهين بعنوان (من أجل السلام في الشرق الأوسط) وتدبروا ما يقوله بأن (للإسلام تقليد طويل في حسن معاملة الأديان.. وأن المعاملة الحسنة التي يقدمها الإسلام لشعب إسرائيل لا يقدمها لدولة إسرائيل.. وأن العرب لا يحملون حقداً على اليهود بل على الصهيونية وسندها الإمبريالية.. وأن التطور الذي أدخله الاستعمار الإسرائيلي إلى فلسطين لا يمكن إنكاره، فهل يمكن نشر فوائده على منطقة الشرق الأوسط كلها بدلاً من العمل على تدميره؟! هكذا بكل بساطة!

ما هذا (التطور) الذي أدخله (الاستعمار الإسرائيلي) إلى فلسطين ويلزم نشر فوائده على المنطقة بدلاً من تدميره?!

الصهيوني ماكس نوردو والغزو الثقافي

إنه ولا شك محاولة جعل العرب والمسلمين خارج فلسطين يقبلون بـ (إسرائيل) كما كان قد سكت عنها الكثير ممن في الداخل، وأن تحقق ذلك منوط بإيقاع فتنة بين شعوب الأمة الإسلامية، كما يرى المفكر الصهيوني ماكس نوردو، بإثارة الدعوة القومية والعرقية التي حققت تدمير الدولة العثمانية ثم بدوامه تحريض الحكام الترك على العرب.. وأنهم (سوف نبذل كل ما بوسعنا لنؤدي في الشرق الأوسط الدور ذاته الذي لعبه الإنجليز في الهند.. إنه النشاط الثقافي لا السيطرة.. فنحن نريد الذهاب إلى فلسطين كحملة تعتمد على المدنية والتحضر، ورسالتنا تقتصر على توسيع الحدود الأخلاقية لأوروبا حتى تصل إلى الفرات..).

فهلا تنبهتم، يا سادة، على ما يقصده بالحدود الأوربية الأخلاقية؟ إنه نشر الحضارة الأوربية في البلاد الإسلامية، وعندها فقط يصبح المسلمون على استعداد للقبول (بإسرائيل) في المنطقة.. ولكن هل وافقه بن غوريون على هذا النوع من الحملة الثقافية؟

بن غوريون يرفض تمثيل أوربية

لا، لقد رفضها وأعلن بأن (إسرائيل) تعمل لنفسها، لحضارتها العبرانية لا الأوربية، وأعلن في كتابه المار ذكره (بعث ومصير إسرائيل) ما يؤكد دعوته وحملته البديلة عندما قال (إن دولة إسرائيل هي جزء من حركة اليهودية العالمية، ومن هذه الحركة تستمد إسرائيل قوتها.. وبفضل قوة هذه الحركة سنبنى إسرائيل مراراً وتكراراً!!) فما هذا (المرار والتكرار) غير التوسع الأفقي خارج فلسطين كلها؟!

بيغن وسلام (إسرائيل)

وماذا تقولون: يا دعاة (السلام) في صراحة مناحيم بيغن وهو يخطب في الكنيسة في ٧/٤/١٩٥٠م قاتلاً (لن يكون سلام لشعب إسرائيل، ولا لإسرائيل، ولا حتى للعرب، ما دمنا لم نحرر وطننا بأجمعه بعد، حتى لو وقعنا معاهدة الصلح..) فهل وضحت لكم نظرهم إلى (الصلح) معكم وقيمته مع الاستعمار الإسرائيلي لفلسطين؟!

بن غوريون وحدود (إسرائيل)

وإذا كنتم تجهلون حدود الوطن التي يشير إليها فاسمعوا بن غوريون وهو يحدد وطنهم في خطابه أمام وفد من طلبة الجامعة العبرية عام ١٩٥٠م (إن هذه الخريطة - ويشير إلى خريطة فلسطين المحتلة - ليست خريطة دولتنا، بل لنا خريطة أخرى، عليكم أنت مسؤولة تعميمها.. إنها خريطة الوطن القومي الإسرائيلي من النيل .

فهل من أحد يجهل هذه الحقيقة المرّة؟!

بيغن وحدود (إسرائيل)

وإذا كنتم، يا سادة، لا تصدقون بن غوريون، مؤسس دولتهم، بحجة أنه التهديد والحرب النفسية، فما رأيكم في صرخة بيغن السابقة في الكنيسة، وفي خطاب أحد كبار حاخاماتهم راينوفيتش في اجتماع عقد في القدس عام ١٩٥٢م وهو يقول (فليفهم الجميع بأن إسرائيل قامت بالحرب، وأنها لن تقنع بأنها بلغت حدودها حتى الآن، وأن الإمبراطورية الإسرائيلية سوف تمتد من النيل إلى الفرات)!! ولكن يظهر أن عمه البصائر قد سبب عمى الأبصار!!

ضجيج عملية السلام

وإذا كنتم، يا سادة، بسبب ضجيج (عملية السلام) لا ترون هذه التصريحات، ولا ترون شعارهم في الكنيسة، ولا ترون أدبيات أحزابهم المختلفة فما رأيكم بمراوغة الليكود المتكررة لسنوات عديدة أمام الضغوط الأمريكية حتى أغضبت سيده بقاء دولتهم ومزودتها بأسباب البقاء من الرغيف إلى الصاروخ؟!

وما رأيكم بهذه المراوغة التي يتبعها حزب العمل الجديد في السلطة وإصراره على أمن دولته؟!

وما رأيكم بلعبة الليكود وغيرها مكرراً مع أمريكا من جديد باسم الحرب ضد الإرهاب؟!

معارض يهودي

وإذا كنتم، يا سادة، تستبشرون لتصريح كاتب يهودي معارض من مثل موسى بينومين عندما أشار في كتابه إلى اضمحلال اليهودية.. أو تدهور الديانة اليهودية في زماننا الحاضر، بسبب دفع اليهود ثمن جرائم الصهيونية إن عاجلاً أو آجلاً، فاسمحوا لي أن أبشركم بقول والتر شوارز في كتابه (العرب في إسرائيل) بأن إسرائيل نموذج بشع لجميع الخصائص العرقية والاستعمارية وإحياء التراث الاستعماري الأوربي في أمريكا وآسية وأفريقية!!

ولكن ما قيمة هذه المعارضة و(إسرائيل) ماضية في تنفيذ مخطتها الشامل للشرق كله بهذا النظام الجديد الذي يجري تخطيطه وتنفيذه بالتفاهم مع القادة العرب وبتوجيه ودعم أمريكيين؟!

تجاهل مجلة روز اليوسف للحقيقة

وما رأيكم، يا سادة، باستنكار مجلة روز اليوسف بتاريخ ١٠/٦/١٩٦٨م هزائم العرب أمام (إسرائيل) بحجة أن إمكانياتهم تفوق إمكانياتها بكثير؟!

فكيف تتجاهل هذه المجلة ذكر الحقائق بأن فقدان إرادة القتال لدى القادة العرب بالإضافة لفقدان الجدية والإخلاص في الإعداد للحرب، مع تشتت الأهداف، لا يمكن أن تحقق أي نصر؟! ألا تتجاهل هذه المجلة بأن القدرات الكبيرة في الأيدي الممزقة المشلولة لن تنتج إلا الهزائم المتكررة؟! ألا تعلم هذه المجلة بأن اليهود يحميهم وحدة الهدف مهما تنوعت الكلمات، وأنهم يعلمون التوراة والتلمود في مدارسهم وأن ذلك مما لمس زوار (إسرائيل)؟! ألا تذكر تلك المجلة، وهي اليسارية في توجهها، ما فعله مفكر يساري عندما استنكر الحكم بالقرآن، ووضع مع (رفاقه) أكاليل الزهور على ضريح لينين الذي أعلن في خطابه في المؤتمر الثالث لمنظمة الشبيبة الشيوعية بموسكو عام ١٩٢٠م بأنهم لا

يؤمنون بالله، ويعتبرون الخطاب الديني مجرد استغلال وخداع للفلاحين والعمال يستنكرونه أشد الاستنكار؟!!

ألا هنيئاً لليساريين وهم أول من كان يروج ويعمل للصلح مع (إسرائيل)!!
وبالمناسبة، ما مدى إطلاعكم على تلمود هذه «الإسرائيل» الذي تقدمه على التوراة؟
إنهم، يا سادة، يعتبرون غيرهم أمماً دونهم وأنجاساً وكفرة وحيوانات.. ويرون
أنفسهم شعب الله وأبناءه وأحباءه!
إنهم يجدفون في حق الله تعالى فيروونه سبحانه غير معصوم عن الطيش والكذب!

إنهم يستبيحون مال غيرهم ولو بالربا!
إنهم يرون عهودهم مع غيرهم غير ملزمة لهم! إنهم يستبيحون الزنا بغيرهم!
إنهم يستبيحون دماء غيرهم لإعداد فطير عيد البوريم والفصح الممزوج بالدم!! إنهم..
إنهم.. أم أن هذه الدعوات لم تعد تؤثر في الأسماع؟!

ولكن ما مدى علمكم بحقيقة بروتوكولاتهم

جالتلمود مقدمة على التوراة نفسها بل هي أفضل مما جاء به موسى من الألواح التي
حرفوها وزعموا أنها تعاليم الله تعالى..
أم أنكم تعلمون ذلك ولكن لا تتالون به وذلك من باب الثقة بأن أمريكا لن تسمح لهم
بمخالفة خططها في السير لإقامة الدولة الفلسطينية العتيدة؟!

من رذائل أسفارهم

فاعلموا، يا قوم، شيئاً من الرذائل التي انطوت عليها تلك الأسفار التي يرونها المرجع
الأساسي للتلمود والبروتوكولات:

فهم يقولون بأنهم سلبوا أموال المصريين قبل الخروج من مصر، وأن أكل أموال
الغير مباح لهم ولو بالربا، ويقولون بأنهم عاتبوا موسى لإخراجهم من مصر وتعرضهم
لموت وهم عطشانيون وتمنوا عليه أن يعيدهم لخدمة المصريين على هذا الموت بالجوع
والعطش، وأن موسى قد خاف من بطشهم فتوجه إلى ربه بالدعاء..

ويقولون بأن هارون قد خاف منهم وصنع لهم من أموال السلب عجلاً كإله
يعبدونه وله مذبح وعيد، كما طلبوا من موسى أن يعيدهم لمصر بدلاً من الموت بسيوف
الكنعانيين وأنهم أخذوا يكيدون لموسى لتنفيذ ذلك..

ويقولون بأن يوشع خليفة موسى قد عاتب الرب بعبورهم نهر الأردن وتعرضهم
للقتل من الأموريين، فوبخهم الرب على نقضهم العهد وارتكابهم المحرمات من سرقة
وغيرها..

ويقولون بأنهم عملوا الشر فشردهم ملك مؤاب فعبده ثمانى سنين، كما عبدوا بعدها البعليم إله الكنعانيين وغيره من الأوثان فغضب الرب عليهم وباعهم بيد الفلسطينيين..

ويقولون بأن إبراهيم قد طلب من زوجه سارة عندما هرب إلى مصر من الجوع بأن تقول بأنها أخته ليكون له خير بسبب ذلك وينجو من الموت فغضب الرب عندما تزوجها فرعون الذي طردهم، وأن لوطاً قد أنجبت منه ابنتاه بعد أن ضاجعهما وهو سكران بفعل ما أسقياه من خمر، وأن داود قد فتن بزوجة الحثي قائد من قواد جيشه وضاجعها وقتل زوجها بمكيدة في الجيش وضما لنسائه ليصبح لديه مائة فيختبره الرب حتى يقر بخطئه فيأخذ منه نساءه ويدفعهن لقریب ليضطج معهن أمام عينيه جزاء فعلته، وأن أمنون بن داود قد شغف بأخته ثامار حياً حتى تمكن منها بتظاره بالمرض فضاجعها ثم كرهها، وأن سليمان قد مال قلبه بتأثير نسائه السبعمائة وسراريه الثلاثمائة عن عبادة ربه إلى غيره، وارتكب المنكر، فغضب الرب عليه ومزق مملكته!! فهذا قليل من كثير، فهنيئاً لمن يتهافتون للصلح معهم!!

مفاسد بروتوكولاتهم

وأما البروتوكولات فتشتمل على أربع وعشرين بروتوكولاً لم تترك مجالاً من مجالات الحياة إلا رسمت له خطة لإفساده..

فهي: تأمر بنزع الإيمان بالله من عقول غير اليهود، واستبداله برغبات مادية، وتأمر بالخداع والمكر والغش في الحكم، وإسناده للجهلة ليسيظروا عليهم بالمال، وتأمر بمضاعفة أعداد الماسونيين في العالم ليصلوا بهم إلى السلطة، وتأمر باستخدام الذهب والاحتكارات لإثارة الحروب، وتأمر بخداع المتعلمين والمثقفين بالنظريات الخاطئة في التعليم وبإشاعة التحرر والإلحاد باسم الحرية العلمية، والفسق والفجور باسم التقدمية، وتأمر بالسيطرة على وسائل الإعلام والإعلان وحشوها بالأخبار الكاذبة والصور الخلية، وتأمر بإلهاء الجماهير عن معرفة الأخطار بالملاهي والرياضة وإشاعة الأكاذيب لتضطرب المقاييس بشأن الصح والخطأ، وتأمر بنشر الأدب الماجن لهدم الأسرة والأخلاق، وتزويج بناتهم الجميلات للملوك والرؤساء للتأثير عليهم، وبالتظاهر باعتناق الأديان الأخرى للسيطرة على أهلها، وباستغلال ديون الحكام وإغراقهم في القروض للسيطرة عليهم وعلى أملاكهم..

إن هذه البروتوكولات تغني عن التعليق يا من تسعون لإقرارهم في دولة تفسد وتدنس!

ما نفذوه منها

وأما ما نفذوه أو يسعون لتنفيذه من هذه المقررات فهو سيطرتهم على الكثير من المصارف والمؤسسات المالية العالمية، وسيطرتهم على الكثير من وسائل الإعلام العالمية، مستخدمين المال والأعمال والتضليل الديني في ذلك..

وأما الاغتيالات فلهم فيها باع طويل، ويكفي ذكر حادثين منها يتصلان بفلسطين، ليتنبه لذلك دعاة السلام معهم، وهما اغتيال الكونت برنادوت الوسيط الدولي الأول بين العرب واليهود عام ١٩٤٨م لأنه سعى بجدية لحل قضية فلسطين على غير ما يخطون ويريدون، واغتيال أولف بالمه رئيس وزراء السويد في الثمانينيات لأنه نشط لحقن الدماء بين العراق وإيران، وأطلع على الإسلام وناشد مواطنيه الإطلاع عليه فأروا خطره على مخططاتهم في أوربة فاغتالوه..

ولكن ما هي أهم الأحداث التاريخية التي كان لهم تأثير فيها في العصر الحديث تنفيذاً لمخططاتهم الإجرامية حتى خيل للناظر فيها بأنها من صنعهم؟

إنها: الثورة الفرنسية، والحربين العالميتين الأولى والثانية، والثورة البلشفية، وهدم الخلافة العثمانية الإسلامية!! فكيف أثروا فيها؟

ولكن لماذا لا نخشى من تعظيم نسبة التأثير فيها لهم بأنها لمجرد تضخيم أمرهم، وإعطائهم ما لا يستحقون، فتضيق الحقائق أو تشوه الأمر الذي يستدعي التحفظ في الحديث عن تأثيرهم ويفرض إعادة تفسير الأحداث بعيداً عن أكاذيبهم..

فلنلق، يا سادة، الضوء على كل من هذه الأحداث بروية وتدقيق، ونذكر أن وجود شخصيات منهم مع غيرهم ليس بأكثر من وضع أنفسهم تحت خدمة غيرهم على أمل أن يتقاسموا الكعكة معهم..

في الثورة الفرنسية

إننا نجد بصدد الثورة الفرنسية البروتوكول الثالث من مقرراتهم يخاطب اليهود قائلاً (تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها الكبرى، فإن أسرار تنظيمها التمهيدي معروفة لدينا جيداً، لأنها من صنع أيدينا، ونحن من ذلك الحين نقود الأمم من خيبة إلى خيبة..) مما يصرح بأن هذه الثورة كانت من صنع أيديهم بشكل ما وبحجة أن شعاراتها: حرية، إخاء، مساواة هي نفس شعارات الماسونية فرع الصهيونية المنتشر في العالم..

فما قيمة هذه الحجة؟!

كما نجد دائرة المعارف اليهودية تصرح على الصفحة ١٣ منها بأن عدداً من اليهود قد مولوا تلك الثورة، وتذكر أسماءهم دون أن يتعرض ذلك لأي رفض أو استنكار، مما يؤكد استغلالهم وليس صنعهم للأحداث، فتذكر بأن دانيال اتزج وديفيد فردلاندر من برلين، وهوز سيرفبير من الألزاس، وبنجامين غولد سميث وابراهيم غولد سميث وموزس موكاتا من لندن، كانوا على رأس مموليها، وكلهم يهود. بالإضافة لليهودي

السويسري بينكر الذي كان وزيراً للمالية في عهد لويس السادس عشر، والذي أغرق فرنسا بالديون، ودبر مع اليهود الماسون مكيدة ضد الملكة ماري انطوانيت التي وقفت ضدهم فأثاروا الشعب عليها وعلى الملكية كلها عندما أشاعوا بأنها قد أوصت على عقد ماسي برقع مليون جنيه، وهو مبلغ ضخم في ذلك الوقت، وشعبها يتضور جوعاً. واستغلت الصحافة الواقعة تحت نفوذهم هذه الفرية ضدها وأشاعتها في الشعب الجائع، وساهم في الفتنة بقوة اليهودي الإسباني دي كلاوس مدير القصر الملكي، ومانيول اليهودي الإسباني أيضاً الذي كان يتولى منصب قائد عامة الشعب، وديفيد الرسام اليهودي الذي كان رئيس لجنة الأمن العام.. مما يدل بالفعل على استغلالهم تلك الثورة لتصفية خصومهم بقتل كل حاكم أو شريف أو رجل دين كان يقف ضدهم..

كما لوحظ تسليط الأضواء على تمجيد الثورة ووثيقة حقوق الإنسان التي صدرت عنها لتصورها ثورة لخدمة الإنسانية مع أنها حولت فرنسا إلى مزرعة للتهتك والفجور باسم الحرية وبلد النور، بلد الترفيه عن الأثرياء اللصوص والأفاقين، بلد المدمرين لبلادهم من الحكام المتسلقين..

إنهم لم يصنعوا تلك الثورة وإنما استغلوا لمنافعهم السياسية والاقتصادية..

في الحرب العالمية الأولى

وأما الحربان العالميتان الأولى والثانية فإننا نجد في قول اليهودي الروماني ماركوس رافاج : (نحن اليهود نفق من وراء جميع حروبكم، وأن الحرب العالمية الأولى قد قامت لتحقيق سيطرتنا على العالم..) ما يشير إلى مطامعهم في التأثير لا في الصناعة لتلك الحربين..

وقول المجلة الفرنسية لافييه يؤكد ذلك فيما نشرته في ١٥/٦/١٩٢٩م عندما حذرت وأندرت قائلة : (هناك مؤامرة يهودية ضد جميع الشعوب، وأنها تملك قوة المال في كل مكان، وتحارب على جبهتين قويتين: جبهة المال وجبهة الثورات..)

ولكنه يبقى مجرد رأي فأين الترجيح في ذلك؟

إننا نجد في جانبين من الحرب العالمية الأولى:

الأول : محاولة تأثيرهم على الرئيس ولسن بما كانوا يحيطونه به من مستشارين يوجهون سياسة الدولة، وكان منهم: برنارد باروخ، مستشار الشؤون الاقتصادية، وهنري مورجانتو، مستشار الشؤون المالية، وكولونيل ماتديل، مستشار الشؤون السياسية، وولتر لبمان، مستشار القانون الدولي، ولويس برانديس، مستشار القضاء وعضو المحكمة العليا، وفيلكس فرانكفورت، كبير المستشارين السياسيين.

والثاني : تأمرهم القطعي على هدم دولة الخلافة العثمانية، مما جعلهم يحاولون عدم خروجها من الحرب قبل أن تهزم نهائياً، وذلك عندما تدخل حاييم ويزمن، رئيس

الاتحاد الصهيوني وخليفة هرتزل في قيادة الحركة الصهيونية، ومنع ذلك لدى أمريكا بمشاركة ودعم من الإنجليز حتى لا يضيع عليهم اقتسام تركة (الرجل المريض) وتضيع فلسطين على مطامع اليهود، فقابل موفد الرئيس ولسون وسفيره مورجانتو في جبل طارق، وبين له ضياع أمل إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين إذا لم تهزم الدولة العثمانية وينتصر الإنجليز انتصاراً ساحقاً، فتخلى مورجانتو عن مشروع عدم دخول أمريكا في الحرب الذي كان يحمله معه ودخلتها في ١٩١٧/٤/٧ م متحملة آلاف الملايين من الدولارات كنفقات لقواتها ومعونات لحلفائها الأوربيين مع أن هذا قول ساذج في حق تغيير مخطط أمريكا. وانتهت تلك الحرب كما هو معروف بهزيمة ألمانية، ولكن الأمر غير المعروف أن اليهود حاولوا التأثير في وفد مفاوضاتها لمؤتمر الصلح إذ كان وزيراً الخارجية والمالية يهوديين، وكان وزراء بروسية كلهم من اليهود، وكان حاكم بافاريا يهودياً.. وتحقق لليهود مكاسب مالية كبيرة بالإضافة لوعدهم بلفور.. ولكن هذه المطامع شيء وصنع الأحداث شيء آخر!!

في الحرب العالمية الثانية

وأما الحرب العالمية الثانية فالوقائع التالية تشير لوجود مطامع لهم في إشعالها: كانوا يوجهون الدعاية الشرسة ضد ألمانية هتلر والنازية منذ تسلم هتلر الحكم عام ١٩٣٣ م وبدأ بمعاداتهم، وهذا أمر عادي للدفاع عن النفس، وحاولوا دفع بريطانيا وفرنسة وأمريكا للحرب الاقتصادية ضدها ثم الحرب العسكرية بحجة الدفاع عن بولندة التي دفعها اليهود للاشتباك مع ألمانية بسبب ممر دانزغ..

وكان هناك عدد كبير من اليهود وعملائهم في الوزارة البريطانية عام نشوب الحرب ١٩٣٩ م وعلى رأسهم تشمبرلن، رئيس الوزراء الذي أعلن الحرب عام ١٩٣٩ م بعد أن أجلها من عام ١٩٣٨ م فاستبدلوه بحفيد الماسونية الأعظم ونستون تشرشل، وزير المالية جون سميث، وهو نصف يهودي، ووزير الحرب اليهودي حوب اليسع، ووزير الحكم المحلي اليهودي صموئيل هور، ووزير الخارجية العميل لليهود لورد هاليفكس الذي كان ابنه متزوجاً من ابنة المليونير اليهودي روتشيلد، والذي حل محله أنطوني آيدن نصف اليهودي وزيراً للخارجية..

وأما في أمريكا فقد مارس اليهود نفوذهم على الرئيس روزفلت، فزج بلده في الحرب لأنه من أصل يهودي ومحاط بدعاة اليهود وعلى رأسهم برنارد باروخ، ملك أمريكا آنذ غير المتوج والذي كان يوصف بـ (دزرائيلي أمريكا)، وهذا يناقض قصة مورجانتو المشار إليها آنفاً، وإن حملت أمريكا لمشاركتها في الحرب مما يزيد عن ٥٠ مليون من الدولارات بين نفقات الحرب ومساعدات الحلفاء.

فماذا كسب اليهود من الحرب غير الأموال الطائلة؟! فشتان بين صناعة الأحداث وهذه المطامع المالية؟!

في الثورة البلشفية

وأما محاولة تأثيرهم في الثورة البلشفية، يا سادة، فيظهر من مساهمات اليهود الأمريكيين لمساعدة ثوار روسية، وأشهرهم فيلكس، وأوتو، وجيروم، وماكس، وستيف..

وكما يظهر من تشكيل المكتب السياسي للحزب الشيوعي المنتصر عام ١٩١٧ م عندما كان فيه لينين نفسه ربيب اليهود، وستالين المتزوج من يهودية، وتروتسكي وكامينيف وسوكولنكوف وزينويف وكلهم من اليهود الخالص، وكان كارل ماركس الذي تنسب إليه الماركسية، وصاحب كتابهم المقدس (رأس المال) يهودياً وابن حاخام يهودي.

فتورة هؤلاء لن تبتعد عن لعبة أطماع محاولات اليهود في العالم لتحقيق المنافع المادية التي يركضون وراءها بل يعبدونها؟

وانظروا، يا سادة، كيف خُدع الكثيرون من أبناء الوطن العربي بأكذوبة المساواة والرفاه المنتظرين على يد الشيوعية فساروا في ركابها حتى سقطت بسقوط الاتحاد السوفييتي فسقطوا معه!!

في هدم الخلافة العثمانية

وأما محاولة تأثيرهم في هدم الخلافة العثمانية الإسلامية فظاهر من تحركات ثيودور هرتزل، رئيس المؤتمر الصهيوني، على أرض الخلافة ولدى سلطانها عبد الحميد الثاني، وضده، حتى سقط بواسطة جمعية الاتحاد والترقي وزعيمها مصطفى كمال، ثم بمحاولة دعم من جاءوا على الحكم بعده حتى يحال بين الإسلام وعودته إلى الحكم بحيث تبقى تركية علمانية وتبقى متعاونة مع الاستراتيجية الصهيونية المسيرة من أمريكا وحلفها الأطلسي، هذا مع الحرص على لقاء سياستهم مع سياسة بريطانية التي تولت الأعمال العسكرية ثم سارت في ذيل أمريكا لمحاولة الحفاظ على مصالحها قبل أن تبتلعها أمريكا منفردة..

بعد ازدياء السلطان عبد الحميد بهرتزل

فأظنكم، يا سادة، تعرفون بأن هرتزل قد زار السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠١ م، وعرض عليه السماح لليهود باستيطان فلسطين مقابل كميات كبيرة من ذهب اليهود، ولكن السلطان ازدرى به وبأطماعه ووقاحته وأمر بتبليغه (انصحوا الدكتور هرتزل بالألا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع، فإني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين.. فهي ليست ملك يميني.. بل ملك الأمة الإسلامية، وليحتفظ اليهود بملايينهم.. وإذا مزقت دولة الخلافة يوماً فإنهم يستطيعون أنذاك أن يأخذوا

فلسطين بلا ثمن.. أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من دولة الخلافة، وهذا أمر لا يكون.. إنني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة).

فهل، يا سادة، هذا السلطان من نوعية من يتآمرون مع الصهيونية ويصرون على (الصلح والسلام) معها مقابل آمال كاذبة تمنحها لهم مباشرة وبالواسطة؟!!

أدواتهم في التآمر والهدم للخلافة

وانظروا، يا سادة، كيف زاد تأمرهم على هذا السلطان عندما وجدوا في الماسونية والدونمة وجمعية الاتحاد والترقي أدوات قوية ومؤثرة لإسقاطه وتمزيق دولته، ووجدوا في مصطفى كمال أقوى من يتولى هدم الخلافة بيده فحاولوا الدعم بالمال والنفوذ..

إنه ليكفي ذلك السلطان فخراً أنه صان الخلافة الإسلامية من التمزق طيلة حكمه، ولم تخدعه ملايين اليهود من الذهب ولا تهديدهم بفقدان كرسيه، فلم يفرط بشبر واحد من فلسطين لهم!!!

فهل أولئك (الأتراك) - كما يشتمهم القوميون العرب في تاريخهم المفبرك هم الذين ضيعوا فلسطين أم هؤلاء العرب؟!!

تنفيذ المناق (أتاتورك) لمخططهم

أنكم تذكرون، يا سادة، أن تمزيق الخلافة لم يبدأ إلا بعد سيطرة أروبة ومعها يهود الدونمة والماسون على الآستانة عام ١٩٠٩م وبعد ظهور دعاة القومية العربية الذين خدعتهم دسائس اليهود ومخابرات بريطانية وفرنسية بالذات من أروبة، وبعد بروز الدعوة الطورانية، وبعد نجاح أعداء الإسلام والمسلمين من صليبية وصهونية في إصاق الرذائل بالسلطان ونجاحها في إضفاء البطولة على مصطفى كمال.. هذا المنافق الذي كان يتظاهر بالصلاة أمام الجيش ليخدعه، كما كان يستغل العلماء السذج والمنافقين في شحن النفوس لتحقيق مآربه حتى أسموه (أتاتورك) أي جد الأتراك، وعندها جرؤ على جرائم عديدة ضد الإسلام:

فألغى نظام الخلافة، وقطع صلة تركية ببقية أجزاء الدولة العثمانية، وأعلن نظام العلمانية الإلحادية، وفصل الدين عن الدولة، واضطهد وقتل الكثير من علماء الإسلام، وأغلق الكثير من المساجد، ومنع الأذان والصلاة بالعربية، وأجبر الناس على ارتداء الزي الغربي، وألغى الأوقاف الإسلامية، ومنع الصلاة في جامع آيا صوفيا وحوّله إلى متحف، وألغى نظام المحاكم الشرعية، وفرض القوانين المدنية السويسرية، وجعل الأحد بدلاً من الجمعة عطلة أسبوعية، ووضع التقويم الميلادي بدلاً من الهجري، وألغى كل

القوانين الشرعية من ميراث وزواج، وحرمة تعدد الزوجات والطلاق والتميز بين الذكور والإناث في الميراث، وأباحت المنكرات ومارسها بنفسه من فساد وفجور وخمور، ومنع التعليم الإسلامي، واستبدل الحروف العربية باللاتينية، وأمر بحذف الكلمات العربية من اللغة التركية، وفتح تركيا لليهود المنبذين في ألمانيا واستعان بهم في تنظيم الجامعة التركية والتدريس فيها، وأسس حزب الشعب الذي بواسطته بطش بالشعب المسلم..

(أتاتورك) الأخ العظيم في الماسونية

هذا هو (أتاتورك) كما يسمونه يا سادة، مؤسس تركيا الحديثة، وأي حداثة!! ورابطها مع أروبة لتصل إلى واقع المهزلة الذي تعيش فيه اليوم!! فهل تريدون نفس النمط من الدولة؟! وهل تريدون أن تعرفوا ما ذكرته دائرة المعارف الماسونية عن أفعال (أتاتورك) لتوحي بأنه من صنع الصهيونية؟

إذن اسمعوا: لقد قالت بالحرف الواحد (إن الانقلاب التركي عام ١٩١٨م الذي قام به الأخ العظيم مصطفى كمال أتاتورك أفاد الأمة، إذ أبطل السلطنة وألغى الخلافة والمحاكم الشرعية ودين الدولة الإسلام ووزارة الأوقاف..

أليس هذا الإصلاح هو ما تبتغيه الماسونية في كل أمة ناهضة؟ فمن يماثل أتاتورك من رجالات الماسون سابقاً ولاحقاً؟ لا أحد بلا شك، فاهناؤا يا دعاة العلمانية بأخيكم الأعظم في الماسونية وما ارتكبه من جرائم في حق الإسلام والمسلمين وما زال زبانية حزبه يرتكبونه في حق بلد الخلافة!!!

لعبتهم في حرق الاتجاه الإسلامي في تركيا

واذكروا، يا سادة، كيف تركوا لعبة الديمقراطية تأخذ مداها فسلموا رئاسة الوزارة عام ١٩٩٧م لنجم الدين أربكان، رئيس حزب الرفاه (الإسلامي) في ذلك الوقت ليحرقوا هذا الاتجاه في نظر الأمة وهم يرون أربكان يستجيب لعلمانيتهم وكفرهم..

ودعكم من حزب التنمية والعدالة، حزب عبد الله غول الذي تولى رئاسة الجمهورية وهو يردد إصراره على التزام العلمانية استرضاء لأهلها..

واذكروا كيف عماهم حقدهم على الإسلام وخوفهم من عودته للحياة عن رؤية التصرف المناسب فارتكبوا أعمالاً طائشة تستثير السخرية عندما لم يحتملوا دخول نائبة في قاعة برلمانهم هي مروة قاوقجي لأنها أصرت على ارتداء الزي الإسلامي، وأسقطوا جنسيتها التركية بحجة أنها تحمل الجنسية الأمريكية!! إنهم أسوأ خلف لأسوأ سلف!!

فهل هذه هي النتيجة التي تريدونها بالتهالك على (الصلاح) مع الصهيونية؟!

حقدهم الشامل المتواصل

وذكروا أنهم لا يتركون معتقداً ضد مفاسدهم إلا حاربوه، ولا يؤيدها إلا دعموه! اذكروا اليهودي ماركس وما أفسدته اشتراكيته من العقول، واليهودي دوركايم وما هدمه علمه في الاجتماع من نظام الأسرة، واليهودي سارتر وما أشاعته وجوديته من إباحية، واليهودي فرويد وما نشرته نظريته في التحليل النفسي من إباحة الجنس، واليهودي دزرانيلي وما أشاعه من سياسة الغاية تبرر الوسيلة!!

هل تريدون، يا سادة، المزيد من الحقائق التاريخية عنهم لتفكروا بشكل آخر يمنعكم من هذه الهرولة (للسلام) معهم!؟

أذكروا ما فعلته عصبة الأمم لهم، ثم انتداب بريطانية ووعدهم بلفورها، ثم هيئة الأمم المتحدة، ثم أروبة ومؤتمر مدريدها، ثم رعاية أمريكا لها لتخدم مصالحها ولو اتهمت بالمعيار المزدوج والكيل بكيلين في سياستها، ولا تنسوا تحريض الصهيونية لأروبة لتفتتت دولة الخلافة العثمانية وتقسيمها فيما بينهم لتتال نصيبها في فلسطين.. كما لا تنسوا حرب (الإرهاب) الحالية ضد الإسلام وأهله!!

محاولات كيد هرتزل بالسلطان

لا تنسوا احتقار السلطان عبد الحميد لهرتزل مما جعله يحقد عليه ويستخدم كل وسائل مكره للإيقاع به:

بدءاً من عرض تسديد ديون الدولة، ثم استثمار المعادن غير المستثمرة من ذهب وفضة ونفط في البلاد، ثم بإنشاء شركة مشتركة بخمسة ملايين جنيهاً من الذهب للتنمية الزراعية والصناعية والتجارية في البلاد، ثم بإنشاء جامعة يهودية تستغني الدولة بها عن التعليم الخارجي في الخارج، ثم بمشاريع تجذب الأموال اليهودية.. لا تنسوا ذلك وكيف أن النشاط الصهيوني لم يتسع في بلادكم إلا بعد هدم الخلافة ومحاولة سيطرتهم على الصحف بشبكة فلاديمير بوتنسكي، وعلى المصارف ببنك لنومي إسرائيل الذي كان يشجع النزعات الاستقلالية في البلاد العربية تحت ستار مصرفي.

تشرشل وابن سعود

وذكروا ما حصل لابن سعود عندما تساءل بحضور تشرشل عام ١٩٢١م عن سبيل للعودة إلى وحدة كلمة المسلمين بالاعتماد على القرآن والسنة.. فحذر تشرشل رئيس وزراء بلده لويد جورج منه قائلاً (إنني أخشى أن يقود البلاد كلها نحو هاجس ديني.. وطلب لورنس من سلطات بلده القضاء عليه (إذا أصر على الاستمرار في تبني الوهابية)!!

واذكروا كيف عادت أمريكا بحجة الحرب ضد (الإرهاب) للتدخل في شؤون بلاد الحرمين الشريفين الداخلية بمطالبتها بإلغاء أو تطوير التعليم الديني كما يسمونه كما فعلت بنجاح في بلاد أخرى!!

روزفلت وابن سعود

واذكروا ما فعله روزفلت عند اجتماعه بابن سعود في ١٤/٢/١٩٤٥م إذ مكر به بوعد قطعه له بأن تعالج أمريكا القضية الفلسطينية بروح الصداقة العربية الأمريكية، وأنه قد عاد وأكد له وعده الكاذب في رسالة جوابية على كتاب منه وصله في ١٠/٣/١٩٤٥م وكان بين فيه لروزفلت حق الفلسطينيين في فلسطين على أساس: أحقيتهم لها لقدم الكنعانيين العرب فيها منذ عام ٣٥٠٠ ق.م، ولوجود اليهود الدخيل مع الوجود العربي فيها منذ عام ٢٣٢ ق.م. ولوجود مقدسات المسلمين فيها، ولكونهم أصلاء لا دخلاء كاليهود فيها.. فهل استجاب روزفلت لرسالته وأنصفه؟!

عجباً كيف يثق ابن سعود، وتثقون أنتم، في وعود هؤلاء الحلفاء؟! كيف تصدر هذه الثقة ممن رأى كيف تعامل معه الإنجليز عندما دعموا استيلاءه المسلح على نجد والحجاز ليجعلوا منه ملكاً عليها؟! هل ظن أن انتقال تعامله إلى أمريكا بدلاً من بريطانية يحقق له البديل الموثوق بعد أن رأى ما رأى من خداع الإنجليز للشريف حسين وأولاده؟!

ألم يسمع أو يقرأ ما قاله آرنولد توينبي (مثلما غلب الرومان اليهود المتحمسين في القرنين الأول والثاني للعهد المسيحي كذلك الأمر في الحاضر، فإن باستطاعة قوى الغرب الكبرى كالولايات المتحدة أن تهزم الوهابيين في أي وقت؟!).

ألم يقرأ هو وغيره من قادة المسلمين ما يردده مفكرو الغرب من أن الحضارة العبرانية هي الحاجز الوقائي للغرب من خطر الإسلام، وإن كان إسلام أهل فلسطين شكلي بسبب قلة الجزية، وأنهم باقون على ديانتهم اليهودية الحقّة، وأن الوحدة الإسلامية مجرد عارض غريزي لا يجوز السماح لإسلامها أن يلعب دوراً في تحديد مستقبل العالم بسبب تقصير الغرب في القضاء عليه وعلى دعوته؟! وما هذا التنادي الذي حصل لذاك الاجتماع في شرم الشيخ بزعامة أمريكا بحجة القضاء على الإرهاب وما هو في الحقيقة إلا الإسلام ودعائه؟!

وما هذا التسابق في دعم أمريكا في حربها ضد الإسلام باسم الإرهاب؟! ألم يروا أو يسمعون بدعم أمريكا المطلق للصهيونية في مجازرها في فلسطين؟!

الحملة الصليبية الثانية

ألم تقرأوا، يا سادة، ما قاله إسرائيل زانغويل في كتابه (مختارات من خطب ومقالات ورسائل زانغويل) لموريس سيمون من أن (سبع حملات صليبية إلى الأرض

المقدسة عادت على اليهود بالمذابح، فهل هذه الحملة الصليبية الثامنة تؤدي إلى استرجاع اليهود لفلسطين؟ وإذا كانت صليبية مسيحية حققة فإن تلك الحقيقة هي البرهان على النظام الجديد لعالم تسوده المحبة والعدالة..) وعندها سيعرف المعنى الحقيقي لكلام هذا الكاتب اليهودي، كما سيعرف معنى قول حايمم وايزمن في خطابه بلجنة العمل الصهيونية ببرلين عام ١٩٣٠م عندما قال (لم تكن الدولة اليهودية في يوم من الأيام غاية في حد ذاتها بل مجرد وسيلة فقط إلى الغاية) مردداً ما أورده برتوكولاتهم من أن دولتهم تتجاوز فلسطين بعد أن تخلو والعالم أجمع عن العرب على حد زعم وايزمن في جوابه على أينشتاين عندما سأله عن مصير العرب عندما تعطى فلسطين لليهود فقال (أي عرب؟! يكاد لا يكون لهم أثر..)!!

خلاصة صراع أروبة على الشرق الإسلامي

إنكم تذكرون، يا سادة، صراع الدول الأروبية على الشرق الإسلامي كله من البرتغال وإسبانية إلى بريطانية وفرنسة وألمانية وإيطالية والنمسة وروسية وأخيراً أمريكا ومعهم دائماً الصهيونية، مستهدفين بشكل خاص تركة الدولة العثمانية بالأسلوب العسكري أولاً ثم بالجمع بينه وبين الأسلوب التبشيري والفكري.

فقد بدأ عسكرياً..

فهل تذكرون أن الصراع العسكري قد بدأ بالحملة الصليبية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر بقصد احتلال الشرق وهدم حكم الإسلام فيه وإدخاله في حظيرة المسيحية وتحت سيطرة أمراء الإقطاع وأباطرة الحكم في أروبة؟

وهل تذكرون أن ألمانية وإيطالية قد أخذت كل منهما تطالب بحقها في المستعمرات بعد وحدتهما الداخلية، مما أدى إلى نشوب الحرب العالمية الأولى التي انتهت بتمزيق الدولة العثمانية بدعم من الصهيونية وماسونيتها وتحريض على التمزيق المحقق لها الوصول لفلسطين!؟

فتصارعت بريطانية مع فرنسة..

وهل تذكرون الصراع الذي اشتد بين بريطانية وفرنسة منذ افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م من أجل السيطرة على طريق الهند والشرق الأقصى، وعلى النفط وطريقه لأروبة بعد اكتشافه في عبادان والخليج، وعلى كسب دعم الصهيونية بتحقيق أطماعها في فلسطين، وعلى حماية الأقليات باسم الحقوق المكتسبة..

وهل تذكرون أن الدور الرئيسي في ذلك الصراع الذي حاولت روسية القيصرية أن تدخل فيه بإثارة الأرمن، وحاولت ألمانية غليوم وبسمارك أن تلعب دوراً فيه بمساندة العثمانيين ثم الاتحاديين ليكونوا بجانبها في الحرب الأولى، ولكن الدور الرئيسي كان

لبريطانية بسبب قوة استخباراتها وسعة نفوذها في إسقاط الخلافة بعد أن أملى اللورد كرزون شروطه عليها ونفذها (أتاتورك)؟!!

أنتم، يا قوم، قد تذكرون أكثر من ذلك ولكنكم تحت ضغط الواقع لحماية العروش والكراسي تتجاهلون نتيجة ذلك التنافس عندما مزقوا الشرق إلى قطع أسموها بالدول، وغرسوا بين كل اثنتين منها مشاكل حدودية تديم التنازع والخلاف فيما بينها وتديم البعد عن وحدتها.. وعندما أنشأوا جامعة الدول العربية ليمنعوا باسم السيادة والاستقلال لتلك الدول من الوحدة من جديد..

ثم صار فكراً قبل العسكري

وهل تذكرون أن الصراع التبشيري الفكري قد بدأ في القرن الرابع عشر بموجات من رهبان الدومينيكان والفرنسيسكان إلى مراكش والجزائر وتونس ومصر وبلاد الشام تحت دعوى التعليم والطب.. ثم تبعهم غيرهم من اللعازيين والكبوشيين بتوجيه البابا لغزو الشرق تمهيداً للحملات العسكرية لهدم دولة الخلافة وتصفية الحسابات القديمة معها منذ هزيمتهم في الحروب الصليبية..

وهل تذكرون أن الاستشراق قد سيطر على الجانب الفكري الثقافي وكان البارون دو ويتز أول داعية في هذا المجال عندما طالب عام ١٦٦٤م بتأسيس كلية تعلم اللغات الشرقية.. ثم تبعه نجاحات اليسوعيين في تأسيس مدارس في بيروت عام ١٨٣٩م وفي غزير عام ١٨٤٣م وفي زحلة عام ١٨٤٤م وفي دمشق عام ١٨٧٢م وفي حلب عام ١٨٧٣م..

وهل تذكرون كيف نشط القس الأمريكي صموئيل زويمر وقام عام ١٨٧٧م بأول زيارة للخليج حيث ساعده جيمس كلنتون بتأسيس أول إرسالية أمريكية في البحرين عام ١٨٩١م باسم الطب ثم في إمارات عمان ودبي والشارقة وأخيراً الكويت التي افتتح فيها أول مستوصف عام ١٩١١م ثم تبعه مستشفى فمدرسة.. وأما الإنجليز فقد توجهوا إلى القدس ليجدوا اليهود قد سبقوهم إليها، وإلى استنبول، وإزمير الثغر البحري، وسالونيك المركز الماسوني ليرصدوا الحركات السياسية ويتابعوا التطورات تحت ستار الخدمة الطبية والتعليمية.

خلاصة الغزو

وهل تذكرون، يا سادة، خلاصة ذلك الغزو عندما تركز الفرنسي منه في سورية ولبنان وفلسطين وشمال أفريقية، بينما الإيطالي المحدود في فلسطين والأردن وسورية، والنمساوي والإسباني والدنمركي انحصر في فلسطين وسورية بشكل ضيق، والروسي في فلسطين فقط، والألماني قد نافس الأمريكي والروسي وإن فاقهم البريطاني في فلسطين..

فكانت كلها جهود طليعة الاحتلال الأجنبي للشرق وشمال أفريقية، وكانت عود الثقب الذي أشعل نار الفتنة والثورات الطائفية في بيروت ودمشق، وكانت وراء نشر المذاهب والأندية والجمعيات المشبوهة من أمثال شهود يهوه، والبهانيين، والقاديانيين، والماسونيين، والروتاريين، والأسود.. وغيرهم.

بلس والإسلام

واذكروا، يا سادة، ما رآه بلس أحد زعماء التبشير من أن الإسلام هو العقبة الوحيدة في طريق تبشيرهم في أفريقية..

واقرأوا كتاب (الغارة على العالم الإسلامي) للعلامة محيي الدين الخطيب لتروا مدى خطورة التبشير الذي بات يصول ويجول ويعيث فساداً في بلادكم دون رقيب إلا بعض الحملات الخجولة للحد من نشاطه.

فهلأ خجلتم من محاربتكم لإسلامكم مع هذه الحملات ضده؟!

عبث أروبة

فيا دعاة السلام مع العدو والدخيل المدعوم من أروبة وأمريكا العدو الأصيل.. اذكروا أن الحركات الانفصالية القومية قد استقلت في بلدانها الأروبية أولاً، ثم ارتد الهجوم الأروبي على شمال أفريقية لتسقط كل أقطاره تحت احتلاله، ولولا الخلاف على بلاد الشام لما تأخر احتلالها!

واذكروا مع ذلك ما كانت تقدمه روسية من حماية للأرثوذكس، والنمسة وإيطالية للكاتوليك، والإنجليز لعموم المسيحيين، ولا تنسوا تلك الصفقات التي عقدها الإنجليز مع الجهلة من الدروز في لبنان وسورية، ومع اليهود في فلسطين، وكيف اصطلت الدولة العثمانية بنيران الفتن الطائفية أعوام ١٨٤٠م و١٨٦٠م واستمرت طويلاً، وكيف استمرت هذه الفتن في لبنان عندما وقعت في عامي ١٩٥٨م و١٩٧٥م..

ناحوم غولدمان وبقاء إسرائيل

واذكروا، يا قوم، ما قاله ناحوم غولدمان في خطابه بباريس في مؤتمر اليهود المثقفين عام ١٩٦٨م.

(إذا أردنا لإسرائيل البقاء والاستقرار في الشرق الأوسط فعلينا أن نفسخ الشعوب المحيطة بها إلى أقليات متنافرة تلعب إسرائيل من خلالها دوراً طليعياً بتشجيع قيام دويلة علوية في سورية، ودويلة مارونية في لبنان، ودويلة كردية في شمال العراق)..

فما رأيكم يا داعموالحرب الأمريكية ضد الإسلام والمسلمين باسم الإرهاب؟! ما رأيكم فيما يجرى الآن في تلك البلدان الثلاثة!؟

غلاستون والقرآن

واذكروا ما قاله غلاستون، رئيس وزراء بريطانيا في العهد الحميدي حينما وقف في مجلس وزرائه رافعاً القرآن الكريم بيده ومخاطباً زملاءه:

(ما دام هذا الكتاب في أيدي المسلمين يتدارسونه ويقبلون على العناية به فلن تقوم لنا قائمة، فلا بد من العمل على انتزاع هذا الكتاب من عقولهم وقلوبهم!!)!!
فهل هذا ما يريدون أن ينتهوا إليه من حربهم ضد الإرهاب المزعوم؟!

دنلوب وتشويه مناهج التعليم في مصر

واذكروا، ما فعله دنلوب الإنجليزي عندما تولى وضع مناهج التعليم في مصر بعد احتلالها، فرأى عزل الأزهر عن التعليم وفتح مدارس جديدة بعيدة عن الإسلام تشجع الدولة خريجها وتغلق أبواب العمل أمام خريجي الأزهر وغيره من المدارس والجامعات الإسلامية..

كما رأى تخفيض رواتب مدرسي اللغة العربية والشريعة ورفع رواتب غيرهما، وتأخير حصص اللغة العربية والدين إلى نهاية اليوم الدراسي..

وقام بالفعل بتشويه المنهج التعليمي وتحريف الكتب المدرسية بما يخدم أغراضهم الاستعمارية..

فهل، يا سادة، ما تطالب به (إسرائيل) من التطبيع باسم الصلح وتغيير المناهج المدرسية والجامعية وشطب كل ما يمس اليهود من مناهج القرآن والسنة والتاريخ واللغة العربية وغيرها من المناهج الدراسية بجميع مراحلها ببعيد عن ذلك؟! وهل ما تصر عليه أمريكا من إقفال المدارس الدينية في البلاد الإسلامية بالإضافة لما يسمونه بتطوير المناهج المدرسية بل والجامعية ببعيد عن ذلك!؟

هزتل ونزع الأراضي

واذكروا، يا سادة، ما ذكره هزتل في (يومياته) عام ١٨٩٥م وهو يرسم سياسة الاستيطان المبرمج (يتوجب علينا أن ننزع الملكية الخاصة لأراضي فلسطين من أيدي ملاكها، وأن يكون ذلك بلطف وسرية وحذر شديدين، وأن نقوم بتهجير السكان المعدمين الفلسطينيين عبر الحدود، بعد أن نسد أمامهم كل مجال للعمل في بلادنا فلسطين بينما نحاول تأمين استخدامهم وتشغيلهم في بلدان العبور..!!) هكذا إذن يا دول عربية

عندما كنتم تشجعون الفلسطينيين على العمل هنا وهناك وخاصة في الدول النفطية!!
فهل وصل التواطؤ مع الصهيونية وحراسها إلى هذا المدى؟!

الاتحاديون وبيع الأراضي

واذكروا ما أورده مصطفى الدباغ في كتابه (بلادنا فلسطين) من أن الاتحاديين قد أصدروا بعد طرد عبد الحميد عام ١٩٠٩م تشريعاً يبيح بيع جميع الأراضي السلطانية بالمزاد العلني، مما مكن اليهود من بناء ٣٩ مستوطنة تضم ١٢ ألف يهودي في الفترة ما بين عامي ١٩١٠ و ١٩١٤م، وأنه كان يمكن أن تضيع فلسطين كلها لولا ثورات أهلها واندلاع الحرب العالمية الأولى.

واذكروا، يا قوم، ما فعلته (إسرائيل) عام ١٩٦٧م من إيقاع تلك الهزيمة بالدول العربية المجاورة، والتي بدلاً من أن تبادر إلى تحرير ما احتلته منهم بادرت بالمسرحية الحربية عام ١٩٧٣م لتحريك القضية والسير بالصلح معها كما أعلن ذلك السادات بمساعدة (عزيزه) كيسنجر اليهودي!!

الحوار العربي الإسرائيلي

واذكروا محاولات (الصلح) التي بدأت تحت غطاء (الحوار العربي الإسرائيلي) منذ عام ١٩٥٦م حينما دعا اليساريان المصريان يوسف حلمي وهنري كوريال اليهوديين برسالتين منفصلتين كلاً من عبد الناصر وبن غوريون لعقد مؤتمر سلام، ولكن الدعوة فشلت بسبب العدوان الثلاثي!!

واذكروا جهود شخصيات صهيونية إرهابية كعاموس كنعان من اشتيرن، ويوري افنيري من الأرغون، وأريك رولو، الشخصية المستعارة لليهودي الياهو رفول الذي طرد من مصر بعد فضيحة لافون ليصبح الكاتب الصحفي الخطير في لوموند الفرنسية وخبير شؤون الشرق الأوسط للخارجية الفرنسية والإذاعة والتلفزيون الفرنسيين.

دور اليساريين الرئيسي فيه

واذكروا جهودهم في هذا (الحوار) الذي بدأه العرب في أول (مؤتمر للسلام) عقد في فلورنسة بإيطالية برعاية الأمير الحسن ولي عهد المغرب حينئذ عام ١٩٥٨م بترتيب من اليهودي هنري كوريال الذي جمع وفوداً من الأحزاب الشيوعية العربية والحزب الشيوعي الإسرائيلي (راكاح)..

واذكروا منها لقاء نقيب الجيش المصري أحمد حمروش، وهو رفيق كوريال في الحزب الشيوعي المصري، مع كوريال وأريك رولو في باريس حيث رتبوا لقاء عبد الناصر وناحوم غولدمان، ولكن (وفاة) عبد الناصر عام ١٩٧٠م أجهضت المحاولة..

واذكروا اغتيال ممثلي منظمة (التحرير) الفلسطينية سعيد حمامي في لندن عام ١٩٧٨م ونعيم خضر وعز الدين قلق عام ١٩٨٣م لأنهم كانوا من نشيطي هذا (الحوار)..
واذكروا مشاركة المنظر اليساري المصري الدكتور رفعت السعيد في (الحوار)،
وأن الرئيس النمساوي اليهودي برونو كرايسكي، والروماني اليهودي شاوشيسكو،
والفرنسي اليهودي بيار منديس فرانس كانوا عرابي تلك اللقاءات!!
واذكروا أن حسن التهامي نائب رئيس الوزراء المصري السابق قد شارك في
(الحوار) مع موشي دايان في الرباط عام ١٩٧٦م برعاية ملك المغرب حيث مهد لاتفاقية
كامب ديفيد التي أسفرت عن اغتيال السادات عام ١٩٨١م..

ودور الموارنة فيه

واذكروا أن زعماء الموارنة في لبنان من كميل شمعون وبيار جميل وولديه
بشير وأمين وغيرهم قد شاركوا في هذا (الحوار) مع اليهود مما أسفر عن طبخة الفتنة
الطائفية التي نشبت في لبنان عام ١٩٧٥م واستمرت ١٥ عاماً!!
واذكروا تلك الطبخة التي كانت تطبخ على نار هادئة بين (إسرائيل) وسورية
ولبنان منذ حكومة رابين السابقة وحتى حكومة باراك التالية!! ولا تنسوا محاولات
التدخل الأوروبية في ذلك لدفع (عملية السلام) إلى الأمام مساعدة لما يسمونه بالراعي
الأمريكي ولعلها تحافظ إن لم توسع مصالحها برضاه في المنطقة!
فبماذا، وماذا نذكركم، يا سادة يا دعاة (السلام) مع (إسرائيل)؟! أبعونة أروية
التي لكم معها علاقات خاصة، أم ببعونة أمريكية التي تفضل بمنتهى الصراحة (إسرائيل)
عليكم جميعاً، أم ببعونة روسية التي باتت تعيش على السند الأمريكي وإن حاولت أن
تتظاهر بالتحرك منفردة لتأمين مصالحها، وما هي للأسف إلا تعيش عقدة ذلك الضياع
السوفييتي؟!

تواريخ متقاربة؟!

ودعونا نذكركم بعام ١٩١٥م الذي بدأت فيه المفاوضات بين الشريف حسين
ومكماهون،
وبعام ١٩١٦م الذي عقدت فيه مؤامرة سايكس بيكو بين بريطانية وفرنسية
وروسية،
وبعام ١٩١٦م أيضاً الذي نشبت فيه (الثورة العربية الكبرى) بقيادة الشريف
حسين وبتخطيط من بريطانية،
وبعام ١٩١٧م الذي صدر فيه وعد بلفور،

وبعام ١٩١٧م الذي سمح فيه الشريف حسين بمؤامرة سايكس بيكو،
فهلا لاحظتم هذا التقارب في هذه الأحداث المصرية وأدركتم معنى ذلك والرجل
المريض (الخلافة العثمانية) يحتضر والدول الأوروبية تتنافس فيما بينها على تقاسم
تركته؟!!

وايزمن وبلفور

ولن نمل من تذكيركم بما قاله زعماء الصهيونية، وبالذات حايم وايزمن بعد
اجتماعه باللورد بلفور في ديسمبر عام ١٩١٨م (وقد بينت للورد بأن إقامة مجتمع يضم
أربعة أو خمسة ملايين من اليهود في فلسطين سيكون قاعدة اقتصادية كافية يستطيع
اليهود فيها أن ينتقلوا بطريق الإشعاع إلى الأجزاء الباقية من الشرق الأدنى، وأن
يسهموا إسهاماً ضخماً في إعادة بناء تلك البلاد التي كانت مزدهرة في يوم ما..)

وأن وايزمن هذا يمضي في قوله (ولكن هذا العمل يتطلب أول ما يتطلب تنمية
الوطن القومي اليهودي في فلسطين تنمية حرة غير مقيدة بحيث يتمكن من إسكان أربعة
أو خمسة ملايين من اليهود في فلسطين في غضون جيل واحد، فنجعل من فلسطين بلداً
يهودياً في ظل التاج البريطاني..)

ويواصل قوله (وقد أقنعت اللورد بأن ما يسمى بالاستعمار ليس إلا الصهيونية
نفسها..!!)

فهل تريدون صراحة أكثر من هذه من أن الصهيونية ليست بأكثر من مخلب القط
لخدمة الاستعمار؟!!

وايزمن وتشرشل

واذكروا، يا سادة، هذا التطابق في الرأي بين وايزمن وتشرشل في مذكراته حين
قال (وإذا أتيج لنا في حياتنا، وهو ما سيقع حتماً، أن نشهد مولد دولة يهودية لا في
فلسطين وحدها بل على ضفتي نهر الأردن معاً، تقوم تحت حماية التاج البريطاني وتضم
نحواً من ثلاثة أو أربعة ملايين من اليهود، فإننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق
مع المصالح الحقيقية البريطانية..!!)

الأبوساً وفناء للصهيونية خادمة الاستعمار البريطاني فالأمريكي!!

تطابق المصالح البريطانية مع قيام (إسرائيل)

فما هي هذه المصالح البريطانية الحقيقية التي تتفق تماماً مع قيام
(إسرائيل)؟!!

لا شك أنكم تذكرون ما هو أكثر مما ذكرناكم به، وتذكرون معه كم كان العرب
منشغلين في فترة الهجرة اليهودية النشطة لفلسطين بالمؤتمرات والاجتماعات!!

فهل هذا هو معنى الآية الكريمة {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوهم}: نشاط في الكلام الفارغ إذا لم يكن الخائن من جهة ونشاط في إعداد القوة من جهة أخرى! هل أصبحنا يهوداً وأصبحوا مسلمين؟!

فماذا فعل المؤتمر السوري في باريس عام ١٩١٣م والمؤتمر السوري في لندن عام ١٩١٩م والمؤتمر العربي في لندن عام ١٩٣٩م وعشرات المؤتمرات والاجتماعات قبلها وبعدها؟!

لقد تيقن اليهود والإنجليز معهم أن أمة قد وصلت مع قادتها إلى هذا الحال من التفكير والعمل من السهل تمزيقها وإقامة كيان لليهود في فلسطينها..

فهنيئاً للعرب بالأمس وهنيئاً لطلاب (السلام الصهيوني) منهم اليوم بهذه المهازل!!

يهود الدونمة

واذكروا، يا قوم، أن يهود الدونمة قد تظاهروا بالإسلام عندما لجأوا إلى الدولة العثمانية هرباً من الموت في إسبانية الكاثوليكية، وأنهم لم يبالوا بدعوة صحيفة (سبيل الرشاد) الإسلامية لهم لتصفية نياتهم ومساندة المسلمين في حربهم في طرابلس الغرب والبلقان، واستمروا خفية في إفساد حياة المسلمين..

ولكنهم بادروا بالهجوم الصريح على الصحيفة بعد أن سيطر الاتحاديون على الدولة العثمانية، وأخذوا يدعون للتعليم المختلط في الجامعات، ويهاجمون حجاب المرأة المسلمة، معتمدين على حماية الاتحاديين لهم وهم يهود وماسون على شاكلتهم!!

ويهود «إسرائيل» والماسونية

فاذكروا ذلك، يا قوم، من يهود تظاهروا بالإسلام، وتصوروا ما يفعله يهود وهم يعلنون الحرب على الإسلام مع الإنجليز ثم الأمريكان؟!

ولا تنسوا ما قاله السفير الإنجليزي عام ١٩١٣م لوزارة خارجيته عن الماسونية (.. وإن انتصار القوات المقدونية على عبد الحميد في آذار عام ١٩٠٩م واحتلالها القسطنطينية كان يعني انتصار الماسونية المستوحاة من إيطالية.. وأن طلعت بك وزير الداخلية العجري الأصل، وجاويد بك اليهودي الأصل وزير المالية هما تجسيد السلطة الخفية للجمعية الاتحادية.. وهما يمثلان قمة الماسونية في تركيا..)

فيا لعار والشنار من عبيد الأمس للشيطان وعبيد اليوم!!

هم والقرآن الكريم

واذكروا، يا سادة، قوله تعالى {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملثهم.} فهل تتوقعون لو وقعوا الصلح معكم أن يرضوا عنكم إذا كانوا لن يرضوا عن رسولكم وإذا كان رسولكم ورسالته لم يعطيا ما يجب من الاعتبار والالتزام؟!

ها هي تعبيراتهم عن السخط عليكم وعلى أمتكم وعلى دينكم تصك أسماعكم صباح مساء مع مذابحهم لأهل فلسطين وبالذات المسلمين منهم، فهل أدركتم قيمة التزامهم بالعهود والصلح معكم؟!

بريطانية واستقلال تركية الحديثة عن الخلافة

واذكروا أن شروط استقلال تركية التي أملاها اللورد كرزون وزير خارجية بريطانيا في وزارة ديفيد لويد جورج على عصمت باشا موفد مصطفى كمال إلى بريطانيا عام ١٩٢١م ووافق عليها مصطفى كمال كانت: أن تقطع تركية صلتها بالإسلام، وأن تلغي الخلافة الإسلامية، وأن تخدم كل حركة تناصر الخلافة، وأن تختار دستوراً مدنياً بدلاً من الإسلامي..

فهل ما تطالب به (إسرائيل) بالتطبيع إشكلاً آخر من هذا الحقد؟! وهل ما تفعله الأنظمة العربية إلا ما يريده كرزون هذا وما نفذه مصطفى كمال ذلك سواء من محاربة الحركات الإسلامية لمنع عودة الخلافة للأرض أو بالحرص على تطبيق الديمقراطية الغربية استرضاء لهم؟!

حركة ابن سعود الأولى والإنجليز

وإذا كان منكم من يجهل دور الإنجليز في (الثورة العربية الكبرى)، وفي أحداث الجزيرة العربية مهد تلك الثورة قبلها، فاعلموا أن ذلك الدور قد برز عندما شجعوا ابن سعود الذي أمده بالمال والسلاح فاحتل الكويت عام ١٧٨٨م والحجاز عام ١٨٠٤م والشام عام ١٨١٠م..

ولكن الفرنسيين شجعوا عميلهم محمد علي في مصر ففتح ابنه طوسون المدينة عام ١٨١٢م وابنه إبراهيم الذي استولى على الدرعية عام ١٨١٨م والشام عام ١٨٢١م وكاد يستولي على الأستانة لولا تدخل الإنجليز وقيام تحالف رباعي عام ١٨٤٠م تعهدت فيه بريطانية وروسية وألمانية بالدفاع عن وحدة الأراضي العثمانية في وجه الأطماع الفرنسية، فرجع إبراهيم ورضي بولاية مصر تابعاً للخليفة..

إنه صراع الدول الأوروبية فيما بينها الذي كان يجري على بلادكم يا سادة!!

وحركته الثانية

ولكن الإنجليز عادوا وشجعوا عبد العزيز بن سعود فاستولى على نجد فالحجاز بعد أن تخلت بريطانيا عن الهاشميين في الحجاز وخذعتهم بوعداتها الكاذبة، وجعلتهم يقدمون على (ثورتهم) عام ١٩١٦م ضد الخلافة التي سقطت عام ١٩١٨م وهدمت نهائياً عام ١٩٢٤م ليسقط بعدها الحسين بيد السعوديين عام ١٩٢٥م وتعلن نجد والحجاز مملكة عربية سعودية عام ١٩٣٢م بعد أن تخلى الإنجليز عن حمايته أي الحسين وحماية وحدة الأراضي العثمانية، وأخذوا يعملون لفصل العرب عن الخلافة وتدميرها..

وعقدوا صفقة مكماهون - حسين التي وعدوا الحسين فيها بمنصب الخلافة على مكة والمدينة مقابل عون العرب لهم ضد العثمانيين في الحرب العالمية الأولى..

فإلى ماذا انتهت الصفقة يا طلاب العون من الغرب عامة وأروبة خاصة؟ تحولت إلى طرد الحسين من الحجاز، ومنعه من دخول الأردن حيث كان الإنجليز قد جعلوها إمارة لابنه عبد الله، ونفوه إلى قبرص ليموت ويدفن هناك! يا لأمانة الوعود والعهود؟! ويا لغفلة من يثق بهؤلاء الصليبيين والصهيونيين!!

مؤامرة سايكس بيكو

وأذكروا، يا سادة، تنفيذ مؤامرة سايكس بيكو عندما انسحبت بريطانيا من سواحل الشام لتسلمها لفرنسة فتطرد هذه فيصل الملك لينقله لورنس إلى العراق ويجعله ملكاً هناك بدلاً من سورية..

أذكروا ذلك وتأكدوا أن بريطانيا بل أروبة كلها الآن عاجزة عن تلبية أي طلب عون منكم أمام الهيمنة الأمريكية، وأنها لولا ما تفعله بريطانيا من إتقان الالتصاق بالذيل الأمريكي لتحافظ على شيء من مصالحها في النفط والأسواق لما كان لها أي قيمة في الشرق! فهل تصرون على لعب ورقة أروبة العاجزة حتى عن حماية مصالحها في بلادكم أمام سطوة وجبروت الطاغوت الأمريكي؟!!

تهاوي بريطانية وفرنسة أمام أمريكا

وإذا كنتم تذكرون مكر بريطانية في التصرف بالشرق عندما دخل الجنرال اللنبي القدس فقال (الآن انتهت الحروب الصليبية)، وعندما سمح لورنس للجيش العربي بدخول دمشق قبل الفرقة الأسترالية ليجنب فيصل وأسرته نقمة العرب، وعندما ركل الجنرال الفرنسي غورو قبر صلاح الدين بدمشق ليذكره بأن من طردهم قد عادوا بسند أبناء العرب..

فمكر بريطانية وفرنسة ومعهما أروبة قد أصبح لعبة بيد الطاغوت الأمريكي!!
فهل من معتبر؟!!

واذكروا، يا سادة، ما حصل عقب افتعال (إسرائيل) حادث إحراق المسجد الأقصى في أغسطس ١٩٦٩م؟ وما كان إلا من باب جس نبض الشارع العربي الإسلامي عند الإقدام على مثل هذه الجرائم بحق المقدسات الإسلامية!!

إنها مهزلة المؤتمرات الإسلامية

لقد عقد أول مؤتمر إسلامي في كوالالمبور عاصمة ماليزية في (٢٢-١٩٦٩/٩/٢٥م) ولم يفعل غير الاستنكار لجريمة الكيان الإسرائيلي الدخيل في فلسطين بحرق المسجد الأقصى! ثم عقد مؤتمر قمة إسلامية في الرباط في نوفمبر ١٩٦٩م أيضاً فماذا قرر غير تكرار الاستنكار؟! وماذا فعل مؤتمر وزراء الخارجية في جدة في آذار التالي غير الاستنكار وتأييد (تحرير فلسطين من الاحتلال الإسرائيلي) و(رفض استمرار الاحتلال الإسرائيلي لمدينة القدس ورفض تدويلها..). ولكن من يقوم بهذا التحرير ويرفض الاحتلال ويستعد لإزالته إذا لم يفعلوا هم؟!!

ويا ليتهم استمروا على ذلك التأييد والرفض ولم ينتكسوا!! ها هو المؤتمر الخامس لوزراء الخارجية العرب في نيسان عام ١٩٧٤م يعلن إثر حرب (التحرير) بأن (عودة القدس شرط لأية تسوية سياسية إلى جانب الانسحاب الإسرائيلي إلى ما وراء خطوط الرابع من حزيران لعام ١٩٦٧م)!!

فيا للعار! لقد بدأوا يعلنون الاعتراف بـ (إسرائيل) في حدود الرابع من حزيران وأصبح مطلبهم لا تحرير فلسطين ولا رفض احتلالها بل الاستعداد (للصلح) معها مقابل تلك الحدود!

ويا عجباً! لقد أوكل صندوق تحرير القدس للملك الحسن الثاني ملك المغرب الذي كان وراء مفاوضات مصر والفلسطينيين والعرب أجمعين مع (إسرائيل)!!
فأي قدس هذه التي يتولى هذا المساند للصهيونية تحريرها؟! أم أن التحرير أصبح معناه التنازل عن فلسطين لليهود حتى حدود الرابع من حزيران وأصبح ينسحب على القدس؟! إنه لا غرابة في التنازل عن شيء من القدس ممن تنازل عن أكثرية فلسطين!!

والآن، دعونا، يا سادة، نسأل أنفسنا:
لماذا يجب أن نرفض (السلام) مع (إسرائيل)؟

إنه للأسباب الستة الآتية:

١- لأن الإسلام يحرم الصلح معها، بدليل الفتاوى التالية المستندة إلى نصوص من القرآن والسنة:

- ١) فتوى علماء فلسطين في القدس في ١٩٣٥/١/٢٦ م بتحريم بيع الأراضي لليهود أو السمسرة لهم لما في ذلك من خيانة لله ورسوله والمؤمنين.
 - ٢) فتوى علماء نجد في يوليو عام ١٩٣٧ م بتحريم وبطلان ولاية اليهود في بلاد الإسلام.
 - ٣) فتوى علماء العراق في يوليو ١٩٣٧ م أيضاً بوجوب مقاومة ومنع إنشاء دولة لليهود في فلسطين.
 - ٤) فتوى الشيخ محمد رشيد رضا في ١٩٣٥/٢/١١ م بتحريم بيع أي أرض من فلسطين وما حولها لليهود والإنجليز لأنه خيانة.
 - ٥) فتوى جمعية علماء الهند المركزية بتحريم بيع أرض من فلسطين أو التوسط في ذلك لأنه محاربة لله ومسالمة للكفر ومظاهرة ضد المسلمين.
 - ٦) فتوى لجنة الفتوى في الأزهر عام ١٩٥٦ م بتحريم الصلح والسلام مع (إسرائيل) لأنه إقرار للغاصب على اغتصابه وتمكينه من عدوانه.
 - ٧) فتوى أخرى من لجنة الفتوى في الأزهر تؤكد الفتوى السابقة بسبب زيارة السادات للقدس في نوفمبر ١٩٧٧ م وهاجمت تملق علماء السوء له.
 - ٨) فتوى الدكتور محمد عثمان شبير عام ١٩٨٣ م بتحريم الصلح مع إسرائيل لأنه كبيرة وخيانة لله ورسوله وللمؤمنين، ولأن العقد معهم يخلو من الشروط الشرعية الأربعة: عدم توليه من قبل إمام المسلمين أو نائبه، ولعدم تحقيقه مصلحة للمسلمين كتقويتهم، ولعدم خلوه من الشروط الفاسدة كظهور الخمر والخنزير في دار الإسلام أو اقتطاع جزء من دار الإسلام، ولعدم تحديده بمدة معينة.
- ٢- لشدة عداوة اليهود للإسلام وحرصهم على الأذى والضرر بالمسلمين وبلادهم، ويكفي في هذا الصدد قول بن غوريون مؤسس دولتهم (فإني أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد)!
 - ٣- لأطماعهم التوسعية الاستعمارية حسب توراتهم المحرفة، وتلمودهم الدنس، وبرتوكولاتهم الشريرة، والتي بموجبها رسموا خريطة (إسرائيل) المحفوظة في خزائن روتشيلد والتي تتجاوز النيل والفرات إلى بعض الكويت والحجاز وشرق نيل مصر!!
 - ٤- لاستخدامهم (السلام) وسيلة لتنازلنا عن فلسطين وعن عقيدة الجهاد والاستشهاد ضدهم لينفذوا مشروعهم الجديد للسيطرة على المنطقة كلها.
 - ٥- لخطورة (السلام) معهم بسبب آثاره الاقتصادية، لأنه يلغي المقاطعة معهم، والسياسية، لأنه يلغي الجهاد لتحرير الأرض، والثقافية، لأنه يلغي ما في ديننا

وثقافتنا ضدّهم، واجتماعية، لأنه يفتح بالتطبيع بلادنا لفسادهم وفجورهم، وعسكرية، لأنه يلغي الجهاد ضدّ توسعهم.

٦- لوجوب تنفيذ الحل الإسلامي للقضية الفلسطينية الذي يفرضه القرآن والسنة، والذي كان يجب اللجوء إليه منذ اليوم الأول بالإعداد لتطبيقه في الوقت المناسب بغض النظر عن الحلول غير الإسلامية التي اکتوت بنارها الأمة الإسلامية كلها عرباً وغير عرب.

ولكن كيف نعطي موضوع هذا «الكتاب المفتوح» المزيد من الثقة؟

لا شك أنه باللجوء إلى شكل من أشكال الاستبيانات الجماهيرية وذلك لمعرفة مدى موافقة الأمة على (الصلح) مع (إسرائيل) ولو بحصره في سؤال واحد صحفي نصح: هل توافق على (السلام) بين العرب و(إسرائيل) بواسطة أروبة والغرب أو بدونها، ولماذا؟ وتجمع الإجابات بالهاتف أو الصحف أو الرسائل وتحدد نسبة الموافقين والرافضين..

ولكن بالنظر لاستحالة ذلك على أي شخص بمفرده فإنه يبقى دعوة للأخريين للقيام به وإن كان مما لا شك فيه أن الأمة الإسلامية مجمعة على رفض هذا (السلام) مع دولة البغي والعدوان، وطالما أنها على شيء من المعرفة والإطلاع لما أوردناه من شواهد ونصوص ووقائع وأحداث تدل على الحقد الصهيوني والصليبي لديهم ولدى الغرب الذي يناصرهم ضد الإسلام والمسلمين وبلادهم.. وما جرى ويجري حتى الآن في فلسطين إلا أكبر شاهد ودليل لمن كان له عقل ولديه مروعة وشهامة.. ولا أظن أن أحداً من المسلمين ما دام مسلماً قد فقدوها!!

وأخيراً نستاذنكم، يا سادة، لنضع بين أيديكم وأيدي كل قارئ لهذا (الكتاب المفتوح) خلاصته بقصد تيسير الوصول إلى قرار المشاركة في الرأي برفض الصلح، وهو المبتغى، أو رفض المشاركة والموافقة، وعندها يكفي هذا الكتاب (الكتاب المفتوح) أنه ذكر وذكر، وترك لصاحب القرار أن يتحمل مسؤولية قراره.

خلاصة الكتاب المفتوح

لقد وقف (الكتاب) مع مقدمة بينت صلة العالم الإسلامي بأروبة طيلة العهود التاريخية الماضية ليرى أولئك الذين يدعون لهذا (السلام الصهيوني) من المفكرين والسياسيين والحكام ما هم فاعلون في الحقيقة والواقع..

وقد استخدم (الكتاب) أسلوب التذكير للجميع بعرض الكثير من الوقائع والأقوال التي صدرت عن أروبة ضد الإسلام وأهله وبلده، من حملات صليبية، فرحلات

استكشافية، وغزوات عسكرية استهدفت التطويق الأوربي الأول للعالم الإسلامي بدأت به البرتغال فإسبانية، وكيف هزم أمام الدولة العثمانية، ثم تلاه التطويق الأوربي الثاني بحملة نابليون الفرنسية على مصر وبلاد الشام، وإفشالها بتدخل بريطانية وروسية للصراع مع فرنسا، وظهور محمد علي بنجاح دعماً من فرنسا أولاً ثم باتكماشه بتخلي فرنسا عنه، وتركيز بريطانية نفوذها في الخليج مع الحرص على اقتسام بلاد الشام، كما ظهر في مؤتمر سان ريمو الذي قسمها إلى سورية ولبنان والأردن واستثنى فلسطين، وصدور وعد بلفور الذي اختص به فلسطين لتعد وطناً قومياً لليهود بدعم من الإنجليز.. والتعرض لذكر شيء من عدوان هذا الكيان الصهيوني الذي أقاموه في فلسطين، والانتقال إلى عملية (السلام) مع هذا العدوان بدءاً باتفاقية كامب ديفيد مع مصر ثم اتفاقيات أوسلو مع الفلسطينيين ثم صلح وادي عربة مع الأردن.. ولم تتضح الطبخة في ذلك مع سورية ولبنان بعد ولا سيما بعد أن انتقلت عملية (السلام) إلى التصفية الجسدية للمعارضين لها باسم الحرب ضد الإرهاب.

ويقف (الكتاب المفتوح) هنا مع تطور فلسطين السياسي من وعد بلفور إلى قيام (إسرائيل)، مركزاً الضوء على وعود بريطانية الكاذبة مع الشريف حسين وولديه الأمير عبد الله والأمير فيصل.. ثم يبين كيف ظهرت (جامعة الدول العربية) بصناعة إنجليزية كوسيلة قومية بدلاً من الإسلام لتثبيت تمزيق وحدة العرب وتحطيم الأمل في النفوس المؤمنة بإمكانية عودة الوحدة الإسلامية بدولة الخلافة من خلال مناورات وخذع بريطانية ماهرة حققت للصهيونية إقامة دولتها وحطمت للعرب أملهم في دولتهم..

وتبعاً للإشارة إلى ما حققته الصهيونية بمساعدة الصليبية الأوروبية جاءت الوقفة بعدها مع الحركة الصهيونية كحركة استعمارية منذ نشوونها، مع بيان أدلة ذلك من أفكارها وتطور شتاتها، وتجمعها بهجرة واستيطان في فلسطين مع الحرص على بقاء الشتات لدعمها، ثم إلقاء الضوء على أفكارها ضد السيد المسيح عليه السلام وأتباعه، مما يستهجن هذا الدعم الأحمق من أروبة وأمريكا المسيحية لهم لولا أنها تدوسان على الدين من أجل مصالحهما، وبيان ذلك بعرض نماذج من أقوالهم الصليبية والصهيونية المؤكدة صدق ذلك، وبالذات من خلال التعرف على (لورنس العرب) وتآمره ضد الإسلام والمسلمين بدءاً بالعمل الدؤوب لإسقاط الخلافة العثمانية بصفتها الإسلامية إلى إيجاد هذه الدول العربية الهزيلة التي كانت مرتبطة بالإنجليز سواء في الحرب العالمية الأولى أو الثانية، والاستشهاد على ذلك بأقوال الكثير من المفكرين الغربيين المشهورين من أمثال غوستاف لويون الفرنسي وأرنولد توينبي البريطاني، ومن الساسة اليهود من أمثال بن غوريون وبيغن وغولدمان بالإضافة لرأس الأفعى هيرتزل، والوقوف مع تلمودهم وأسفارهم وبروتوكولاتهم ليرى (الداعون إلى السلام) معهم مدى استحالة الثقة بهم ولا سيما بعد الإشارة إلى محاولاتهم التأثير في الأحداث التاريخية المعاصرة الهامة كالثورة الفرنسية والحربين العالميتين الأولى والثانية والثورة البلشفية وهدم الخلافة العثمانية الإسلامية، مع الوقوف مع ما فعله زعيمهم هرتزل لتحقيق هذا الهدم من مكائد ضد

السلطان عبد الحميد الثاني بالتعاون مع جمعية الاتحاد والترقي التركية وباستخدام الماسونية ويهود الدونمة أيما استخدام بعد أن رفض السلطان ملايينهم وطلبهم بالاستيطان في فلسطين بينما استجاب لهم مصطفى كمال الاتحادي اليهودي الماسوني أيما استجابة.. مع الإشارة إلى الصراع الإنجليزي الفرنسي مع ابن سعود ومحاولة هذا إقناع روزفلت الرئيس الأمريكي حينئذ ليمنع إنشاء دولتهم في فلسطين على حساب أهلها وفشله في ذلك بعد أن كان قد فشل في ذلك مع الإنجليز مما يجزم أن الغرب كله كان ضالماً في إقامة هذا الكيان الأخطبوط في المنطقة وما زال راعياً لبقائه.

ثم يقف (الكتاب) مع الصراع الأروبي فيما بين دوله في المنطقة من جهة وضد الدولة العثمانية من جهة أخرى، واتخاذ الشكل العسكري أولاً ثم العسكري المسبوق والمدعوم بالتبشيري الفكري، وتذبذب نتائج ذلك الصراع بين نجاح وفشل لهذه الدولة أو تلك حتى استقر لسيطرة بريطانية وفرنسية لتخلفهما أمريكا وإن حاولت بريطانية التزلف إليها.

وأما (الحوار العربي الإسرائيلي) المقدمة لهذا (السلام الصهيوني) فيقف (الكتاب المفتوح) معه ليبرز دور اليساريين فيه مما يعطيهم (فضل الخيانة) في هذه المأساة والأسبقية فيها.

ويذكر (الكتاب) بعدها بما لحق بالعرب والمسلمين من مآسي على يد الدول الأروبية ثم أمريكا التي تمارس أبشع أنواع التمييز بين (ربيبها إسرائيل) وبين جميع دول الشرق الإسلامي بسياسة الكيل بمكيالين.

ثم يذكر بما فعلته بريطانية أكثر من الدول الأروبية الأخرى من مكائد ضد الإسلام وخلافته، وضد المسلمين ووحدتهم، سواء في إطار المشروع السعودي أو الهاشمي، أو مؤامرة سايكس بيكو، أو إنشاء جامعة الدول العربية، أو إسقاط الوحدة الأخيرة التي قامت عام ١٩٥٨م بين سورية ومصر.

ويذكر (الكتاب) أخيراً بالأسباب الستة لتحريم (السلام الصهيوني) ووجوب الجهاد لإنقاذ فلسطين.. فهل من مدكر؟؟

وبهذا ينتهي قسم طلاب السلام، القسم الأول من هذا الكتاب، ليليه القسم الثاني، قسم المعارضة.. إلى أين؟

مراجع القسم الأول

المؤلف	الكتاب	
الدكتور أحمد طريبه	الوحدة العربية في تاريخ المشرق المعاصر	١.
زهدي الفاتح	لورنس العرب على خطى هرتزل	٢.
الدكتور موفق بني المرجة	السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية	٣.
شوقي عبد الناصر	بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود	٤.
الدكتور محمد علي الزغبى	الماسونية في العراق	٥.
عصام شريح	الصهيونية النازية	٦.
محسن عنبتاوي	لماذا نرفض السلام مع اليهود	٧.
الدكتور محمد عثمان شبير	حكم الصلح مع اليهود	٨.
أبو إسلام أحمد عبد الله	الماسونية الجديدة في الشرق الإسلامي	٩.
عبد الله التل	خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية	١٠.
عبد الله التل	جذور البلاء	١١.
سعد جمعة	مجتمع الكراهية	١٢.

المؤلف	الكتاب	
الدكتورة عواطف عبد الرحمن	مصر وفلسطين	.١٣
الدكتور محمد عمارة	العرب والتحدي	.١٤
الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى	الولايات المتحدة والمشرق العربي	.١٥
الدكتور نجيب الكيلاني	أعداء الإسلام	.١٦
الدكتور عبد الحسين شعبان	أمريكا والإسلام	.١٧
الدكتور محمد جابر الأنصاري	تحولات الفكر والسياسة في المشرق العربي	.١٨
عبد القديم زلوم	كيف هدمت الخلافة	.١٩
الدكتور مصطفى محمود	الطريق إلى جهنم	.٢٠
عباس محمود العقاد	أثر العرب في الحضارة الأوروبية	.٢١
محمد عبد الله عنان	مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام	.٢٢
سالم علي البهنساوي	الغزو الفكري للتاريخ والسيرورة	.٢٣
الدكتور علي محمد جريشه ومحمد شريف الزبيق	أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي	.٢٤
سعد جمعة	الله أو الدمار	.٢٥

<u>المؤلف</u>	<u>الكتاب</u>	
الدكتور مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ	التبشير والاستعمار في البلاد العربية	.٢٦
أنور السادات	يا ولدي هذا عمك جمال	.٢٧
باروخ نادل	تحطمت الطائرات عند الفجر	.٢٨
مايلز كوبلاند	لعبة الأمم	.٢٩
أكرم ديرى والمقدم هيثم الأيوبي	نحو استراتيجية عربية واحدة	.٣٠
المشير فون رونشتد	أسرار الحرب العالمية الثانية	.٣١
الدكتور فاروق عثمان أباطة	سياسة بريطانية في عسير أثناء الحرب الأولى	.٣٢
محمد حسنين هيكل	خريف الغضب	.٣٣

القسم الثاني المعارضة .. إلى أين؟

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد

فإننا نجد في هذا الكتاب ما يلقي الضوء على المعارضة في البلدان العربية بجميع أنواعها من إسلامية جذرية وإصلاحية، إلى إسلامية جهادية وفكرية، إلى غير إسلامية علمانية وباطنية و مبطنة.. مع المقارنة والترجيح.

فلا بد للكاتب أن يقف بقدر ما يسمح له المجال على بيان المقصود بكل كلمة من كلمات هذا العنوان الذي جاء مستثيراً للقارئ والكاتب معاً ليجد القارئ ما يأمله من إجابات لكثير من الأسئلة والخواطر التي تداهم تفكيره دائماً حول وقائعها الحياتية اليومية المعاشة، وما ينتظره بعدها من طول تعود بالخير على الفرد والمجتمع، ويجد الكاتب في نفس الوقت وهو يقدم أو يحاول أن يقدم للقارئ تلك الأجوبة المطمئنة، فيشركه معه سواء بالتصدي للمزيد من تناول جوانب أخرى سقطت من الكتاب حسب تقديره أو جاءت تحتاج للمزيد من التركيز والبيان، أو بالاتصال بالكاتب بإحدى الوسائل المتاحة ومناقشة ما يمكن مناقشته معه حول ما أثاره في بحثه من أمور، فيحقق بذلك التواصل بينه وبين المجتمع بشكل يحقق الهدف الأول والأخير من مثل هذه المواضيع ألا وهو المساهمة في بناء المجتمع الأمثل وذلك من خلال طرح الأفكار ولا سيما بوسائل الإعلام المختلفة التي تجعل المجتمع ككل يشارك فيها سواء بالتأييد أو الرفض.

لقد اعتاد معتلو المنابر الفكرية بأنواعها على التنديد بالخلافات بين أبناء المجتمع الواحد بجميع أشكالها، بين الحاكم والمحكومين أنفسهم، بحجة أنها تمزق ولا تجمع، تفرق ولا توحد.. والدين وكل القيم الإنسانية تأمر بإنائها حيثما وجدت وكيفما حصلت.

الكاتب

المعارضة في الأقطار العربية .. إلى أين ؟ عمومية الفروق الفردية

ولكن هل المعارضة بعيدة عن الفروق الفردية العقلية التي فطر الله الناس عليها؟

إذا كانت القدرات على الفهم للأمور تتفاوت بين البشر سواء من حيث إدراك حقيقة الشيء أو من حيث ما يتعلق به من عوامل أخرى تؤثر عليه وجوداً وهدماً، قوة وضعفاً، أو من حيث القدرة على الربط بين الشيء بذاته والعوامل المؤثرة فيه ليصدر الحكم الصائب البعيد عن التدخل الذاتي..

إذا كانت هذه هي حال القدرات الفكرية بين البشر فهل من المتوقع أن تختلف اجتهاداتهم سواء في مواضعها أو ربطها أو نتائجها أم تكون متشابهة إن لم تكن متماثلة؟ لا شك أن الجواب البدهي على مثل هذا التساؤل يؤكد وجود الخلافات في فهم الأشياء الحسية وأكثر منها المعنوية الروحية والتي تشملها كل القضايا السياسية.

خصوصية الفروق السياسية

هذا بالنسبة لحتمية طبيعة وجود الخلافات بين أفراد المجتمع الواحد بل البشر جميعاً، فماذا تعني الخلافات السياسية بالذات؟ هل هي مجرد رفض توجهات الآخرين سواء كانوا حكاماً أو محكومين أو أنها إعطاء البديل لتلك التوجهات لمعالجة مشاكل المجتمع الداخلية أو الخارجية أو الاثنين معاً؟ أو أنها تمثل الأمرين معاً: الرفض والإعطاء؟

إن السياسة تعني لغة الرعاية، فسائس الخيل أو الأمور هو راعيها ومدبرها، والرسول عليه وآله السلام عبر عن ذلك بقوله (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته..). فالسياسة لغة بهذا المعنى هي اصطلاحاً وإن عبر عن ذلك بأنها فن الممكن، لأن الرعاية هي الممكن البشري، والتدبير لشأن هو الفن فيه، فتكون الرعاية هي فن الممكن البشري في إطار قيم معينة.. وبهذا المعنى تشمل السياسة جميع الشؤون الداخلية مما يتعلق بما بين أبناء المجتمع الواحد من شؤون، والخارجية مما يتصل بالمجتمعات الأخرى.. وإن كان التخصيص والتخصص، بسبب تشعب كل شأن من شؤون الحياة، قد فصلها عن بعضها البعض، وحصر كلاً منها في الجانب الخاص به، فما يختص بشأن التعليم حمل اسمه الخاص، وما يختص بشأن الاقتصاد حمل اسماً آخر خاص.. وهكذا.. وأما الشأن السياسي، سواء بجوانبه الداخلية أو الخارجية، فقد بقي يشمل جميع هذه الجوانب، ولكن

ليس من حيث الإدارة التي تسند إلى مديرية معينة تتولى التنفيذ وتسمى وزارة، وإنما من حيث القرارات القانونية التي تستند إلى الأصول الدستورية وتجعل الحاكم ملكاً كان أو أميراً أو رئيساً مسؤولاً بشكل كامل عن الجانبين بجميع فروعها وإن اختلفت مستويات ذلك حسب نمط الدستور المعمول به في المجتمع.

أنماط الحكم والمعارضة

أنماط الحكم المطبقة في الأقطار العربية ، وموقف المعارضة منها ،
وما تتطلع إليه من البدائل..

كما لا بد من تحديد مفهوم المعارضة: وهل هي لذات المعارضة وإثارة المشاكل ضد النظام لتظهر ضعف رجاله لتحل محلهم وانتهى الأمر، أم لإصلاح النظام وتعديله بحسب رأيها دون تبديل كامل، أم لقلب النظام جذرياً وتبديله بنظام آخر يتولى رجالها التطبيق دون السماح لرجال العهد البائد بالتدخل؟

أشكال المعارضة

وإذا كانت الخلافات السياسية بين أنظمة الحكم في البلاد العربية وبين المعارضة، سواء كانت محصورة في البلد الواحد أو تتجاوزه لتشمل جميع البلدان الأخرى، تشمل هذه الأشكال الثلاثة : فهي إما لاستبدال الحكام فقط، أو لإصلاح نظام الحكم، أو لقلب النظام كلياً .

فلا بد من معرفة حقيقة المعارضة في كل قطر، ومدى ثباتها أو تطورها على مدار العقود المنصرمة منذ نشأة هذه الأقطار واتخاذها هذه الأشكال الاستقلالية عن بعضها البعض، ومعرفة مدى ما يتطلع إليه أبناؤها ولا نقول شعوبها ماداموا كلهم هم الشعب العربي الواحد.

معوقات المعارضة

ولا بد أولاً من التعرف على معوقات وصول المعارضة لأهدافها في مختلف الأقطار العربية، سواء كانت محصورة في المجال الداخلي أو تتجاوزه للخارجي.

كما لا بد من محاولة ما يمكن من الإجراءات أو القياسات الإحصائية، إذا لزم، لتأكيد الثقة بنتائج موضوع الدراسة، وكل ذلك في مرآة مصغرة بتلخيص ذلك أمام عيني القارئ يعلمها ويطمئن إليها.. فتكون خلاصة الموضوع محددة لجميع ما طرح فيه من آراء، ويكون القارئ قادراً على تلمس مدى جدية الدراسة وهو يدعو لبناء مجتمع سليم متصاعد الرقي.. فما هي أنماط الحكم في البلاد العربية؟

الدستور يقرر النمط

إن القوانين الدستورية التي تقرر أنماط أو نظم الحكم ليست كغيرها من القوانين، لأنها لا تصدر إلا بعد جهاد الشعوب وكفاحها واستشهاد الكثير من أبنائها..

الأمر الذي يؤكد أن التصدي للنظم القائمة من خلال المعارضة القاندة هو السبب في التغيير، مهما كان مستوى هذا التغيير ضعيفاً أو قوياً، لأن كل ذلك تابع لنوعية المعارضة، وثباتها على دعوتها ولو بتقديم الشهداء..

ذلك أن الدساتير تتضمن الأسس التي تسير عليها الدول، وتصدر بقية القوانين على هديها، مما يجعل الدستور أسمى قوانين الدولة بل القانون الأساسي فيها والمنظم لجميع تصرفاتها.

الدستور والقانون

وأما كلمة قانون فهي اصطلاح أجنبي مأخوذ من كلمة CANON التي تشير لما كان يطلق على قانون الكنيسة قبل حركة الإصلاح في أوربة، كما يبين ذلك معجم أكسفورد، وكانت وما زالت تعني الأمر الذي يصدره السلطان ليسيير عليه الناس..

وأما الدستور فهي كما أشرنا القانون الأساسي لكل حكومة، والذي ينظم السلطة العامة ويحدد علاقاتها مع الأفراد، ويبين حقوقها وواجباتها نحوهم وحقوقهم وواجباتهم نحوها.

تلازم السلطة والنظام والمجتمع

ولما كان لا يتصور وجود مجتمع بشري في مكان ما بدون نظام يسيطر على مختلف أنواع النشاط التي يمارسها الأفراد، ويوجههم نحو بذل الجهود التي ترفع من شأنهم وترقى بمستواهم، ويمنعهم من ممارسة أوجه النشاط المضرة بهم والتي تعمل على تأخير تطورهم نحو الكمال..

فإنه لا بد من وجود هذا النظام الذي يحدد أهداف المجتمع ومثله العليا التي تعمل السلطة السياسية العليا فيه على تحقيقها..

إن هذا الأمر يؤكد تلازم السلطة والمجتمع معاً إذ هي شرط لازم لسيطرة النظام في المجتمع، كما يؤكد أن الأمة في أي مجتمع هي صاحبة السلطة أو السلطات فيه، وهي التي تتيب عنها من يحكمها باستخدام هذا السلطان وليس بأي امتيازات خاصة على الناس إلا من باب ما عهدت إليه من ممارسة السلطة باسمها.

نشوء السلطة

ولكن كيف تنشأ تلك السلطة أو الهيئة الحاكمة؟

إن ذلك يتم إما برضاء المجموع وإما بالقهر والقوة ثم تفرض احترام إرادتها والخضوع لسلطانها.

وقد تكون تلك الهيئة من بين أفراد الأمة، فيكون السلطان للأمة، وقد تكون من غير أبنائها وإنما من الخارج فيكون السلطان لغير الأمة.

نشوء الأنظمة العربية

ولو تدبرنا أمر نشوء النظم الحاكمة في الأقطار العربية والهيئات التي تتولى ذلك، لوجدنا أنها قد نشأت كلها في القرن العشرين وذلك على أثر هدم الخلافة الإسلامية في آخر عهدها العثماني بعد أن كانت الدولة العثمانية قد ورثته من مراكزه في بغداد ودمشق والقاهرة مع منتصف القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر عندما اجتاحت جيوش السلطان سليم تلك المدن..

وبعد أن تفككت ولايات الدولة الإسلامية واستقل الولاة في أهم شؤون الحكم من جيش ومالية وسلطان، مما جعل أوربة تطمع بها وتهاجمها بالحملات الصليبية التي انتصرت عليها واستولت على بلاد الشام كلها، ومكثوا فيها قرابة القرنين من الزمن حتى هزموا في موقعة حطين كما هزم المغول في موقعة عين جالوت..

ولكن دون أن تنتهي المعارك ضد أوربة بقيادة تلك الدولة العثمانية التي حققت في أوج انتصاراتها الوصول إلى أسوار فينة..

فكيف ظهرت تلك النظم والهيئات الحاكمة

في الأقطار العربية بعد هدم الخلافة العثمانية؟

إنه ما إن ظهر الانقلاب الصناعي في أوربة حتى ترك أثراً بارزاً في قوى الدول.. وجعل الخلافة العثمانية مطمع الطامعين وقد أخذت تتراجع عن البلاد التي فتحتها، مما جعل أوربة تفكر في إزالتها وإزالة الإسلام من معترك الحياة..

فجاءت الحروب الصليبية الثانية والتي اتخذت طابع الهجوم الفكري والثقافي والتشريعي بدلاً من الأولى التي وقفت عند الهجوم الحربي العسكري.

ظهور النعرات وحملة نابليون

ثم إن ظهور النعرات القومية والوطنية في أوربة مع عصر النهضة حركت أهل البلاد ضد الدولة الإسلامية، ومدوهم بالسلاح والمال، وذلك مشهور مما وقع في بلاد البلقان واليونان..

كما أقدمت فرنسا على غزو مصر واحتلتها في حملة نابليون عام ١٧٩٨م ثم احتلت قسماً من بلاد الشام على أمل أن تضرب الدولة الإسلامية من الخلف، ولكنها هزمت وتراجعت وعاد الأمر كما كان بعد أن انسحبت من مصر تاركة محمد علي هناك..

التحرك السعودي الوهابي الأول والثاني

كما حاولت بريطانية بواسطة ابن سعود ضرب الدولة الإسلامية من الداخل واستخدمت المذهبية الوهابية للتغطية على فعلتها ، ولكنها فشلت أولاً ثم عادت ونجحت بسندها لعبد العزيز آل سعود مستغلاً الوهابية بشكل أكثر دهاء، وسيطر على الجزيرة العربية باستثناء اليمن وأقام فيها المملكة السعودية. وكانت دولة الخلافة العثمانية تعلم تماماً علاقتهم مع الإنجليز كما كانت الدول الأوروبية الأخرى من ألمانية وفرنسية وروسية تعلم ذلك..

ولذلك حاولت دولة الخلافة ضرب الوهابيين ففشلت أولاً ، ثم لجأت لواليتها محمد علي في مصر، والذي كان عميلاً لفرنسة التي ساندته في الاستيلاء على الحكم فيها، فسحقهم ابنه إبراهيم عام ١٨١٨م ودمر معقلهم الدرعية تماماً..

فقد فشلت محاولة بريطانية الأولى، ولكنها عادت بعد أن نجحت أوربة في إثارة النعرات القومية والنزعات الاستقلالية، عادت فنجحت، ولكن كيف؟

لقد أقامت مركزين لهذه المهمة، أحدهما في استنبول، لضرب الدولة من مركزها الرئيسي، وثانيهما في بيروت لضربها في ملحقاتها الناطقة باللسان العربي..

فأثار المركز الأول القومية الطورانية في أرض تركيا الحالية، وأثار الثاني القومية العربية في الأقطار العربية..

وساروا في مركز بيروت بالغزو التبشيري والثقافي باسم العلم، وأشعلوا الفتنة بين الأهلين ومنها مذابح عام ١٨٦٠م التي تدخلت على أثرها الدول الغربية فنزلت فرنسا على بيروت حيث فتحت المدارس والكتليات التبشيرية، وسارت على طريقها بريطانية وروسية وألمانية وأمريكية.

ثم أقاموا المحاكم النظامية بجانب الشرعية من خلال مركز استنبول الذي حققوا من خلال رجالهم فيه المدعومين في المحافل الماسونية إدخال القانون المدني الفرنسي بدلاً من الإسلامي عام ١٨٦٨م..

ونجحوا من خلال الضباط الأتراك ذوي النفوذ والتأثير في الدولة كمصطفى كمال الذي وفر له الإنجليز بتمثيلية الانتصار عليهم في معركة (أنافورطة) عام ١٩١٥م عندما انسحبوا من الموقع فجأة مع أنهم كانوا الأقوى، وفروا له المكانة التي جعلته يجرؤ على دعوة السياسيين لتبني رأيه بضرورة الانسحاب من الحرب بحجة أن الإنجليز هم المنتصرون حتماً فيها، ولأن التحالف مع ألمانية سيؤدي إلى تدمير الدولة العثمانية.

نجاح (أتاتورك) وسايكس بيكو وبلغور في التمزيق

ونجح مصطفى كمال لتواطئه مع الإنجليز طيلة السنوات التالية حتى عام ١٩٢٣م في إلغاء السلطنة ثم هدم الخلافة وإلغاء الإسلام من دستورها وحياتها، وتركها لقمة سائغة لاتفاقية سايكس بيكو في توزيع الأقطار العربية بين بريطانية وفرنسة، وتمزيقها باسم الاستقلال والعزة الوطنية والكرامة القومية إلى بلدان مستقلة..

فالتت بريطانية النفوذ باسم الانتداب من عصبة الأمم على فلسطين، وباسم المعاهدة على العراق ، كما حصل لفرنسة قبل ذلك على لبنان وسورية..

وكان وعد بلغور عام ١٩١٧م الذي سارت بريطانية بكل قوة في تنفيذه أثناء انتدابها على فلسطين.

وكان هذا التمزيق للعالم العربي ليؤول إلى هذه الأقطار العربية التي صنعت لها بريطانية جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥م لتؤكد تمزيقها تحت حرصها على استقلال بعضها عن بعض لتتكاثرت تكاثر الخلايا السرطانية من سبع دول عربية إلى اثنتين وعشرين دولة لا تهدأ المشاكل المزروعة فيما بينها والتي وصلت إلى الحرب فيما بين الأخوة!!

ماهية نظم الحكم العربية وكيف أنشئت

هذا من حيث خلفية نشوء هذه الدول العربية المصطنعة، وأما من حيث أنماط الحكم التي نشأت فيها، فإن بلاد الشام قد صنعت فيها فرنسة جمهورية سورية على طريقتها بعد أن جعلها الإنجليز مملكة على طريقتهم ولو ليوم أو بعض يوم للملك فيصل الذي حملوه بعد تنفيذ اتفاقية سايكس بيكو إلى العراق ليكونوا مملكة له تستمر وراثية تحت أسرته هناك حتى انقلاب ١٩٥٨م ليصبح العراق جمهورية، كما هي الحال في سورية ولبنان، وإن اختلف نمط النظام.

وأما في الأردن فبدأه الإنجليز بإمارة شرقي الأردن ثم حولوه إلى المملكة الأردنية الهاشمية، وما زال كذلك.

وأما الجزيرة العربية فقد استقر حكم آل سعود في نجد والحجاز باسم المملكة العربية السعودية، وما زالوا كذلك.

وأما اليمن فقد بدأت باسم المملكة المتوكلية اليمنية حتى انقلاب عام ١٩٦٢م فأصبحت جمهورية تشمل الشمال والجنوب ثم تمزق إلى دولتي الشمال والجنوب ثم توحد ثانية في الجمهورية العربية اليمنية الحالية.

وأما مشيخات الخليج العربي فقد صنعت منها بريطانية مشيخات الخليج المتصالحة أولاً ثم كإمارات قبلية من الكويت وقطر والبحرين وأبو ظبي ودبي وعجمان والشارقة ورأس الخيمة، وجمعت بين الخمسة الأخيرة في دولة الإمارات العربية المتحدة مع بقاء الكيان القبلي لكل منها، وبقي النظام في عُمان يتخذ شكل السلطنة وما هو إلا إمارة أو مملكة متوارثة ثم ظهر أخيراً النظام الملكي في البحرين.

وأما مصر فقد بقيت ملكية متوارثة منذ عهد محمد علي حتى عام ١٩٥٢م وانقلاب ٢٣ يوليو الذي حولها إلى جمهورية مصر ثم الجمهورية العربية المتحدة - الإقليم الجنوبي في عهد الوحدة مع سوريا (١٩٥٨-١٩٦٢م) ثم جمهورية مصر العربية حتى الآن بعد هدم تلك الوحدة على يد الإنجليز وعملائهم.

وأما في السودان فما زالت جمهورية منذ فصلها الإنجليز عن مصر المملكة.

وأما جيبوتي فهي جمهورية من مخلفات الاستعمار الفرنسي.

وأما الصومال وأريتيرية فما زالتا جمهوريتين على الطريقة الفرنسية والإيطالية وإن كانت الصومال ما زالت ضائعة في أتون تمزق الحرب الأهلية ولا يوجد فيها حكومة مركزية قوية وإن جرت محاولات لذلك.

وأما ليبيا فبعد أن أنشأ فيها الاستعمار الإيطالي ملكية تحولت بعد انقلاب القذافي جمهورية وهو الذي حولها إلى نمط لا مثيل له بين النظم السياسية المعاصرة وهو الجماهيرية.

وأما تونس فكانت في عهد الاستعمار الفرنسي شكلاً من أشكال الملكية بحكم الباي ثم حولها بورقيبه إلى جمهورية وما زالت كذلك.

وأما الجزائر فما زالت جمهورية منذ استقلالها عن فرنسا وإن كانت لم تتخلص حتى الآن من آثار فتنة الحرب الأهلية بسبب تدخل الحقد الصليبي الفرنسي بالذات بواسطة كبار ضباط الجيش الذين منعوا جبهة الإنقاذ الإسلامية من النجاح في البرلمان خوفاً من الوصول للحكم، وما زال لا يعلم متى ستنتهي دوامة سفك الدماء هناك بغض النظر عن محاولة المصالحة التي تسعى لها السلطة هناك.

وأما المغرب فما زالت ملكية منذ منحتها فرنسا الاستقلال.

وأما موريتانية فهي أيضاً ما زالت جمهورية منذ تكرمت عليها فرنسا بالاستقلال.

وبالخلاصة فإن أنظمة الحكم في الأقطار العربية كلها، بما فيها السلطة الفلسطينية التي تصنع لها أمريكا دولة على نار هادئة، لا تتجاوز النمطين الجمهوري والملكي وإن سميت بغير ذلك.

ولا بد قبل بيان المزيد من تفصيل هذين النمطين وأنواع المعارضة في كل منهما، من إيراد الملاحظة التالية التي تعم النمطين وتبين صلتها بالمعارضة.

نزعنا نشوء أنماط الحكم العربية

لقد تنازعت كل قطر من الأقطار العربية نزعان: الاتجاه القومي والاتجاه الإسلامي، فكان الأول بدافع الاستعمار الذي صنع منه هذه الأقطار، وجعلها تحصر اهتمامها في حل مشاكلها والتخلص من همومها بعيداً عن غيرها من الدول العربية الأخرى، وأشاع فيها دعوى الكفاية الذاتية، ودعم هذا التمزق بالمشاكل الحدودية وغيرها التي عرّضها فيما بينها حتى يتركز التوجه القومي الضيق أي الوطني بدلاً من الواسع الذي يلح، كما كان في السابق، على إعادتها دولة عربية واحدة.

وكان الثاني بدافع الأثر والثقافة الإسلامية والروح الإسلامية التي لا تعترف بعصبية القومية ولا ضيق الوطنية وتصر على الوحدة الإسلامية في إطار حكم إسلامي واحد.

وقد استمر الحال في تغذية هذه الحركة ولكن بتحريفها رويداً رويداً لتسقط في مستنقع الجامعة الإسلامية التي تجمع (الدول الإسلامية) التي كانت تحمل هذا الاسم زوراً بعد أن ألغت النظم الإسلامية من حكمها وانتقلت بفعل الاستعمار وتأثيره إلى النظم المدنية الغربية..

ثم انتهت إلى الأخذ بالتخلي عن دول البلاد الإسلامية كلها والحصر في البلاد العربية.

وتدبر الإنجليز أمر إنجاح فكرة جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥م كما هو معروف عندما أخذ النحاس باشا رئيس وزراء مصر في ذلك الوقت بمشروع أنطوني إيدن الإنجليزي..

وجرت منذ سنوات عملية جمع الأقطار الإسلامية تحت مظلة ما أسموه بمنظمة المؤتمر الإسلامي الذي لا يتعدى حال جامعة الدول العربية في تثبيت التمزيق باسم السيادة والاستقلال..

وثورة جمال عبد الناصر ونمطها الجمهوري

ومع ثورة يوليو عام ١٩٥٢م في مصر أعيد الزخم للقومية والدعوة للوحدة العربية بقصد كسب النفوذ الإنجليزي والفرنسي من مستعمراتهما ليرثهما النفوذ الأمريكي الخبيث الذي وقف خلف تلك الثورة بكل دهاء ومكر..

ولذلك أبعد عاملي التشويش على ذلك وهما الوطنية الفرعونية والإسلامية العالمية لينجح التخطيط المحصور أولاً في الأقطار العربية وإن قفز إلى مؤتمر باندونغ ليهز البلدان الإسلامية كلها ولكن من أجل تأثير الصدى على العرب وليس لأكثر من ذلك ابتداءً..

ولذلك ألغيت الملكية بل لعنت أكثر مما لعن إبليس ليس من باب لعن ملكية مصر فقط بل ضد كل الملكيات في المنطقة التي يجب أن تفهم الأمر بالرحيل الوشيك.. وأعلنت الجمهورية، وما زال النظام البرلماني الممزوج بالرئاسي هو المعمول به هناك، وهو نفسه المعمول به في سوريا منذ دستورها عام ١٩٦٩م.

وبقية الأنماط العربية

وأما في لبنان فنظامها برلماني جمهوري على النمط الفرنسي، وفي الأردن ملكي برلماني منذ دستور ١٩٥٢م، وفي العراق برلماني رئاسي كسورية ومصر منذ دستور ١٩٥٨م، وفي السعودية ملكي مطلق وإن وجدت بيعة ولي العهد من قبل أهل الحل والعقد مع التزام الملك بالتقيد بأحكام الشريعة الإسلامية، ولكن صدر مؤخراً دستور أخذت فيه المملكة بنظام الغرب الوزاري مع بقاء الملكية يدعمها مجلس شورى بديل عن البرلمان فخلطت بين التشريع الإسلامي والتشريع الغربي استرضاء للغرب وما يسمونه بالحدثة.

وفي اليمن كانت ملكية قبل انقلاب السلال عام ١٩٦٢م وبدون دستور مكتوب طيلة عهود الأئمة، وكان الإمام بيده السلطة المطلقة مع التقيد بأحكام الشريعة الإسلامية كما يفهمونها، وكانت بيده السلطات كلها وإن كان يعاونه وزراء ومستشارون وولاة أقاليم، وبعد الانقلاب المذكور حل النظام الجمهوري محل نظام الإمامة ذلك، وصدر دستور عام ١٩٦٤م الذي جعل النظام الجمهوري يتخذ الشريعة الإسلامية مصدراً لقوانينه مع مجلس شورى وبرلمان بيدهما السلطة التشريعية ومجلس وزراء بيده السلطة التنفيذية فكان نظاماً جمهورياً برلمانياً وإن يتزلف كغيره ممن يتزلفون رعاياهم بالإسلام.

وفي ليبيا كان دستور ١٩٥١م يحددها ملكية وراثية ومملكة اتحادية، وكان فيها النظام البرلماني الذي يفصل بين السلطات وإن يلزم بالتعاون فيما بينها، ثم سقطت الملكية وأصبحت جمهورية برلمانية تجمع النظام البرلماني والرئاسي وإن سميت بالجمهورية.

وفي السودان جمهورية نيابية برلمانية ثم رئاسية بعد انقلاب الفريق عمر البشير الذي كان يقول بحكم الجبهة القومية الإسلامية الخاصة بالدكتور حسن الترابي ثم أقصى الترابي وسجنه ثم أطلق سراحه ليلعب لعبة حرية المعارضة، وهو الآن قد أهمل

المعارضة الشمالية بعد أن استمال بعض قادتها، وأخذ في نفس الوقت يتفاوض مع المعارضة الجنوبية بعد توقيع ما سمي باتفاق مشاكس معها، ولا يعلم إلا الله تعالى وحده إلى ما ستنتهي إليه تلك الاتفاقية بعد العمل بتقرير المصير الذي تشترطه تلك الاتفاقية للجنوب في النهاية.

وفي الكويت ما زالت إمارة وراثية ونظامها برلماني نيابي منذ دستور عام ١٩٦٣م وإن كانت تجنح إلى النظام الرئاسي، وهو حال بقية إمارات الخليج التي ما زالت بدون نظام برلماني الذي لن يطول غيابه مهما تأخر وإن كانت البحرين قد أعلنت مؤخراً النظام الملكي وأخذت إرهابات الانتخابات تظهر ما ينتظر تلك المنطقة من نظم ترضى عنها السياسة الأمريكية.

وفي المغرب هناك ملكية دستورية منذ دستور ١٩٦٢م ونظامه برلماني فيه وزارة مسؤولة أمام الملك والبرلمان معاً مع الفصل بين السلطات.

وفي تونس نظام جمهوري منذ دستور ١٩٥٧م الذي ألغى النظام الملكي وأخذ بالنظام النيابي الرئاسي.

وفي الجزائر نظام جمهوري برئيس منتخب تحت رقابة البرلمان مما يجعله نيابياً رئاسياً.

وفي موريتانية جمهوري برلماني رئاسي، وكذلك في جيبوتي.

وليس في الصومال الجمهوري سابقاً أي نظام موحد قوي ومستقر حتى الآن بعد أن سيطرت أيوبية عليها مدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية وطردت نظام المحاكم الإسلامية منها.

خلاصة أنماط الحكم العربية

هذه هي أنماط نظم الحكم في الأقطار العربية، والتي يمكن توزيعها حسب أنواع الحكومات في العصر الحاضر إلى نوعين:

النوع الأول: حكومات ملكية، وتشمل السعودية وعمان وإمارات الخليج والأردن والمغرب، ويمكن وصفها بالملكية المقيدة لا المطلقة لوجود دستور وقانون تنقيد به، ولوجود هيئات برلمانية أو شورية أو استشارية تعود إليها في الحكم.

والنوع الثاني: حكومات جمهورية، وتشمل مصر وسورية ولبنان والعراق واليمن والسودان وليبية وتونس والجزائر وموريتانية وجيبوتي والصومال، وإن اختلف انتخاب الرئيس من استفتاء في مصر وسورية والعراق، إلى برلمان كلبان وليبية، إلى انتخاب كاليمين والباقي وإن حاولت مصر أن تأخذ بالانتخاب الرئاسي ولكنه ما زال في أول محاولاته.

فما هي أنواع المعارضة لأنظمة الحكم العربية بغض النظر عن أنواعها المذكورة؟

يمكن حصر أنواع المعارضة هذه في ثلاثة هي:

- الأول - الإسلامية، وهي صنفان: المعارضة الجذرية والمعارضة الإصلاحية.
 - والثاني - العلمانية، وهي ثلاثة أصناف: الاشتراكية الجذرية (الماركسية الأومية)، والقومية الاشتراكية العربية، والوطنية التقدمية العربية.
 - والثالث - المعارضة المختلطة إذ تجمع بين الإسلامية والقومية أو الوطنية.
- ولمزيد من البيان يمكن الوقوف مع الأنواع الثلاثة كما يلي:

النوع الأول - المعارضة الإسلامية بصنفيها:

الجذري الانقلابي أو الراديكالي، والإصلاحي:

الصنف الأول - الجذري:

وهو الذي يقف من أنظمة الحكم الموجودة في جميع الأقطار الإسلامية عربية وغير عربية موقف الداعي والعامل لقلعها من جذورها، وذلك إما بطريقة الانقلاب الفكري الشامل أولاً ثم النظام كله واستبداله بما في الإسلام، كحزب التحرير وبعض الجماعات المتفرعة عن الإخوان المسلمين (كأتباع الشهيد سيد قطب) وهؤلاء لا يلجأون للعمل المادي المسلح في دعوتهم للانقلاب الفكري وإن كانوا قد يستعينون به عند إقامة الحكم وقلب النظام واستبداله بالإسلامي..

وإما بطريقة الانقلاب العسكري المستند إلى القوة المسلحة كجماعة الجهاد وجماعة حماس والجماعة الإسلامية وأمثالها، في أصل نشونها، وهؤلاء يعتمدون على التنظيم العسكري في دعوتهم مع الدعوة الفكرية ويستهدفون كالصنف الجذري الفكري إقامة نظام الخلافة بدلاً من النظم الملكية والجمهورية الموجودة في العالم الإسلامي كله بعربية وغير عربية.

والجدير بالذكر أن هذا الصنف بشقيه موجود في جميع الأقطار العربية وبعض الإسلامية وإن كان يتركز في بعضها ويقوى أكثر من البعض الآخر تبعاً لما يتعرض له من القمع والاضطهاد من السلطات فيها والتي تجد كل الدعم لها في ذلك من القوى المعادية للإسلام في العالم من صليبية وصهيونية، وهي تتدرع بذرائع صنعتها هي من أن هؤلاء

إرهابيون وأصوليون ومتشددون ومتطرفون.. ودون أن تفرق وتميز بين أصحاب الانقلاب الفكري دون التنظيم والعمل العسكري وبين من لديهم هذا التنظيم والعمل لأنهما خطران بل مصيريان في خطرهما بما يستهدفانه من جذرية في التغيير.

ولكن على ماذا اعتمد أصحاب هذا

الصف الجذري من الأدلة الشرعية؟

لقد اعتمدوا بشقيهما على فهم كل منهما الخاص للسيرة النبوية في عهدها المكي والمدني، فأروا بصورة عامة أن الرسول عليه وآله السلام قد بدأ في ضم الناس للإيمان بدعوته وفهمها ثم انطلق فيها طيلة المرحلة المكية ثم ركزها في دولة منذ الانتقال للمرحلة المدنية.. فكيف افترق أو اختلف الشقان أو الطرفان في فهم كل منهما الخاص للسيرة النبوية؟

مع الشق الأول:

ولكن الشق الأول من هذا الصف الجذري يختلف في فهمه للسيرة من حيث وجوب الالتزام بأعمال الرسول عليه وآله السلام في العهدين المكي والمدني عن الشق الثاني..

فهو كما يرى أن الرسول عليه وآله السلام لم يلجأ أبداً طيلة العهد المكي للسلح لا تنظيمياً ولا استخداماً بل نهى عن ذلك عندما قال (لا لم تؤمر بذلك) لمن طلب منه استخدامه عند بيعة العقبة الكبرى، مما أروه يؤكد المنع من ذلك ولا سيما أن الأمر قد جاء قبيل الهجرة من مكة بقليل،

ثم لأمر الله تعالى المتكرر في الآيات القرآنية بفرض الافتداء بالرسول عليه وآله السلام في طريقة دعوته قولاً وعملاً:

مثل قوله تعالى {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً} - آية ٢١ من سورة الأحزاب،

وقوله تعالى {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم} - من آية ٣٦ من سورة الأحزاب،

وقوله تعالى {وما ينطق عن الهوى (٣) إن هو وحي يوحى (٤)} - آيتان من سورة النجم،

وقوله تعالى {فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين (٩٤) إنا كفيناك المستهزئين (٩٥)} - آيتان من سورة الحجر؛

وغير ذلك من الآيات التي تفرض على المسلمين التزام دعوته عليه وآله السلام في العهد المكي قولاً وعملاً، وإن كانت الآيتان الأوليان من سورة الأحزاب المدنية لأن

الحكم الشرعي عام في حق المسلم لكل زمن، فيلزم بالتأسي به عليه وآله السلام قولاً وعملاً وتقريراً حسب ما يقتضي، فهما في العهد المكي يقتضيان غير العهد المدني لأن الأول عهد دعوة فقط والثاني عهد دولة تتولى الحكم والدعوة بشكل آخر غير السابق..

والمعلوم أن ما صدر عن الرسول عليه وآله السلام في عهد الدعوة بمكة هو الفكر فقط بينما تجاوزه بالمدينة إلى العمل المادي في تطبيق الأحكام والمحاسبة عليها وفي حمل الدعوة بالجهاد العسكري والفكري للناس كافة معاً.

فليس لأحد مخالفة ما فعله الرسول عليه وآله السلام بأمر ربه لأنه لا ينطق في أمور رسالته ودعوته عن هوى نفسه المخالفة لأمر ربه، فكيف وكل هوى نفسه هو فقط أمر ربه..

وكما على المسلم أن يجهر بدعوة الإسلام كما فعل عليه وآله السلام في العهد المكي وفقاً لما يأمره ربه الذي يبين ذلك لرسوله عليه وآله السلام بأن يعرض عن المشركين ومن يعادي الدعوة ودعاتها فيتجنب العمل المسلح معهم مهما عرقلوا الدعوة واضطهدوا حملتها مطمئنين لفهمهم هذا مما قاله عليه وآله السلام لآل ياسر وهم يعذبون حتى الموت في العهد المكي (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة) مما يفرض الاكتفاء بالصبر على الأذى مهما كان شنيعاً مع مواصلة العمل الفكري والسياسي بأسلوب التنقيف المركز والخطاب الجماعي الذي يصنع قادة الفكر والحكم معاً، ويستثير الأمة لتقف حول هذا الفكر وحملته ليتخلصوا مما بهم من ظلم وفساد.

فهذا الشق من الصنف الجذري بالرغم من أنه يتجنب الاصطدام المادي بالسلطات الحاكمة سواء بالسلاح أو غيره، ويكتفي بالصراع الفكري والكفاح السياسي، إلا أن السلطات تعتبره خطراً عليها وأخطر من غيره لأنه اضطر للعمل السري البعيد عن عيونها بسبب اضطهادها مما يمكنه من أن يفلت من بطشها ويوصله إلى تحقيق التغيير الجذري بالرغم من كل ملاحظتها.

ومع الشق الثاني:

وأما الشق الثاني من هذا الصنف الجذري فقد فهموا السيرة النبوية بعهدتها، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بها بشكل يخرجهم عن حصر عملهم ودعوتهم بالعمل الفكري منذ بدايتها وأثناء انطلاقها وعند ارتكازها على حد سواء عندما رأوا في العمل المسلح واجب الالتزام في العهدين المكي والمدني وذلك بحجة أن الالتزام في العمل الفكري كان مع الرسول عليه وآله السلام قبل أن تكتمل الرسالة وأما بعد أن اكتملت فيرون الالتزام بها كلها عسكرياً وفكرياً معاً بغض النظر عن أن هذا عمل دعوة أو عمل دولة، فالكل مطلوب منذ اليوم الأول من الدعوة..

واستندوا في ذلك أيضاً لقوله {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً} - من آية ٣ من سورة المائدة، مما لا يجوز في نظرهم الدعوة

إلا للإسلام كاملاً، ولا سيما أن آيات الجهاد من مثل {واقتلوهم حيث وجدتموهم} - من آية ٨٩ من سورة النساء، ومثل {واقتلوهم حيث ثقتموهم} - من الآية ٩١ من نفس السورة، ومثل {وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة} - من آية ٣٦ من سورة التوبة، مما يرون فيها دليلاً على وجوب الجهاد ضد الكفار ومن يواليهم ما دام قد رضي بكفرهم بدليل قوله تعالى {ومن يتولهم منكم فإنه منهم} - من آية ٥١ من سورة المائدة، وقوله عليه وآله السلام (الجهاد ماض إلى يوم القيامة تحت راية كل أمير برأ كان أو فاجراً) مما يجزم بوجود عدم القعود عن الجهاد لأي فرد أو جماعة كما يرون حتى عندما يكون أمير الجهاد فاجراً ومعلنناً فسقه.

ورد الشق الأول على الثاني:

ولكن أصحاب الشق الأول يردون على أصحاب الشق الثاني القائلين بالعمل العسكري منذ اليوم الأول من الدعوة الجذرية الإسلامية بأن الأمر ما دام أمر دعوة لإقامة نظام الخلافة بدلاً من الأنظمة غير الإسلامية الموجودة في العالم الإسلامي ومنه العربي، وأن هذا الأمر متفق عليه بين الطرفين فإنه يفرض عليهما أمرين اثنين لا ثالث لهما هما:

الأول - إدراك أن المسلمين اليوم يفقدون الدار الإسلامية أي القطر أو الأقطار التي تطبق الإسلام كاملاً وتحمله رسالة للأرض، كما فعل الرسول عليه وآله السلام عندما استقر في المدينة.

والثاني - إدراك أن الدعوة مع هذا الفقدان يجب أن تمر في أعمال العهد المكي الذي كانت الدعوة فيه تعمل في دار كفر، أي تحتكم للكفر وليس للإسلام، وأنها عند النجاح في أعمال هذا العهد بيجاد الرجال المعدين فكرياً وسياسياً، وإيجاد وجود الرأي العام الواعي يمكن العمل للنقطة من الدعوة الفكرية إلى الدعوة المادية، من الدعوة المصارعة لخصومها في الحكم وخارجه فكرياً، والمكافحة للسياسة في الحكم وخارجه سياسياً، إلى الدولة المطبقة للشريعة الإسلامية في الداخل والحاملة للرسالة الإسلامية كدين وشريعة للخارج من خلال الأعمال المادية المتمثلة في الجهاد الحربي، كلما أمكن ولزم معاً، ومن خلال الأعمال الفكرية التي تحملها أجهزة الدولة والحزب بل الأحزاب الإسلامية التي أقامت هذه الدولة وتقف بجانبها وتدعمها وتجاهد تحت رايته وتحمل دعوتها للخارج كما تحاسبها على سلامة التطبيق وحسنه في الداخل وذلك من خلال رجالها وتنظيماتها، من جهة، ومن خلال رجالها الذين يصلون بالانتخاب إلى عضوية مجلس الأمة، من جهة أخرى.

رد الثاني على الأول:

ولكن رجال الشق الآخر من هذه المعارضة الإسلامية الجذرية يرون أن قلة المسلمين في مكة قبل الهجرة إلى المدينة وضعفهم هو الذي حرمهم من إقامة الدولة الإسلامية فيها بدلاً من الهجرة إلى المدينة وإقامتها فيها، والمسلمون اليوم أكثرية

ساحقة في أقطار العالم الإسلامي ومنه العربي فلا مجال لهجرة، بل لا بد من الجهاد الفكري والحربي معاً لإيجاد دار الإسلام في بلد أو أكثر..

رد الأول على الثاني:

فيعود رجال الشق الأول للرد عليهم بأن الأمر لا علاقة له بكثرة المسلمين أو قلتهم في العالم الإسلامي، ولا بقوتهم أو ضعفهم، وإنما هو فقط بالحال الذي يشبه ما كان عليه الوضع عندما قام عليه وآله السلام بالدعوة وسار بها حتى اضطر للهجرة بأمر ربه إلى يثرب ليحيلها إلى مدينة منورة،

إلى مركز الدولة الإسلامية، وأن حال جميع الأقطار في العالم الإسلامي ومنه العربي هي نفس حال مكة في ذلك الوقت. فالأمر ليس من حيث قلة المسلمين أو كثرتهم وإنما من حيث عدم وجود شريعة الإسلام في حياتهم ونظام حكمهم في جميع الأقطار ومختلف الشؤون وكل العلاقات الداخلية والخارجية.

رد الثاني على الأول:

فيرد رجال الشق الآخر هذا الاحتجاج بقولهم بأن هناك أكثر من قطر يحكم بالإسلام وشريعته كالسعودية والسودان، وغيرهما..

رد الأول على الثاني:

فيعود رجال الشق الأول ليوضحوا بأن العبرة ليست في اجتزاء أحكام الدين والشريعة من هنا وهناك، سواء في فصل الخصومات بين الرعية أو في إيقاع الحدود الشرعية، أو في تنظيم شؤون الأسرة، أو في مراعاة الجانب الروحي والخلقي في العبادات والصلاة الفردية.. وهذا ما تحاول فعله دولة كالسعودية، ولكن العبرة هي في أخذ نظام الإسلام في الحكم وهو نظام الخلافة الذي يرفض النظام الملكي الوراثي ويطبق النظم الإسلامية كاملة في جميع جوانب الحياة من اقتصاد ومال واجتماع وحكم وتعليم.. في الداخل، ويحمل رسالة الإسلام للناس كافة في الخارج بحيث لا تنشئ ولا توقع أي علاقة واتفاقية مع أي جهة أجنبية إلا وفقاً لمصلحة الإسلام ودعوته.. وأين هذا كله، كما يقولون، مما لدى السعودية أو السودان أو غيرهما؟!!

وحسم الخلاف بين الشقين:

ولمحاولة حسم هذا النقاش أو الخلاف بين الطرفين، والجمع بينهما على رأي واحد، لابد من الاحتكام للسيرة النبوية وبيان الفرق بين أعماله عليه وآله السلام في العهد المكي الذي امتد ثلاثة عشر عاماً، ثلاثة منها في الابتداء والتكتم وعشرة بعد الصدع والجهر بالدعوة ورجالها والانطلاق بها، وبين أعماله عليه وآله السلام في العهد المدني الذي امتد عشرة أعوام أخرى انتهت بلحاظه عليه وآله السلام بالرفيق الأعلى ومجيء الخلفاء الراشدين من بعده، مما أشار إليه عليه وآله السلام في أمره للمسلمين (عليكم

بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ) مما يشير إلى أهمية إجماع الصحابة في حياة المسلمين كما يشير إلى نمط الحكم من بعده وهو نظام خلافة وخلفاء وليس نظام ملكية وولاية عهد ولا نظام الجمهورية الرئاسية أو البرلمانية ولا غير ذلك من النظم الاستبدادية أو الديمقراطية أو غيرها.

دلالة القرآن والسنة

ففي ضوء هذا التفريق بين أعماله عليه وآله السلام في العهدين، وفي ضوء ما تدل عليه آيات العهدين في القرآن، وما يمتاز كل منهما عن الآخر عندما تتركز الأولى على بناء الشخصية الإسلامية في الفرد المسلم ببناء عقليته ونفسيته الإسلاميتين بتركيز العقيدة الإسلامية وأفكارها في عقله ونفسه مع ضبط سلوكه بها وما ينبثق عنها أو يبني عليها من أفكار، بينما تتركز الثانية على ما يلزم لبناء المجتمع الإسلامي من تشريعات وأحكام تنظم علاقاته في الداخل ومع الخارج..

ففي ضوء هذا التفريق في نصوص القرآن والسيرة يمكن الجزم بأن ما يراه الطرف الأول هو الصواب والواجب الإلتباع لا لأن ذلك كما يحلو لبعضهم أن يقول فيه السلامة من التعرض للآذى الشديد إن لم يكن القتل ولكن لأن ذلك هو ما يدل عليه بقوة كل من الكتاب والسنة، والمسلم مطالب بقوة الدليل أولاً وانطباق الحكم على الحالة المعروضة ثانياً بغض النظر عن قولهم بأن العمل الفكري يحتاج لسنين طويلة لا يحتملها أحد مع ظلم الحكام وفساد الأحكام، مع ضياع البلاد وتمزق العباد، مع هبوط الأفكار وانحطاط الأشرار..

وأنه بسبب ذلك لابد من العمل العسكري منذ اليوم الأول للدعوة على أمل تحقيق مجيء نظام الخلافة بسرعة وهو بدوره يتولى تثقيف الناس بعد قيامه لمن فاته ذلك فردياً وجماعياً..

فإن مثل هذا التهمج يتهافت أمام الأدلة الشرعية الواجب العمل بها من الكتاب والسنة قبل أي تفكير بالواقع وما يدل عليه الواقع، لأن مثل هذا التفكير يقرع أصحاب العقول بالعمل العسكري الفوري أيما تقريرع عندما يجعلون الدعوة له بدلاً من الفكر، فيكون الاستشهاد هو المطلب الأول والأخير مع أنه عليهم أن يذكروا بأن النصر قد تنقل الدعوة إلى الحكم بأسرع مما يتصوره عقل كما حصل مع الرسول عليه وآله السلام في بيعة العقبة الكبرى.. وليذكروا أن النصر لقيام نظام الخلافة بيده تعالى لا غير.

مآل العمل العسكري

هذا بالنسبة للواقع والتفكير فيه، في ضوء الكتاب والسنة ووجوب تطويعه لهما ولأحكامهما، وأما بالنسبة للوقائع الجارية التي آل إليها العمل العسكري مع الجماعات

الإسلامية الجذرية فإنه قد وضع كل حجج البطش بالحركة الإسلامية ليس فقط العسكرية بل الفكرية أيضاً في يد الطغاة بدعوى أن الكل إرهابي أصولي ومتطرف ومتشدد.

ولو تم تتحية كل هذه النعوت للحركة الإسلامية جانباً، وهي التي روجت لها وسائل الإعلام الغربية من صليبية وصهيونية، وتلقفتها بالطبع وسائل الإعلام العربية والإسلامية والتي يعتبر الحكام من ورائها بأن وجودها خطر مباشر عليهم طالما أن نظمهم هي أول من تهدها، وجوداً وبقاءً، كما تهدد كراسيهم واستمرارهم عليها..

فلو نحينا جانباً كل تلك النعوت المقصودة للشتم لا للنشاء، ونظرنا إلى ما انتهت إليه أمثال تلك الأعمال العسكرية في حق الإسلام ودعوته، والمسلمين وحالهم، ودعاة هذه الحركات وأوضاعهم، لوجدنا أن الوقائع أمر من المر وأنكد من النكد وأسوأ من السوء..

وإلا فما هذا البطش المتبادل بين الجماعة الإسلامية في الجزائر وفي مصر وقوى السلطة؟! ومن هم ضحايا هذا البطش؟! وماذا قدم للإسلام ودعوته غير الدماء التي نفرت المسلمين من الدعوة ورجالها؟! وإلى ماذا انتهى القتل الذي حصل في سورية وليبية غير هدر الدماء البريئة؟!

لندع ذلك جانباً ونقول مع القائلين: صحيح بأن المعارك بين أي طرفين من طبيعتها الكر والفر.. والهزيمة والنصر.. ولكن في مثل هذه الصدمات الدموية: من يكر ومن يفر؟

ومن يهزم ومن ينتصر؟ وإذا كان الرسول عليه وآله السلام وهو رئيس دولة يعلن العفو العام عن أهل مكة وهو القادر الفاتح لها مع أنهم لم يتركوا نوعاً من الإساءة والاضطهاد إلا أوقفوه بحقه وحق أتباعه من المؤمنين قبل الهجرة.. فهل لنا إلا أن نفتدي به في حينه إذا لزم؟

ومآل الأعمال الفكرية

فهلأ تدبرنا ذلك ورأينا كيف احتفظ العمل الفكري بصناديد مكة ليكونوا قادة للإسلام وجيوشه، مما يجعل تجنب ذلك يحفظ علينا قوانا وقوى جيوشنا لتكون سلاحنا الذي نبني به نظام ودولة الخلافة التي نتطلع جميعاً لإقامتها في الأرض؟!

وهلا نظرتم نظرة الشمول والوعي والاستنارة فأدركتم أن عدو هذه الأمة وعدو إسلامها، سواء من الصهيونية الماكرة أو الصليبية الحاقدة، ومن يدور في فلكهما أو يوالي إحداهما، هو وحده المستفيد من هدر هذه الدماء وإثارة هذه البغضاء بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة؟!

وهلا ذكرتم أن من السهل على هذا العدو اللئيم الاضطهاد في الماء العكر بالانديساس وارتكاب مثل هذه المجازر وسفك الدماء، سواء مما نسمع عنه في الجزائر أو

العراق أو فلسطين أو لبنان أو الصومال أو غيرها مما ينسب للحركات الإسلامية كذباً وبهتاناً؟!

وهلا ذكرتم أن أصابع الاتهام التي وجهت لقوى السلطة لا يستبعد صدقها لإيقاع المزيد من الكراهية في نفس المسلمين ضد الجماعة الإسلامية وضد كل من يدعو إلى الإسلام؟!

وما أشد ألم ومرارة وسوء هذا على النفوس!!

لا شك أن تجميع كلمة المسلمين، وتأليف قلوبهم على طريق واحد، وهدف واحد، وغاية واحدة، لهو أهم شيء وأخطر شيء من أجل نصرته الإسلام والمسلمين وإعادة حكم الإسلام للحياة وتثبيت هذا الحكم في الأرض والعمل على إحسان بقائه إلى يوم الدين..

الصف الثاني - الإصلاحي: وهي المعارضة التي تسعى لإصلاح الجانب أو الجوانب التي تعتقد أنها فسدت لبعدها عن الإسلام، وأن في إصلاحها كل الخير للمسلمين، وبخاصة وهي كجمعيات سواء سميت إسلامية أو أهلية أو غير ذلك تغطي المجال أو المكان الذي تعمل فيه لتحصل على الترخيص الرسمي بمزاولة نشاطها الثقافي أو الخيري أو الاثنين معاً.

ففي مصر وحدها مثلاً قيل أن هناك خمسة عشر ألف جمعية أهلية، تعمل في مختلف المجالات الخيرية العملية والثقافية والتعليمية دون تدخل السلطة، ولكن خوف هذه السلطة من نشاطاتها الإسلامية جعلها تصدر في ١٩٩٩/٥/٢٧م قانوناً يلزم كل جمعية منها على تقديم طلب لتجديد ترخيصها وإلا اعتبرت لاغية ومنعت من أي نشاط.

فماذا فعلت المعارضة الإسلامية الإصلاحية؟ لقد تصدت لهذا القانون ورفضت المادة الخامسة عشرة منه لأنها تمنع جمعيات حقوق الإنسان، فردت عليها السلطة بأن النشاط السياسي لا يلتقي مع حقوق الإنسان!!

وكان نشاطات الحقوق والواجبات البشرية لا علاقة لها بالسياسة!! ولو شطبت جميع هذه المجالات من السياسة فماذا يبقى لها في الحياة؟!

من العجيب لهذه السلطات كيف تفبرك المبررات لتتدخل في وجود ونشاطات هذه الجمعيات مع أنها تحاول تلافى أي انتهاك بالسلطات لتواصل ممارسة نشاطاتها.

ولكن ما هي أنواع هذه الجمعيات؟

إنها كمثل لا للحصر:

١ - الجمعيات الخيرية لمساعدة المحتاجين بما تجمعه من تبرعات نقدية أو عينية.

- ٢- الجمعيات التعليمية سواء بمساعدة الكبار أو الصغار، الرجال أو النساء على إزالة الأمية الأبجدية أو المهنية.
- ٣- الجمعيات الثقافية لمساعدة من يريد العمل على حفظ القرآن الكريم ومعرفة أحكامه أو حفظ الأحاديث النبوية ومعرفة أحكامها.
- ٤- الجمعيات أو النوادي الرياضية والترفيهية التي تغطي جميع مجالات هذه النشاطات.
- ٥- الجمعيات الفنية من موسيقى أو رسم أو خطوط أو غيرها.
- ٦- الجمعيات العلمية من جمعيات التاريخ والجغرافية والفلك وغيرها.
- ٧- جمعيات حقوق الإنسان التي باتت تقض مضاجع السلطات في قطرها لأنها ترصد تعاملها ولا سيما مع المعارضة السياسية.
- ٨- الجماعات السياسية كالإخوان المسلمين التي تمزج بين مختلف النشاطات الثقافية والخيرية والرياضية والإنسانية.
- ٩- مراكز البحوث والدراسات التي تتابع مختلف المجالات وتصدر نشرات عنها.
- ١٠- معاهد اللغات التي تعلم اللغات الأجنبية لطلابها.
- ١١- مكاتب الإعداد المهني على الطباعة والكمبيوتر وإصلاح الأجهزة الكهربائية والإلكترونية من مذياع وتلفاز وغيرها.
- ١٢- مكاتب الترجمة لمختلف اللغات.

المعارضة تمارس نشاطاتها

فمن خلال هذه الجمعيات تحاول المعارضة الإسلامية الإصلاحية ممارسة نشاطها ولا سيما مع الخيرية والتعليمية والتنشيطية منها مستهدفة تقويم السلوك والأخلاق الفردية وسلامة بناء الأسرة الإسلامية من باب قاعدة إصلاح الفرد يصلح الأسرة..

ذلك أن الأسرة هي كما يقولون اللجنة الأولى في المجتمع وإصلاحها إصلاح للمجتمع مع أن هذه النظرة تخالف ما فعله الرسول عليه وآله الصلاة والسلام والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وما خلفه العلماء المسلمون من أئمة الفقه إلى تلامذتهم..

فالأخلاق لم تكن موضوع بحث مستقل لدى أي من هؤلاء بل هي نتيجة الفكر والثقافة، إذ متى ارتقت هذه ارتقت الأخلاق والعكس صحيح..

فهذه الجمعيات ردود فعل للوقائع السيئة في مسار الحياة لا كأصول لفهمها ومعالجتها مما يصلح معها أن تسمى جمعيات ردود أفعال لا أصول فهم ومعالجة للأفعال.

فأين المعارضة الإسلامية في هذا الصنف مادام يحرص على الإذن من السلطة القائمة؟

إنها في جانبين:

الأول لأن كل جمعية ترى تقصير السلطة في مجال نشاطها فتدعو الناس للعمل معها لتلافي ذلك ولو استدعى أعمالاً لا ترضي السلطة.
والثاني لأن الجمعية تستطيع من خلال الغطاء القانوني التحرك لتحقيق أهدافها ضد السلطة.

نقد الجمعيات

بالإضافة إلى أنها جاءت كردود أفعال في مجالاتها المختلفة لما أنشأته الجمعيات التبشيرية من ذلك في البلدان الإسلامية، فظنت أن بإنشاء مدرسة إسلامية مقابل مدرسة مسيحية هو المنقذ للمسلمين بتعليم أبنائهم مع أن المدرسة ملزمة بالمنهج الحكومي غير الإسلامي مهما رفعوه ببعض الإضافات الإسلامية..

كما ظنوا في إنشاء مستشفى أو نادي رياضي أو جمعية فنية مقابل ما يماثل كل منها هو الواجب لخدمة المسلمين ضد التبشير وأثاره..

فبالإضافة لهذا الخطأ في التغيير ساعدت هذه الجمعيات على إبعاد المسلمين عن التجمع السليم الفكري السياسي لتغيير الواقع، كما ساعدت في التنفيس عن الناس بظنهم أن في أعمالهم الإنقاذ للمسلمين..

وكل هذا إذا حاولت الإصلاح الجدي ولو بمخالفة السلطة ولكن إذا انضبطت بما تراه السلطة كانت معيناً للسلطة في بقائها وسونها وظلمها لأنها غير إسلامية.

النوع الثاني - المعارضة العلمانية بأصنافها الثلاثة:

١- الاشتراكية الأممية الماركسية اللينينية، والاشتراكية القومية، والاشتراكية الوطنية،

٢- الرأسمالية الديمقراطية بأشكالها العالمية والقومية والوطنية،

٣- الدعوات الباطنية من ماسونية وفوضوية ولا دينية.

أما الصنف الأول وهو الاشتراكية بأشكالها الثلاثة فإنها في الأصل اشتراكية كارل ماركس الذي بناها على فكرة التطور التاريخي التي ترى أن البشرية سارت في خمس مراحل هي الشيوعية البدائية فالرق فالإقطاع فالرأسمالية فالاشتراكية الشيوعية،

وعلى فكرة التطور المادي التي ترى أن المادة تطورت بفعل التناقض بين السالب والموجب وما يحيطهما من تضارب من الشكل الغازي إلى المانع إلى الجامد وظهرت الأحياء النباتية والحيوانية التي تطورت بالصراع بين الأضداد وبقاء الأصلح إلى الإنسان.

ويركز ماركس في كتابه (رأس المال) أن اشتراكيته اقتصادية لرفع الظلم عن العامل والفلاح بتملكهم جميع أدوات الإنتاج نتيجة نجاحهم كما يرى في صراعهم ضد الأغنياء فتنتهي الملكية الفردية إلى جماعية وتهزم الرأسمالية لتحل الاشتراكية محلها آلياً وحتماً.. فيعطي كل فرد طاقته ويأخذ حاجته بعد صراع قد يطول ويطول في فترة انتقالية تبقى فيها الدولة ولكنها تلغى بعد الانتقال للشيوعية..

هذه الاشتراكية بدلاً من التطور إلى الشيوعية، كما توهم منظروها تطورت إلى السقوط والانهار عندما انهار الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١م، وهاجمها أصحاب المبادئ الأخرى قبل انهيارها.

نقد الماركسية

- ١- فكرة التطور التاريخي للبشرية غير صحيحة لأن الإنسان بإرادته غير المادة الجامدة.
- ٢- فكرة التطور المادي غير صحيحة أيضاً لأن الإنسان بعقله يمنع أو يغير ما يروونه من بقاء الأصلح.
- ٣- وفكرة الرأسمالية غير صحيحة لأن ماركس لم يتصور تدخل الدولة وحماية رأسماليتها من خطر الاشتراكية.
- ٤- وفكرة قيمة العمل خاطئة لأن قيمة السلعة ليست فقط ما يبذل فيها من عمل بل يتدخل عامل الندرة وأدوات الإنتاج في ذلك.
- ٥- وفكرة تراكم رأس المال خاطئة لأن التراكم زيادة في الإنتاج ورفع أجور العمال وليس زيادة في فائض القيمة.
- ٦- وفكرة انتقال الرأسمالية إلى الاشتراكية الحتمية خاطئة لأن الدول الرأسمالية الكبرى حمت نفسها من الاشتراكية وهدمت الاشتراكية، ولأن روسيا والصين كانتا إقطاعيتين لا رأسماليتين عندما ظهرت فيهما الاشتراكية.
- ٧- وفكرة انخفاض الأجور في ظل الرأسمالية خاطئة لأن الأجور ارتفعت.
- ٨- وفكرة القضاء على المشروعات الصغيرة بتراكم رؤوس الأموال الرأسمالية خاطئة لأن تلك المشروعات زادت.
- ٩- وتفسيره لظاهرة الأزمات في النظام الرأسمالي بأنها لقلة الاستهلاك وقلة الأجور خاطئة لأنهما زادا ولم يقلا.

١٠- وفكرة الصراع بين الطبقات العليا في الملكية مع الدنيا فيها خاطئة لأن الاقتصاد لا يحكم المجتمع بمفرده لوجود عوامل دينية وسياسية وعسكرية تؤثر فيه أكثر من الاقتصاد.

١١- وفكرة حكم البروليتاريا أو الطبقة العاملة خاطئة لأنها تنفي الإرادة الفردية وتفرض على الأفراد أن يعيشوا على وهم الوعود والنعيم المنتظر في ظل الشيوعية التي بدلاً من أن تأتي انهارت في أصلها الاشتراكي.

١٢- وفكرة الاستغناء عن الدولة عند الوصول للشيوعية وهمية وخيالية إذ سقط النظام كله قبل تحقق هذا الوهم.

١٣- ونداؤه للثورة لهدم الرأسمالية ووضع الاشتراكية محلها مهما طالبت الفترة الانتقالية أوقعه في الخيال بدلاً من العلم الذي كان يزعمه.

١٤- ونظرته للأديان بأنها أفيون الشعوب خاطئة لأن التدين فطري في الإنسان.

١٥- وفكرته في صراع السالب والموجب المؤدي لتطور المادة خاطئة لأنه نظام الذرة في وجودها المادي الأصلي بتدبير من خالقها.

وبالرغم من كل هذه العيوب الجوهرية في الاشتراكية الماركسية إلا أنها تركت الكثير من الآثار العملية في الدول التي طبقتها، ولكن سرعة اندثارها مع انهيار الاتحاد السوفيتي دليل قوي على مخالفتها لطبيعة الإنسان والأشياء،

وأنها كانت مفروضة بالحديد والنار، وأن بقاء أحزابها الملتزمة بها هو جزء من لعبة الديمقراطية الغربية في التعددية الحزبية وكرد فعل ضد تعثر الرأسمالية الديمقراطية في روسيا بشكل مثير بعد تخليها عن الاشتراكية..

كما أن أولئك النقاد يعترفون لها بأنها كشفت عيوب الرأسمالية وجعلت دولها تهذبها بالوسائل السلمية قبل أن تنهار هي الأخرى على رؤوسهم بالعنف.

تأثيرها في الرأسمالية الديمقراطية

١- الاهتمام بالناحية الاقتصادية لإصلاح النظم الاجتماعية وكسب رضا الناس وثقتهم.

٢- محاولة جعل فكرة المساواة بين الأفراد حقيقية بتجنب التمييز العرقي واللوني واللغوي ما أمكن ذلك.

٣- محاولة تحقيق توازن بين الفرد والمجتمع بالتأميمات دون هدم شخصية الفرد في الجماعة.

٤- تحول الملكية الخاصة من حق مطلق إلى وظيفة اجتماعية.

- ٥- تقلص المذهب الفردي بزيادة تدخل الدولة في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية.
٦- تعديل قاعدة الفصل بين السلطات الثلاث وتطويرها بحيث يتحقق بينها التعاون لا القطيعة.

سر قوة الاشتراكية

إن سر قوة الاشتراكية تكمن في عوامل عديدة هي:

- ١- لتبشيرها بمستقبل أفضل في الحياة الكريمة بلا تحكم ولا استغلال لمن سحقهم الفقر والفقر.
- ٢- لتبشيرها للعمال بالسيادة.
- ٣- لمرونتها وتطورها استجابة لتغير ظروف الزمان والمكان.
- ٤- لقوة إيمان أتباعها بها مما جعلهم يقضون بسرعة على معارضيتهم وينجحون في الرقي المادي.

ولكن أين هي هذه الاشتراكية في

المعارضة العلمانية ضد نظم الحكم العربية؟

إن الاشتراكية الماركسية التي طبقتها الاتحاد السوفييتي من عام ١٩١٧م إلى عام ١٩٩١م الذي انهار فيه كان يسعى لتصديرها بكل طاقاته السياسية والعسكرية والاقتصادية للدول الأخرى بدءاً بالعالم الرأسمالي الغربي وانتهاء بالدول العربية والعالم الثالث، وقد حاول ذلك الاتحاد أن يدعم بكل ما يمكن من السند الفكري والمالي والسياسي تلك الأحزاب الاشتراكية المنتشرة في العالم الغربي بعامة والشرقي بخاصة، كما ساند الدول الآسيوية والأفريقية بالسلح والقروض والمشاريع كمشروع السد العالي في مصر والذي ما كان ليتم لولا التواطؤ الأمريكي عندما سحب البنك الدولي تمويله ليفسح بالصفقة للاتحاد السوفييتي لتتذر أمريكا بها أوربة وعلى رأسها بريطانيا بالرحيل عن المنطقة (الأمريكية) وإلا فالاتحاد السوفييتي واشتراكيته هي البديل الوارث لها، مما أربع بريطانيا فأسرعت تحت ضغوط أخرى بالانسحاب عام ١٩٦٩م عن شرق قناة السويس.

وهكذا تضاعلت المعارضة الاشتراكية الماركسية بانهيارها وسندها وانكماش منظريها من الاشتراكيين العرب الذين اختفوا وراء أقلامهم المستجدية لرضى السلطات والأحزاب المتنفذة من قومية ووطنية في الأقطار العربية.

شكلا الصنف الأول الآخران

وأما الاشتراكية القومية والوطنية فهما ليستا بأكثر من الاشتراكية الماركسية مع ما يسمونه بتطويرها لتناسب كل قومية ووطنية على حدة.

فقومية مصر في عهد عبد الناصر شحنت بالاشتراكية الاجتماعية التي وصفت بالاشتراكية العدل والمساواة وتكافؤ الفرص، والتي تخرت بهزيمة يونيو عام ١٩٦٧م وموت عبد الناصر ومجيء السادات بسياسة الانفتاح وشطب تدخل الدولة بسرعة والعمل بسياسة السوق الرأسمالية في الاقتصاد والديمقراطية الغربية في الحكم، واندفع مع أمريكا حتى رحلته للقدس لكسر الحاجز النفسي، حاجز الكراهية، بين مصر بل العرب وإسرائيل، وتوقيع الصلح معها مما جعله يدفع حياته ثمناً لذلك من المعارضة الإسلامية..

فطويت صفحة الاندفاع الأهوج نحو (إسرائيل) ليتسلم حسني مبارك الحالي السلطة ليسير مع أمريكا بتخطيط هادئ بعد أن استقر له الحكم بأسلوب الاستفتاء القسري الشعبي، وتنتهي الاشتراكية القومية لتظهر في عهد السادات الدعوة لمصر الفرعونية، وفي عهد حسني مبارك تعود المصرية إلى العربية بدلاً من الفرعونية، ليتمكن الرئيس مبارك من خدمة أمريكا على المستوى العربي الأوسع من المصري وبالأخص في السير في عملية السلام الشامل والعدل كما يسمونها..

ولكن هل عاد مبارك إلى

اشتراكية عبد الناصر القومية؟

لا، فقد انتهى عصرها وجاء عصر الاشتراكية الوطنية التي ليست بأكثر من مزيد من تطوير الاشتراكية الماركسية على الطريقة الغربية لا لتناسب كل قومية على حدة مهما تعددت الأقطار وإنما لتناسب كل قطر من الأوطان على حدة.

صحيح أن لينين وأستاذه ماركس قد قالوا بضرورة مراعاة القومية والوطنية في الدعوة إلى الاشتراكية الأممية، وإن كان ستالين لم يرض لا عن تيتو يوغسلافيا ولا أنور خجا ألبانيا ولكنه راعى الوطنية تحت ضغوط الموازين الدولية وعودة أمريكا للسيطرة على أوربة بمشروع مارشال..

وحتى رأوا مراعاة الدين حيث له الهيمنة في حياة الأفراد والجماعات، ولكن هذه المراعاة أو تلك لم تغد بهم بشيء أمام انهيار اتحادهم السوفييتي فانهارت الأممية فالقومية فالوطنية، ودخلت في عصر مراعاة الواقع الموجود كما هو حال الحزب الاشتراكي الروسي الذي ينادي بعزة روسيا وكرامتها فأصبح نمطاً من أنماط الاستعمار الجديد الذي تنادي به أمريكا في القروض والصفقات الاقتصادية والحربية والتدخلات العسكرية في غيرها كما فعلت في الشيشان وتفعل الآن في حرب (الإرهاب) الأمريكية..

ومن سورية والعراق

وتبعاً للإشارة إلى ما انتهت إليه المعارضة الاشتراكية في مصر كنموذج لبقية الأقطار العربية لا بد من الإشارة إلى سورية والعراق (قبل الاحتلال الأمريكي للثانية) حيث كان يتولى قيادتهما حزب اشتراكي هو حزب البعث بما يلتزمه من تطوير الاشتراكية الأممية إلى القومية فالوطنية..

فإن هذا التطوير ما زال في تسارع ليناسب سياسة الانفتاح ليتحقق التلاقي على المستوى الداخلي تدريجياً بين سورية ولبنان ، وإنهاء الداخل العراقي الذي ما زال معلقاً في غياهب دهاليز السياسة الأمريكية المصرة على السيطرة عليه من أجل النفط بخاصة والسيطرة على منطقة الخليج ككل معها بعامه.

وما هذه العملية السلمية المستهدفة إنجاحها في فلسطين بسيطرة حزب كاديسا بدلاً من الليكود إلا محاولة من أمريكا للتخلص من المستنقع الذي تتخبط به في العراق بحجة حربها على الإرهاب ونشر أكذوبة الديمقراطية وحقوق الإنسان..

ونعود ونقول بأن هذا التطوير في سورية والعراق لا علاقة للمعارضة به إلا ظاهرياً وإن سمحوا في سورية بالتعددية الحزبية أكثر من العراق تحت ما يسمى بالجبهة التقدمية الوطنية التي يعتبرونها معارضة في الظل وما هي بالمعارضة في شيء إذ ما أن يظهر أي معارض حتى لو كان نائباً في مجلس الشعب حتى ينتهي سريعاً إلى السجن.. وأما هذه التعددية التي نسمع بها في العراق فهي تعددية الفتن والمذابح بين المسلمين من سنة وشيعة بعد أن كان العراق لا يعرف فرقا بين هذين المذهبين .

وحالهما في الأقطار العربية الأخرى

ولو أكملنا الإشارة لتطوير الاشتراكية في الأقطار العربية لتظهر المعارضة التي أصبحت شكلية لوجدنا الحزب الشيوعي موجوداً في سورية والعراق تحت سيطرة السلطة، ونفس الحال في الأردن وفلسطين وليبية حيث يدعي القذافي بأن النظام الجماهيري نظرية وسط بين الاشتراكية الأممية وبين الرأسمالية الديمقراطية من خلال انتخاب لجان شعبية تحكم البلد، وما هي في الحقيقة إلا شكل من أشكال البرلمان.. وأما المعارضة فلا يسمح بشيء منها لا الإسلامية ولا العلمانية بل فقط ما يقوله (الكتاب الأخضر) الذي لا يبعد عن النظام الجمهوري إلا بقدر اختلاف الأسماء، وما حكم الجماهير إلا تسميات فقط وكل شيء بيد أجهزة الأمن والمخابرات المتنوعة..

وأما اشتراكية تونس فقد تطورت إلى زين العابدين بن علي لتكون وطنية بيد الحزب الحاكم، ولا للمعارضة الإسلامية التي هرب الكثير من رجالها لأوربة واستقر الآخرون في السجنون..

وكذلك الحال في المغرب الذي أسند الحكم إلى رئيس الحزب الاشتراكي كرئيس للوزارة..

وأما في موريتانية وجيبوتي والصومال وحتى السودان فليست حال الاشتراكية المطورة بأحسن من ذلك بعد أن أعدم هاشم عطا وعبد الخالق محجوب هناك على أثر محاولة الانقلاب الاشتراكي..

وأما في السعودية فلا اشتراكية ولا معارضة إلا تحت الرماد وهي إسلامية فحسب..

وأما في الخليج العربي فلم يبق من الاشتراكية إلا بقايا رجال يطلق عليهم باليساريين ويظهر ذلك في الكويت أكثر من غيرها..

وأما في اليمن فقد سيطر حزب المؤتمر الشعبي بالتعاون مع حزب الإصلاح الإسلامي أولاً، ثم تضاءلت قيمة هذا الأخير بتدخل مباشر من أمريكا بحجة محاربة الإرهاب الذي يمثله حزب الإصلاح. وأما الحزب الاشتراكي فقد انتهى إلى المعارضة القوية ضد السلطة ولكنه ما زال تحت الضغوط المتلاحقة.

الصف الثاني من المعارضة العلمانية:

إنه الرأسمالية الديمقراطية بأشكالها الثلاثة أيضاً:

١- الأممية، ٢- والقومية، ٣- والوطنية،

وإذا جاز الوصف بأن الديمقراطية كنظام حكم تكمل الرأسمالية كنظام اقتصاد فإن مثل هذه الأوصاف التي أعطيت للاشتراكية، وهي جائزة ما دام كل منها مبدأ أو أيديولوجية عالمية تقبل التطوير من المجال العالمي إلى الضيق القومي فالأضيق الوطني.

نشوء الديمقراطية

وأما من حيث نشوء الديمقراطية فإنه من الصحيح القول بأن الديمقراطية بدأت منذ عهد الإغريق عندما قالوا بأنها كلمة تعني سلطة الشعب، وما زالت تحمل نفس المعنى، ولكن الكل خلط بين السلطة والسيادة إذ الأولى ممارسة الحكم والثانية قواعد الحكم..

وقول أفلاطون بأن مصدر السيادة هو إرادة الشعب الحرة يشمل الممارسة والقواعد معاً إذ بالإرادة تجري الممارسة وبأن تكون حرة فلا تنقيد بأي قواعد محددة تكون السيادة.

والأديان لم تتعرض المسيحية منها لنظم الحكم وتركتها للبشر من مقولة تسند للمسيح (أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله)،

وتعرضت اليهودية لذكر الأحكام اللازمة دون تحديد لنظام الحكم ولكن بني إسرائيل حرفوها وتجاوزوها،

ولكن الإسلام حدد نظام الخلافة كنظام حكم وجعل فيه الممارسة للحكم أي السلطة والسلطان للأمة، وأما السيادة وقواعد الاحتكام وضبط الأحكام فهي للشريعة، مما يبعد هذا الدين عن الديمقراطية القائلة بالسيادة للشعب والسلطة للشعب في آن واحد وذلك كما يرى جان جاك روسو بعدم الفرق بين الفكرة والتطبيق وأن الشعب هو صاحب السيادة والسلطان معاً.

نقد الديمقراطية

وبالنظر لأهمية هذا الصنف من المعارضة العلمانية بسبب سيطرته في نظم الحكم والاقتصاد وبالتالي بقية النظم في الحياة اليوم فلا بد من وقفة معها كما جرى مع الاشتراكية، فنبدأ بالإشارة لمواضع النقد الذي يوجه للديمقراطية والرد عليها:

١- فهي حكم الأقلية وليس الشعب بسبب البرلمان الذي يصدر القوانين والقرارات، والرد بأن الرأي العام يراقب الحكومة، وهذا مجرد نظرية.

٢- وهي أساس باطل هو مساواة الأفراد في الكفاية والفهم، والرد بأن انتشار التعليم والوعي يحقق تلك المساواة، وهذا مجرد نظرية أيضاً.

٣- وهي لا تعتمد على فكرة التخصص في الوزراء، والرد بمساعدة الوزراء بلجان متخصصة مما يضاعف العبء على الحكومة والشعب.

٤- وهي توزع السلطات على هيئات كثيرة فلا يعرف المسؤول عن البلاد، والرد بأن التوزيع يمنع من التسلط والاستبداد، ولكن هذا الهاجس يضيع المسؤولية.

٥- وهي تكثر الأحزاب فتتعطل أعمال الدولة وتضعف وحدة الأمة، والرد بأن التعطل والتمزق يجري عند نقص الوعي الشعبي الراقي، وهذا صحيح.

٦- وهي تسعى للمساواة بين الأفراد في الحقوق السياسية، وهذا غير ممكن لنتفاوت قدرات الأفراد المختلفة، والرد أن المساواة مع توفر الأهلية هو الحق، وهذا صحيح.

٧- وهي تحل استبداد البرلمان محل استبداد الملوك باسم السيادة الشعبية، والرد أن التوازن بين السلطات لا يسمح بالاستبداد ولا سيما عند الوعي العام، وهذا صحيح.

٨- وهي تعجز عن مواجهة الأزمات بحاكم حازم، والرد أن الحاكم يصبح قوياً أكثر عند الأزمات منه في غيرها فينقذ البلاد، والصحيح أن يكون حازماً دائماً.

٩- وهي تجعل السيادة للأمة مع تباين إراداتها وأفهامها وتديبيرها، والرد في البرلمان القوي يزول التباين كله، وهذا إن صح في الممارسة لا يصح في السيادة.

والآن لنشير إلى ما يلي:

- ١- صور الديمقراطية المتعددة، ٢- فكرة عن كل صورة،
- ٣- الأقطار العربية المطبقة فيها، ٤- موقف المعارضة منها.

١- صور الديمقراطية المتعددة:

فللديمقراطية ثلاث صور هي:

- ١- المباشرة: وفيها يحكم الشعب نفسه بنفسه دون برلمان ولا غيره، وقد مدحها روسو في كتابه (العقد الاجتماعي) ولكنها صعبة التطبيق إلا في البلاد الصغيرة المساحة القليلة السكان، وهي غير موجودة في جميع الأقطار العربية وإن ادعت لبيبة ذلك.
 - ٢- شبه المباشرة: وفيها ينتخب الشعب برلمانه ولكن يشاركه في المسائل الهامة كإقتراح القوانين وعزل الرئيس. وقد ازدهر هذا النوع في أوربة بين الحريين الأولى والثانية دفاعاً عن هذا النظام، وكان من مظاهرها الاستفتاء الشعبي بشأن الدستور والقوانين وحل البرلمان.. مما يعتبرها أقرب للديمقراطية من النظام البرلماني ويمنع الاستبداد وسيطرة الأحزاب ويؤلف بين الشعب والبرلمان..
 - وإن كان يؤخذ عليها أن مشاركة الشعب مجرد نظرية، ولضعف الاستفتاء الشعبي، وصورة مشاركة الشعب في الحكم، وإرهاق ميزانية الدولة بالنفقات، وصعوبة توفر الوعي القوي في الشعب، وهي كاستفتاء موجودة في مصر وسورية وتونس.
 - ٣- النيابية: وفيها ينتخب الشعب برلمانه الذي يمارس سلطته باسم الشعب ونياية عنه، فيسن القوانين ويقر الميزانية ويراقب الوزارة.
- ولهذه الصورة ثلاثة أشكال:

- ١- حكومة الجمعية التي تجمع بين التشريع والتنفيذ،
 - ٢- والنظام الرئاسي كما في أمريكا ويفصل السلطتين عن بعضها البعض،
 - ٣- والبرلماني الذي لا يدمج ولا يفصل تماماً بين السلطات وإنما يفرض التعاون بينها..
- مما يعرض الفصل بين السلطات للنقد: إذ تضع السيادة بهيئات منفصلة، ويقضي على فكرة المسؤولية، ولأنه وهمي إذ لا بد من سيطرة إحدى السلطات، ولأن الفصل يهدم وحدة الدولة..
- ولكن دعاء الفصل يردون هذا النقد بقولهم: بأن المقصود بالفصل هو التعاون بين السلطات وليس القطيعة بينها، مع وجود رقابة بين السلطات، وعدم تركيزها بيد واحدة..

وهذه الصورة موجودة في الأقطار العربية مع الاختلاف في الأخذ بأحد الأشكال الثلاثة: فهناك برلمان منتخب بمجلس أو مجلسين فيها كلها ولا يستثنى إلا بعض دول الخليج كالبحرين التي كانت تتعرض السلطة فيها لمهاجمة المعارضة الإسلامية أكثر من غيرها لإلغاء المجلس والتي انتهت المعارضة فيها باسترضائها عندما تحولت إلى ملكية وانتخاب مجلس نيابي،

وأما بقية أعضاء مجلس التعاون الخليجي فالكويت هي الوحيدة التي ينتخب فيها مجلس نيابي وأما قطر والإمارات وعمان والسعودية فتعتمد على مجالس شورى يعين أعضاؤها في الغالب تعييناً.

وموقف المعارضة منه

وأما موقف المعارضة من هذا الركن الأول للنيابية وهو وجود البرلمان المنتخب فإنها تحاول أن تثبت وجودها في هذه المجالس المنتخبة لتحدد موقفها ضد أي شأن سياسي تباشره الحكومة كسلطة تنفيذية مع الملك أو الرئيس أو الأمير، وهذا هو حال جميع الأقطار العربية، أو كانت سلطة مستقلة عنه كالرئيس دون صلاحيات، وهذا غير موجود في جميع البلدان العربية.

ولا يستثنى من المعارضة إلا حزب التحرير الذي يرفض مع بعض الجماعات الإسلامية أحياناً المشاركة في المجالس النيابية المحجمة وجوداً وسلطة وفقاً لما تراه السلطات، مما ظهر جلياً في الأردن عندما حرمت جبهة العمل الإسلامي في المجلس السابق من المعارضة الحققة ضد اتفاقية وادي عربة مع (إسرائيل) ولم تستطع أن تؤثر على تنفيذ توقيعها والسير في تنفيذها، كما مررت السلطة قوانين هامة كقانون الانتخاب بالصوت الواحد، وقانون المطبوعات، وقانون ضريبة المبيعات.. فلم تؤثر المعارضة على شيء من ذلك رغم قوتها في المجلس الظاهرة على الأقل..

ودعك من مستوى التدخل في نفس الانتخابات مما لا يحصر في الأردن بل يجعله كغيره إن لم يكن أفضل من غيره مما يجعل هذه المجالس النيابية مجرد ديكور للحصول على التسمية الديمقراطية النيابية على المستوى العالمي.. هذا العالم الذي يرفض ذلك في بلدانهم ولكنه لمصالحه مع هذه الأقطار يتعامل معها بسياسة المكيايين لها مكياي السماح ولبده مكياي المنع من هذا الشكل الهزلي من المجالس النيابية.

وأما المعارضة في هذه المجالس النيابية وخارجها فهي سواء كانت إسلامية أو علمانية مجرد معارضة مصطنعة أكثر منها حقيقية، وذلك ظاهر معها كإسلامية وعلمانية في مجلس الشعب السوري والمصري والعراقي وبقية المجالس إلا باستثناء بعض مواقف المعارضة الإسلامية وغيرها في البرلمان الكويتي وخارجها، وللإسلامية بالذات في جميع الأقطار الإسلامية ومنها العربية بالنظر لخطورتها الجذرية على النظم واضطرابها للعمل السري.

وأما الركن الثاني للنظام البرلماني الديمقراطي فهو وجود رئيس للدولة غير مسؤول ويمارس اختصاصاته بواسطة وزرائه.. وهذا الحال موجود في كل البلدان العربية التي لا تأخذ بالنظام الرئاسي الذي يمارس فيه الرئيس اختصاصاته مباشرة وهو مسؤول أمام البرلمان، سواء كان مجلساً واحداً كالعراق وسورية وتونس والجزائر، أو مجلسين كالأردن ومصر واليمن وإن أضاف هذا الأخير مجلساً آخر، وسواء كان ملكاً أو رئيساً أو أميراً. ولبنان نظام برلماني لا رئاسي لأن الرئيس يمارس صلاحياته بواسطة وزرائه وهو غير مسؤول.

وموقف المعارضة منه

ولو استثنينا المعارضة الإسلامية الجذرية التي لا ترى غير نظام الخلافة نظاماً صالحاً فإنا نجد أشكال المعارضة الأخرى من إسلامية إصلاحية أو غير إسلامية بجميع أشكالها لا تمارس أي معارضة لهذا النظام لظنها بأنه الأمثل بما يوفره من حياة كريمة للجميع، وما ذلك إلا لأن الإصلاحيين يرونه مماثلاً للشورى في الإسلام ويرفض الجذريون هذه الرؤية، ولأن غير الإسلاميين يرونه المثل الأعلى أكثر من الرئاسي الذي يجنح لسيطرة الرئيس وحزبه، مما يظنون معه أن الشعب هو الحاكم لمسؤولية الوزارة أمام البرلمان ومسؤولية الرئيس البعيدة عن الشعب، فكل غاية غير الإسلاميين أن تحدد صلاحيات الرئيس ويمارس البرلمان كامل صلاحياته التشريعية والسياسية والمالية.

وأما الركن الثالث للديمقراطية البرلمانية فهو أن يكون هناك وزارة مسؤولة أمام البرلمان سياسياً، وتمارس جميع صلاحيات السلطة التنفيذية، وهي في العادة من حزب الأغلبية البرلمانية.

ويتوفر هذا الركن في جميع الأقطار العربية وإن كانت مسؤولية الوزارة تضيق في النظام الرئاسي في مصر وسورية والعراق وتونس، وتتسع في النظام البرلماني في لبنان والكويت.

وأما الملكيات العربية في المغرب والأردن والسعودية وقطر والبحرين وعمان والإمارات فإنها كلها تشبه النظام الرئاسي لا البرلماني لأن الملوك والأمراء فيها يمارسون اختصاصاتهم بشكل مباشر ومن خلال مجلس الوزراء المعين رئيسه، بل كل أعضائه وإن قيل غير ذلك، من قبل هذا الملك أو ذاك الأمير، مع بقائه غير مسؤول لا أمام المجلس النيابي ولا المجلس الوزاري.

فأين المعارضة من هذا الركن؟

إن المعارضة الإسلامية وغير الإسلامية تختلف في نظرتها لهذا الركن، فالإسلامية الجذرية لا مجال للمساومة لديها على نظام الخلافة والذي لا يوجد فيه خليفة

غير مسؤول أو يمارس اختصاصاته بواسطة مجلس وزراء، وإن كان فيه بعض الشبه بالنظام الرئاسي لاجتماع صلاحيات التشريع والتنفيذ بين يدي الرئيس وإسناد صلاحية القضاء لجهاز القضاء برئاسة قاضي القضاة، وإن كان قضاء المظالم لا يوجد مثيله في الرئاسي وإن أعطيت مثل صلاحياته للمحكمة الدستورية العليا مع الاختلاف في الصلاحيات.

وأما الإسلامية الإصلاحية والتي تتعامل مع السلطة والحاكم كغير الإسلامية بأسلوب خذ وطالب، فإنها تحاول لدى الملك أو الرئيس أو الوزير أو حتى المدير ليعدل هذا التشريع أو القانون أو الأمر الإداري التعديل المناسب لما يروونه من التشريع الإسلامي بحيث إذا وافق معهم اعتبروا ذلك نصراً للإسلام والمسلمين، وإذا تحقق ذلك واصلوا طلباتهم لتعديل غيره وغيره، فيأخذون بكل رضى وسرور ما يعطى لهم ويطالبون بالمزيد.. وهم في ذلك لا يختلفون عن غير الإسلاميين إلا من حيث نوعية مطالبهم، وأما أسلوبهم وقاعدة حلولهم فهي التدرج والحل الوسط الذي طالما ركزه الغرب الديمقراطي في الرؤوس كحل أمثل للمشاكل، وأقنع فيه هؤلاء الإسلاميين بقوله بأن الإسلام دين الوسطية والحل الوسط، ونسوا أن مفاد هذا الحل عندهم يختلف تماماً عن نظرة الإسلام للوسطية التي تعني التزام الحكم الشرعي دون إفراط بالتشدد ولا تفريط بالتساهل، وأما عندهم في الغرب فيعني أنه إذا لم يعط لك ما طلبت بل قسم منه أو تعديل له فأقبله كحل وسط بين الواقع المرفوض والهدف المرغوب، ولو كان هذا القسم أو التعديل ما زال بعيداً عن الإسلام وإن اقترب منه. ولو تذكروا بأن عقيدة الديمقراطية، كما هي حقيقتها التي يسلط الجذريون الضوء عليها، هي في أصلها قد جاءت لا برفض وجود الدين، أي دين، في حياة أفراد المجتمع، ولا بقبوله مطبقاً تطبيقاً كاملاً في حياة المجتمع وتشريعاته وعلاقاته، وإنما أخذت بالحل الوسط وهو قبول وجوده بشرط إبعاده عن الحياة وعن نظام الدولة، لما قبلوا بالديمقراطية ولا بحلها الوسط.

عموم نظرة المعارضة للنياية

فهذه المعارضة بأنواعها، باستثناء الإسلامية الجذرية، تحاول أن تفرض توجهاتها السياسية التي تخالف السلطة بها من خلال ما تسمح به هذه السلطة من تنظيمات سواء كانت حزبية سياسية أو جمعية ثقافية أو غير ثقافية، أو إنجاح أكبر عدد ممكن من أعضائها في البرلمانات ليحاولوا أن يوجهوا النظام وسياسته بما يروونه من آراء ويدعون إليه من سياسات بحيث لو استطاعوا أن يصلوا إلى الأغلبية البرلمانية فرضوا النظام الذي يريدونه على السلطة وعلى القطر كله.

الأمل الموهوم بالنياية

فنظرياً هذا الشكل من المعارضة وتوجهها يحمل البشائر لأمل في مستقبل زاهر يسعون له ويطمحون إليه، ولكن عملياً وواقعياً كل ذلك مجرد أوهام وأحلام لا

لشيء إلا لأن السلطات ومن يقف من ورائها من سند غربي لا يسمحون بذلك ولو داسوا بنعالهم ونعال قواتهم المسلحة من جيش وأمن على كل هذا النظام وبرلمانه.. وما جرى في الجزائر أقوى دليل عندما أوشكت الجبهة الإسلامية للإنقاذ على اكتساح المجلس النيابي، فسارعت السلطة بمنع ذلك، عندما ألغت نتائج الجولة الأولى، ومنعت من الجولة الثانية، وحلت جبهة الإنقاذ، وصادرت محتويات مكاتبها، وأقفلتها وألقت بقادتها في السجون، مما كان له أسوأ الأثر عندما عبثت ردود الأفعال السيئة ببعض العقول، فحملوا السلاح ليدفعوا الظلم عن أنفسهم فسالت أنهار من الدماء، كان الكثير منها افتراء على الإسلام والمسلمين، بما تسرب واندس في هذه الأعمال من الأصابع الداخلية الشيطانية التي لم تغب عنها أجهزة السلطة من جيش وأمن، ومن المكائد الخارجية التي تتحدث عنها وكالات الأنباء كثيراً.

ولماذا هو موهوم؟

فالأمل بالتغيير الذي تراه هذه المعارضة من خلال المجالس النيابية مجرد وهم وسراب ما دام لهذا الحاكم، رئيساً كان أو ملكاً، مهمة كبيرة أسندتها إليه الجهات الأجنبية التي يعرف هو أن كرسيه ونظامه يعتمدان في بقائهما عليها..

وأما عندما يغير الحاكم هذا الموقف، ويعتمد في وجوده وبقاء حكمه على إرادة شعبه فإنه ما أسرع ما يستجيب للأكثرية البرلمانية، وبالذات إذا كانت إسلامية، طالما كان هو مسلماً وحريصاً على إرادة شعبه الإسلامية، فينفذ ما تريده.. وعندها سيردد ويردد من خلفه شعبه: لتكن شعارات حقوق الإنسان والديمقراطية والتعددية السياسية والاقتصادية.. وغيرها من الشعارات البراقة التي رفعتها أمريكا في العقدين الأخيرين للسيطرة على الحكومات.. لتكن كلها في الجحيم.. وليتوقف دعاء تسجيل المواقف من الحكام وزلمهم باتهام أمريكا بسياسة المكيايين وهم ليسوا من المعارضة في شيء بل يسعون لتنفيس المعارضة الشعبية واسترضاء الخارج ليتمكنوا من تنفيذ ما أوكل إليهم من مهمات.. ولتنعم كراسيهم المرفهة العالية بالمزيد من الأرصدة في البنوك السويسرية ثمناً لبيعهم لأنفسهم وأمتهم وبلادهم للشيطان!!

وأما الركن الرابع والأخير من أركان الديمقراطية البرلمانية فإنه وجوب وجود علاقة تعاون بين السلطتين التشريعية والتنفيذية مع الرقابة المتبادلة.

واقع النظم العربية مع النيابية

ولو وقفنا مع واقع نظم الحكم العربية لوجدناها تدرى أن للبرلمان وظائف عدة في هذا النظام الديمقراطي الذي يتسابقون في الحرص على تطبيقه في بلدانهم، ولو

ظاهرياً على الأقل، وأنها تشريعية، في مراقبة أعمال الحكومة، ومالية، في إقرار الميزانية، وسياسية، في الاستجواب والتحقيق مع وزراء الحكومة..

كما يعلمون أن رئيس الدولة، ملكاً كان أو رئيساً، غير مسؤول في هذا النظام ولكنه مسؤول في النظام الرئاسي، وأنه عند عدم المسؤولية تتحمل الوزارة كامل المسؤولية وهو له حق تعيين الوزراء وعزلهم وحق حل البرلمان..

كما يعرفون أنه لا بد من وجود وزارة هي محور هذا النظام وهي من حزب الأغلبية في البرلمان، وإذا كان هناك ما يجب أن يكون من أحزاب مشروعة في نظر هذا النظام، وأن على الوزارة أن تكون وحدة واحدة وفي مسؤولية تضامنية لا فردية، فيكون التجانس بين أعضائها وتتحمل المسؤولية السياسية أمام البرلمان..

كما يعلمون أنه لا بد من التعاون بين السلطتين التشريعية والتنفيذية في المجلس النيابي ومجلس الوزراء وذلك بمشاركة الوزارة في العملية التشريعية باقتراح القوانين ومشروعاتها للبرلمان، ويبقى لرئيس الدولة الحق في التصديق على القوانين أو ردها للمناقشة، وأن من التعاون بين السلطتين السماح بالجمع بين عضوية البرلمان والوزارة..

كما يعلمون أن الرقابة بين السلطتين تحقق التوازن المنشود بينهما: فالتنفيذية الحق في دعوة البرلمان للانعقاد وحضور جلساته وحله كما له الحق في مساءلتها..

فهل نظم الحكم في الأقطار العربية تراعي ما تعلمه من وظائف البرلمان في هذا النظام الذي تلهث وراءه وتعتبره هي والمعارضة الإصلاحية، مع شيء من التعديل، وغير الإسلامية، دون تعديل، المثل الأعلى المطلوب لنظام الحكم عندها!؟

إن المستغربين المؤيدين لكل شيء غربي يعلمون أن النظام البرلماني ليس واحداً في نظر غربهم، فيراه الإنجليز نظام السلطة الواحدة وهي البرلمان، والوزارة مجرد تابع له للتنفيذ نيابة عنه وتحت إشرافه ورقابته، بينما يراه الفرنسيون نظام السلطتين التشريعية والتنفيذية، وإن سيطرت التشريعية مع سير الحياة وجعلته يسمى بالبرلماني..

فأين هو لدى العرب؟

بدأ في مصر ملكياً برلمانياً ثم مزج بين الرئاسي والبرلماني في الجمهورية،

وفي لبنان أخذ بالبرلماني إتباعاً للطريقة الفرنسية،

وفي سورية بدأت جمهورية نيابية برلمانية في دستور ١٩٥٠م ثم أصبحت

رئاسية برلمانية في دستور ١٩٦٩م،

وفي الأردن ما زالت منذ دستور ١٩٥٢م ملكية برلمانية،

وفي العراق بدأت ملكية برلمانية في دستور ١٩٢٥م ثم أصبحت جمهورية رئاسية برلمانية في دستور ١٩٥٨م،

وفي السعودية بدأت ملكية مطلقة مع ولاية عهد مقيدة بالبيعة وملك مقيد بالشرعية ثم أصدرت دستوراً أخذ بالنظام الوزاري الغربي وأبقى الملكية مع إضافة مجلس شورى محل البرلمان لتجمع بين الإسلام وما يسمونه بالحدثة الديمقراطية،

وفي اليمن بدأت ملكية مطلقة في عهد الأئمة ودون أي دستور مكتوب مع تقيد الإمام بالشرعية وبيده السلطان التشريعية والتنفيذية ويقوم بأعماله بمعونة وزراء ومستشارين، ثم أصبحت بدستور ١٩٦٤م جمهورية بمجلسين البرلمان والشورى يتوليان السلطة التشريعية ومجلس وزراء التنفيذية، فهو برلماني يمزج بينه وبين الرئاسي بعد أن تقرر انتخاب الرئيس بصورة مباشرة،

وفي ليبيا بدأت ملكية وراثية اتحادية بدستور ١٩٥١م مع البرلمان، وفصلت بين السلطات مع التعاون بينها، ثم جاءت الجمهورية فالجماهيرية التي تجمع بين البرلماني والرئاسي،

وفي السودان كانت جمهورية نيابية برلمانية ثم أصبحت مؤخرأً رئاسية، وفي الكويت بدأت بدستور ١٩٦٣م إمارة وراثية برلمانية ولكنها تجنح إلى النظام الرئاسي،

وفي المغرب بدأت بدستور ١٩٦٢م ملكية دستورية برلمانية وما زالت كذلك والحكومة فيها مسؤولة أمام الملك والبرلمان معاً، والسلطات الثلاثة مفصولة عن بعضها البعض،

وفي تونس بدأت قبل دستور ١٩٥٧م ملكية ثم أصبحت جمهورية بالنظام النيابي الرئاسي،

وفي الجزائر بدأت بدستور ١٩٦٣م جمهورية رئاسية إذ بيد الرئيس السياسة الخارجية والداخلية ولكن تحت رقابة الجمعية الوطنية التي تملك حق سحب الثقة منه،

وفي بقية الأقطار العربية تلتزم بالنظام الديمقراطي البرلماني مع محاولة التعديل بما يناسب أوضاع كل قطر، كما يقولون.

أزمة الديمقراطية والمعارضة

وبالنظر لأن هذا النظام الديمقراطي قد تعرض لأزمات وانتكاسات فإن المعارضة تدعو الملتصقين به والداعين إليه لكي يحددوا موقفهم منه دون اعتبار لهذا الضجيج العالي حول مثاليته، ولهذا الضغط الدولي من أجل الحرص على التزامه.

فالمعروف أن بلداً واحداً ممن يأخذون بهذا النظام لم يسلم من الأزمة التي اجتاحت العالم بعد الحرب العالمية الأولى واستمرت حتى الثانية (١٩١٨-١٩٣٩م)، وسيطرت أثناءها موجة من عدم الثقة بالنظم الديمقراطية حتى انهارت في بعض البلدان لتحل النظم الديكتاتورية محلها بالثورات أو الانقلابات.

ولكن هزيمة النظم الديكتاتورية في الحرب الثانية أدت إلى إخفاق الحركات المعادية للديمقراطية وأخذت الدول التي نبذت الديمقراطية بأنظمة حديثة تداخلها نزعة ماركسية أطلق عليها الديمقراطية الشعبية، وكان أبرزها دول أوربة الشرقية التي خضعت لنفوذ الاتحاد السوفييتي وطبقت نظام الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج مع العمل بالنظام التعاوني بجانب نظام التأمين في الاقتصاد كما خلطت بين النظم الديمقراطية الغربية والاشتراكية في الحكم.

انهيار السوفييت والديمقراطية

وبانهيار الاتحاد السوفييتي انهارت كل النظم الشعبية ورجعت لديمقراطية الغرب مما انعكس على الأقطار العربية التي كانت في غالبيتها قد تجمدت أمام خطب عبد الناصر ودعوته للاشتراكية المطورة ولم يستجب لها إلا بعث سورية والعراق واشتراكية اليمن الجنوبي، ولكنها عادت بعد ذلك لانهيار الاشتراكي في الرأس لتسير بسرعة نحو ديمقراطية الغرب وسياسة الانفتاح ولا سيما في سورية وبعد انتهاء اليمن الجنوبي واشتراكيته كلياً وجمود الوضع في العراق تحت العبث الأمريكي. وفي نفس الوقت عادت بقية الأقطار العربية للتمسك بقوة بالديمقراطية الغربية البرلمانية أكثر من الرئاسية وإن خلطت بينهما في بعضها، وانطلقت تخفف من حكمها البوليسي وتفتح أبواب السجون لتبييض سجلها الأسود في ما يسمونه بحقوق الإنسان أمام أمريكا - المكيايين وأمام أوربة المغلوبة على أمرها..

فمع من يمكن للمعارضة المستغربة أن تقف وتطالب حكوماتها بالتغيير باتجاه موقفها؟

ومهزلة الاختيار

إنها مهزلة الاختيار بين فتات موائد الغرب الأوربي والأمريكي التي ما زالت تلاحق عقول الحل الوسط الغربي الديمقراطي، كما تلاحق دعاة الخلط بين النظم الغربية ما داموا يعلنون إفلاسهم في التفكير ويرون غيرهم الأحق بالإتباع حتى لو دخل هذا الغير حجر ضب لتبعوه!!

صحيح أنهم رأوها في نوعين أحدهما يناسب الملكية المقيدة، والآخر يناسب البرلمانية المزدوجة، ولكن أين هذا النوع أو ذاك من الأقطار العربية؟ وأين المعارضة بأنواعها إسلامية وغير إسلامية منها؟

لقد رأينا أنها موجودة إذن في الملكيات المقيدة كلها من السعودية وغيرها، وفي الجمهوريات البرلمانية والرئاسية من مصر وغيرها، وأما بقية الأقطار فتقترب من الازدواجية البرلمانية في سورية والعراق، أو تبتعد عنها وتعيش على النظم البرلمانية المنفردة أو الرئاسية من مثل لبنان أو تونس.

المعارضة والديمقراطية

فالمعارضة الإسلامية الجذرية تهاجم الديمقراطية فكرة لأنها تناقض الإسلام عندما تقول بأن السيادة للشعب بدلاً من الشرع، ولا تهتم بلقائهما مع الإسلام في النظام النيابي المشابه للشورى..

وأما الإصلاحية فيرون للإسلام ديمقراطيته الخاصة، وحتى اشتراكيته الخاصة، مما يلتقي معها في بعض التطبيقات، وينسون هجوم الجذرية على هذا القول، وأن المسألة في أصل النظام وعقيدته وفكرة أيديولوجيته وليس في بعض مظاهره من مثل الشورى والانتخاب للمجالس النيابية أو لرئيس الدولة في الحكم، ومثل مفهوم الملكية العامة في الإسلام من قوله عليه وآله السلام (الناس شركاء في ثلاثة: الماء والكأ والنار) مما يشبه الاشتراكية في مظهر ما في الاقتصاد..

وأما العلمانية فلا معارضة لدى دعاة الديمقراطية إلا كما رأينا حيث تتعدم كلها أو بعضها مما يرون ضرورة تلافى ذلك..

وأما دعاة الاشتراكية فقد رأينا كيف تطور فكرهم مع انهيار رأس الاشتراكية، الاتحاد السوفييتي، وأصبحوا يغيرون جلودهم لتتناسب مع الواقع الموجود والمطلوب مع الديمقراطية وسياسة السوق والانفتاح..

ويمكن تلخيص مواقف المعارضة

الإسلامية والعلمانية في أربعة مواقف هي:

الموقف الأول - وهو موقفها من مثل دعوة الرئيس السوداني عمر البشير للعودة إلى البلاد من الخارج وإلقاء السلاح من أجل المشاركة في ما سماه بالبناء والإعمار، وهي دعوة تتوجه للإسلامية من المعارضة التي قد تلتقي بشكل ما مع فهم الجبهة الإسلامية الحاكمة هناك للإسلام، ولكنها لا تجد إلا قبول جعفر النميري الرئيس السابق الذي عاد بعفو خاص، وأمثاله وهم قليل..

وأما المعارضة غير الإسلامية سواء في الجنوب بقيادة جون قرنق وبتحريض الدول الغربية وعلى رأسها بريطانيا وأسقف كانتربري فيها والتي بدأت في التفاوض مع حكومة البشير، أو في الشمال بقيادة الصادق المهدي، فإنها ما زالت ترفض

الاستجابة وإن اختلفت في مطلبها مع السلطة إذ كانت تصر في الجنوب على إلغاء حكم الإسلام من الدستور والدولة، كما تصر على الحكم الذاتي مؤخراً وكأنه الوسيلة الوحيدة للاستقلال التام عن الشمال..

وأما الشمالية التي حملت السلاح ضد السلطة في الخرطوم فإنها ما زالت تتهرب من المفاوضات الجادة مع السلطة وذلك بسبب مؤثرات كثيرة داخلية وخارجية وإن كانت السلطة قد أغرت جزءاً منها للعمل معها بعدد من الكراسي..

وبإيجاز ما زالت المعارضة بنوعها ترفض نظام الحكم المعمول به في السودان وتصر على التخلص منه للنظام الديمقراطي.. وهو النظام الذي ترفضه من جهة أخرى المعارضة الإسلامية الجذرية هناك.

والموقف الثاني - هذا العفو العام الذي عرضه الرئيس الجزائري الجديد عبد العزيز بوتفليقة على المعارضة الإسلامية المسلحة في الجزائر مقابل إلقاء السلاح والمشاركة في البناء والإعمار والسلام الوطني، كما قيل في السودان، ولكن الجماعة الإسلامية ترفضه وتواصل المعارضة المسلحة وإن قبلته جبهة الإنقاذ بإعلان جيشها الهدنة منذ سنتين من طرف واحد وذلك بعد أن لمس التدخلات الخارجية في استمرار الفتنة، والداخلية من جيش وأمن ودفاع ذاتي..

وأما الجماعة الإسلامية فما زالت تصر على رفض حكم البلاد بنظام الديمقراطية وهو غير إسلامي وتواصل القتال، ولا يعلم إلا الله تعالى متى تنتهي هذه المأساة الجزائرية وتعود المعارضة إلى ما سار عليه الرسول عليه وآله السلام في العهد المكي من الصراع الفكري والكفاح السياسي وتتخلى عن استخدام السلاح، وإن كانت مشكلتها مع السلطة التي ترفض إعطاءها المجال الحق في العمل المشروع من الاتصال بالجماهير دون تدخل لتشرح وجهات نظرها، كما ترفض حتى شمولها بالعفو العام مما يدفعها لاستمرار هذا العمل اليائس.

والموقف الثالث - هذه المحاولة الأمريكية للجمع بين المعارضة الإسلامية الممثلة في ما يسمى بالمجلس الإسلامي الأعلى لتحرير العراق من نظام صدام العلماني القهري، وبين المعارضة غير الإسلامية التي منحتم أمريكا بركتها عندما تجمعوا في عاصمتها وأعلنت بأنها قد رصدت للمعارضة أكثر من تسعين مليون دولار من أجل إسقاط نظام صدام، وكان صدام ونظامه كانا بعيدين عن السقوط والإسقاط أمام ما أسمته حكومة بوش الأب التي قادت الحرب ضد ما أسموه باحتلال العراق للكويت باسم حرب الحلفاء، وهو في الحقيقة قتال لتركيب دول الخليج كلها، وأولها الكويت، التي كانت تمنع في سيطرة أمريكا على نفطه ومياهه، مع أن الطريق كان مفتوحاً أمام جيوشهم ليس لاحتلال بغداد فحسب وإنما جميع العراق!! وقد ظهرت حقيقة تلك المهزلة عندما أعلن بوش الأب نفسه عن عدم تدخل أمريكا في شؤون العراق الداخلية.. وكان كل تلك الحرب كانت لا صلة لها إلا بالشؤون الخارجية!

ثم لماذا توقفت أمريكا عن دعم تلك الثورة العارمة التي اجتاحت العراق من المعارضة على أثر انتهاء الحرب وتركت لصدام وجيشه الفرصة للقضاء عليها وسحقها واكتفت بوضع شمال العراق الكردي، وجنوبه الشيعي تحت حماية المظلة الجوية للحلفاء أو على الأصح لها وحدها وإن تابعتها الماكرة بريطانية؟!

وأي شؤون خارجية في استمرار القصف الجوي بعد تلك الهجمة المكثفة في ديسمبر الماضي لكل ما يعتبرونه منشآت عسكرية في طول العراق وعرضه وشماله وجنوبه؟!

وأي امتناع هذا عن التدخل في شؤون العراق الداخلية وتركه للمعارضة الإسلامية وغير الإسلامية، في الداخل والخارج، وقد كشفت مهمة لجنة التفتيش عن الأسلحة المتطورة في العراق على حقيقتها، ومنع العراق عودتها إليه بعد أن أعلن أمين عام الأمم المتحدة بأنها كانت تتجسس على العراق لصالح المخابرات المركزية الأمريكية؟! وكأنه تسريب خبر أرادته أمريكا لتخفيف إثارة الرأي العام العالمي ضدها.. والذي انتهى إلى لامبالاة من أمريكا ضد العالم أجمع وهي تقدم باسم منع العراق من امتلاك أسلحة الدمار الشامل إلى احتلال العراق وتحويله إلى هذا الدمار الشامل الذي يعيشه صباح مساء.

ونعود للقول بأن ما جرى من مسرحية موقف أمريكا هذا من دعوة المعارضة لإسقاط نظام صدام، وتقديمها لهذه المساعدات السخية لها، قد أوقعها في الحرج، وبخاصة الإسلامية منها، مما جعلها ترفض المشاركة في الاستجابة للطلب الأمريكي وتسعى بعيداً عنه وعن المساعدات الأمريكية لإسقاط النظام العلماني في العراق لتتجنب حسابها على قائمة العمالة الأمريكية وتتجنب الوقوع كما يقولون في حبال الخداع الأمريكي الذي كان وراء غزو الكويت أصلاً، كما كان وراء الإبقاء على صدام، ونظام صدام، كما يصرح بعضهم، من أجل استخدامه كبيع لتهديد دول الخليج كلها وعلى رأسها الكويت والسعودية لتبقى جاهزة للاستنزاف المالي بدفع فواتير كل ما يتصل بالجيوش الأمريكية المنتشرة هناك في البر والبحر، وكل ما يتعلق بالأعمال العسكرية التي تقدم عليها كلما لزم لها الأمر، وأخيراً من أجل تجبير أموال نبتها لصالح الحماية الأمريكية المستمرة.

فالمعارضة الإسلامية وغير الإسلامية للسلطة في العراق تبقى غير ملتقية ببعضها البعض في الأعمال والأساليب المؤدية للتخلص من نظام العراق ورئيسه وإن التقت على هذا الهدف.. ولتهدأ بعدها أمريكا في استمرار استخدام هذا البعيع المخيف لدول الخليج بالرغم من أن أمره وأمر استخدامه على هذا الشكل أصبح مكشوفاً لدى كل مراقبي الأحداث وصانعيها في تلك المنطقة. وأما هذا الضجيج الهائل لإزالة صدام باسم التخلص من الأسلحة ذات الدمار الشامل فإنه في جزء منه جانب من حرب (الإرهاب) ضد الإسلام والمسلمين، وفي جزء آخر لإشغال الرأي العام الأمريكي الداخلي، صهيوني وغير صهيوني، وجذبه للانتفاف حول بوش وإدارته لمآرب انتخابية..

والموقف الرابع لخلافات المعارضة السياسية مع الحكام العرب ونظمهم هو رفض الرئيس المصري حسني مبارك لطلب مارتن إنديك، مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة في اجتماعه به في ١٩٩٩/٦/٢٩م بالإسراع في الانفتاح والتسامح مع المعارضة الداخلية الإسلامية وغير الإسلامية في مصر، ومع (إسرائيل)، وتكثيف التعاون الاقتصادي معها. وبرر ذلك بقوله بأن ذلك من الخطورة بمكان على الوضع الداخلي في مصر وذلك لسببين اثنين:

أحدهما استثارة المعارضة الداخلية بنوعها ضد السلطة، وهي التي تترصد أي انفتاح وتعاون مع (إسرائيل) الراضة للسلام، كما يقولون، والمصرة على الاستيطان في الأراضي الفلسطينية والعربية في الجولان والجنوب اللبناني، وأن مثل هذه الاستثارة تتجنبها السلطة لتبقى تمسك بيديها الرأي العام المصري بدءاً من المثقفين وانتهاء بعلماء الإسلام ودعاته.

وثانيهما أن الانفتاح والتعاون الاقتصادي الواسع مع (إسرائيل) لتحقيق الاستراتيجية المتفق عليها بين أمريكا ومصر تحتاج إلى صبر ومعاناة طويلين ما دامت (إسرائيل) تتمتع عن تنفيذ اتفاقية واي ريفر مع الفلسطينيين وتواصل الاستيطان وتصير على الاستمرار في المذابح في فلسطين، وأن ذلك لن يسمح لا بالإسراع في تحقيق السوق الشرق أوسطية التي شرحها شمعون بيريز، رئيس حزب العمل السابق بعد مقتل إسحق رابين، في كتابه، ولا في تحقيق النظام العالمي الجديد وفقاً لما ترسمه السياسة الأمريكية بجزئية معينة للشرق الأوسط فيه.

فالرئيس المصري، ورجال السلطة كلهم في مصر، مدركون تماماً المدى الذي يمكنهم أن يصلوا إليه في تنفيذ الاستراتيجية المتفق عليها مع أمريكا سواء في تسيير هذا الشرق الأوسط كما يسمونه ، سواء وصفوه بالكبير أو بالجديد ، ليكون جزءاً من النظام العالمي الجديد الذي تصنعه أمريكا وفقاً لمصالحها، أو في السير بالعملية السلمية لتحقيق ما ترده سورية بالذات بالسلام الشامل والعدل والدائم.. وأنهم من خلال هذا الإدراك لمدى قدرتهم في السير مع السياسة الأمريكية يحذرونها من الاندفاع في التنفيذ الذي يستخف بجهات المعارضة الإسلامية وغير الإسلامية، كما يستخف بالرأي العام المصري واستجابته للإعلام الجماهيري المصري الذي ينجح أيما نجاح في غسيل دماغه وجعله يقف مع السلطة ضد جميع أنواع المعارضة، بل جعله ينفر من السير مع أي معارضة.. هذا بالرغم من أن انفعال الجماهير المسلحة في مصر مع الانتفاضة في فلسطين وخرجهم للشارع يطالبون بالعمل ضد (إسرائيل) وأمريكا كان مرعباً للسلطة ولأمريكا من خلفها..

وقبل الانتقال إلى الصنف الثالث من المعارضة العلمانية لا بد من الإشارة إلى علاقة الديمقراطية كنظام حكم بالرأسمالية كنظام اقتصادي، وأثر ذلك على المعارضة.

الديمقراطية والرأسمالية

إن الديمقراطية كمبدأ يتميز بعقيدة فصل الدين عن الحياة وعن الدولة، وبنظام حكم الشعب بالشعب ومن الشعب، لا يتحقق له ذلك إلا بالأخذ بفكرة الحريات الأربعة: حرية العقيدة، وحرية الرأي، وحرية التملك، والحرية الشخصية، وإلا لن يكون لفصل الدين عن الحياة والدولة أي معنى، لأن الدين يقيد حرية الرأي بأوامره ونواهيه، ويلغي حرية العقيدة لمن يعتقد به، ويحدد التملك بكيفيات محددة في التملك والإنفاق، ويقيد الشخص في تصرفاته مع نفسه بالأخلاق الفاضلة ومع غيره بالمعاملات السليمة..

أي أن الإسلام يشطب فكرة الحرية كما تراها الديمقراطية ويحصرها بمقابل العبودية فقط، وأنه متى تخلص الإنسان من عبودية البشر فالدين يدعو ليلبي فطرته في التدين بعبودية خالق البشر وربهم ومدبرهم، وبهذه العبودية النوعية للخالق المدبر يتخلص المخلوق من استعباد المخلوق، المساوي له في كل شيء، ويستجيب لفطرته في غريزة التدين فيعبد من يستحق العبادة، ألا هو الخالق المدبر (له الخلق والأمر) الذي وهب الحياة للإنسان ووهبه معها كل أسباب الخير والسعادة في الدنيا ثم في الآخرة بعد انتهاء العمل والحصول على جزاء هذا العمل.

فالعبادة أمر فطري غريزي طبيعي في الإنسان لا يملك أي مبدأ ولا عقيدة ولا نظام أن يجنتها منه، ولكنه يملك أن يحرفها ويبعدها عن موضوعها السليم، بدلالة قوله عليه وآله السلام (كل مولود يولد على الفطرة، وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه). والفطرة هي الإقرار بالعجز والنقص والاحتياج للخالق المدبر، وهي متى كانت موجهة توجيهاً صحيحاً تقرر بذلك ولا تقف عند تحريفها بواسطة الأبوين إلى اليهودية أو النصرانية أو المجوسية أو غيرها من العقائد بل تعود إلى الإسلام الذي يرى أن الله تعالى ليس خالقاً فقط بل خالقاً ومدبراً لكل ما خلق، أي خلق المخلوقات ولم يتركها لتدبير نفسها بل وضع لكل منها التدبير المناسب وعندما أعطى الإنسان العقل جعله وسيلة فهم لما أنزله عليه من تدبير وليس وسيلة اختراع تدبير وتنظيم.

فهذه الديمقراطية هي التي لا نظام لها في الحياة ولا تطبيق إلا بوجود الحريات الأربعة لدى الإنسان ما دامت تجعله هو الحاكم والمشرع وليس الله تعالى، لأنه أي الإنسان في نظر الديمقراطية لا بد لشؤون حياته من تنظيم، وهذا لن يتم دون نظام، وعلى الإنسان أن يضع بناء على حريته، في جميع جوانب حياته، الأنظمة التي يراها مناسبة لها، فيعتقد ما يرى من العقائد، وينظم أموره في هذا المجال بما اعتقده، ويرى ما يرى من الآراء، ويجعلها قواعد ومقاييس في حياته وتصرفاته، ويأخذ في الاقتصاد ما يظنه النظام المناسب للتملك والإنفاق، ويجعل لصلته بنفسه وشخصه ما يراه سليماً من الأخلاق والمعاملات.. فيضع أنظمته لشؤونه من نفسه وليس من الدين الذي أبعده عن حياته ودولته..

ولكن بالنظر لأن حرية الملكية تبرز على الحريات الأخرى في الحياة الرأسمالية، بسبب مراعاة الفروق الفردية، فإن ذلك يجعل ذوي المواهب والإمكانات الكبيرة في عالم المال والاقتصاد هم ذوو الوفرات المالية والمشروعات الاقتصادية الكبيرة، كما هو واقع الحال الآن في البلاد الرأسمالية المتقدمة علمياً ومالياً، فيصبح هذا الجانب الاقتصادي هو البارز على المبدأ وحرياته، فيفرض على مفكره ومطبقه تسميته بالمبدأ الديمقراطي الرأسمالي معاً وليس الديمقراطي فقط.

هذا هو المبدأ الديمقراطي في أصوله، وسبب تسميته بالرأسمالي أيضاً، فما موقف المعارضة بنوعها منه؟

إن المعارضة الإسلامية الجذرية ترفضه كما ترفض كل مبدأ غير الإسلام مهما كان فيه من شبه بالإسلام لأن أي نظام، كما تقول، لا يمكن فصله عن عقيدته التي جاء منها وانبثق عنها،

وأما المعارضة الإسلامية الإصلاحية فهي لا تمنع من أخذه ما دام هناك شبه بينهما في الانتخابات والشورى، وما دام، كما يقولون، يمكن الفصل بينه وبين عقيدته المهمة للدين وربطه بعقيدة الإسلام..

وأما المعارضة العلمانية فاشتراكيته الماركسية ترفضه لأنه يلغي الملكية الجماعية بجميع أنواعها ويقيم الفردية مكانها، كما يلغي قيود الدولة وتدخلها..

وأما اشتراكيته القومية والوطنية، والتي ليس لها من الاشتراكية الماركسية الأهمية إلا الاسم، فإنها تتبناه بشكل يصفونه بالمطور ليناسب كل قوم وكل قطر، لأنها في حقيقتها نتاج تطوير هذا المبدأ الديمقراطي الرأسمالي ليحافظ على نفسه من هجمة الاشتراكية الماركسية عندما كانت في عنفوانها وعندما أخذت تجتاح أوربة، وتسربت بالعدوى الفكرية إلى أقطار العالم العربي، ووجد لها أحزاب تنادي بها، وإن كانوا قد وجدوا أنفسهم في النهاية جزءاً من الماركسية بدلاً من الاشتراكية الغربية المطورة والتي كانت مجرد ترقيع لثوب مهلهل..

ولذلك وجدنا دعائها يسارعون في التخلي عنها مع عيهم الفكري، وبأسرع من تخلي الماركسيين الذين كانت الصدمة بانتهاء الاتحاد السوفييتي واشتراكيته عنيفة جداً عليهم حتى أفقدتهم توازنهم، واحتاجوا لبعض الوقت ليفيقوا منها ويعيدوا النظر في ما كانوا عليه مما كانوا يحاولون تعديله وتطويره من قبل ليبقوا على أنفسهم وفكرهم على قيد الحياة..

الصف الثالث من المعارضة العلمانية، وهو الحركات المبطنة والباطنية،

وتشمل:

١- الماسونية - التي تراها الموسوعات العالمية من أمريكية وسوفييتية وإنجليزية وفرنسية وصهيونية تعني البنائون الأحرار، وأنها جمعية سرية تمارس نشاطها برموز وإشارات، وفي مراكز تجمعات تدعى المحافل، وأن أندرسون الإسكتلندي هو واضع دستورها عام ١٧٢٧م الذي يأمرهم بالإيمان بالله والعمل بسرية وتضامن وخضوع لما يسمونه مهندس الكون الأعظم، وأنهم قد اتخذوا للعضوية فيما بينهم ثلاث درجات هي التلميذ والرفيق والأستاذ، ثم أضافوا لها درجات وصلت إلى ٣٣.

وأما المحتوى الأيديولوجي لماسونيتهم فهو متغير ظاهرياً تبعاً لسرعتها في تغيير لونها حسب الظروف التاريخية والجغرافية، فتكون تقدمية حيناً ورجعية حيناً آخر، ويظهر اليهود مسيطرين على محفلها في بلد ولا وجود لهم في المحفل في بلد آخر..

وأما الماسونيون فقد رأوا جمعية تبحث عن الحقيقة، وتعجب بالجمال وتمارس الفضيلة وتستخدم في البلد الإسلامي البارز في إسلامه النصوص القرآنية والنبوية لإظهارها جزءاً من التوجه الإسلامي.. هذا بينما رأها خصومها أضر وأشرس جمعية أوجدها التواطؤ والجهل بما فيها من مجرمين ومثجرين بالدين ومستخدمين للمحسوبية والمحاباة..

وأنها والصهيونية صنوان، يكمل أحدهما الآخر، كما قال الأب اليسوعي لويس شيخو في كتابه (السر المصون في شريعة الماسون)، وكما أكد ترابطها مع الصهيونية الدكتور أحمد غلوش في كتابه (الجمعية الماسونية - حقائقها وخفاياها) بعد أن حصل على أرقى درجات الماسونية، وصار رئيساً لأكبر محفل ماسوني في الإسكندرية. كما يؤكد الدكتور جان مينو في كتابه (مجموعات الضغط الدولية) بأنها قد أدارت مؤامرات في الخفاء للإيقاع بين الدول، وأنها كانت الشرارة التي أشعلت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م، وأن لها مسئولية عن الحرب العالمية الثانية حينما لعب (المجلس الماسوني الدولي) في براغ في أغسطس عام ١٩٣٦م دور مجلس قيادة الحرب ضد الألمان، ونصبوا فرانكلين روزفلت أستاذاً ماسونياً. كما يؤكد الأستاذ مصطفى اللبان في كتابه (خطر اليهود على مصر) بأن الماسونية في ظاهرها إنسانية تراعي الأديان ولكن في حقيقتها لا دينية تزري بجميع الأديان، وتحض على كراهيتها وتسخر من الأخلاق والآداب.. وأنه منها قد ولدت الماركسية لأن ماركس وأنجلز كانا من ماسونيين الدرجة ٣١ ومن أعضاء المحفل الإنجليزي، وبفضلهما صدر البيان الشيوعي المشهور..

كما يؤكد الدكتور جورج حنا في (حارثيات جورج حنا) وهو يصف نفسه بالماسوني العتيق، إذ قضى معها خمساً وعشرين سنة من عمره، يؤكد أن كل النصوص والمراسيم والإشارات فيها لا توصل لغايتها، لأنها تتلون حسب الوقائع: فمبادنتها تهادن حكماً يفرضون تأليهم على شعوبهم، وهي أصلاً ترفض ذلك، كما

تمنح أوسمتها للأغنياء والاحتكاريين، وهي أصلاً ضدهم بحجة استغلال العمل والعمال، كما تمنح رتبها حتى الـ ٣٣ إلى منغطرسين من الوجهاء والأعيان، وهي أصلاً ضد تصرفاتهم..

كما يؤكد الماسوني السابق نقولا حداد في مجلة المقتطف عام ١٩٨٦م بأن الماسونية بدعة يهودية لأغراض خاصة باليهود، وأما مناداتها لأعضائها بالأخوة والمساواة والحرية فهي خرافة لأن كل أعمالها منذ نشوئها هي الفتن والثورات والحروب لإنشاء دولة صهيون وحماتها حتى تسيطر كما يأملون على العالم كله.

الماسونية والروتاري:

هذا وقد تظهر الماسونية من خلال نوادي الروتاري التي بدأ تأسيسها المحامي بول هاريس من شيكاغو عام ١٩١٠م، محدداً العضوية بممثل واحد لكل وظيفة أو مهنة أو حرفة بقصد ظاهر هو تشجيع المثل الأعلى للخدمة ودعمه. ويحمل الأعضاء رمزاً مذهباً على شكل عجلة صغيرة.

وقد أسس أول نوع لها في مصر عام ١٩٢٩م ولها الآن أكثر من ٢٢ نادياً هناك، وهي تعمل لما تسميه تحسين العلاقات بين الشعوب والتفاهم والسلام بين الدول، وبالطبع هم يقصدون بذلك بين الدول العربية (وإسرائيل) كما يقول (الكتيب الماسوني - حقيقة الروتاري في مصر - ١٩٨٦م).

ويقول الدكتور عثمان سرور، محافظ روتاري سابق، بأن تعاليم روتاري إذ تتجنب الإساءة لمعتقدات أعضاء آخرين تهدف إلى تنظيم حديث لتعاليم الأديان، مما جعل الصحفي صلاح جلال يقول متهمكاً في كتابه (الماسونية في المنطقة ٢٤٥) بأن الأخوة في الإسلام لا تكفي، أما أخوة الروتاري فتتسع لكل الأديان بما فيها الإسلام.

وأما خصوم الروتاري فقد قال الأستاذ أنور الجندي بأن غاية الماسونية هي تطعيم أكبر عدد من الناس بأفكار التلمود وإشاعة الإباحية والرذيلة لهدم الأمم عن طريق أندية الروتاري والليونز ومثيلاتها من الجمعيات الرياضية والفرق الموسيقية والمسارح والتمثيل السينمائي والمسرحي والصور الخليعة وعروض الأزياء والروايات المنحطة والأغاني البذنية..

ويقول الدكتور سعيد محمد أحمد في كتابه (نظرة حول المؤامرة اليهودية) بأن روتاري جمعية يهودية مستترة تستغل التسامح الذي ينادي به النادي للتقريب بين الأديان وإلغاء ما يعارض اليهود..

ويقول الدكتور صابر طعيمة في كتابه (الماسونية ذلك العالم المجهول) بأن من أشهر أعضائها كونراد هيلتون اليهودي صاحب فنادق هيلتون المنتشرة في العالم لترصد المعلومات الاقتصادية وغيرها حيثما وجدت وتنشر الفكر الماسوني بأسلوب غير مباشر بما تقيمه من حفلات متنوعة وندوات ومؤتمرات مختلفة..

ويقول الدكتور عبد الغفار عزيز بأن نوادي روتاري وليونز وغيرها أصبحت البديل العملي لمحافل الماسونية للسيطرة على العقول، وأن العديد من الوزراء والمسؤولين في بعض الدول العربية الذين ينتسبون إليها هم وراء اضطهاد الحركات الإسلامية ومنع تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد..

ويؤكد الأستاذ فتحي يكن بأن الماسونية قد لعبت دوراً بارزاً في هزيمة العرب عام ١٩٤٨م لأن معظم القادة والحكام العرب كانوا أعضاء فيها..

كما يذكر الأستاذ محمد موسى النبهاني بأن نشرة بريطانية عن روتاري عام ١٩٦٨م أوردت بأن روتاري بريطانيا أسس أول فرع له في فلسطين عام ١٩٢٩م ليساعد المهاجرين اليهود على الاستيلاء على الأرض، وأن هذا الفرع ما زال قائماً حتى اليوم.

كما ذكرت صحيفة الأخبار الأردنية في ١١/٤/١٩٧٩م بأن المؤتمر الدولي لروتاري الذي عقد في صقلية قد حضره عدد كبير من روتاري (إسرائيل) والدول العربية وناقشوا ما أسموه (مشكلات السلام وشروطه بين شعوب البحر الأبيض المتوسط).

وكما تظهر الماسونية أو تتخفى بنوادي الروتاري فإنها تتخفى بنوادي الأسود (الليونز) وهي تسير على نفس منوال الروتاري الذي يقدم الإغراءات الكثيرة ويبطن السم في خدمة الصهيونية.

والمهم أن هذه المعارضة العلمانية المبطنة التي تسعى حسب الظروف لتجنب الاحتكاك مع الأديان وأهلها لا تعارض الحكام ونظم الحكم في الظاهر، بل على العكس تأمر أنصارها بمسايرتهم وتحرص على كسب كل حاكم ومتنفذ إلى صفوفها، وأما في الباطن فإنها تعمل ليل نهار كما تقول بروتوكولات حكماء صهيون لتكثير الأعضاء الماسونيين في القطر الواحد مستخدمين كل وسائل العنف والخديعة وعدم التردد لحظة واحدة في نشر الرشوة والخديعة والخيانة (إذا كانت تخدمنا في تحقيق أهدافنا) كما تقول (وأننا نكتسح بمشاعر الحقد والبغضاء كل من يفقون في طريقنا).. فهذه هي طريقهم الحقيقية التي تختفي وراء أعمالهم الإنسانية والخيرية في الظاهر.

٢ - الفوضوية أو العدمية -

وهي تلك المنظمات التي نشأت قبل الروتاري عام ١٩٠٥م تحت شعار الخدمة وتدويب الفوارق بين الأديان والأجناس. وهي تضم أشتاتاً من الناس مرتبطين عالمياً بفكرة التعاطف مع اليهود..

وقد ظهرت في بعض الأقطار العربية ومنها مصر، وسلطت عليها الأضواء الصحفية ثم اختفت أخبارها وكأنه غم عليها لتمر موجة الاستنكار الشعبي التي صاحبت أخبارها ثم لتعود وتواصل ملاحقة التطبيع مع (إسرائيل) بوسائل كثيرة أهمها السياحة.

وها هو المؤتمر الدولي من أجل السلام يعقد في القاهرة بتنظيم منظمات غير حكومية مصرية وأردنية وفلسطينية وإسرائيلية (٥-٧/٧/٩٩م) أيده الاتحاد الأوروبي وأمريكا وروسية وخطب فيه شمعون بيريز وأشار لقلّة دعاة السلام والتطبيع في المنطقة بين اليهود والعرب حالياً مشيراً للمعارضة الإسلامية الواسعة لذلك في مصر والأردن بالذات، ولكنه عبر عن أمله بتحقيق وجود كثرة منهم في القريب.

فأين المعارضة لمثل هذه المنظمة الدولية لنظم الحكم العربية؟

إنها كالروتاري والليونز وغيرها من المنظمات الماسونية.. يبذرون الحقد والكراهية بين الناس ضد الواقع الموجود من خلال ما يشيعونه من أفكار السلام والوئام والتفاهم بين الشعوب ويقصدون العرب واليهود، كما يحرصون على جذب النخبة من الناس لأعمالهم الماجنة ليكونوا لقمة سائغة بين أيدي أعدائهم في المناسبات المرسومة وقد سلبوا الإرادة والوعي الحقيقيين.

٣- الجمعيات الدينية المظهر اللائحية الجوهر،

كشهود يهوه، وجمعية الإخاء المسيحي، والجيش المريمي.. وأمثالها كثير، وهي تتخذ الطابع المسيحي ستاراً تختفي خلفه بينما تسعى لمأرب سياسية ظهرت في مناسبات عامة وخاصة..

فشهود يهوه جمعية ينسبها بعض المطلعين إلى الماسونية لتسترها بالدعوة المسيحية غير الكاثوليكية، ولكنها تظهر بين اليهود غير ما هي عليه بين المسلمين أو بين المسيحيين، وتستغل الفريقيين باسم إزالة الهوة بين الأديان ليقبل الدين اليهودي في المؤتمرات الدولية كالإسلامي والمسيحي فيزال الدين وبالذات الإسلام من طريق التطبيع مع (إسرائيل).. ولذلك كانت معارضتها ضد المسلمين أكثر منه ضد حكاهم..

وأما جمعية الشبان المسيحيين التي تدعو للإخاء المسيحي مع المسلمين واليهود فإنها تهدف للتقريب بين المسيحيين في البلاد الإسلامية، وهم قلّة، مع المسلمين، وهم كثرة، كما تسعى لإزالة العداء بين الأديان الثلاثة في المنطقة على أمل قبولهم بالتساوي في جميع المراكز التوجيهية في المنطقة مما يمكنهم من السيطرة عليها..

ويظهر ذلك جلياً في منظمة الجيش المريمي التي كانت بارزة التحرك في الأردن بصفته قبل حرب ١٩٦٧م بحيث كان كل طبيب وممرض منهم في المستشفيات الخاصة سواء في القدس أو عمان يحمل رتبة عسكرية في ذلك الجيش الذي يعمل للسيطرة على البلد عند الظرف المناسب إن لم تحمهم السلطة من البطش الشعبي قبل ذلك وإلا فإن صلتهم بمجلس الكنائس العالمي (وبإسرائيل) يؤمل أن تحميمهم في النهاية.

ويبقى حسابهم ضمن المعارضة آت بسبب تجمعهم الطائفي السري ضد الواقع القائم والنظام القائم الذي يتهمونه بمسايرة الأغلبية المسلمة.

النوع الثالث - المعارضة المختلطة:

هي المعارضة التي تجمع بين الإسلامية والوطنية والقومية، وتخلط بين النظم الإسلامية وغير الإسلامية سواء للتقرب من المسلمين أو للعجز عن البديل للإسلام. وقد ظهر مثل هذا الخلط مع بدء الصحوّة الإسلامية المعاصرة حتى قال المرحوم الدكتور مصطفى السباعي رئيس جماعة الإخوان المسلمون في سورية مع منتصف القرن الماضي بالاشتراكية الإسلامية، كما ظهر ذلك في الأردن وغيرها بالخلط بين الإسلام والقومية من جهة، بحجة أن الإسلام والعروبة متكاملان لا متناقضان، وبين الإسلام والوطنية من جهة أخرى، بحجة أن الإسلام يرى أن حب الوطن من الإيمان، وبين الإسلام والاشتراكية، من جهة أخيرة، بحجة أن الإسلام كالأشتركية يدعو لشراكة جميع الناس في المرافق العامة كالماء والمراعي والمعادن.

وبغض النظر عن التفاصيل والأسماء فإن هذه المعارضة قد واكبت الإسلامية والعمانية في التصدي للنظم والسلطات الحاكمة في البلدان العربية.. وما فعله سليمان النابلسي وحزبه الوطني في الأردن، ورشدي الكيخيا وحزبه حزب الشعب في سورية، ومصطفى كامل وسعد زغلول والنحاس باشا وحزبهم حزب الوفد من قبل في مصر لأكبر دليل على ذلك.

والسؤال الآن: المعارضة كلها إلى أين؟

صحيح أن جوانب كثيرة من الإجابة على هذا التساؤل قد وردت في مواضعها من هذه الدراسة ولكن لا بد من ذكر مركز لما للمعارضة من إيجابيات وسلبيات فيما يلي:

أما الإيجابيات فهي:

- ١- أحييت فكرة التجمع والعمل الجماعي في الأمة بالرغم من الاضطهاد والاستشهاد في عهدي الاستعمار والاستقلال على حد سواء.
- ٢- فرضت على السلطات الحاكمة تطوير أساليب حكمها لتتقرب من مطالب الرعية ومصالحهم الحقّة ولو من باب التنفيس.
- ٣- دفعت السلطات الحاكمة لرفع الكثير من وسائل اضطهادها كإلغاء الأحكام العسكرية أو التخفيف منها.

وأما السلبيات فهي ما زالت أكثر بكثير من الإيجابيات إذ هي:

- ١- أبعدت الناس عن طريقة التجمع الفكري المبدئي الحزبي الصحيح وأشغلتهم بأهليات الوطنية والقومية والخيرية.

- ٢- فسحت المجال للحركات العلمانية بين الناس مما بذر الفتنة وبرر للسلطة البطش بالجميع بحجة منع التخريب.
- ٣- جعلت الناس تأخذ بالحل الوسط وخذ وطالب بدلاً من الحل الجذري الكامل.
- ٤- ركزت مفهوم السيادة للشعب في الحكم بدلاً من الشرع تحت ذريعة الديمقراطية المنقذة من اضطهاد السلطة.
- ٥- وفرت للسلطة مبررات البطش بكل الحركات وبالذات الإسلامية الجذرية عندما لجأت للأعمال العسكرية.

فهل يرجى للمعارضة النجاح في التغيير مع هذه السلبيات والإيجابيات؟

فإذا كان المقصود بالتغيير أن تصبح البلاد وأهلها جزءاً من العالم الغربي الديمقراطي بعد أن انتهى الاشتراكي الماركسي فإن ذلك من السهل اليسير لو تنازلت هذه الأمة عن إسلامها وفهمها الشامل له، وعن العمل لتطبيقه عليها ديناً منه الدولة، ورضيت به مجرد دين للمساجد والحياة الفردية والأسرية وبعض الجوانب الاجتماعية، وهذا ما يطالب به الغرب وعلى رأسه أمريكا الآن..

هذا بالنسبة للمعارضة الإسلامية كلها، وأما العلمانية والمختلطة فإنها تجد الدعم من السلطات لتسندتها ضد الإسلاميين، وتنفذ لها ما تطالب به من توجه نحو الديمقراطية، ولكن هذه المعارضة تقف عاجزة أمام الإسلامية بعد أن أفلس فكرها ومفكروها وإن لم يجروا على كشف أوراقهم للجماهير بمعارضتهم الشكلية للسلطة وهم في الحقيقة سند لها وإن كانوا يطلبون الثمن..

وما دامت المعارضة الإسلامية الجذرية هي وحدها المعارضة الحقة فهل لنجاحها في التغيير من سبيل؟

إن أصحاب هذا الاتجاه يرون ذلك ممكناً إذا تحقق عاملان اثنان هما:

الأول: الثبات والوضوح في الفكرة الإسلامية بعقيدتها وأحكامها، وفي الطريقة الإسلامية بفهمها والتزامها، مما يرجى معه نصر رب العالمين الموعود به من يتصفون بذلك {إن تتصروا الله ينصركم} و{وكان حقاً علينا نصر المؤمنين} و{ولينصرن الله من ينصر}..

الثاني: التزام الأساليب والوسائل الشرعية في حمل الدعوة للفكرة والسير على الطريقة، وعدم الخروج عن ذلك مهما كان الاضطهاد والإغراء شديدين..

فبالرابط كما يرون بين هذين العاملين يتحقق الربط الوثيق بين الفكرة الإسلامية وطريقتها، ويستجيب بعون الله تعالى أهل النصره والمنعة فيتحقق التغيير الإسلامي الجذري مهما طال الزمن وصعب العمل.

وأما المعارضة العلمانية والمختلطة فإنها شكلية، وهي تسارع في التكيف مع الواقع الجديد الذي باتت ترى فيه الكثير من مطالبها إن لم يكن كلها بعد أن سمح لها بممارسة نشاطاتها الفكرية والسياسية ولم يبق إلا أن تضع السلاح كلياً بعد أن فعلت ذلك جزئياً فتنتهي من حتى هذه المعارضة الظاهرية الشكلية التي عاشتها مع الحكومات العربية مؤخراً.

وأما هل يثبت ويستمر هذا التغيير الإسلامي الجذري عندما يتحقق أم لا ؟

فذلك عائد لسببين:

الأول: صدقه في التطبيق الكامل الشامل لجميع الأحكام الشرعية في الداخل وبالتالي التفاف الجماهير حوله والتضحية في سبيله و من أجل بقائه مهما تعرض من أخطار. الثاني: حسن دراية ووعي رجاله على الأوضاع السياسية الإقليمية والدولية وكيفية التعامل معها دون تفريط ولا إفراط..

ولما كان من المشهور عن أهل التغيير الإسلامي القول بأن تطبيق الشريعة الإسلامية في الحياة كان أكبر عامل لاستقرار الحكم بها في الداخل ونشرها في الخارج فإنه لا بد من ذلك التطبيق وحفظ مصالح جميع فئات المجتمع دون تمييز لا بالجنس ولا باللون ولا باللغة ولا بالدين، وعندها سيضطر الكافرون منهم للمسايرة في الظاهر والباطن كما يضطر المنافقون للمسايرة في الظاهر دون الباطن ويستمر ذلك حتى يرى الطرفان الصورة الحسية العملية الرائعة للشريعة الإسلامية المطبقة فتنتشع عن عقولهم وقلوبهم الغشاوة ويقبلون على الدخول في دين الله أفواجاً..

وما تاريخ الإسلام وتطبيق شريعته في مختلف العصور عن ذلك ببعيد.

والآن، وقبل أن يأتي بنا هذا البحث إلى خلاصته الخاتمة لا بد من الاطمئنان لصحة ما طرح فيه من تساؤلات، بل إجابات واحتمالات وفروض، وذلك بوسيلة من وسائل قياس الرأي المعارض والمعارضة بأنواعها، إنه وسيلة الإستطلاع.

ولكن لتعدد هذه الوسائل، وتدخل الكثير من العوامل تقل إمكانية الكاتب الفرد إن لم تتعد، وهي بطبيعتها قليلة محدودة بسبب ضيق قدرته وقصر وقته، ولو أضفنا تدخل الواقع السياسي، ومنع السلطة من إجراء هذه الوسائل الحساسة لصلتها بشكل مباشر بقدرتها على الضبط والربط، لوجدنا استطلاعاً بالهاتف يبقى محتملاً لقابليته في التخلص من تدخل السلطة، ولكنه يبقى أشد محدودية وضعفاً في إعطاء المزيد من الثقة والاطمئنان لنتائج البحث، مما يجعله

كما يجعل غيره وعلى المستوى الواسع الشامل مجرد أمنية غالية يدعو الكاتب إليها نفسه متى تخطى كل الصعاب، كما يدعو إليها غيره ممن هم داخل الوسط الجماهيري حتى وإن كانت معلوماتهم واحدة مما ورد في البحث ومما يتعلق بمختلف أنواع وأصناف وأشكال المعارضة السياسية لنظم الحكم في البلدان العربية وليست مما لم يسبق أن برهن على صحتها الإنسان وتؤكد من سلامتها.

وبالرغم من ذلك يمكن لاستكمال معلومات البحث طرح الأسئلة التالية متى تيسرت الإمكانيات لها كاستطلاع:

- ١- هل تؤيد في الحكم النظام الديمقراطي الجمهوري أو الملكي أو الخلافة، ولماذا؟
 - ٢- هل تؤيد في الاقتصاد نظام السوق الرأسمالي أو نظام التدخل الاشتراكي أو نظام التوازن بينهما الإسلامي، ولماذا؟
 - ٣- هل تؤيد في الاجتماع أن الزوجة في الأصل أم وربة بيت، وعرض يجب أن يسان، أم هي منطلقة بحريتها الشخصية، ولماذا؟
 - ٤- هل تؤيد في النظام النيابي السيادة للشرع ومجلس الأمة للشورى والمحاسبة، أم السيادة للشعب والمجلس مشرع، ولماذا؟
 - ٥- هل تؤيد في السياسة الداخلية تعدد الأحزاب الإسلامية وغير الإسلامية أم الإسلامية فقط، ولماذا؟
 - ٦- هل تؤيد في السياسة الخارجية الصلح مع اليهود والإبقاء على (إسرائيل) أم ترى تحريم ذلك، ولماذا؟
 - ٧- هل تؤيد في السياسة التعليمية والإعلامية هذا الجفاء للإسلام مع التقرب الخجول منه مع الانطلاق في هدم القيم والأخلاق، ولماذا؟
- فلعل في هذه الأسئلة، سواء الموحية أم لا، بهذا الاستطلاع ما يستثير كل قارئ يصله في عينة واسعة تشمل جميع البلدان العربية ما يؤكد بكل اطمئنان صحة كل كلمة وردت في البحث.

خلاصة البحث

وخلاصة القول أو البحث نجد أن أمة كالأمة الإسلامية نجحت عوامل الكيد والتغشية في تخبطها الفكري في محاولاتها للنهضة والتخلص من التخلف أيما نجاح، ولكنها مع صحتها الإسلامية عادت بوعي تام على الفكرة الإسلامية والطريقة الإسلامية المحققة للنهضة الصحيحة، عادت وتخلصت من ذلك التخبط، وأخذت تسير بكل جدية لتحقيق الهدف من خلال المعارضة الإسلامية الجذرية أولاً وإن شاركتها الإصلاحية أخيراً، ولكنها لم تجد أمامها فقط السلطة الحاكمة تقف في طريقها بكل

وسائل الاضطهاد، رغم أنها حرصت على عدم الانحراف عن الصراع الفكري والكفاح السياسي والوقوع في العمل العسكري كما حصل من غيرها، وإنما وجدت في المعارضة العلمانية بأنواعها وأصنافها وأشكالها عقبة بل عقبات أخرى تجد فيها السلطة خير معين ضد المعارضة الإسلامية الجذرية والإصلاحية معاً، ولكنها ما أسرع ما تهاوت هذه المعارضة العلمانية الاشتراكية عندما هوى رأسها الاتحاد السوفييتي إلى الأرض محدثاً دويماً هائلاً على مستوى العالم كله وليس العرب فقط، وتبعتها كل أنواع الاشتراكية، ولم يبق في الساحة إلا المعارضة الجوفاء من أي فكر غير الديمقراطية المرقعة مما يسمونها بالمناسبة لواقع كل قطر، ألا وهي القومية والوطنية وذيولها، والتي انحسرت حتى كادت تتبخر في الفضاء بعد عبد الناصر وناصريته لولا محاولات شياطين الغرب الصليبي والصهيوني الذين اعتادوا النفخ بنجاح في هذه القرب.. وما زالوا يأملون تحت مطارق الاضطهاد المتواصل للمعارضة الإسلامية الخطرة أن يقضوا عليها قضاء مبرماً بعد أن استطاعوا بالفعل تحجيمها والحد من تأثيرها وسيطرتها على الرأي العام.. ولكنهم ما زالوا يدركون أن مارد الإسلام النائم قد استيقظ، وأنه لا بد من محاولات إعادته للنوم إن لم يكن قتله، وأن في محاولات الاندساس في الحركات الإسلامية، وإبعادها عن طريقها وهدفها، وإيقاعها في فخاخ المكر والخديعة من أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة وأنه فرض على كل حزب وجماعة وفرد دون تمييز، مما يورط رجال الدعوات في الاستجابة لذلك وتناول الأسلحة من أيدي الماكين الحاقدين إما لضرب السوفييت في أفغانستان بحجة أنهم كفار يجب الجهاد ضدهم، وإما لضرب السلطة الحاكمة في مصر والجزائر وغيرها بحجة أنها سلطة كافرة يجب محاربتها.. وتكون النتيجة الاقتتال بين الأخوة في هذه البلاد الإسلامية كلها وعدوهم يقهقه بملء شديقه لنجاحه في استدراجهم وإبعادهم عن الطريق الحزبي الإسلامي السليم من العمل الفكري والسياسي الذي سار عليه الرسول عليه وآله السلام في مكة كرسول وقائد دعوة، إلى العمل العسكري القتالي الذي انتقل إليه الرسول عليه وآله السلام في المدينة كرسول وقائد دولة..

الأمر الذي يفرض على الحركات الإسلامية الجذرية بالذات، والتي باتت الأمل المرجى والوحيد لإنقاذ هذه الأمة الإسلامية مما تتردى فيه من الذل والتمزق والضياع.. يفرض عليها الثبات على وعيها الحق، والدوام على تنقيته من كل شائبة قد تعلق به من ضغوط هذا الإعلام الغربي الماكر، ويفرض عليها الاطمئنان بأن جميع أنواع المعارضة الأخرى لم يعد لها أي قيمة ولا اعتبار..

فلتغذ السير والعيون محيطاً بنظراتها بكل جانب وليس بالأمام فقط، ولتعلم أن محاولات تجديد شباب السلطات الحاكمة لن تمنع من نصر الله تعالى الموعودة به قطعاً {ولينصرن الله من ينصره}.. وكفى به تعالى ناصراً ومعيناً..

وبهذا انتهى الباب الثاني من الكتاب ليليه الباب الثالث بعون الله تعالى وتوفيقه.

مراجع القسم الثاني

<u>المؤلف</u>	<u>الكتاب</u>	
محمد حسنين هيكل	خريف الغضب	. ١
سعد جمعه	الله أو الدمار	. ٢
سالم علي البهنساوي	الغزو الفكري للتاريخ والسيرة بين اليمين واليسار	. ٣
الدكتور موفق بني مرجه	صحة الرجل المريض	. ٤
عبد القديم زلوم	كيف هدمت الخلافة	. ٥
د. علي محمد جريشه ومحمد شريف الزبيق	أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي	. ٦
سعد جمعه	مجتمع الكراهية	. ٧
الدكتور أحمد إبراهيم الشريف	دراسات في الحضارة الإسلامية	. ٨
الدكتور عبد الحسين شعبان	أمريكا والإسلام	. ٩
الدكتور محمد عمارة	العرب والتحدي	. ١٠
الدكتور حسين مؤنس	الحضارة	. ١١
الدكتور محمد جابر الأنصاري	تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي	. ١٢
الإمام تقي الدين النبهاني	نظام الإسلام	. ١٣
الإمام تقي الدين النبهاني	نظام الحكم في الإسلام	. ١٤
الإمام ابن تيمية	السياسة الشرعية	. ١٥
الإمام الماوردي	الأحكام السلطانية	. ١٦
محمد قطب	شبهات حول الإسلام	. ١٧

<u>المؤلف</u>	<u>الكتاب</u>	
الشهيد سيد قطب	العدالة الاجتماعية في الإسلام	. ١٨
الدكتور مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ	التبشير والاستعمار	. ١٩
محمد قطب	هل نحن مسلمون	. ٢٠
الشهيد عبد القادر عودة	الإسلام وأوضاعنا السياسية	. ٢١
الدكتور محمد علي الزغبى	الماسونية في العراق	. ٢٢
أبو إسلام أحمد عبد الله	الطابور الخامس - الماسونية الجديدة في الشرق الإسلامي	. ٢٣
عبد الله التل	جنور البلاء	. ٢٤
الدكتور محمد عمارة	الإسلام وضرورة التغيير	. ٢٥
الشهيد سيد قطب	المستقبل لهذا الدين	. ٢٦
محمد باقر الصدر	منابع القدرة في الدولة الإسلامية	. ٢٧
الدكتور عبد العزيز الخياط	الإسلام صالح لكل زمان ومكان	. ٢٨
الدكتور مصطفى محمود	الطريق إلى جهنم	. ٢٩
الدكتور أمير الحداد	الطلیعة - القومیون العرب	. ٣٠
غوستاف لوبون	روح الجماعات	. ٣١
الإمام تقي الدين النبهاني	مشروع الدستور	. ٣٢
الإمام تقي الدين النبهاني	النظام الاقتصادي في الإسلام	. ٣٣

القسم الثالث صراع الصهيونية مع الإنسانية

يتكشف
في دراسة الكتب التالية :

قضية إسرائيل
صراعنا مع اليهود
اليهود في القرآن
اليهود المعتدون
التاريخ اليهودي

تقديم

يتجلى صراع الصهيونية مع الإنسانية من خلال عرض ومناقشة هذه المجموعة من الكتب الخمسة القيمة ...

ولقد نال كاتب الكتاب الأول (قضية إسرائيل) بحياده ونزاهته أسمى ما يناله القاضي العادل من الطاغوت التجبر ...

وفي الكتاب الثاني أبرز الكاتب مدى عدوانية اليهود ليس على المسلمين الذين يساكنونهم بل على كل من يعيشهم على مدى التاريخ ...

وأما كتاب (صراعنا مع اليهود) فقد انحصر في بيان تاريخهم الحافل بالصراع ضد الإسلام والمسلمين منذ هجرة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم من مكة إلى المدينة وحتى العصر الحاضر ...

وما يجري في فلسطين وفي لبنان إلا أكبر شاهد ودليل، وإذا أحس ولو مجرد الإحساس أي إنسان بأن في هذا القول شيء من التحيز فليقرأ (التاريخ اليهودي ..) لوزير إسرائيلي سابق ليرى العجب العجاب !!

فها هو أحد الأعلام النزيهة يبين مدى الزيف والتزوير والكذب التي يلبسونها لما أسموه بقضية (إسرائيل) المضطهد شعبها على مدار التاريخ ، والمتمثل اضطهاده في تلك المحرقة النازية التي اعتادوا التطويل والتزمير لها ، فماذا كان مصير صاحب ذلك القلم النزيه من الاضطهاد لقوله الحق؟!

وها هو أحد وزرائهم السابقين يكشف عن حقيقة الدين اليهودي الذي أعملوا فيه أقلام التحريف والتزوير لتجد وفقا له حكومتهم المبرر الكبير لذلك التحيز حتى ضد اليهود أنفسهم وذلك تبعا لمصدر هجرتهم أو لون بشرتهم، فكيف بالمسلمين بخاصة والعرب بعامة الذين ما زالوا يعايشونهم؟!

وإذا كان هناك من الكتاب المسلمين من أصر عليه قلمه إلا أن يخترق جدار الصمت المرعب الخائف، سيان، فكتب وأجاد بصدد حقيقة الصراع العقائدي معهم، فكيف والقرآن الكريم قد أفاض في حقيقة معتقداتهم وممارساتهم وعداواتهم ما لم يفضه بحق غيرهم؟!

فيا من ضللتهم أو هامهم، فأبت عليهم كراسيهم إلا الذلة والخنوع، فباعوا كرامتهم وكرامة أمتهم بأبخس الأثمان، عليكم باستنهاض ما بقي لديكم من الأحلام والنهي، واستثارة ما يلزم من الأحاسيس والمشاعر، فلعل في ذلك توبة تغفر لكم ما سبق منكم إذ تنقذون بها أمتكم!!

المؤلف

١ - ترجمة ودراسة كتاب قضية إسرائيل

THE CASE OF ISRAEL

دراسة للصهيونية السياسية

لمؤلفه: روجيه غارودي

قام بالترجمة والدراسة الشيخ الدكتور محمد بن حامد حواري

يتألف الكتاب من ١٦٩ صفحة تشتمل على الموضوعات التالية:

١ - المقدمة: ص ١ - ص ٤ - ٢ - التعريف: ص ٥ - ص ٣٧

وتشمل العناوين:

أ - الصهيونية الدينية والصهيونية السياسية، ب - الصهيونية واليهودية

ج - إسرائيل الإنجيل و «دولة إسرائيل» الصهيونية الحالية.

٣ - الباب الأول - الأسطورة التاريخية: ص ٣٩ - ص ٨٨

ويشمل العناوين:

١ - أسطورة «الحقوق التاريخية»، ٢ - الأسطورة «الإنجيلية»

٤ - الباب الثاني - من علم أسطورة الصهيونية

إلى سياسات إسرائيل: ص ٨٩ - ص ١٥٦

ويشمل العناوين:

١ - السياسة الداخلية: العنصرية، الاستيطان، ٢ - السياسة الخارجية: التوسع

٣ - أساليب السياسة: إرهاب الدولة.

٥ - الخاتمة: ص ١٥٧ - ص ١٦٢

٦ - الفهرست: ص ١٦٥ - ص ١٦٩

الترجمة والدراسة

١- المقدمة:

قدم الباحث بيتر مانسفيلد هذا الكتاب مشيراً إلى أن هذه الطبعة الإنجليزية قد أخذت عن الفرنسية التي تستحق أن توضع بين يدي القارئ لطابع النزاهة والحيادة التي تمتاز بها من بين الكثير من الكتب التي تصدت لهذا الموضوع وهي تفتقر لذلك.

ثم يقول بأن المؤلف جارودي لا يدعي الحياد ولكنه يحرص على الموضوعية فيعرض بحثه وفق اعتقاده بأن إسرائيل قائمة على خدعة كبيرة إذ لا تملك أي شرعية في وجودها لا تاريخياً ولا إنجيلياً ولا قانونياً (قضائياً).. وأنه منذ ولادة فكرة دولة إسرائيل في كتاب تيودور هرتزل في نهاية القرن التاسع عشر لم تكن أكثر من خيانة للصهيونية الدينية واليهودية الروحية، وأنه يرفض مقولات زعماء إسرائيل بأنها قامت بناء على وعد رباني وحق إنجيلي واعتبار سياسي، لأنه يتصدى لهذه المبررات ويبطلها بأسلوبه العقلاني بغض النظر عن أن الكتاب كله سيثير الغضب وإن كان يستحق التقدير الواعي، وخاصة أن فكرة اللاسامية التي تحارب بها إسرائيل المتصددين لمبرراتها تنهافت أمام لقائهما مع النازية وتوسعها الدائم والذي ظهر واضحاً في غزوها للبنان عام ١٩٨٢م.

ثم يقول بأنه بالرغم من منطقية المؤلف ووضوح حججه إلا أن ربط وجود إسرائيل بما ورد في العهد القديم أريد منه أن يأخذ مداه العالمي، فها هو آرثر بلفور (صاحب الوعد المشهور) يقول بأنه سواء كانت الصهيونية صائبة أو خاطئة، جيدة أو سيئة، فإنها متجذرة في تقليد قديم، وأنها في المآرب الحالية وفي الآمال المستقبلية تفوق طموحات أو تحاملات الـ ٧٠٠ ألف عربي المقيمين في فلسطين. كما نجد الرئيس جيمي كارتر يقول للكنيسة الإسرائيلية بأن العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل لا تقبل الهدم لأنها راسخة في الوعي والأخلاق والدين والعقائد لدى الشعب الأمريكي نفسه.

وأخيراً يرى مقدم الكتاب بأن المؤلف قد استطاع أن يكشف معنى للحياة وللتاريخ من خلال إيمانه وشعوره بتقصير عقيدة الكنيسة عن التغلب على التناقضات الكاملة في النظام الحياتي، ثم أنه رأى في الحزب الشيوعي في الثلاثينيات بأنه الخصم الحاسم للرأسمالية والنازية ولكنه انتقل من ذلك ليرى مؤخراً بأن الإسلام يحمل الأمن والخلاص بعقيدته العالمية التي تقر بموسى وعيسى كنبیین، ولا ترى فصلاً بين العلم والحكمة والوحي الإلهي، هذا بالإضافة إلى أن الإسلام يوفر العلاج لمشكلة العلاقة بين الإيمان والعمل السياسي...

وهكذا كان كفاح غارودي ضد الاستعمار السياسي والثقافي الغربي، وضد العنصرية والتطرف القومي سبيلاً مودياً لاستنكار الصهيونية السياسية في جميع أعمالها الماضية والحاضرة.

٢- التعريف:

يبدأ المؤلف تعريفه بالكتاب بعبارته: إننا نعالج موضوعاً «محرماً»: إنه موضوع الصهيونية ودولة إسرائيل لأنك تستطيع في فرنسا أن تهاجم كل العقائد والأفكار والحكومات دون مخاطرة إلا أن تتصدى لنقد مثل هذا الموضوع الذي سيقودك إلى المحاكم والإدانة أمام القضاء ناهيك عن تعرضك للتهديد بالموت، وهذا ما حصل مع المؤلف بعد أن أطلق بيغن شعاره (لا يمكن التمييز بين اللا إسرائيلية واللا صهيونية واللا سامية) الذي نشره قادة المنظمة الصهيونية العالمية وعمموه على العالم، الأمر الذي اقتضى من المؤلف قبل مباشرة فحص الإيديولوجيا الصهيونية السياسية وممارساتها أن يحدد موضوع نقده بالتمييز بين العنصرية الدينية والصهيونية السياسية، بين الصهيونية واليهودية، بين إسرائيل الإنجيلي و(إسرائيل الصهيونية):

أ- الصهيونية الدينية والصهيونية السياسية:

فالصهيونية الدينية كما أوردتها الطقوس اليهودية تتحدث عن عودة المسيح على رأس مملكة الله لصالح البشر جميعاً حيث وجدت رسالتا إبراهيم وموسى، الأمر الذي جعلهم يتبعون تقليداً بالحج إلى فلسطين.. وهذا ما استمدت منه جماعة (أحباء صهيون) فكرتهم في القرن التاسع عشر لإيجاد مركز روحي ينشر الإيمان والثقافة اليهوديتين.. والملاحظ أن الصهيونية الدينية تلك لم تلاق أي معارضة من المسلمين ولكنها أبعد ما يكون عن البرنامج السياسي لإيجاد دولة تسيطر على فلسطين..

فتيودور هيرتزل (١٨٦٠ - ١٩٠٤م) كون فكرة الصهيونية السياسية عام ١٨٨٢م وتكاملت لديه عام ١٨٩٦م في كتابه (الدولة اليهودية) ودعا إليها في المؤتمر الصهيوني العالمي في بال عام ١٨٩٧م فقد رفض تعريف اليهودية كدين وأن اليهود شعب واحد مهما تباعدت مواطنهم، وأنهم تعرضوا للاضطهاد في كل مكان، وأنهم لا يمكنهم الامتزاج مع الأمم الأخرى، الأمر الذي يستدعي رفض التمازج والانخراط كما يفرض إيجاد دولة يهودية لهم وليس مجرد موطن روحي، وأن هذه الدولة يجب أن تكون في مكان «خال» من السكان (وإن كان هذا الافتراض قد قام على الزعم الاستعماري الذي تسلم به الغزو الاستعماري كله). وبعد تفكير في المواطن المناسبة من الأرجنتين فأوغندا فجنوب إفريقيا ففلسطين استقر رأي هرتزل على فلسطين مستغلاً رغبة (أحباء صهيون) الدينية بالرغم من أنه لم يكن يؤمن بذلك.

وقد ظهر هذا الاستغلال بعد موت هيرتزل وصدور تصريح بلفور عام ١٩١٧م الذي وعدت فيه الحكومة الإنجليزية أن تدعم (وطن قومي لليهود) في فلسطين بحيث لا يؤدي السكان الأصليين، ولكن قادة الصهيونية السياسية استغلوا هذا الوعد لإيجاد (الدولة اليهودية) هناك والتي ستسيطر على الفلسطينيين بفرض سياستها على جميع فلسطين. وبذلك يظهر الوجه الاستعماري للصهيونية السياسية.

ب - الصهيونية واليهودية:

فكما تم بناء الصهيونية السياسية على الدينية تم خلط الصهيونية باليهودية واستخدام اللاسامية مطية لمنع أي نقد ضد الصهيونية السياسية وقادتها. وقد ظهرت اللاسامية في كتاب برنارد لازار (اللاسامية: تاريخها وأسبابها) الذي نشر عام ١٨٩٤م مع مولد صهيونية هيرتزل السياسية. وقد رأى أسبابها كامنة في طبيعتها وعنصرها بالإضافة للنواحي الدينية والسياسية والاقتصادية، وهي أسباب ليست عاندة لليهود وحدهم ولا لجيرانهم فقط ولكن بسبب سيطرة عوامل اجتماعية مشدداً على الأسباب الدينية التي خدمت المصالح الاقتصادية لرأسماليين معينين، مشيراً إلى تلك العزلة التي أحيطت بها التوراة وخاصة التلمود. ويقول بأن هذه العزلة قد جرى تعميقها من خلال أوضاع غير عادية جعلت إسرائيل (تتعالى على توراتها وتعتبر نفسها فوق وأفضل من كل الشعوب الأخرى)..

ومع تعاظم موجة القومية في أوروبا في القرن التاسع عشر نظرت اليهودية إلى نفسها كالشعب المختار والمتفوق على غيره من الشعوب كلها، وكان الأبحار قد أصروا على هذه العزلة قبل ذلك بقرون حتى حرموا الإطلاع على غير الإنجيل والتلمود مما جعلهم يفصلون إسرائيل عن كل مجتمع آخر واستمروا يحتكرون الفهم التلمودي للشريعة الموسوية والتوراة، مما يجعلنا نلاحظ المتدينين في إسرائيل هذه الأيام كيف يصرون على «الشعب المختار» والفهم الإنجيلي المفروض على الدول. وأما (بروتوكولات حكماء صهيون) فإنها صناعة مزيفة لأفكارهم التي يسعون لفرضاها على العالم من خلال تمييزهم المزعوم في الأرض، وأنهم يعتمدون في ذلك على الوعد والميثاق، كما يقول سفر التكوين، بأن جميع الأسر البشرية على الأرض تسعى لتحقيق الهدف الرباني الذي من أجله خلقت كما فعل إبراهيم في تضحيته بولده، وأن هذا هو السبيل لجعل جميع الحكمة البشرية متناسبة مع جميع الأخلاق البشرية ويجعل الإيمان يبدأ حيث ينتهي الفكر..

وهكذا يظهر مدى تأثر الصهيونية السياسية بالاتجاهين القومي والاستعماري اللذين سيطرا على الفكر الأوروبي مما جعلها تستخدم قراءات مختارة للإنجيل بحجة أنها الغاية الإلهية التي تساعد على تحقيق أهدافها السياسية.

ج - إسرائيل الإنجيل و(دولة إسرائيل) المعاصرة:

فحسب تقرير البنك الدولي ٥٠% من ميزانية إسرائيل للمجهود الحربي واستهداف تمزيق الدول العربية المجاورة، وأما الإنجيل فهو يبرر لهم التوسع المستمر كما يبرر أساليب القتل والإرهاب التي يمارسونها، فكان ابن غوريون يردد منذ عام ١٩٣٧ بأن إسرائيل يجب أن تشمل خمس مناطق هي جنوب لبنان حتى الليطاني، وجنوب سورية، وشرق الأردن، وفلسطين، وسينا بحيث تصل حدودها في الشمال إلى حماة في

سورية وإن فسر علماؤهم حماة بحلب وأوصلوا الحد غرباً إلى قبرص. فالإنجيل يقدم مفهوماً مطاطاً لتبرير توسيع حدود إسرائيل وإضفاء الشرعية لذلك، وها هي الأحزاب الدينية تقوم بذلك لتبرير مغامرات إسرائيل العسكرية، وما فعلته مع تبرير مذابحهم وتوسعهم في لبنان خير دليل على ذلك، وأما مذابح دير ياسين وقبية وكفر قاسم في فلسطين فهي أدلة دامغة سابقة وكان الإنجيل الذي برر مذابح الكنعانيين يعود ويكرر نفس التبرير ضد سكان نفس البلاد فلسطين..

إنهم يرددون أن الإنجيل في عهده القديم يؤكد ويبرر حقهم في أخذ بلاد غيرهم والتوسع فيها وإفناء أهلها ليحلوا محلهم.. وما فعله الحبر ايليزر والدمان في مقال نشره في جريدة (نيكودا) تحت عنوان (القوة لإنهاء العمل) يدعم فيه سياسة شارون وبيغن التوسعية مستخدماً نصوص الإنجيل كدليل لاحتلال لبنان ولبناء شرق أوسط جديد وعالم جديد من بعد ذلك.. وأما الحاخام بوبر فقد بقي صهيونياً حتى وفاته في إسرائيل مع استنكار إضفاء الصفة السياسية والقومية على الصهيونية الدينية.. ومما قاله بأن (الأزمة الوطنية) للصهيونية السياسية التي تطالبنا أن ننفذ بها الوطنية اليهودية من خطيئة جعل الشعب كصنم فإننا لم ننجح في ذلك.. هذا الحاخام كان رأيه أن يعيش اليهود والعرب معاً في دولة واحدة، وأنه لا يجوز أن تكون إسرائيل منبوذة من العالم العربي بل إن فكرة إتحاد الشرق الأدنى هي البديل بحيث تشارك إسرائيل في هذا الاتحاد مع دوله الأخرى، ولذلك فإنه كان يرفض فكرة تقسيم فلسطين، وقد صدم بها عندما حصلت وبقي بعد أن عاش الحربين الأوليين بين إسرائيل والعرب يرى أنه من غير الممكن قيام السلام بين اليهود والعرب إلا بعد أن يتحقق بينهما تعاون حقيقي.

ويستطرد المؤلف قائلاً بأنه لا منحيم بيغن ولا شارون ولا اسحق شامير بالقادرين بأنفسهم على تسويق فكرة اللا سامية من خلال شرورهم ووحشيتهم لأن أحداً لن يستطيع نسيانهم كمجرمي حرب فاقت وحشيتهم في لبنان كل تصور، وأنهم بلا ريب قد أثاروا اضطرابات خطيرة دعمها الأخبار المتعصبون بدعوتهم «للحرب المقدسة» التي يجدونها عندهم في الإنجيل مع الاستخدام الكاذب لفكرة الشعب المختار والأرض الموعودة من أجل تبرير الانتهاكات الدموية التي يرتكبونها باسم الحق المقدس المزعوم.

ويقول: إننا نكافح ضد الصهيونية السياسية لأننا ضد العنصرية، ولأن معاداة الصهيونية لا تستثير اللا سامية وإنما الصهيونية نفسها هي التي تفعل ذلك، ثم لأن الصهيونية تستغل الدين لصبغ سياستها بالقدسية، فمثل هذه الاضطرابات والتشويشات بين الصهيونية الدينية والسياسية، بين اليهودية والصهيونية، بين إسرائيل الإنجيل وإسرائيل الصهيونية تفرض تفحص تعاليمها التي بنيت عليها تاريخياً مع الوقوف على سياسة إسرائيل الداخلية التي تبنى على العنصرية، وسياستها الخارجية القائمة على العدوان والتوسع بهدف إيجاد «المجال الحيوي» لتستوعب الهجرة اليهودية، كما تفرض دراسة طريقتها السياسية المتميزة بإرهاب الدولة.

الباب الأول - الأسطورة التاريخية:

١- أسطورة «الحقوق التاريخية»:

فقد أعلنت مذكرة المنظمة الصهيونية التي قدمت لمؤتمر السلام عام ١٩١٩ م

بأن:

«هذه الأرض هي الوطن التاريخي لليهود» وأورد إعلان دولة (إسرائيل) في ١٤/٥/١٩٤٨ بأنها قامت «بفضل حق الشعب اليهودي الطبيعي التاريخي» في فلسطين، فهذه «الحقوق التاريخية» مرتبطة بـ «الأرض الموعودة» لإضفاء «الحق الإلهي» في ملكيتهم وسيطرتهم على فلسطين.

أما بشأن هذا «الحق التاريخي» فلا نجد غير العهد القديم الخالي من أية إشارة واضحة إلى البطارقة العبريين أو الفترة المصرية أو غزو أرض كنعان.. ويمكن تمييز الوثائق التالية:

١- العصر البرونزي الأول، والذي يمتد إلى الألف الثالث قبل الميلاد، والذي اكتشفت فيه اللغة الكنعانية التي يطلق عليها العبرية.

٢- الفترة ٢٢٠٠ - ١٩٠٠ قبل الميلاد التي تتميز بتفجر البدو السكاني.

٣- حياة المدينة ١٩٠٠ - ١٥٥٠ ق.م التي تمثل العهد البرونزي الوسيط.

٤- فترة ما بين منتصف القرن ١٦ ق.م حين سيطر الفراعنة وأحالت الأسرة الفرعونية الثامنة عشرة فلسطين إلى تخوم مصرية.

ففي منطقة الهلال الخصيب التي تمتد من النيل إلى الفرات مر العديد من الجماعات البشرية وامتزجت فيما بين بعضها البعض.

فعندما أخذ البدو في الاستقرار الحضري على أرض كنعان في الألف الثاني ق.م وجدوا سكانها الأصليين الكنعانيين قد تأصلوا فيها منذ أمد بعيد واتخذوا طابعاً حضرياً خاصاً لهم إذ ظهر استخدام معدن الحديد والكتابة الهجائية في حياتهم. ولم يشكل (العبريون) - كما يرى الإنجيل - أي مجموعة عرقية متميزة قبل مجيئهم كبدو لأرض كنعان إذ كانوا مجرد اتحاد لجماعات عرقية مختلفة مشكلاً عنصراً من عناصر الهجرات البدوية الكبيرة، إذ استقر بعضهم في أرض كنعان وواصل الآخرون مسيرتهم إلى مصر، فكان من الأول العبريون الذين اتخذوا اللغة الكنعانية لغة لهم كما اتخذوا كتابتهم وديانتهم كذلك، واستمر ذلك إلى عام ١٤٠٠ ق.م وربما حتى الغزو الهكسوسي حين وجدوا المراعي الجديدة في مصر.

وبعد طرد الهكسوس من مصر اعتبر العبريون معادين للفراعنة (أخذت كلمة عبري HEBREW من APIRU) وتعرضوا للطرد وإن كان التاريخ المصري يتجاهل

تماماً ذكر هذا الرحيل الجماعي، ومن النادر أن نجد مصادر تاريخية تتحدث عن هذه الفترة بجانب العهد القديم. وعلى كل حال يمكن إيراد الملاحظتين التاليتين من خلال ما خلفه الإسرائيليون من آثار تاريخية:

الأولى - لا يمكن نسبة (حق تاريخي) لإسرائيل في الوجود كأول غزاة وفتاحين لأنهم وجدوا شعوباً قد عمرت الأرض الكنعانية قبلهم من مثل الآراميين والحثيين والأمونيين والموآبيين والأدوميين بالإضافة إلى الفلسطينيين. ثم جاء العرب في القرن السابع الميلادي حين تحول معظم السكان معهم إلى الإسلام من خلال الثقافة والاختلاط الاجتماعي مع الكنعانيين سكان أصليين وذلك بعد مضي ما لا يقل عن خمسة آلاف سنة عليهم في فلسطين، فبعد أن جاء الفرس والإغريق والرومان والعرب والترک على أثر البابليين والحثيين والمصريين جاء هؤلاء اليهود، ولهذا نقول أن الفلسطينيين هم وحدهم الذين يعتبرون أول الفاتحين والمقيمين لهذه البلاد منذ فجر التاريخ وليسوا العبريين، مما ينفي الإصالة السكانية عنهم.

والملاحظة الثانية - ان العبريين القادمين من مصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ليقيموا في فلسطين إما بالتسلل أو الغزو لم يكونوا أكثر من مجموعة غزاة من بين تلك المجموعات الكثيرة، فلا يمكن الحديث عنهم في أرض كنعان إلا بعد القرن الـ ١٣ قبل الميلاد لورودهم في الإنجيل ولأن مملكة سليمان وجدت في القرن العاشر قبل الميلاد كما تشير نصوص إنجيلية، مما يؤكد أن العبريين قد عاشوا تحت سيطرة الفرس والإغريق والرومان بالتتالي مع أرض كنعان،

وأنهم لذلك قد انتشروا على طول ساحل البحر المتوسط مما انتفى معه وجود مجتمع إسرائيلي في فلسطين منذ تلك العهود، والدليل على ذلك أن الحاج اليهودي بنجامين من توليدو الذي زار القدس عام ١١٧٠م قد وجد فقط ١٤٤٠ يهودياً في جميع فلسطين، وأن ناحمانيد لم يجد أسرتين يهوديتين في القدس عام ١٢٦٧م، وأن الصليبيين قد حرقوا اليهود مع معبدهم عندما احتلوا القدس عام ١٠٩٩م بينما صلاح الدين قد سمح لهم بالعودة إليها عام ١١٨٧م.

ثم إن المعهود عن مجيئهم لفلسطين لم يكن إلا نتيجة موجات الاضطهاد وليس بسبب الحنين إلى الوطن الأم إذ كانت أول موجات عودتهم في القرن الخامس عشر من إسبانية لأنهم لم يكونوا يشعرون طيلة حكم المسلمين لثمانية قرون بالحاجة لترک الأندلس ولكنهم بسبب اضطهاد الكاثوليك الذين جاؤوا بعد المسلمين أخذوا بالهرب إلى فلسطين حتى وصل عددهم إلى ١٢ ألف نسمة من مجموع ٣٥٠ ألف نسمة ثم وصلوا إلى ٥٢ ألف نسمة من مجموع ٥٠٠ ألف عام ١٨٨٠م، وعام ١٨٨٢م جاءت الموجة الجديدة لهجرتهم من روسية بعد هجرتهم من بولندة ورومانية، وهنا مع ظهور كتاب تيودور هرتزل (الدولة اليهودية) عام ١٨٩٦م لا بد من فكرة موجزة عن هذا «الحق التاريخي» المزعوم:

فبعيداً عن أن يكون العبريون أول المحتلين لفلسطين والهلال الخصيب فليس لهم أي أساس لمطلبهم بمكان خاص في هذا التاريخ الطويل، وأن الصهيونية السياسية قد تورطت في تحريف الحقائق عندما روجت ذلك بدعايتها للعالم الخارجي، كما أوردت في الكتب المدرسية مبررات لهذا الزعم التاريخي قائمة على (١) احتلالهم لأرض كنعان من قبل قبائلهم في عهد يوشع التي يحدد لها نصوص الإنجيل المدون في القرن العاشر بأنها قد حصلت في القرن ١٣ ق.م، وعلى (٢) فترة الـ ٧٣ سنة التي دام فيها حكم داود وسليمان لتلك البلاد، وعلى (٣) النفي البابلي والعودة منه، وعلى (٤) أخيراً ثورتي ٦٦ - ٧٠م و ١٣٢ - ١٣٥م ضد الحكم الروماني. فالملاحظ أن تاريخ فلسطين قد شطب في الفترة الطويلة الأخرى طيلة ألفي سنة من الألف الثالث ق.م إلى مجيء العبريين وكأنه لم يقع شيء في تلك البلاد ثم إلى ألفي سنة أخرى تالية منذ ثورة باركوخا عام ١٣٥ ق.م إلى ظهور اسرائيل عام ١٩٤٨ م مما مكن خلال هذه الآلاف الخمسة من السنين من أن تبتدع أسطورة الرحيل للقبائل اليهودية مع غيرهم من القبائل، وظهور مملكة داود مع ممالك أخرى، ووقوع ثورات المكابيين أو باركوخا مع غيرها من الثورات، لأنهم حاولوا جعل هذه الوقائع وكأنها التاريخ كله أو أن التاريخ قد توقف عندها من دون غيرها.

وإن ما يدرس في مدارس (دولة اسرائيل) هو تاريخ مزيف إذ يتجاهل الشرق القديم ليدعم دعايات الصهيونية السياسية ويغسل أدمغة العالم المسيحي لتقبل أقوالهم ضد الشعب الفلسطيني لأن هذا يدعم الصهيونية السياسية كأسس لمطالبها بالأرض والضم والعدوان، ولا سيما عندما يضيفون أسطورتين أخريين تاريخيتين هما: (١) فقد حول العبريون فلسطين إلى صحراء جغرافية لسكنهم فيها بعد أن كانت صحراء تاريخية على اساس مقولة (اعط بلداً بدون سكان لسكان بدون بلد)، (٢) وبعد تدمير استمرار اليهود التاريخي في فلسطين كما يفعل اللاساميون فإن الصهيونية أوجدت وجوداً عنصرياً وجنسياً مستمراً للشعب اليهودي برفض الذويان مع الآخرين ليبرروا «عودتهم» إلى أرض «الآباء» وكأن اليهود الحاليين هم أحفاد وورثة اليهود القدامى ومحققين لرغبتهم الدائمة في مجتمع «يهودي» في الأرض.

(١) اما أسطورة «الصحراء» فقد تجاهل هيرتزل في كتابه (الدولة اليهودية) وجود شعب في فلسطين كما تجاهلت ذلك الحركة الصهيونية العالمية كأحد مرتكزات مزاعمهم الاساسية لكل جرائمهم،- وهذا ما صرحت به غولدا مانير عام ١٩٦٩ لصحيفة (السندي تايمز).. وكان هذا الشعب (الغائب الحاضر) إما طرد من أرضه أو ذبح كما حصل للهنود الحمر في أمريكا.. وما ردُّ وايزمن كأحد قادة المنظمة الصهيونية العالمية على أينشتاين عندما سأله: فما شأن العرب إذا أعطيت فلسطين لليهود؟ فرد عليه قائلاً: وأي عرب؟ إنهم بالكاد لهم أي أهمية. وكرر مثل هذا القول وزير المعارف الاسرائيلي بن زيون دينور عام ١٩٥٤ في مقدمة كتاب (تاريخ الهاغانا): ليس هناك مكان في بلدنا (فلسطين) لغير اليهود، وسنقول للعرب: «اخرجوا، وإذا رفضوا أو قاوموا سنطردهم بالقوة. كما قال جوزيف فاتييز المدير السابق لادارة المستوطنات في الوكالة اليهودية عام ١٩٤٠م: يجب

أن يكون واضحاً أنه لا مجال لشعبين معا على هذه الأرض.. والحل الوحيد هو اسرائيل أريتز، اسرائيل الغرب بدون عرب بحيث لا مجال إذن إلا بنقل العرب إلى الأقطار المجاورة.

ولكن الحقيقة كانت تماماً غير ذلك، إذ أنه بعد تصريح بلفور عام ١٩١٧م الذي جاء بعد عشرين سنة من ظهور الصهيونية السياسية ورعايتها «بالعودة» بعد هرب اليهود من روسية وبولندا ورومانية فقد كان عدد سكان فلسطين حسب الإحصاء الانجليزي في ١٩٢٢/١٢/٣١م قد وصل (٧٥٧) ألف نسمة منهم (٦٣٣ ألف) من العرب منهم (٥٩٠) ألف مسلم و (٧٣) ألف مسيحي وبالتالي (٨٣) ألف يهودي فقط أي بنسبة ١١ % فقط وكانت هذه البلد «الصحراء» تصدر الحبوب والحمضيات، حتى قال آشر جنسبيرج أحد زعماء الصهيونية عام ١٨٩١م بأنك لا تجد أي قطعة أرض في فلسطين تصلح للزراعة دون أن تكون مزروعة باستثناء المناطق الرملية والتلال الصخرية.. والمعروف أن (البدو) كانوا يصدرون ٣٠ ألف طن من الحنطة في العام الواحد وأن البساتين قد تضاعفت ثلاثة أضعاف ما بين عامي ١٩٢١ و ١٩٤٢ في المناطق العربية وأن بساتين البرتقال مثلاً قد تضاعفت سبعة أضعاف ما بين ١٩٢٢ و ١٩٤٧م وأن إنتاج الخضار أصبح عام ١٩٣٨ عشرة أضعاف ما كان عليه عام ١٩٢٢م.

(٢) وأما أسطورة «العنصر» التي يعتمد عليها تاريخياً كجنس مستمر الوجود مستمر الشوق للعودة فإنها تسعى لصياغة عقيدة بأن اليهود الحاليين هم أحفاد نفس العنصر وأبناء إبراهيم أصحاب الأرض الموعودة والذين جاؤوا من مصر مع موسى في القرن الثالث عشر ق.م والذين فتحوا الأرض الموعودة بقيادة يشوع وأزالوا السكان الأصليين وبنوا مكانهم إمبراطورية داود والذين تعرضوا للهزائم والنفي...

ولدحض هذه الأسطورة يكفي أن نتذكر أن مفهوم (العنصر) هو اختراع القرن التاسع عشر في أوروبا لتبرير الاستعمار الأوروبي للشعوب المستضعفة، وهو الذي طوره كونت عام ١٨٥٣م وهو يختلف عن مفهوم العهد القديم ذي الطابع القبلي ولا علاقة له بالمفهوم المجتمعي الحديث الذي يشير للعرق الأبيض والعرق الأسود والتمييز بينهما على أساس اللون واعتبار الأبيض العنصر الراقى والأسود العنصر البدائي. كما بررت فكرة التمييز العنصري هذه استعمال العنف وممارسة السيطرة على الآخرين بحجة تخلفهم والسعي لتطويرهم وترقيتهم، وما مفهوم النازية والفاشية عن ذلك ببعيد.

وعند التعريف «باليهودي» في تشريع (اسرائيل كدولة) فإنهم يرونه من ولد من أم يهودية كمقياس عنصري، أو من تحول إلى الدين اليهودي كمقياس لاهوتي.. هذه النظرية لا أساس علمي لها.. وأما أسطورة عهد التكوين فهي أيضاً لتبرير السيطرة على الآخرين، فأولاد نوح الثلاثة سام كآب للآسيويين، وحام كآب للآفريقيين، ويافت كآب للآوروبيين قد جعلوا سام كجد لرجال الدين، وحام كجد للعبيد، ويافت كجد للسادة.. هذا الزعم هو الذي أوجد الاعتقاد بأن الكيان «اليهودي» لا يدوب في الأمم الأخرى سواء كان

ذلك كنتيجة «للاختيار» الذي يقولون به أو «العزلة» عنها.. وفي الحقيقة لا يوجد شيء اسمه «العنصر اليهودي» في التاريخ اللهم إلا في هذيان هتلر أو الصهيونية.. فالبدو أو الفلاحون الذين عمروا أصلاً أرض كنعان كانوا أراميين قدموا من شمال الفرات ومن شرق الأردن أو الجزيرة العربية بدلالة الجذور الواحدة للغاتهم كساميين، وأما العبريون (HABIRU أو APIRU) الذين جاؤوا من مصر في الرحيل فقد كانوا صنفاً اجتماعياً لا عرقياً، ثم اختلطوا مع سكان البلاد الأصليين الكنعانيين ثقافياً ودموياً مما جعل مملكة داود وسليمان قومية مختلطة العروق والأديان حتى أن أكثرية الروس والبولنديين والغالين من اليهود هم أحفاد أولئك الخزر والتتار الذين جاؤوا من جنوب روسية بعد أن تحولوا كمجموعة إلى الديانة اليهودية في عهد شارلمان..

فاليهود كانوا مجرد أحد القبائل العربية أو السامية التي استقرت في غرب آسيا، كما قال جوزيف ريتاخ الذي انتهى إلى القول بأنه طالما لا يوجد عنصر يهودي ولا أمة يهودية وإنما مجرد دين، فإن الصهيونية هي مجرد خطيئة تاريخية وأثرية وعرقية، وهذا ما أكده ماكسيم رودتسون، مما يجعل اختراع الأوروبين الشرقيين للصهيونية لا صلة بيولوجية لها بفلسطين.

ولحسم هذا «الزعم للحقوق التاريخية» يمكن التوقف مع (١) تصريح بلفور الذي ورد في كتابه إلى البارون روتشيلد بتاريخ ١١/٢/١٩١٧م والذي أدرك بلفور نفسه خطره حتى كتب إلى لويد جورج في ١٩/٢/١٩١٩م بأنهم يرفضون مبدأ الحكم الذاتي وأنه لو استشير السكان الأصليون لرفضوا ذلك مما جعل اللجنة المرسلّة لاستقصاء الوضع عام ١٩١٩ لمعرفة الخيارات والرغبات المتاحة تقرر رفض البرنامج الصهيوني، وحتى أن آرثر كوستلر علق على تصريح بلفور قائلاً: «أمة واحدة عادت بهدوء إلى أمة ثانية على أرض أمة ثالثة».. فكان هذا التصريح مجرد ستارة يُخفي وراءها الصهيونيون خلق الدولة الصهيونية. وكتب اللورد كرزون في ٢٦/٢/١٩١٩ بأنه بينما يقول وايزمن شيئاً ما يمكن أن يعنيه بالوطن القومي فإنه يختلف تماماً عما يفكر به من دولة يهودية وأمة يهودية على أرض أصيلة للعرب يحكمها اليهود وإنه يحاول أن يحقق ذلك خلف الستار الإنجليزي.. ونجد أن غولدا ماير تعلن في ٢٥/٦/١٩٦٩ في الكنيست: «إننا نريد دولة يهودية تبرز الأكثرية اليهودية التي لا يمكن أن تتغير بليلة واحدة.. وإنني أعتقد بأن هذا كان دافعاً للصهيونية الواضحة»..

وأما قرار تقسيم فلسطين الذي صدر عن الأمم المتحدة في ٢٩/١١/١٩٤٧ فقد كانت نسبة السكان اليهود في فلسطين في ذلك الوقت ٣٢% من مجموع السكان ويملكون ٥.٦% من الأرض بينما كان قد خصص للدولة الصهيونية ٥٦% من الأرض التي يغلب عليها الخصب، هذا مع العلم أن أمريكا قد مارست ضغوطها الفظيعة المباشرة وغير المباشرة على ثلاثة أقطار هي هايتي وليبيرية والفيليبين ليعودوا عن رفضهم في التصويت الأول إلى الموافقة..

وأما الوقفة مع الأمر الثالث فإنه ما بين قرار التقسيم في ٢٩/١١/٤٧ وبين موعد انتهاء الانتداب البريطاني في ١٥/٥/١٩٤٨ استولى الجيش الصهيوني على أرض مخصصة للعرب كيافا وعكا، فمن يلوم الفلسطينيين والأقطار المجاورة مع هذه الظروف لرفضهم هذا الظلم الشنيع للأمر الواقع والاعتراف بهذه «الدولة الصهيونية»؟! ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد إذ أنهم يسعون لفرض مستوطنات على أنقاض سكانها الأصليين، مما جعلهم يمارسون إرهاب الدولة ضد السكان الفلسطينيين كما يظهر واضحاً من فعلتهم في مذبحه دير ياسين عندما قتلوا ٢٥٤ من سكان تلك القرية في ٩/٤/١٩٤٨ من رجال وأطفال ونساء قام بها جنود الأرغن منظمة مناحيم بيغن الذي تبجح بذلك بحجة أنه بدون ذلك ما كان لتقوم دولتهم، ومما جعلهم يسيطرون على ٨٠% من فلسطين ويطردون ٧٧٠ ألف من سكانها، ومما جعل الأمم المتحدة تعين كونت برنادوت وسيطاً لها بين العرب واليهود وهو الذي أورد في تقريره بأنه من السوء بمكان ضد قواعد العدالة الأساسية أن يحرم سكان البلاد الأصليين من حقهم في العودة إلى ديارهم بينما يتدفق المهاجرون اليهود لبلادهم ليشكلوا تهديداً ضدهم ليحلوا محلهم بصورة دائمة.. وقدم هذا التقرير في ١٦/٩/١٩٤٨، وعلى قتل برنادوت ومساعدته الفرنسي الكولونيل سيروت في ١٧/٩/١٩٤٨ في القدس المحتلة فاعتقلت الحكومة الاسرائيلية تحت استنكار عالمي واسع رئيس عصابة شتيرت (ناتان فريدمان يلين) وحكمت عليه بالسجن مدة خمس سنوات ثم عفت عنه وأطلقت سراحه لينتخب عضواً في الكنيست عام ١٩٥٠.

وبعدها سيطر الغرب أكثر فأكثر على المنظمة الدولية في نيويورك لتتحاز بجانب اسرائيل حتى أن عصابة أرغون برئاسة بيغن أعلنت في ذلك الوقت رفض قرار التقسيم واعتباره غير شرعي ومرفوض.. وأن القدس ستبقى عاصمتهم إلى الأبد وأنهم كما قال بن غوريون لن يتنازلوا عن أي جزء من البلاد للعرب بعد أن احتلوا حوالي ٨٠% منها، فكان إيجاد اسرائيل ليس بقرار دولي وإنما يفرض الأمر الواقع بالعنف الذي مارسه عصابات الهاغاناة والأورغون وشتيرن.. وهكذا تنتهي قصة (الحقوق التاريخية) بسجل حافل من الأكاذيب وسفك الدماء..

ولو جارينا الصهيونية وعملها لساد العالم فوضى عارمة إذ ستعود كل أمة كان لها وجود في بقعة من الأرض كالهنود في أوروبا أو غيرهم تطالب بحقها التاريخي حيثما وجدت، حتى قال (بليس باسكال) بوضوح: لو فشلنا في تأكيد بأن ما كان عدلاً وحقاً كان قوياً فإننا سنصل إلى أن ما كان قوياً كان عدلاً وحقاً. وقال البرت دويري: إن الحقوق التاريخية للهنود أكثر مصداقية في أمريكا من الصهيونية في فلسطين لأنهم كانوا السكان الأصليين والمقيمين فيها آلاف السنين حتى جاءهم الأسبان والبرتغاليون والانجليز وأمم أوروبية أخرى وسرقوا أرضهم. ويقول: من يستطيع أن يقرر حقهم في السيادة الوحيدة على أمريكا وبالتالي طرد أو اضطهاد الجماعات العرقية الأوروبية الأخرى؟! ولهذا فمن المستحيل أن تخلق فترات الظلم حقاً لأصحابها، فطرد الفلسطينيين ثلث أو نصف قرن من أرضهم التي عاشوا عليها وعملوا آلاف السنين لن يجعل لمن اضطهدهم وحل محلهم حقاً

تاريخياً ولا واقعياً في أرضهم.. ومقاومتهم لهذا الاحتلال ليس هو تأكيد لإقرار حقهم التاريخي أو إبعاد حق غيرهم التاريخي وإنما رفضهم الحيوي والذي لا يقاوم لعمليات العنف الدائمة التي يمارسها الصهيونيون ضد جذور حياتهم العميقة في أرضهم.. ثم إن وجود مملكة صهيون لـ ٧٣ سنة في حقبة من حقب التاريخ في فلسطين لن يجعل لها أي حق تاريخي وهي التي لم تجعل لها وجوداً عرقياً في الأرض، فهم غزاة دخلوا الأرض التي طردوا منها مع عزلتهم عن أهل الأرض تماماً كما حصل مع الصليبيين الذين اجتأحوا فلسطين في القرن الحادي عشر وفرضوا وجودهم بالسلح لفترة (١٠٩٦ - ١٢٩١م) ثم طردوا منها، فليس للصهيونية أي حق تاريخي في فلسطين تماماً كالصليبيين سواء بسواء..

وأما أسطورة التطلع والحنين «للعودة» فإنها تخفي حقيقة الاستعمار المعاصر وراءها لأن اليهود الذين طردوا من القدس من قبل الصليبيين طردوا من اسبانية من قبل الملوك الكاثوليك عام ١٤٩٢م إلا من تنصر منهم برعب محاكم التفتيش فاستقر الكثير منهم في أقطار أوروبية أخرى ولم يأت لفلسطين منهم إلا عدد قليل..

فالصهيونية السياسية قد ولدت في تربة تختلف تماماً عن تربة الطقوس اليهودية، لأن تلك كانت تبحث عن حل استيطاني لمشكلة اضطهاد أوروبا لليهود.. فسواء كان طرد اليهود من اسبانية أو مذبحتهم في بولنده عام ١٦٤٨م على أيدي الكوزاك أو المذابح المنظمة على أيدي الروس بدءاً من ١٨٨٢م أو الدرايفوس في فرنسا (١٨٩٤ - ١٩٠٦م) التي قام بها البرجوازيون والكنيسة ضد الشعب، أو النازية وما فعلته ضد اليهود فكلها كانت تخفي هدفها الأساسي في السيطرة على العالم، وكلها أدت إلى إثارة البحث عن مكان يلجأ إليه اليهود المضطهدون بحثاً عن الأمن والسلامة.

وهكذا كان تيودور هرتزل الذي لم يكن باليهودي المتدين ولم تكن لديه فكرة حنين (العودة) إلى صهيون مدفوعاً بالبحث عن إنقاذ اليهود من الاضطهاد كما أوحى إليه حالة الدرايفوس DRYFUS لتقوم عليها الدولة اليهودية كحل أفضل لهذا الاضطهاد. ذلك أنه استوحى من الكاتب اليهودي الروسي (آشر جنزبيرج) حلمه بإيجاد مركز روعي لتنمية الثقافة والديانة اليهودية فدعا في مؤتمر بازل عام ١٨٩٧م إلى صهيونية سياسية لا روحية، وخاطب بذلك تلك الشخصية الاستعمارية النموذجية (سيسيل رودس) - الذي حملت رودسية اسمها منه - عندما كتب إليه في ١٩٠٢/١/١١ حول خطته قائلاً: إنني أدعوك أن تضع طابع سلطتك على الخطة الصهيونية وتعلن تصريحاً لشعب صغير يحلف بك، ذلك لأنني دققت في هذه الخطة فوجدتها سليمة وعملية.. لقد كان هرتزل يبحث عن قوة غربية تدعم خطته الاستيطانية حتى قال: (لقد وجدت في بازل الدولة اليهودية) لأن كل ما حصل بعدها كان تابعاً لها. فهي لم تبدأ بالتوجه إلى فلسطين بالذات، وإنما كانت تبحث عن (مكان فارغ) حيث يسيطر الغربيون وحيث لا يوجد اعتبار للسكان الأصليين، ففكر في موزامبيك والكونغو، ورأى زميله ماكس نوردو بأن يكون المكان في أفريقيا،

كما رأى حايم وايزمن في أوغندا، كما اقترح الأرجنتيين عام ١٨٩٧م وقبرص (١٩٠١-١٩٠٢) وسينا ١٩٠٢م وأخيراً أوغندا (١٩٠٣-١٩٠٤) حيث تبنتها الحكومة البريطانية، ولم يقرر المؤتمر الصهيوني العالمي ترجيح وتفضيل فلسطين إلا عام ١٩٠٥م أي بعد موت هرتزل بعام واحد..

فهرتزل كان يرى في فلسطين البلد الذي يقع على مفترق ثلاث قارات وممكن التفاوض عليها مع القوى الاستعمارية، فقد لعب بورقة المطامع الاستعمارية كلها معاً عندما كانت ألمانية تتطلع لمد سكة حديد بغداد وبريطانية لحماية طريق الهند وقناة السويس وروسية للمياه الدافئة، وكان يرى أنه من المستحيل أن توجد الدولة الإسرائيلية في الشرق الأدنى دون أن تذوب فيه إذا أصبحت وكيلاً للقوى الغربية الاستعمارية مجتمعة. ولذلك كان هيرتزل وقادة الصهيونية يخاطبون كل قوة بلغتها حتى قال هيرتزل في يومياته عام ١٨٩٥م: سأقول لكايزر: «دع شعبنا يذهب، فنحن غرباء هنا، ولا يسمح لنا أن نمتزج مع الشعب ولا نحن قادرون على ذلك».. وبنفس الأسلوب كانوا يخاطبون أعداء السامية أيضاً حتى قال الكاتب الصهيوني شوارتي في سيرة حياته عن هيرتزل في ١٨٩٦/٣/٤ بأنه قال: إن أصدق أصدقائي منذ أمد بعيد هو اللاسامي في برسبرج (ايفان فون شيموني).. كما قال للقيصر الكسندر الثالث: يا صاحب الفخامة: «إذا أمكنكم أن تغرقوا الستة أو سبعة ملايين يهودي في البحر الأسود فلا يوجد أي إعتراض عندي مطلقاً» واستمر في إقناعه للحصول على تشجيعه لدعم خطته فرد عليه: «لقد أعطينا اليهود التشجيع للهجرة كضربة ممتازة مثلاً» فقال هيرتزل: «سيحملونها ضدي بكل ما في العالم من أسباب بانني أخدم اللاسامية في أهدافها بإعلان أننا شعب واحد».. وأما مع بريطانيا فقد طلب وايزمن بعد تصريح بلفور من وزارة الحرب قانلاً: «إن تقديم قرارنا لكم يجعلنا نضع مصيرنا الوطني والصهيوني بين يدي مكتب الخارجية ووزارة الحرب الاستعمارية ولذلك نأمل أن نتال مشكلتنا الاعتبار في ضوء المصالح الاستعمارية وضوء مبادئ الاتفاق الدولي».

وهكذا يتأكد أن الصهيونية واللاسامية توأمان، إذ بلفور كان لاسامياً إذ قاد عام ١٩١٥م حملة شرسة لدعم قانون الغبراء من أجل اضطهاد اليهود الروس بطردهم خارج بريطانيا، فكان كل همه هو إرسال اليهود إلى فلسطين كما كان القيصر يريد مع أن الوزير اليهودي الوحيد أدوين مونتاغو كان يعارض ذلك بشدة. ولذلك فالصراع الذي ظهر بين الصهيونيين وبريطانية كان يشبه ذاك بين جنوب أفريقية وبريطانية فهو ليس ضد الاستعمار الإنجليزي ولكنه في إطار الامبراطورية البريطانية، ولذلك تعاون اليهود مع الانجليز لآخاد ثورات ١٩٣٦ - ١٩٣٩ التي قامت في فلسطين ضد الاستعمارين البريطاني واليهودي.

وهكذا تتكشف الصهيونية كظاهرة إستعمارية وإن اختلفت عن الاستعمار البريطاني والفرنسي مثلاً بأنها لم تكن تسعى لاستغلال الاسواق الرخيصة والمواد الخام

والأيدي الرخيصة وإنما من أجل الاستيطان لتحل محل السكان الأصليين وليس لتستغلهم فقط، وهذا هو معنى شعاراتهم التي يرددونها الآن في إسرائيل: الأرض اليهودية، والعمل اليهودي، والدولة اليهودية.

ومن أجل دعم مقولتهم المتهافنة بالحق التاريخي يلجأون لاستغلال الواقع التاريخي الذي حصل بمذابح هتلر لهم. ولكن إذا تفهم الإنسان بحثهم عن موطن للمضطهدين فإن الظلم لا يعالج بظلم آخر، بطرد الفلسطينيين من بلادهم ليحل محلهم من اضطهدهم هتلر مع أنهم لم يشاركوا هتلر في جرائمه ضد اليهود. وهكذا فإن دولة مثل إسرائيل تبقى في حرب وخوف دائمين لن تحقق لليهود الأمن، وهذا ما يدركه ٨٠% من يهود العالم عندما فضلوا عدم الهجرة إليها وأصبح عدد من يهاجرون عنها أكثر ممن يستقرون فيها. ثم إن من البديهي أن يكون إصلاح غلطة الجريمة النازية بمنح اليهود أرضاً من ألمانية لتكون لهم عليها دولة مستقلة وخاصة أن مذابحهم اشترك فيها الأوروبيون عامة. وهكذا أصبحت عملية الإصلاح هذه على حساب العرب عملية إستعمارية بحتة يبحث لها عن مبرر تاريخي مزيف بالربط بين إسرائيل الانجيل ودولة إسرائيل المعاصرة، وهو نفس تبرير (المحرقة) التي أريد اضعاف الشرعية بها على الدولة الاسرائيلية التي تقوم على بلد مسروق من أصحابه العرب.

وقد كتب الكاتب الصهيوني جيرشوم شوليم قائلاً: «إن المحرقة وإنشاء إسرائيل هما وجهان لحادث تاريخي كبير وحيد» كما قال كاتب آخر: «إن دولة إسرائيل تمكننا من تحمل رعب أوشفيتز دون يأس عميق».. فكلمة محرقة (HOLOCAUST) لها نكهة دينية إذ هي تضحية في سبيل إله مع أن جريمة هتلر لم تكن لها أية صبغة دينية وإنما هي سياسية محضة، فقد كان اليهود جزءاً من ستين مليون من الرجال والنساء فقدوا حياتهم بحرب هتلر، فهناك ثلاثة ملايين بولندي وأكثر من ستة ملايين سلافي، ولا مجال لاعطاء الصفة الدينية لليهود من دون غيرهم ولا لجعلها جزءاً من التاريخ اليهودي دون بقية الملايين من ضحايا هتلر، وإنما هو جزء من الاستعمار الأوروبي للشعوب المستضعفة، إذ هناك إبادة عشرة ملايين هندي أمريكي وأكثر من مائة مليون أسود إفريقي مع نفي عشرة ملايين عبد إلى أمريكا.. فكيف يمكن فصل ما حصل مع اليهودي عن هذه الجرائم والمذابح الاستعمارية؟ إن في ذلك بترأ لإسرائيل عن تاريخ العالم والعالم الثالث حتى قال آرييل شارون في خطاب ألقاه في المندوبين اليهود في اجتماع في جوش اتزيون GUSH ETZIAN: «لنا الحق أن نطلب أي شيء نريده من العالم. ونحن كيهود لا ندين بأي شيء لأي أحد بينما العالم كله يدين لنا كثيراً»، فرفض بواز ايفرون BOAZ EVRON هذه المقولة لأن القضية بين إسرائيل وأوروبية فقط وليس بقية العالم «إذ أن ثلاثة أرباع العالم في الصين واليابان والهند وأفريقيا وأمريكا اللاتينية لم يسمعوا بك» واستطرد قائلاً: «فإنك لم تضطهد هناك ولا يدين أحد منهم لك بشيء، ثم أنك تنحاز في تلك الأصقاع مع البيض الاستعماريين وتشاركهم في استغلال السود والآسيويين والهنود، وإذا كان هناك من حسابات للاستيطان هناك فأنت من سيكون مديناً.. اذهب وناقش من تشاركهم نفس

الثقافة ودعنا من البرابرة، وإذا كنا نتحدث عن الحقوق والواجبات ماذا تفعل أسلحة الأوربي وبنادق الجليل بين أيدي القوى المضطهدة في السلفادور؟» ثم استطرد ايفرون قائلاً: «عليك أن تتذكر بأن ملايين الروس والإنجليز والفرنسيين قد قتلوا في الحرب ضد هتلر حتى هزموا ألمانية وانفدوك.. ولو لم يفعلوا ذلك لما كان لك أثر الآن في الوجود».

فتأكيد الصهيونية السياسية على «خصوصيتهم» وانفصالهم لم يكن إلا لدعم فكرة عدم قدرة اليهود على الحصول على الأمن في المهجر DIASPORA إلا في دولة خاصة بهم مع أن كل الدول والإمبراطوريات قد بادت وانقرضت بعد أن اضطهدت أهل البلاد الأصليين، فلن تكون دولة إسرائيل منقذاً لليهود وإنما الذي أنقذهم معركة لينينغراد ومعركة العلمين، ولولا هاتان المعركتان لاحتل النازي فلسطين وعمل الرعب فيها عمله.

وهكذا يبقى تزوير التاريخ من قبل الصهيونية يخفي سببه السياسي لأنهم بالمرحقة يريدون إبراز أنفسهم كضحية وحيدة لكل المآسي، الأمر الذي يمكنهم من استغلال هذه المذابح لصالح دولتهم، حتى أن «المساعدات الخارجية» الأمريكية قد وصلت إلى ٧٥٠ دولار لكل فرد من السكان في إسرائيل أي ضعف دخل الفرد في أقطار أفريقية! وماذا لو طالب الهنود الأمريكيون بقية العالم بالدفع عن مذابحهم؟ أو أن سود أفريقية طالبوا بدفع مالهم من (دين) مقابل منات الملايين من الضحايا من تجارة العبيد؟

وبالطبع فإن نتيجة هذا التكريس للصهيونية السياسية في أسطورتها الاستثنائية هو العزلة التامة، كما يجري في منظمة الأمم المتحدة المطالبة بدعمهم بدون شروط ولا حدود، وكذلك الأمر بالنسبة للولايات المتحدة، «وهنا يتجاهل المؤلف الإشارة إلى أن إسرائيل لم تعد في نظر أمريكا أكثر من ولاية أمريكية بل مرتكزاً للحفاظ على مصالحها في المنطقة».. ويستطرد المؤلف قائلاً بأنه لو توقف هذا الدعم الأمريكي يوماً ما مالياً وعسكرياً فسينكشف مدى المأساة التي ستحل باليهود أنفسهم.. وهذا ما يجعل قادة إسرائيل يحرصون على تركيز فكرة أنهم مهددون بالفناء دائماً في محرقة جديدة THE NEW HOLOCAUST مما يجعلهم بحاجة لنشر فكرة اللا سامية في الخارج والعيش في رعب من التهديد العربي ARAB MENACE في الشرق الأوسط مع أنهم هم الذين مارسوا المذابح من دير ياسين إلى صبرا وشاتيلا ضد العرب..

وبهذا الأسلوب المرتكز على إدارة الخصوصية والاستثنائية والقدسية لسياساتهم فقد منع قادتهم شعبهم من أن يتمكن من العيش في دولة كبقية شعوب العالم.

وهذا الحال يظهر أكثر وضوحاً بمحاولتهم إضفاء الشرعية على المشروع الصهيوني في فلسطين من خلال الأسطورة الإنجيلية المدعوة «بأرض الميعاد».

٢- الأسطورة «الإنجيلية»:

قامت الصهيونية السياسية على قاعدة أساسية تظهر في كلمات غولدا مائير «وجدت هذه البلاد كنتيجة لوعده صدر عن الله ذاته، ولذلك فمن المضحك أن يطلب

الاعتراف بشرعيتها» وردد هذه الكلمات بيغن «لقد وعدنا بهذه البلاد، ولنا الحق بها». وهكذا زعمت الصهيونية أن كل شيء أصبح مسموحاً لهم ما داموا هم «الشعب المختار» وعلى «الأرض الموعودة».. وأما أن هذا مجرد تبرير من تبريرات الاستيطان والاستعمار، سواء كان بالحملات الصليبية أو بالغزوات الاستعمارية التالية، فهذا لا يعنيه بشيء.. وإلا فهل يختلف ذلك عما كان يزعم به فورستر رئيس وزراء جنوب أفريقية عام ١٩٧٢ وقبل إنهاء التمييز العنصري هناك عندما قال «دعنا لا ننسى أننا شعب الله وأصحاب مهمة خاصة».. وأما مفهوم «الشعب المختار» لديهم فهو «الاختيار عبر المعاناة» كما هو المعنى المقصود من الاستغلال السياسي للمحرقة THE HOLOCAUST وهنا يقول المؤلف بأن فكرة الشعب المختار تعتبر جريمة سياسياً لأن مقابل الاختيار سيبقى الآخرون منبوذين REJECTED وأما أن غولدا مانير تعلن انكار وجود الفلسطينيين أو طردهم فهذا مالا يستغرب على أصحاب مثل هذه الفكرة، وهم الذين يتحدثون بكل اللامبالاة ديانتهم اليهودية التي نادى أحبارها منذ عام ١٨٩٧م بأن احتلال فلسطين ثانية بالمال والسلاح سيرقى إلى مستوى خيانة أسمى وأنبئ التقاليد اليهودية، وأن الأحبار الألمان قد تصدوا لهيرتزل عام ١٨٩٠م في مؤتمر ميونيخ رافضين انشاء دولة يهودية في فلسطين لأنها تناقض وعود اليهودية بعودة المسيح، حتى كتب البرت اينشتاين عام ١٩٣٠م: «إنني أفضل اتفاقاً معقولاً مع العرب للتعايش معاً على إنشاء دولة يهودية، لأن طبيعة اليهودية تعارض فكرة هذه الدولة بحدود وجيش وسلطات مهما كانت بسيطة..»

هذا وإن أكثرية الإسرائيليين اليوم لا يمارسون ولا يؤمنون باليهودية وإن اشتركوا في عضوية الأحزاب الدينية ولعبوا دوراً حاسماً فيها لأنهم يعرفون أن طرح فكرة «الشعب المختار» و«الأرض الموعودة» بعيداً سيؤدي لانتهيار الصهيونية من أساسها، ولهذا يجيء حرص القادة السياسيين على تقوية الصلة بالأحزاب الدينية، حتى أن حزب ماباي الاشتراكي قد فرض التعاليم الدينية كجزء من المنهاج المدرسي ولم تفعل ذلك الأحزاب الدينية، ثم أن الزواج لا بد أن يتقيد بالتوراة ويرفض المدني منه، ثم ما زالت الدولة كلها دون دستور بحجة أن التوراة هي تشريعها الأساسي، وأما قانون العودة الذي لكل يهودي في العالم الحق أن يستفيد منه فإنه يقول: بأن لكل يهودي الحق في المجيء للبلاد كمهاجر.. وأنه للاستفادة من هذا القانون فاليهودي بالتحديد هو من ولد من أم يهودية أو اعتنق اليهودية ولا يلتزم بأي ديانة أخرى.. فالمقياس إذن دموي، تبعاً للأمم، أو ديني، تبعاً للاعتناق. وإذا أخذنا بوعده العهد القديم لهم فلماذا لا تأخذ الشعوب الأخرى في حوض البحر المتوسط بالعودة المقطوعة لها من ديانتها؟ فمن المنطق القبلي يبررون الوعد لهم كأفضل من غيرهم بل إن كل من سواهم لا شيء.. وصحيح أن فقرات من العهد القديم تبرر حرق وذبح الآخرين ليحل محلهم اليهود، وهذا ما يدرسونه في المدارس والجيش، ولكن الأشوريين أيضاً اعتبروا نصرهم انتصاراً لإلههم آشور على يهوه. ولكنهم يصرون على تركيز التعصب

ضد الآخرين حتى أن البروفسور تامارين من جامعة تل أبيب قد كشف عن أن نسبة ما بين ٦٦% إلى ٩٥% من أطفال المدارس قد أجابوا في استقصاء بذبح سكان أي قرية يحتلونها كما فعل يشوع عندما احتل أريحا.. إنها عملية غسيل الدماغ التي يمارسها الحاخامات على الطلاب والجنود.. وهذا ما كان أحبارهم يحث الجنود عليه في احتلال لبنان عام ١٩٨٢م.. فكانوا يفتطعون بعض الفقرات من كتابهم باختيار شديد ويستخدمونها لنشر تعاليمهم حسب مخططاتهم، وإلا فإن كتاب التكوين من العهد القديم يظهر أن إبراهيم قد اشترى قطعة أرض في الخليل لدفن زوجته سارة ولم يأخذها بعهد ولا وعد، كما نجد في الكتاب الثاني للنبي صمويل بأن داود قد اشترى قطعة أرض من أرونا ملك الجبوشين ليبنى عليها الهيكل ودفع ثمنها خمسين شيكلاً من الفضة مما يدل على أنه صاحب الأرض ولم يسع لطرده سكانها الأصليين ولكنه على العكس تفاوض معهم بأدب كما فعل إبراهيم عند شراء مكان قبر سارة.. فأين وعد الإله في هذه الأرض؟ ثم ها هو كتاب الخروج EXODUS من العهد القديم يدعو بني إسرائيل لحب الغرباء، لأنهم هم كانوا غرباء في أرض مصر.. فمن أين جاءت فكرة ذبح سكان القرى المحتلة؟

وبالرغم من محاولات تأريخ الحوادث ومحاولة مطابقتها مع الإنجيل والعهد القديم إلا أن هذا لا يمكن ربطه بالتاريخ الذي لا يمكن أن يكون موثقاً وموضوعياً، الأمر الذي يبعد العهد القديم تماماً عن الاعتماد على الحقائق التاريخية المزعومة تلك.. فكل ما روي عن مكان ميلاد إبراهيم ورحلته ونزول الله إليه وإعطائه العهد والوعد، وكذلك بالنسبة للشجرة المحترقة مع موسى، وهل كان يشوع رئيس القبائل وذابح الكنعانيين.. وغيرها من الوقائع تحتاج إلى توثيق بعيد عن الظن وإلا بقيت مجرد قصص نسجها خيال أشخاص لإضفاء البطولة على أشخاصهم.

وعند التقدير اللاهوتي لمواضيع الاختيار، والعهد، والوعد ليس لمجرد أخذها كحقائق مسلم بها وإنما لمناقشة معانيها كتراث للدين اليهودي في مطلع العهد الإبراهيمي الذي تنتمي إليه الديانات اليهودية والنصرانية والإسلام فإننا نجد أن المراجع التاريخية لا تتجاوز عهد سليمان ومملكة داود، وأن محاولات إبراهيم للحصول على الوعد الرباني سواء باستخدام القوة أو الخديعة كانت تبوء بالفشل لأنه كان يجد أنه من المستحيل العيش دون الاتفاق مع جيرانه، حتى أن كتاب التكوين يقول بأنه كان من غير الممكن تحقيق وعد الله إلا بعد أن يبارك الله جميع الأسر في العام، دون استثناء.. فأين التميز لقبائل بني إسرائيل على البشر إذن؟ وعليه فإن شخصية إبراهيم ليست مجرد شخص تاريخي، كما ليس الميثاق COVENANT ولا الوعد THE PROMISE ولا الاختيار ELECTION من مجال الأساطير والشعر ولا من مجال التاريخ، مما يدعونا للتساؤل عن أهمية هذه الأساطير لأن الميثاق مسألة بين الإنسان والخالق، والوعد مسألة بين الهدف الإلهي والخطة البشرية، والاختيار مسألة مسئولية الإنسان عندما يفترض فيه البعد الفائق.

فالقرآن الكريم عندما يكرر في أكثر من موضع بأنه تعالى أرسل كل رسول بلسان قومه ليبين لهم ما أرسل به إليهم، وأما الإنجيل فإنه يورد عدة نماذج من الوعد بالأرض للأحفاد أولها للبدو وهو خال من ذكر الغزو العسكري والسياسي للأرض وإنما يتحدث عن مجرد الاستقرار والتوطن في الأرض، وثانيها مجرد تبرير لغزوات داود فتقدم دعماً لسيادة «الشعب المختار» فوق المنطقة الممتدة من نهر النيل إلى نهر الفرات (التكوين)، وثالثها يشمل جميع الشعوب فوق الأرض (التكوين)، وأن الخيط الذي يربط بين هذه النماذج الثلاثة هو عناية الله الدائمة لرعاية الجنس البشري.

إن مفهوم «تحرير» الملكية والسلطة الوارد في سفري الخروج وموسى ليس مجرد تغيير الأيدي من شخص كان إلى شخص يكون بل هو رسالة اليهودية إلى العالم والتي خانتها الصهيونية السياسية عندما مثلت تمثيلاً سيئاً معنى الوعد، كما أنها خانت النصرانية عندما نقلتها للخضوع للمطالب بدلاً من الوعد. ثم النصارى قد أخذوا يتجاوبون مع نصوص وشعارات الصهيونية السياسية حول «أرض الميعاد» و «الشعب المختار» وأخذوا يدعمون الشعب المنبوذ، أي اليهود، بعد أن كانوا يضطهدونهم بغض النظر عن أنه من الحفاظة بمكان أن يفصل النصارى «وعد الأرض» عن «وعد المملكة» وكان إنجيلهم لا يشكل مجموعة واحدة مع العهد القديم تماماً كما يفعل اليهود عندما يعزلون الاتجاهات الوطنية والعنصرية التوراتية عن عالمية الأنبياء السامية من أموس إلى اسحق. ثم أن لجنة أساقفة فرنسا التي أصدرت دليلاً في ١٦/٤/١٩٧٥ وأعلنت فيه «لا نستطيع أن ننسى كمسيحيين الهدية التي منحها الله في العهود السابقة لشعب إسرائيل ألا وهي الأرض التي دعوا لتوحيدها..» فإن هذا الكلام يربط في لاهوتية المسيحية بين دولة إسرائيل والصهيونية.

أما القرآن الكريم فقد عرف السلالة بشكل أفضل بحق إبراهيم عندما أضاف لرده على نداء الله: انظر إنني هنا.. يا ابتي أفعل ما تؤمر ستجدي مصداقاً لارادة الله.. ومع هذا الخضوع المطلق لأمر الله تبدأ سلالة إبراهيم..

الباب الثاني - أسطورة الصهيونية إلى السياسات الإسرائيلية

١- السياسة الداخلية:

العنصرية، الاستيطان: فإن شلومي ألوني - عضو الكنيست ورئيسة حركة حقوق الانسان المدنية في (إسرائيل) تستنكر في مقال لها نشر في صحيفة يديعوت أخرونوت في ٢٥/٦/١٩٧٨ طريقة لي عنق روح اليهودية عقدياً بشكل حاسم من قبل ميثولوجيا الصهيونية السياسية. فسياسة إسرائيل الداخلية والخارجية تقع على قاعدة الصهيونية السياسية كحركة استيطانية ذات طابع لاهوتي يستنكره معظم الحاخامات كخيانة لليهودية وقد أفرغت من الناحية الروحية واستخدمت لتبرير السياسة العنصرية

التي تلازم جميع القوانين والممارسات السياسية في دولة (إسرائيل)، وهي القاعدة التنظيمية لدى تيودور هيرتزل كما كشفها في كتابه (دولة إسرائيل) وفي (يومياته).

والملاحظ أن الاضطهاد ضد اليهود قد تراجع في أوروبا في القرن التاسع عشر بعد الثورة الفرنسية وخاصة بعد أن تكيفوا مع كل مجتمع في حضارته وثقافته ونظامه حتى أنهم ظهروا يخاطبون بفكرهم من خلال كارل ماركس ومارتن بوبر كافكا وغيرهم الإنسانية كلها بعيداً عن كل عنصرية، وعندما استناروا قيصر روسيا لدعم الصهيونية استعد لذلك بشرط عدم استغلال أية قومية في الداخل وإنما بهدف الهجرة للخارج.

وكما اعتبروا إعلان المراسلات مع السلطان عبد الحميد للسماح لليهود لدخول فلسطين خطأ كما ذكروا في المؤتمر الصهيوني عام ١٩٠٣م فإن هيرتزل اعتبر اللساميين حلفاءه وأصدقائه المؤكدين لأنه استغل جميع أفكارهم وطروحاتهم حتى أنه استطاع من خلال حملة ابتزاز قادها عام ١٩٠٢ وقبل السيطرة على آل روتشيلد، استطاع من خلالها توجيه الحملة ضد المتمولين اليهود، ومما قاله: «إن المدافع الرئيسي للوطنية في إنجلترا هو رئيس الحاخامات اليهود هير أدلر الألماني.

وقال: وبالنسبة للوطنية البروسية كان الدكتور ماييوم الهنغاري - برلين - الضوء الكاشف أمامهم..» إنهما وأمثالهما يعتبران من أسوأ اللساميين الذين وجد هيرتزل في مواقفهم وأفكارهم أكبر معين لليهود للهروب والهجرة إلى فلسطين، هذه الأفكار التي ما زالت الملمح الثابت لخدمة الصهيونية حتى الوقت الحاضر. ولتحقيق ذلك لا بد من الضرب على وتر غربة اليهود في أقطار إقامتهم وتعرضهم للاضطهاد من مواطنيهم مما جعل هيرتزل وقادة الصهيونية يحرصون على استمرار اللسامية بل تشجيعها. ومما كتبه بارون شلومكي رئيس البرلمان النمساوي إلى هيرتزل: «إذا كان هدفك وصدك من دعايتك هو لتغذية اللسامية فإنك ستحقق هذا الهدف، وإنني مقتنع تماماً بأنه يمثل هذه الدعاية فإن اللسامية ستتمو وإنك ستحدث حمام دم لليهود».

وعندما مات هيرتزل لم يرد منفذو وصيته أن ينشروا يومياته بتفاصيلها، وأنها عندما نشرت عام ١٩٢٢ و ١٩٢٣ كتب صديقه الكاتب النمساوي جوزيف صامويل بلوخ يقول: «إن الرسائل إلى روتشيلد والبارون هيرش، والتأكيد بأن اليهود متمردون أكفاء وثوريون قادرين في الأقطار التي يعيشون فيها وأنهم كفيلون بجلب الدمار على الشعب اليهودي، وأن هيرتزل قد وفر لأعداء اليهود قاعدة (حل المشكلة اليهودية)، ورسم لهم السبيل الذي يسلك لذلك في عملهم المستقبلي، وأن (اليوميات) مريعة».

وبعد أن مات هيرتزل في يوليو من عام ١٩٠٤م كتب العالم اليهودي الإنجليزي لوسيان ولف تحقيقاً عن اللسامية والصهيونية انتهى فيه إلى: «لقد أعلنت من قبل علامات تأكل اللسامية المنظمة..»

وأن مشكلة التكيف والذوبان ما زالت تشكل صعوبات» وقال: «بأن الدعاية

الصهيونية ستعطي فرصة طيبة للحياة للإثارة اللا سامية والتي على العكس تتبع طريقاً هابطاً» وذلك لأنها تتميز بالتحالف مع اللا سامية التي تعتبر أكبر مبرر قوي لها.

ومع نشوء دولة (إسرائيل) عام ١٩٤٨ تجاهلت وجود الشعب الفلسطيني فنشأت مشاكل كيفية إيجاد أكثرية يهودية في بلد يقطنه سكانه الأصليون العرب الفلسطينيون، وأجابت على هذا التساؤل بالبرنامج الاستيطاني بحلول المستوطنين محل الفلسطينيين وتطوير الهجرة اليهودية. فطرد الفلسطينيين والاستيلاء على أرضهم كان إجراء متعمداً ومنظماً وقد كتب رئيس الصندوق اليهودي الوطني عام ١٩٤٠ قائلًا: (لا يوجد متسع للشعبين معاً في هذه البلاد «فلسطين».. والحل الوحيد هو إسرائيل الغربية دون عرب، ولا لذلك إلا بترحيل العرب إلى الأقطار المجاورة ترحيلاً جماعياً لا تستثنى منه قرية واحدة على أن يوجه للعراق وسورية والأردن.. مما يجعل البلد تحتمل استيعاب ملايين المهاجرين من إخواننا).. وهذا هو برنامجهم حتى قبل نشوء دولة (إسرائيل)، حتى أن البروفسور إسرائيل شاحاك قال عام ١٩٨٠ وهو رئيس الجمعية الاسرائيلية لحقوق الانسان والأستاذ في جامعة تل أبيب «بالأمس: نشأت دولة إسرائيل من قبل شعب لم يكن مدركاً حقوق الشعب غير الغربي.. ولم يكن يدرك معنى العدل لشعب غير هولاء.. وأن الموقف الطاعي عليهم كان عنصرياً بل عنصرية مركبة من العنصرية اليهودية والعنصرية الغربية.. الشعور بتفوق الغربي غير المعتاد الآن ولكنه معتاد منذ أربعين إلى خمسين سنة»..

ومن المدهش أن الدعاية الصهيونية تدعي أن دولة إسرائيل هي «الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط» وأنه من الممكن التعبير فيها بحرية لدى المعارضة في الصحافة والشارع حقاً، وإن كانت ما زالت مقصورة على المؤسسة اليهودية لأن الرجل الأبيض هو الحاكم وهي تشبه الديمقراطية الأميركية التي أعلنت منذ الاستقلال ولكن عبودية السود ما زالت تمارس كما تمارس ضد الهنود الذين قضى عليهم على أرضهم بالذبح أو الطرد.. فما زال التمييز سائداً في (إسرائيل) سواء بالنسبة للوضع الشخصي إذ يرون كل يهودي في العالم مرتبط بدولة (إسرائيل) كما ترتبط كل مؤسسة يهودية بها أيضاً مما يجعل المنظمة اليهودية العالمية والوكالة اليهودية ذات امتياز مختلف عن غيرها في العالم، كما أعطي لمؤسستي الكرين كايمت (الصندوق الوطني اليهودي) والكرين هيزولد (صندوق الانشاء) العديد من الامتيازات إذ اعتبرت الأراضي التي ملكها الصندوق أراضي (إسرائيل) المنقذة مما لا يسمح بعدها أبداً ببيعها أو تأجيرها لغير اليهود.. إنه التمييز العنصري الذي تنادي به مثل هذه المؤسسات! وأما قانون العودة فإن البروفسور كلين يقول عنه أيضاً بأنه «يتوج الإنجازات الصهيونية» حتى عقب عليه بن غوريون في ١٩٥٠/٧/٥ قائلًا: «إن دولة إسرائيل ليست مجرد دولة لليهود كأكثرية السكان فيها، ولكنها دولة لليهود أينما وجدوا ولكل يهودي يرغب في ذلك». ولكن يستطرد البروفسور قائلًا نظراً لوجود أقلية درزية وعربية في إسرائيل فإلى أي معدل يعتبر قانون الهجرة تمييزاً؟ وفي ضوء قرار الأمم المتحدة الصادر في ١٩٦٥/١٢/٢١ بإزالة كل أشكال التمييز العنصري يظهر قانون العودة ومدى تمييزه العنصري..

فقانون الجنسية لعام ١٩٥٢ في مادته ٣ يحدد أن الجنسية تمنح لكل يهودي وأما غيره من الفلسطينيين فلا بد أن يكون بلا جنسية وأن يثبت أنه كان مقيماً في البلد ومن أبوين فلسطينيين، وإن لم يستطيع الإثبات فلا بد من التطبيع بتعلم العبرية، كما أنه لا بد من منع حتى المتجنسين من العيش في بعض الأماكن كمنطقة الكرمل، كما أن قانون الزواج يؤكد الحالة الشخصية الفردية وأنها خاضعة للمحاكم اليهودية حتى أن المادة ٢ تقول: الزواج والطلاق بين اليهود تجريان بناء على تشريع الدين اليهودي، كما أنه لا يسمح لأي يهودي من الزواج من غير يهودي رجلاً أو امرأة بحيث تلزم الزوجة غير اليهودية على اعتناق اليهودية إذا بقيت زوجة. وقد كتب هيرتزل في يومياته في ١٢/٦/١٨٩٥: «علينا أن نصادر ممتلكات الآخرين بلطف، وسنحاول أن نرفع معنويات السكان الفقراء عبر الحدود بإعطائهم وظائف في أقطار العبور بينما ننكر عليهم أي عمل في بلادنا، وعلى مالكي العقارات أن يسندونا..». وقد طبق برنامج المصادرة هذا بشكل منظم منذ لحظة قدرة الصهيونية على ذلك بالعنف لسلب الأراضي.

ويمكن التمييز بين مرحلتين للاستيطان الصهيوني: الأولى وتحمل علامات الاستيطان التقليدي باستغلال قوى العمل المحلية وهو أسلوب روتشيلد.. ومع وصول المهاجرين الروس بعد فشل ثورة ١٩٠٥م تم تصدير «الصهيونية الاشتراكية» إلى فلسطين، فشكّلوا التعاونيات الحرفية والكيبوتسات الزراعية التي أحلت اليهود محل العرب. ومما قاله الدكتور روبين عام ١٩٣٠م كخبير للوكالة اليهودية «إن الأرض هي أهم شيء للإقامة في فلسطين، فلا يوجد في فلسطين أرض زراعية غير مشغولة، مما يفرض علينا في كل حالة نشترى فيها أرضاً لنقيم عليها أن نطرد الفلاحين الذين يفلحونها سواء كانوا مالكيين أو مستأجرين لها».

وأما قانون الطوارئ EMERGENCY LAW منذ صدر عام ١٩٤٥م في عهد الانتداب البريطاني ضد العرب واليهود والذي استخدم ضد العرب فقط حتى كان المزارع لا يستطيع التردد على مزرعته إذا أعلنت تلك المنطقة عسكرية إلا باذن الحاكم العسكري مما يؤدي إلى خراب المحصول ووضع الأرض في حيازة وزير الزراعة بحجة تولى زراعتها. ومع أن شابيرو قد هاجم عام ١٩٤٦ هذا القانون حتى رأى أكثر مما تفعله النازية إلا أنه عندما أصبح المدعي العام لحكومة إسرائيل ثم وزير العدل فيها قد مارس تطبيق هذا القانون ضد العرب. وقد كتب شمعون بيريز في صحيفة دافار في ٢٥/١/١٩٧٢ قائلًا: «إن استخدام قانون ١٢٥ التي تبني عليه الحكومة العسكرية يسير في الاتجاه المباشر لاستمرارية الكفاح للاستيطان والهجرة اليهوديتين». وقانون الأرض الزراعية الذي صدر عام ١٩٤٨م وعدل عام ١٩٤٩م يجيز وضع اليد على الأرض المهجورة، والسكان العرب كانوا يضطرون لهجر قراهم وأراضيهم تحت الإرهاب المباشر من دير ياسين عام ١٩٤٨ إلى كفر قاسم عام ١٩٥٦ إلى مذابح الوحدة ١٠١ بقيادة ديان وشارون، ثم تعطى تلك الأراضي للمستوطنين اليهود. ومع قانون أملاك الغائبين THE PROPERTY OF ABSENTEES الذي صدر في ٣٠/٦/٤٨ واستقر

في ١٥/١١/٤٨ وأخذ اسمه في ١٤/٣/٥٠ وتسمى بقانون حيازة الأرض في ١٣/٣/٥٣ فقد أضفى الشرعية على نهب الأرض بالقوة.

ومن أجل تأكيد مصداقية أسطورة «الأرض الصحراء» أي الخالية من سكانها فقد عمدوا إلى إزالة القرى العربية من الوجود، حتى أورد البروفسور اسرائيل شاحاك في ١٩٧٥ إحصائية بـ ٣٨٥ قرية عربية أزيلت بالجرافات من مجموع ٤٧٥ قرية موجودة عام ١٩٤٨م. وباشرت إسرائيل زرع المستوطنات في الضفة الغربية ومنذ عام ١٩٧٩ تلقت الدعم القوي وسلمت للمستوطنين المسلحين.. فكان من نتيجة ذلك أن طرد مليون ونصف فلسطيني من أرضهم لتصبح نسبة ٦.٥% عام ١٩٤٧ نسبة ٩٣% عام ١٩٨٥ منها ٧٥% ملكية الحكومة و١٤% ملكية الصندوق القومي اليهودي، وهذا هو معنى «الحكم الذاتي» الذي يتحدث عنه بيغن: إنه الاستمرار في سياسة الضم الصهيونية الاستيطانية.

وقد بادر بيغن منذ ١٩٧٩/٥/٣ لوضع خطته (للحكم الذاتي الإداري) أمام لجنة الوزراء الأحد عشر، فاعتمدت الخطة في ٥/١٧ وفي ٥/٢١ اعتمدت الخطة من قبل الحكومة لتشمل مجموعة مبادئ تدعم سياسة الكيان الصهيوني في الضم والتوسع، وهي تبين أنه بعد مرور الفترة الانتقالية لخمس سنوات ستعلن إسرائيل سيادتها أو «حقها في السيادة» على الضفة الغربية وقطاع غزة. وهذا المبدأ يعطي فكرة عن الباقي التي تقول «جميع المستوطنات اليهودية وسكانها اليهود سيخضعون للقانون الإسرائيلي والإدارة الإسرائيلية». فهاشم الخطة يلاحظ أن قادة الصهيونية لن يسمحوا بإيجاد الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية والقطاع. وقد أطلقت عليها الحكومة تسمية «مبادئ الحكم الذاتي الإداري الكامل للسكان العرب ليهودا والسامرة وغزة وللمستوطنين اليهود في تلك المناطق» وإن هذه هي المبادئ التي ستفاوض على أساسها للحكم الذاتي مع المزيد من القيود التي ستفرض على سلطة الحكم الذاتي بدءاً من مستوى الإجراءات التي ستعطي للمجلس الإداري عند انتخابه بحيث لن يسمح لمن قد يعارض الاحتلال من الاشتراك، مع جعل المرشحين في قوائم أفراد غير محددة المناطق، ولا يسمح لسلطة الحكم الذاتي من إصدار عملة وبنك مركزي أو جباية ضرائب غير مباشرة، ولا سلطة لها مع الواردات والصادرات أو دورة العملة.

هذا في الميدان الاقتصادي أما الأمن الداخلي فيجب أن يسجن المعتقلون السياسيون وفق القانون الإسرائيلي وللحكومة الإسرائيلية صلاحية الفيتو ضد أي عفو. كما يؤكد على مصادرة الأراضي فيعلن جعل ٧٢٧ ألف دونم «مغلقة» لإنشاء مناطق تدريب عسكرية ومعسكرات، بالإضافة لفتح الطرق اللازمة والتي ستزيد عن عشرة طرق في الضفة الغربية وأخرى في قطاع غزة وأخرى للمدن الرئيسية، بحيث تكون شبكة المواصلات تحت إشراف وزارة المواصلات الإسرائيلية. كما تكون لسلطة الاحتلال الحق في موارد قطاع غزة من الماء وتحتفظ بنفس الحق لتخطيط استغلال مصادر المياه في

الضفة الغربية، كما أصدرت اللجنة توصية أخرى: «سيؤلف المستوطنون قوة شرطة محلية وتحمل السلاح حيثما تحركت» حتى أن رئيس وزراء جنوب أفريقيا أعلن أن إسرائيل قد أخذت من العرب بعد أن عاشوا في البلد ألف سنة، فهي مثل جنوب أفريقيا دولة عنصرية.

فأسطورة «العودة» تضفي الباعث الديني على الهجرة اليهودية إلى فلسطين، مما يجعل الصهيونية السياسية تعتمد على قراءة متحيزة للإنجيل التي تسمو بالتوجه الوطني على حساب روحانية اليهودية.. ذلك أن تيودور هيرتزل، أب الصهيونية السياسية، لم يكن مؤمناً بالدين اليهودي إلا كمبرر لدعم سياسات القوة التي كان يؤمن بها، بغض النظر عن أن أكثرية الأبحار كانوا يستنكرون تلك الصهيونية السياسية منذ مولدها. ومؤتمر فيلادلفيا (٣ - ٦ / ١١ / ١٨٦٩) قد استنكر مبادئها قبل أن يعبر عنها هيرتزل، وتبنى قراراً بالتأكيد على المعارضة الجذرية بين عالمية مبادئ اليهودية وبين القومية الصهيونية... فقد رفضوا وضع الدين لخدمة مشروع سياسي يتجاوز العالمية إلى القومية..

ومن ناحية أخرى فالقدس لها مكانتها السامية لدى اليهودية كما لدى النصرانية والإسلام، مع الاختلاف الكبير في التعامل معها، فبينما صلاح الدين سمح للنصراني واليهودي بالعودة إليها والعيش فيها مع المسلمين عندما استرجعها من الصليبيين نجد الصليبيين يذبحون المسلمين ويطردون اليهود عندما استولوا عليها.. وعلى الرغم من ذلك فاليهود ينظرون إليها نظرة قدسية متعصبة أكثر من غيرهم من أهل الإسلام والنصرانية، فهم يركزون نظرهم عليها من خلال تعاليم يشوع التي أعطتهم الحق في ذبح كل من عداهم للسيطرة عليها والآنفراد بها من خلال الحرب والقتل وليس من خلال تضحية إبراهيم بولده أو من خلال كلمات الأنبياء في رفعة مكانتها عند الله وسموها، فنظرتهم نظرة سيطرة سياسية وتحكم عسكري فحسب. ويزيدهم حنقاً على أهل البلاد ما فعلته بهم عمليات الطرد والنفي سواء من البابليين أو الرومان عن القدس ثم عودتهم إليها في جعل التلمود يتخذ من ذلك نقطة ارتكاز روحي صبغت تعاليم موسى بهذه الصبغة الحاقدة على الآخرين.. وقد لجأوا لهذا الأسلوب حتى حيث لا اضطهاد لهم.. فمما يروى أن بطليموس ملك مصر عندما عاد إلى مصر عام ٣٢٠ ق.م بعد فتح يهودا (القدس) عاد معه بعض اليهود حيث عاشوا مع يهود مثلهم كانوا قد هربوا من الاضطهاد الأشوري قبل ذلك بقرنين أو ثلاثة ولم يفكروا بالعودة إلى فلسطين حتى أصبح عددهم في الإسكندرية عام ٢٥٠ ق.م أكبر تجمع يهودي في العالم، وهم الذين استوعبوا الحضارة الهلينية ونشروا دينهم المصبوغ بصبغتها، وترجموا التوراة وسفر الأنبياء إلى الإغريقية، ومن هذا التزاوج الثقافي ظهرت كتابات فيلو اليهودي.

وقبل ظهور النصرانية حاول اليهود كسب أنصار لدينهم من الهند إلى الصين، من اليمن إلى القرم، من روما إلى بلاد الغال، حيث اعتنق من اعتنق عقيدتهم وعبد إلههم.

ولكن منذ النصرانية واعتناق الإمبراطور الروماني لها وتعرض اليهود للاضطهاد نتيجة اتهامهم بأنهم قتلوا المسيح وأن أحفادهم يتحملون وزر ذلك.. توقف اعتناق اليهودية... وبالرغم من ذلك فإن فكرة العودة إلى فلسطين لم تكن مصحوبة بأي تأثير روعي يهودي. وحتى بعد اضطهادهم على يد ملوك الكاثوليك في اسبانيا وهرهبهم إلى فرنسا وإيطاليا ومصر والبلقان وتركيا فإن القليل منهم وصل إلى القدس والخليل وصفد وطبريا، فلم يتجاوز عددهم في فلسطين عام ١٨٣٥م أكثر من عشرة آلاف نسمة. ولكن بعد اختراع تيودور هيرتزل للصهيونية السياسية تضاعفت هجرتهم إلى فلسطين ليس لسبب ديني ولكن لأسباب سياسية: لاضطهاد أوروبا لهم في روسيا ورومانيا وبولندا وألمانيا، ولبناء الصهيونية على أساطير عديدة منها فكرة عدم ذوبان اليهود في الأمم الأخرى، وفكرة اللاسامية التي تضاعلت بعد الثورة الفرنسية في أوروبا، وفكرة رفض الحرب مع المضطهدين في أماكن اضطهادهم، وفكرة التخلي عن الكفاح للاحتفاظ بالدين اليهودي والحضارة اليهودية وانتظار عودة المسيحية العالمية. ذلك كله من أجل مطلب الدولة اليهودية الموحى بها من فكرة القومية التي انتشرت في أوروبا في القرن التاسع عشر والتي من الممكن إيجادها بنفس طريقة الاستعمار بالقوة بتركيز توجه اليهود في العالم نحو فلسطين كما نادى بذلك هيرتزل وبن غوريون. فمثل هذا القلب لليهودية والانحراف لاقت استنكاراً منذ البداية من قبل سلطاتها الروحية العالية، فقد قرر مؤتمر بتسبرغ: ثمانية قواعد لإصلاح اليهودية عام ١٨٨٥م وأعلن على أثرها أكثرية حاخامات أمريكا «أن اليهود لم يعد يعتبرون أمة بل تجمع ديني ولم يعودوا يتوقعون العودة إلى فلسطين ولا التضحية كأحفاد هارون ولا إعادة أي قانون يتعلق بالدولة اليهودية». وهذا الاحتجاج ضد الصهيونية السياسية لم يطلقه الحاخامات فقط بل بعض أبرز الشخصيات اليهودية العالمية أيضاً أمثال آنشتاين، ومارتن بوبر أول رئيس للجامعة العبرية في القدس وغيرهما..

وبالإضافة للاعتبارات الدينية التي أثرت على من رأوا في الصهيونية السياسية كاستغلال للدين وخيانة للدين اليهودي فإن هناك أسباباً رئيسية هي: (١) أن إيجاد دولة يهودية في فلسطين سيثير صراعاً ضد سكانها الأصليين الذين عاشوا وعملوا فيها منذ قرون مضت و(٢) أن الصهيونية السياسية تعرض اليهود لخطر الشك في الولاء المزدوج والمواطنة المزدوجة حتى أعلن المؤتمر الأمريكي لليهود في أطلنطا عام ١٩٤٣ احتجاجاً على فكرة إنشاء دولة يهودية وإن توقفوا عن ذلك لازدواجية الولاء والمواطنة بين أمريكا وتلك الدولة، واقترح حلاً لمشكلة (المهجرين) بسبب الحرب العالمية الثانية بتأمين مستوطنات لهم مهما اختلفت عقائدهم، «وأنهم يعارضون إنشاء دولة لاخوانهم اليهود في فلسطين أو أي مكان آخر، لأن فلسطين كما هي جزء من التراث الديني اليهودي فهي كذلك جزء من تراث دينين آخرين، مما يجعلنا نتطلع إلى إيجاد دولة واحدة ديمقراطية هناك تشمل اليهود والمسلمين والنصارى، وأنهم يدعون جميع اليهود لمساندة فهمهم للحياة والمصير اليهودي المتصل بأسمى تقاليد عقيدتهم..» وكان عدد

أعضاء الحركة الصهيونية في أمريكا عام ١٩٤٣م ٢٠٧ آلاف عضو بينما مجموع اليهود الأمريكيين كان تقريباً خمسة ملايين نسمة.

والملاحظ أنه بالرغم من الدعاية الواسعة للصهيونية السياسية فإن الهجرة إلى فلسطين قد بقيت ضعيفة، فلم يتجاوز عندهم ٦٥ ألفاً عام ١٩١٩ أي بعد تصريح بلفور بسنتين، وحضر ما بين ١٩٢٠ و ١٩٣٢ إلى فلسطين ١١٨٣٧٨ يهودياً فقط بنسبة أقل من ١ % من مجموع يهود العالم. وحتى بعد حمام الدم الهتلري اعترف بن غوريون بفشلهم في الهجرة عندما خاطب مجموعة من المهاجرين الأمريكيين في ١٩٤٩/٨/٣١: «مع أننا حققنا حلماً بإيجاد دولة يهودية فما زلنا في البداية، فهنا فقط ٩٠٠ ألف يهودي بينما ما زال أكثرية اليهود في الخارج.. ومهمتنا هي إحضار جميع اليهود إلى إسرائيل». وقد وجه بن غوريون اللوم في ديسمبر ١٩٥١م إلى القادة الصهيونيين عندما لم يضرخوا القدوة «بان لم يذهب منهم خمسة إلى إسرائيل بعد نشوئها..» وقد استغل قادة إسرائيل ومؤيدوهم تهديد اللا سامية أفضع استغلال لتحقيق هدفهم، فكتب الدكتور إسرائيل غولدشتاين في صحيفة نيويورك بتاريخ ١٥/٣/١٩٥٠ قائلًا: «ماذا ينتظر اليهود الأمريكيون؟ هل ينتظرون هتلر لطردهم؟ هل يتصورون أنهم لن تصيبهم المآسي التي حلت بغيرهم من اليهود حتى يهاجروا؟»

وظهر سخف المؤيدين (لإسرائيل) في مناسبات تالية عندما كتبت صحيفة (SWISS REVUE..) في ١١/٦/١٩٨٢ وعلى أثر مذبحه صبرا وشاتيلا قائلة «طالما وجدت إسرائيل فإننا نستطيع العيش ورؤوسنا مرفوعة.. علينا أن لا ننسى ذلك» وكأنهم كانوا يعيشون في وضع ميئوس منه قبل عام ١٩٤٨! إنها استغلال اللاسامية لتحقيق الصهيونية أهدافها، فقد كتب هيرتزل قائلًا: «إن اليهود يشكلون شعباً واحداً بحيث لا يمكنهم الانصهار مع الشعوب الأخرى ولكن يمكنهم التآلف مع أي مجتمع آخر يشعرون معه بالأمن لفترة طويلة، وهو ما لن يكون لمصلحتنا».. ولهذا فقد صمم سيناريو من اللا سامية منذ البداية للهجرة إلى فلسطين بوسائل مصطنعة. وهنا يمكن إيراد ثلاثة أمثلة على ذلك:

الأول - بالنسبة لحالة اليهود اليمينيين، فقد روي أنهم الوحيدون القادرون على ممارسة أعمال الزراعة وغيرها بأسعار رخيصة كالعرب الفلسطينيين، فعمدت الوكالة اليهودية لدعوتهم للهجرة إلى مملكة (إسرائيل) الثالثة، فجيء بهم على دفعات..

الثاني - بالنسبة لليهود «المهجرين» فكان منهم ١٠٠ - ١١٤ ألف شخصاً في منطقة الاحتلال الإسرائيلي في أوروبا ولكن الدعاية اليهودية لم تستطع أن تدفعهم للهجرة الطوعية إلى إسرائيل حتى استنكر المؤتمر اليهودي الأمريكي تقاعسهم عن الهجرة في ١٩٤٨/٥/٢٤ دون إجبارهم على ذلك وأنه لا بد من إقلاق راحتهم في بلاد المهجر، واستخدمت لذلك منظمة الهاغاناة. وكان بن غوريون صريحاً في رسالته للمدير التنفيذي للوكالة اليهودية بأن «المهجرين» سيجدون ملجأ في الأقطار الغربية..

والجدير بالذكر أن الأقطار الغربية التي ذرفت الدموع على يهود «المحرقة» HOLOCAUST إلا أنها لم تسمح إلا لعدد قليل للدخول إلى أقطارهم. فمن بين الـ ٢.٥ مليون يهودي الذين هربوا من النازية ما بين ١٩٣٥ و ١٩٤٣ لم يذهب منهم أكثر من نسبة ٨.٥% إلى فلسطين وأكثريتهم الساحقة (١.٩٣٠.٠٠٠) لجأوا إلى روسية. ومما قاله الحاخام كلوشنر «يجب أن نعلم أننا نتعامل مع ناس مرضى لا يطلب منهم شيء بل يدعو لعمل الشيء المطلوب مما يجعلهم شاكرين في السنوات القادمة»..

والثالث - بالنسبة ليهود العراق الذين مضى عليهم هناك أكثر من ألفين وخمسمائة سنة منذ النفي البابلي على يد نبوخذ نصر، والذين كان عددهم عام ١٩٤٨م مائة وعشرة آلاف شخصاً فقد قال حاخامهم خضوري ساسون: «اليهود العرب يتمتعون بنفس الحقوق والامتيازات منذ ألف سنة ولا يعتبرون أنفسهم جزءاً منفصلاً عن الشعب».. وجاء بعدها الإرهاب الإسرائيلي في بغداد عامي ١٩٥٠ و ١٩٥١م عندما أقيمت على اليهود هناك قنابل لتشعرهم أنهم في خطر، فتبع ذلك (عملية علي بابا) لترحيلهم..

وبالتأكيد يمكن إعطاء أمثلة كثيرة مارستها الصهيونية السياسية كما حصل في أمريكا اللاتينية إذ جرى ضغط كبير على يهود المكسيك للهجرة، وكذلك في الأورغوي والأرجنتين والبرازيل والبيرو. هذا وقد انتقل أسلوب الضغط إلى مطالبة اليهود، رغبوا أولم يرغبوا بالهجرة إلى فلسطين، بمساندة حكومة (إسرائيل) بالتبرع المالي لها بكل طاقاتهم المالية حتى خاطبهم نسيم غاون بمناسبة غزو لبنان ١٩٨٢ قائلاً: «إن جيش إسرائيل يتولى الجبهة العسكرية، وأما الجبهة الثانية المتمثلة في اقتصاد إسرائيل فهي بين أيديكم، فهبوا لمساندته بكل طاقتكم مبرهنين أن الشعب اليهودي شعباً واحداً ولا يمكن تفتيته». وقد قال ألين روتشيلد في ١٩٨٢/٩/٢٧ مباشرة بعد مذبحه صبرا وشاتيلا «لقد شوهدت أهمية هذه الأحداث كمحاولة لتحطيم المجتمع اليهودي والشعب اليهودي بعامه بجعلهم يتحملون الخطيئة الأساسية كيهود، وقد فقد منفذو تلك الحوادث وهم لبنانيون» متناسياً أن هؤلاء الفاعلين لم يكونوا إلا منفذين لأوامر إسرائيل، ولهم أن يشكروا شارون الذي فتح لهم المخيمات وحاصرها بجنوده وأشعل لهيب الوحشية التي نفذت تحت أعين جنوده تلك المذبحة.. فروتشيلد مثله مثل بيغن الذي قال (GOYIM KILL GOYIM) بمعنى غير اليهود يقتلون غير اليهود، فهما يتظاهران باستنكار هذه الجريمة وأنها تعادل «اللاسامية» التي تمارس ضد «المجتمع اليهودي»: [وكان اللاسامية ليست صناعة صهيونية أصالة واستغلالاً من أجل تحقيق الصهيونية السياسية بالذات لأهدافها] أو [كان ما فعلته إسرائيل وتحاول فعله الآن من خلال الحكم الذاتي الفلسطيني الذي تحرسه داخلياً وخارجياً، أمنياً وعسكرياً، بعيد عن مخططها المرسوم للحكم الذاتي المرسوم منذ أمد بعيد بغض النظر عن الضغوط الأمريكية عليهم] أو [كان مذاع شارون الوحشية في فلسطين اليوم بدعم كامل من أمريكا هي مجرد ردود فعل لمقاومة الاحتلال وليس جزءاً من مخطط أمريكا لمحاربة الإسلام باسم الإرهاب!].

٢- السياسة الخارجية - التوسع:

فقد كتب ديفيد تريش في ٢٩/١٠/١٨٩٩م إلى صديقه الحميم تيودور هيرتزل قائلاً بأنه من المستحيل أن تستوعب ٢٥ ألف كيلو متر مربع عشرة ملايين يهودياً ولذلك لا بد أن تكون دولة إسرائيل شاملة لفلسطين والأرض المجاورة لتصبح فلسطين الكبرى.. إنه منطق الصهيونية التوسعي..

والذي يجعلها تتخطى حدود الدين إلى أمة ودولة بحيث يصبح كل يهود العالم تابعين لتلك الأمة ومكافحين ليكونوا ضمن تلك الدولة، معتمدين في صهيونيتهم على أسطورة العنصر وأسطورة الدين الذي يعطيهم الأرض الموعودة.. وكان ما أشار إليه سفر التكوين من أن الله سيعطي أحفاد إبراهيم تلك الأرض (فلسطين) من النيل إلى الفرات سيعطيها لأحفاد العنصر والدم وليس لأخوة الإيمان والعقيدة.. وكان العرب ليسوا من أحفاد إبراهيم بحجة كونهم أبناء إسماعيل.. بل كأن أسطورتهم بأن يهود اليوم هم أحفاد الكنعانيين القدماء مع يهود اليوم مع أنهم خليط من سكان القرم إلى سكان اليمن، ومن اثيوبيا إلى اسبانيا، وأنه ليس من حقهم أن يعتبروا تراث أولئك الأجداد تراثاً لهم من دون غيرهم من المسلمين والعرب النصارى الذين حملوا نفس تراث مملكة داود أكثر من البولنديين والروس والرومانيين والهنغارين واليمنيين ومهاجري شمال افريقية الذين طردتهم الدعاية النازية وجعلت منهم وحدة واحدة متشابهة شكلياً ونفسياً..

حتى قال بن غوريون صراحة: «لتحقيق ذلك - شمول الدولة فلسطين وما حولها - لا بد من اعتماد الدولة على الإيجاد والاصلاح، على البناء والتوسع» ويجري ذلك بتنفيذ نظرية الاستيلاء على الأرض وطرد السكان.. إنه قانون الغاب الذي سنته الدولة الصهيونية من بدنها، فهي لم تحترم حتى قرار التقسيم ولا غيره وإنما واصلوا احتلال وضم الأراضي بحجة مساعدة العرب للفلسطينيين.

ثم إنهم استغلوا أسطورة تصدي داود الضعيف الممثل لإسرائيل لجوليات العملاق الممثل للعرب من أجل استدرار العطف على «الشعب الضعيف» المهدد في أمنه ووجوده مما برر حشد الإمكانيات العسكرية الهائلة لجيشهم ليتفوق على جميع الجيوش العربية مع أن عدد قوات الدول العربية من مصر وسورية والأردن ولبنان والعراق عام ١٩٤٨ كانت أقل من ٢٢ ألف جندي بينما كان عدد جنود إسرائيل ٦٥ ألف جندي، وقد قال بن غوريون في ١٩٦٤/٣/٥ وكان متقاعداً: «لو كان الجنرال ديان هو الذي قاد الجيش الإسرائيلي عام ١٩٤٨ لكانت أراضي إسرائيل أوسع من الآن» فرد عليه الجنرال آلون الذي كان يقودها: «لقد كان رئيس الوزراء ووزير الدفاع - بن غوريون - يتعرض لضغط الرئيس ترومان عندما أمر بتوقف زحف جيشنا عن التقدم، وإلا لكنا انتصرنا في جميع الجبهات من الليطاني شمالاً إلى سيناء جنوباً، ولم يكن أمامنا إلا بضعة أيام لتحقيق ذلك.. وتحرير جميع البلاد»..

فظهر أن هذا التوسع كان موجلاً فقط لفرصة أخرى، وعندما أمم عبد الناصر القناة انتهز قادة (إسرائيل) الفرصة لمزيد من التوسع بالتحالف مع بريطانية وفرنسة عندما عقد ديان وبيريز التحالف معهما في باريس مع الجنرال شاليه والحكومة الفرنسية. ولكن التدخل الأمريكي والسوفيتي أوقفا الحملة مع الإبقاء على «الخطة الكبيرة» لوقت آخر حتى قال مناحيم بيغن: «أرض إسرائيل ستعاد للشعب في إسرائيل، كلها، وإلى الأبد»..

وكانت ضربة ١٩٦٧ لتحل مشكلة البطالة وتزيد من الهجرة وتعيد تدفق المساعدات المالية الخارجية. وهكذا كانت الحرب الوقائية لعام ٦٧ التي كان بيغن قد نادى بها منذ ١٠/١٢/١٩٥٥ لأن في ذلك إفناء القوة العربية من جهة أولى والتوسع في الأرض من جهة أخرى، كما قال بيغن، فكانت «حرب الأيام الستة» تشبه هجوم بيرل هاربر الياباني على أمريكا في ٧/١٢/١٩٤١ عندما فاجأوا الاسطول الامريكي هناك ودمروه، إذ فاجأوا الجيش المصري ودمروا قواته الجوية وهي على الأرض، ولم يصدق أحد كذبة التبرير لتلك الحرب بتعرض إسرائيل للخطر حتى قال مردخاي بن توف مستنكراً ذلك «أن قصة الخطر في تعرض إسرائيل للفتاء اخترعت كلها وضخمت لتبرير ضم أراضي عربية جديدة» وأكد ذلك الجنرال وايزمن «لم يكن هناك أي خطر بالإفناء» كما قال الجنرال ماتيتياهو بيليد «إن موضوع خطر إبادة إسرائيل التي أشيع في يونيو ١٩٦٧ والذي على أساسه خاضت إسرائيل الحرب في سبيل بقاء وجودها لم يكن إلا خدعة ولدت وترعرعت بعد الحرب»... وحتى الجنرال رايبين «لا اصدق أن ناصر أراد الحرب لأن الفرقتين اللتين أرسلهما إلى سيناء في ١٤ مايو لم تكن تستطيعا إيقاع أي أذى بإسرائيل، فهو يعرف ذلك ونحن نعرف ذلك»..

فالدعوان والكذب كانا مجتمعين مما مكن إسرائيل لتحتل سيناء: الكذب لأن التمثيل الرسمي لإسرائيل استمر في التأكيد على أنهم لا يسعون للضم حتى قال ممثل إسرائيل مايكل كوف في ٦٦/١١/٨ في الأمم المتحدة «لا تشتهي إسرائيل أي أرض لجيرانها» وقال ديان «ليس لدينا أي أهداف للغزو» وذلك يوم ١٩٦٧/٦/٥ بينما أكد الجنرال هود قائد الطيران الإسرائيلي كذبهم عندما قال «لقد انتهى في تلك الدقائق الثمانين تخطيط ١٦ سنة مضت... لقد عشنا تلك الخطه، وكنا ننام عليها، ونأكلها حتى أتقنّاها تماماً».. وهكذا احتلوا ثلاثة أمثال الأرض المحددة لهم في تقسيم ١٩٤٧م وكانت شهيتهم لمزيد من الاحتلال في تزايد حتى قال ديان في يوليو ١٩٦٨ خلال المائة سنة الأخيرة كان شعبنا يعمل في بناء البلد والشعب للتوسع لاستيعاب المزيد من اليهود وإنشاء المزيد من المستوطنات لتتوسع حدودنا هنا.. فليتوقف أي يهودي عن القول بأن العملية قد انتهت أو أننا اقتربنا من نهاية الطريق». وأجابت غولدا مائير عام ١٩٧٢ على سؤال عما تعتبره لازماً من الأرض لحفظ أمن إسرائيل قائلة: «إذا قصدت رسم خط لحدودنا فإننا لم نفعل ذلك وسنفعله عندما نصل إليه، وإحدى المواد الرئيسية في سياسة إسرائيل أن حدود ١٩٦٧/٦/٤ لن تعود كما كانت في اتفاق سلام ولكن يجب أن تغير الحدود في جميع الجهات من أجل الأمن».

وبعد غزو لبنان ومذبحة صبرا وشاتيلا أدرك الملايين من الغربيين بأنهم كانوا ضحية الاستغلال الصهيوني طيلة هذه الفترة الطويلة بالرغم من عمليات التعمية والتبسيط التي قامت بها وسائل الإعلام وظهرت أكذوبة الاعتداء على السفير الإسرائيلي في لندن والتي اتخذت كمبرر للهجوم على لبنان. ثم تبعتها أكذوبة (عملية السلام من أجل الجليل) التي ظهرت في استهداف خلق منطقة أمنية في جنوب لبنان بعرض أربعين كيلو متر عندما سمحت القوات الدولية للجيش الإسرائيلي بالعبور والوصول إلى بيروت ثم تعيين رئيس الجمهورية الذي كانوا يعدونه منذ أمد بعيد لهذه المهمة، ثم قتلوه كما عينوه ليتخذوا من ذلك مبرراً للمزيد من الاحتلال وتثبيت سيطرتهم، وكررها بيغن GOYIM KILL GOYIM والحقيقة أنه السعي لتحقيق (اسرائيل الكبرى)..

لقد كان بن غوريون قد كتب في يومياته في ١٩٤٨/٥/٢١: «إن كعب أخيل في التآلف العربي هو لبنان، وسيطرة المسلمين عليه مصطنعة من السهل القضاء عليها، فإيجاد دولة مسيحية أمر لازم بحدود تقف عند نهر الليطاني، ثم توقيع معاهدة تحالف معها، وبعد تمزيق هذا التحالف العربي وقصف مدينة عمان نستطيع إزالة دولة شرق الأردن ثم سورية، وإذا جرأت مصر على إثارة الحرب ضدنا فإننا سنقصف بورسعيد والاسكندرية والقاهرة، فنهي بذلك الحرب فنكون قد ثأرنا ضد مصر.. لصالح أجدادنا».

وقد كتب موسى شاريت في يومياته: «ووفقاً لخطة ديان فالشيء الوحيد الضروري كان أن نجد ضابطاً ولو برتبة رائد إما يكسب قلبه أو بشرائه بالمال ليعلن نفسه المخلص للشعب الماروني. ثم يدخل الجيش الإسرائيلي لبنان ويحتل الأراضي اللازمة، ويخلق الدولة المسيحية التي تتحالف مع إسرائيل بحيث تمتد الأرض من الليطاني جنوباً..»

وهكذا ظهر معنى أكذوبة الأمن والسلام في الجليل باجتياح إسرائيل للبنان عندما أوضح ذلك البروفسور نيمان أحد وزراء بيغن قائلاً: «وهكذا تستطيع إسرائيل الآن أن تجد الفرصة الممتازة لإيجاد نظام جديد في لبنان.. فعلى قوات الدفاع الإسرائيلية أن تعد نفسها لإقامة طويلة هناك.. وتستطيع إسرائيل خلال هذه الفترة أن تحقق نمواً اجتماعياً واقتصادياً وتقنياً في المنطقة المجاورة لتجعلها جزءاً من أرض إسرائيل الموعودة كما من الممكن أن تضم إسرائيل الشريط الجنوبي من الليطاني..» كما أعلن شارون بأن إسرائيل بما فعلته في لبنان «قد أنجزت الجزء البسيط من المهمة» كما صرح البروفسور لبوفيز في مؤتمره الصحفي في القدس في ١٩٨٢/٦/١٤ بأن «الهدف من هذه الحرب هو الإعداد للحرب التالية..»

وأما الجنرال المتقاعد شلومو غازيت الذي تولى رئاسة جامعة بن غوريون في بئر السبع فقد حدد الأهداف الجوهرية للصراع الإسرائيلي العربي قائلاً: «الهدف الأول التأكيد أن إسرائيل أريزت التاريخية لن تقسم ثانية.. والهدف الثاني أن إسرائيل أريزت التاريخية ستبقى تحت السيطرة اليهودية، وستبقى دولة يهودية.. والهدف الثالث أنها

الحل الكامل لمشكلة العرب مع إسرائيل ارتيز التاريخية.. فالحل لهم يجب أن يكون خارج أرض إسرائيل التاريخية».

وقد كتب أوديد بينون في مجلة (الجهات) ونشرته المنظمة الصهيونية العالمية في عددها ١٤/٢/١٩٨٢، مقالاً حدد فيه (استراتيجية إسرائيل في الثمانينات) بأنه التدخل في الدول العربية المجاورة لتفكيكها وأن ذلك يعتمد على مساندة الولايات المتحدة ضد العالم الثالث كله.. من أجل تحقيق حلم «إسرائيل الكبرى»: «إن استرجاع جزيرة سيناء بمواردها الكبيرة هي مرحلة أولى في الهدف السياسي الذي تعرقله اتفاقيات كامب ديفيد للسلام.. وأن مصر قد فقدت ٥٠% من مكائتها بين العرب بحرب ١٩٦٧.. مما يبسر على إسرائيل تقسيمها إلى مناطق جغرافية كهدف سياسي لإسرائيل في الثمانينات بين المسلمين والمسيحيين.. ومما يجعل الاقطار البعيدة عنها كليبيا والسودان لا تبقى على حالها.. هذا بالنسبة للجهة الغربية أما الشرقية في لبنان فإنها أكثر تعقيداً لأن تقسيمها إلى خمس مناطق يعطي أسبقية للعالم العربي كله.. وتقسيم سورية فالعراق بعدها عرقياً أو دينياً هو هدف إسرائيل البعيد المدى كما أن تحطيم قدراتها العسكرية هو الهدف القريب المدى: فتنشأ دولة للعلويين على الساحل، وأخرى للسنة في حلب وجوارها، وأخرى للسنة في دمشق وجوارها معادية للشمال، وأخرى للدروز في الجولان وحروران والجليل وشمال الأردن لتشكل ضماناً للسلام والأمن الإسرائيلي على المدى البعيد، وتمزيق العراق بحرب مع سورية يحقق ما نطمع به بإيجاد دولة للشيعية حول البصرة، وأخرى للسنة حول بغداد، وثالثة للأكراد حول الموصل، بحيث نجعل المواجهة مع إيران تعمق ذلك التقسيم.. والجزيرة العربية يمكن تقسيمها هي أيضاً بما يجري داخلها وخارجها من تصارع.. وأما الأردن فإنها هدف المستقبل القريب بعد انتهاء حكم الملك حسين وتسليمها للفلسطينيين مما ينهي هذه الكثافة العربية غربي النهر بالحرب أو بالهجرة السلمية بحيث ترفض فكرة الحكم الذاتي وأي مصالحة على حساب الأرض أو تقسيمها لأنه من المستحيل العيش في هذا البلد كما هو الحال الآن إلا بتقسيمها بين شعبيين: العرب إلى الأردن واليهود في الضفة الغربية، لأن التعايش الحقيقي والسلام سيسودان فقط عندما يفهم العرب بأنه بدون سيطرة اليهود بين الأردن والبحر لن يكون هناك وجود ولا أمن.. ولا بد من دخول الحقبة النووية لأنه من المستحيل أن نعيش بثلاثة أرباع اليهود الموجودين في العالم هنا على هذا الشريط الساحلي إلا بتوزيع السكان كهدف استراتيجي داخلي بحيث تكون يهودا والسامرة والجليل هم الضمان الوحيد لوجودنا الوطني لأنه إذا لم نشكل الأكثرية في المنطقة الجبلية فلن نسيطر على البلد، وسنكون كالمسيحيين الذين أضاعوا البلد.. فإعادة التوازن سكانياً واستراتيجياً واقتصادياً هو هدفنا المركزي الأعلى، والسيطرة على مجرى المياه من بئر السبع إلى الجليل الأعلى ضرورة لهدفنا الاستراتيجي الرئيسي للإقامة في القسم الجبلي من البلاد والذي ما زال فارغاً من اليهود حتى الآن».

فبلد صغير بهذا الحجم والسكان كيف يستطيع أن يلعب مثل هذا الدور في الشؤون العالمية.. فحاييم وايزمن عندما قال للإنجليز «فلسطين اليهودية ستكون حارس

الأمن لإجترا وخاصة بالنسبة لقناة السويس». ونتيجة لتغير ميزان القوى الدولي وتركيزه في يد امريكة فقد أصبح لإسرائيل هذا الدور لصالح الولايات المتحدة، فهي حارس المنطقة لصالحها بعد طرد الشاه، فهي تحرس القناة كما تحرس مناطق النفط وحوض البحر المتوسط الشرقي كله لأنه من غير الممكن أن يتولى الأمريكان ذلك بأنفسهم بعد أن علمتهم تجربة فيتنام أن يحذروا التدخل المباشر في العالم الثالث، فهم يعملون من خلال وكيلتهم إسرائيل مما يجعلهم يساعدونها بدون حدود ولا قيود مالياً وسياسياً وعسكرياً حتى قالت مجلة الهارولد تريبيون الدولية في ١٩٨٢/٧/٢٢ بأن «الحكومة الإسرائيلية ستنفق خمسة بلايين ونصف دولار هذا العام على قواتها المسلحة، وسيكون دولار من كل ثلاثة من خزينة الولايات المتحدة». وقد تسلمت إسرائيل من خلال برنامج المساعدات الخارجية الأمريكي ١٥ بليون دولار من واقع ٢٨ بليون وزعت في العالم منذ عام ١٩٥١م، فمثلاً ٥٦٧ طائرة استخدمتها إسرائيل وكانت في حيازتها عند غزو لبنان كان من بينها ٤٥٧ طائرة من هبات وقروض أمريكية.. وبمجرد تقديم قوائم الأسلحة للبنتاغون تتسلم إسرائيل كل ما يلزمها من أسلحة ولو قبل تجربتها من قبل الجيش الأمريكي نفسه كما حصل مع طائرة HAWKEYE E-2C التي استخدمت ضد أهداف بعيدة في عمق سورية في حرب لبنان.

ومن جهة الموقف السياسي الجغرافي فإن جنوب إفريقية هي البلد الوحيد الذي يتضامن مع (إسرائيل) تماماً من أجل حماية المصالح الأمريكية وحراسة العالم الحر في خطه الأول، فهما متكاملان لحراسة البحر المتوسط والمحيط الهندي ورأس الرجاء، فذولة قوية صديقة (إسرائيل) في نهاية افريقية الجنوبية لها قيمة استراتيجية لا تقدر بثمن عند بوابة (إسرائيل) الخلفية. وقد أشادت هارنس في ١٩٧٦/٤/٢٦ بزيارة فورستر رئيس وزراء جنوب إفريقية (إسرائيل) في ذلك الوقت وزار نصب ضحايا النازية وقالت بأن «مصلحة دولة (إسرائيل) الوطنية» أكثر أهمية من قدسية ذكرى الضحايا بملايينهم الستة.. وتوطدت العلاقات أكثر فأكثر بين (إسرائيل) وجنوب افريقية منذ أول محادثات عام ١٩٧٠ أجراها شمعون بيريز مع وزير دفاعها (بوتا)، حتى كتبت التايمز صراحة في ١٩٧٦/٤/٣ بأن (إسرائيل) هي احدى الدول القليلة التي تزود جنوب افريقية بالاسلحة الحديثة ضد المقاطعة الدولية وتستخدم مكاسيها في ذلك ضد العرب.. كما استعانت بها في صناعتها الذرية حيث كتب شلومو رونسون في هارتز في ١٩٧٥/٦/٢٩ بشأن اعادة تدقيق استراتيجية اسرائيل السياسية قائلاً: «إن السلاح النووي هو أحد الوسائل التي تحطم الآمال العربية في الانتصار على اسرائيل.. فعدد قليل من القنابل الذرية كفيلاً بتخريب جميع العواصم العربية وتدمير سد أسوان. وبمزيد من هذه القنابل يمكن التعامل مع المدن العربية المتوسطة الحجم ومع مراكز النفط.. فهناك حوالي مائة هدف في العالم العربي يحرم تحطيمها العرب من جميع المكاسب التي كسبها من حرب الكيبور».

وقد ذكر هيرتزل بوضوح في كتابه (الدولة اليهودية) «سنشكل هناك - في فلسطين - جزءاً من استحكام لأوروبا ضد آسية، فهي مخفر أمامي للحضارة ضد

البربرية» ومنذ ذلك الوقت واسرائيل تشكل ليس فقط وكيل الاستعمار الغربي الجماعي في الشرق الأوسط ولكن أيضاً للولايات المتحدة بخاصة تشكل جزءاً رئيسياً في لعبة القوات على رقعة الشطرنج ضد الاتحاد السوفيتي.. وقد استغل بيغن عداة الشيوعية أعظم استغلال لصالح الصهيونية السياسية حتى أنه رد على إدارة ريغن بمذكرة سلمها للسفير الامريكى قال فيها: «اي نوع من الحديث هذا حول معاقبة اسرائيل؟! وهل نحن دولة تابعة لكم؟ هل نحن جمهورية موز؟! إنك لن تخيفنا بالعقوبات. وأضاف بأن شعب اسرائيل قد عاش لـ ٣٧٠٠ سنة دون اتفاق على استراتيجية التعاون مع امريكا، وسيعيش دون حاجة لهذا التعاون ٣٧٠٠ سنة أخرى.» فهذا التبجح الوقح من بيغن ليس خطراً على اسرائيل لأن سياسة الصهيونية الإسرائيلية تستجيب لأهداف السياسة العالمية للولايات المتحدة وتلعب دوراً ليس خطراً على (اسرائيل) لأن سياسة الصهيونية الإسرائيلية تستجيب لسياسة العالمية للولايات المتحدة وتلعب دوراً لا يعوض لصالحها مما يجعل الحكومة الإسرائيلية يمكنها أن تقول ما تشاء.

وبالنسبة لتمويل دولة (اسرائيل) فإنها مفتاح طبيعة هذه الدولة، فقد كشف بنحاس سابير وزير المالية آنذاك عندما خاطب مؤتمر المليونيرية اليهود الذي عقد في القدس (٩-١٠/٨/١٩٦٧) بأن (اسرائيل) قد تسلمت مبلغ سبعة بلايين دولار ما بين ٤٩ و ١٩٦٦.. فمثل هذا الرقم يشير إلى المقارنة بالمساعدة التي أعطاها مشروع مارشال للغرب ما بين ٤٨ و ١٩٥٤ التي وصلت إلى ١٣ بليون دولار. وأما معدل المعونة السنوية للبلدان الفقيرة ما بين ٥١ و ١٩٥٩ فلم يتجاوز ٣١٦٤ مليون دولار بينما (اسرائيل) وحدها قد تسلمت ٤٠٠ مليون دولار أي ١٠/١ المجموع. وللمقارنة الأوضح نرى أن (اسرائيل) تسلمت كهبات خلال ١٨ سنة أكثر من مجموع الدخل السنوي لدى جميع الأقطار العربية (مصر وسوريا ولبنان والأردن) الذي وصل عام ١٩٥٦ إلى ٦ بلايين دولار. وبالنظر لمساهمة أمريكا فإننا نجد أنها ما بين ٤٥ و ١٩٦٧ قد قدمت ٤٣٥ دولار لكل إسرائيلي و ٣٦ دولار لكل عربي مما يجعل نسبة ٢.٥% و ٩٧.٥% للعربي واليهودي بالتتالي.. وهكذا يظهر أن اعتماد دولة (اسرائيل) الصهيونية على المساعدة الخارجية هو الأعظم بين جميع الدول.

ومما قاله هيرتزغ مدير عام مكتب رئيس الوزراء لمؤتمر المليونيرية اليهود عام ١٩٦٧ محدداً الهدف من المؤتمر بأنه «لننظر في كيفية جذب استثمارات أكبر إلى اسرائيل ونأتي بمستثمرين يهود من الخارج ليشاركوا مع الاقتصاد الإسرائيلي بمسئولية مباشرة.. إننا الآن نخطط شيئاً آخر أيضاً، إنه نوع من الحوار الكبير حول مطابقة المهجر (DIASPORA) مع اسرائيل وحول الكفاح ضد الذوبان في الخارج.»

واستمر الدفع عندما تولت المنظمات الأمريكية اليهودية بإرسال مليون دولار سنوياً (اسرائيل) اعتبرت كعطية معفاة من الضريبة مما يضاعف العبء الضريبي على المواطن الأمريكي لصالح مجهود (اسرائيل) الحربي وتمويل اعتداءاتها، وإن كانت

مساهمة الحكومة الأمريكية المباشرة التي قفزت إلى أكثر من ٣ بلايين دولار كل سنة في الثمانينيات، ثم زيد هذا المبلغ بعد ١٩٨٢م واستمر نصفه كهبات وقروض ما أسرع ما تُنسى مع أن دين (إسرائيل) الخارجي قد اقترب إلى ٢٠ بليون دولار بمعدل ٥ آلاف دولار على كل فرد من الشعب... ولا ننسى أخيراً أن المعونة الاقتصادية تشتمل على التسهيلات للصادرات الإسرائيلية وأمريكية حيث تنال الأفضلية في التعرف «للبلدان النامية» مما يجعل ٩٦% من الصادرات (وتعادل بليون دولار) تدخل البلاد معفاة من الضريبة. وهكذا يظهر أن ٧٥٠ دولاراً لكل إسرائيلي تصل المعونة.. وتعتمد (إسرائيل) في الحصول على هذه المعونات على عدة أساطير منها ضعفها وتهديد جيرانها الدائم لها في حربها المفروضة عليها للحفاظ على بقائها مع أنها تملك القدرة على ضرب دمشق وبغداد وعمان والقاهرة معاً خلال ٤٨ ساعة وأنها هي المعتدية دائماً على الجميع مستغلة قصة تعرض داود الصغير لابتلاع جوليات العربي..

٣- أساليب سياسة (إسرائيل) - إرهاب الدولة:

علينا أن نستبعد أولاً منحنى اللا سامية الإجرامي والجنوني المتساق مع الصهيونية السياسية، إذ تحاول (إسرائيل) أن تسقط مسئولية جرائم الشعب ككل في الداخل واليهود أجمع في العالم، مع أنهم في معظمهم ضحايا ممارسات قادة الصهيونية. فبالرغم من الضغط الذي يتعرض له الشعب فإن بعض أفرادها في إسرائيل وغيرها بدأوا يعون الموت الانتحاري الذي تقود الصهيونية إليه كلا من اليهود وغيرهم.

هذا وإن التصدي لعقيدة الصهيونية السياسية التي قامت عليها دولة إسرائيل يمكننا من التصدي للسامية بفعالية بعدم الخلط بين تلك العقيدة الشريرة وسياسة الاستيطان التي أوحث بها لجمهور الشعب الإسرائيلي في الداخل والخارج.. ولكننا لا نستطيع أن نخلط بين الهتلرية والشعب الألماني كما لا نستطيع أن نحمل أي شعب مفضل من قادته مسئولية أفعال أولئك القادة وإن أوصل الشعب هؤلاء القادة إلى الحكم. ومن الحق أن يقال أن الثالث الذي يقود ويوجه السياسة الصهيونية في إسرائيل في الوقت الحاضر هو ثالث جرائم الحرب، فبيغن كما وصفه بن غوريون هو (نموذج هتلري كامل) فقد كان يرأس عصابة الأورغون التي ارتكبت مذبحه دير ياسين، وأنه بذلك لا يختلف عن النازية فكراً وسلوكاً، كما رآه البرت أينشتاين الذي قال عنه «أنه من اللازم أن يعرف بيغن وحركته في هذا البلد لكي تتوفر للناس الحقائق اللازمة عنه لكي لا يدعوا هذه المظاهر الفاشية الحديثة».. بيغن هذا هو الذي شكر وزير دفاعه على مذابح صبرا وشاتيلا وخاطب الميجر حداد بقوله «صديقي حداد»..

وزير بيغن للدفاع الجنرال أرييل شارون، هو الرجل الثاني في الحكومة وجلاد لبنان وهو الذي شكل الوحدة ١٠١ عام ١٩٥٣ بأمر من موسى ديان، وقام بأعمال

الرب على قرى الحدود لطرد السكان العرب لتحقيق سياسة الصهيونية في إحلال اليهود محل السكان الاصليين، فقاموا بأول هجوم على قبية من ١٤ - ١٥/١٠/١٩٥٣ وقتلوا ٥٥ شخصاً فيها ٤/٣ من النساء والأطفال. وخلال حرب ١٩٦٧ أمر شارون فرقة من جيشه التي هاجمت سيناء بقتل مئات من الجنود المصريين ورفض أخذهم أسرى في الأيام الأخيرة من الحملة، وقد كانت أوامر دايان «لا تأخذوا أسرى، دمرُوا جميع القوات المصرية في سيناء».

وقد كتب شارون في ١٩٧٣/٧/٢٦ في يديعوت أخرونوت «إن إسرائيل الآن قوة عسكرية متفوقة.. فكل القوى الأوروبية أضعف منا، فتستطيع (إسرائيل) أن تهزم في أسبوع واحد كل المنطقة من الخرطوم إلى بغداد والجزائر». وكوزير دفاع كانت القذائف النووية تحت تصرفه مما يجعله يطلق مثل هذا التبجح.

والرجل الثالث في هذه الوزارة هو اسحق شامير، وزير الخارجية، فسجل هذا الرجل حافل بالعنصرية، وقد لخصت يديعوت أخرونوت في عددها الصادر بـ ١٤/١١/١٩٧٥ سجله بعد الاقتراع على قرار الأمم المتحدة الذي استنكر الصهيونية كشكل من أشكال العنصرية، فكتب: «ليس من المقبول بأن الأمم البشرية التي انحدرت من مستوى البشر أن تتحمل مسؤولية قيادة العالم. فكم سيستطيع مثل هؤلاء الكائنات البدائية أن يكون لديها آراء من ذاتها؟ فإن الضربة التي تلقيناها من منظمة الأمم المتحدة ستقتعنا مرة أخرى بأننا لسنا كالأمم الأخرى» هذا هو الخيط الذي يوجه سياسة الصهيونية الخارجية، وشامير كان خير إنجاز منطقي لهذه الفكرة. فهو أحد القادة الثلاثة لحزب لاهي (المحاربون في سبيل حرية إسرائيل) المعروفة باسم عصابة شتيرن. فقد اكتشف المؤرخ الألماني كلاوس بوكلين أثناء بحثه عن الأرشيف السري للرايخ الثالث خطة تحالف بتوقيع وزير خارجية هتلر وعصابة شتيرن في يناير ١٩٤١م، وأن الاقتراحات قد قدمت بواسطة الملحق البحري في السفارة الألمانية في تركيا الذي كان مسؤولاً عن مهمات خاصة في الشرق الأوسط. وفي رسالة مؤرخة ١١/١/١٩٤١ وافق على أفكار لاهي: «إخلاء الجماهير اليهودية من أوروبا هو الشرط الأول لحل المشكلة اليهودية ولكنها غير ممكنة حتى تستقر هذه الجماهير في دولة يهودية تكون ضمن حدودها التاريخية.. وهذا هو هدف النشاط السياسي وكفاح لاهي الطويل ومنظمتها العسكرية الوطنية:

- (١) قد يكون مصلحة مشتركة بين إيجاد نظام جديد في أوروبا طبقاً لمفاهيم ألمانية وطموحات الشعب اليهودي كما هي مجسدة في منظمة لاهي.
- (٢) من الممكن التعاون بين ألمانية الجديدة والأمة العبرية الوليدة.
- (٣) إن إيجاد الدولة اليهودية التاريخية على أساس وطني وجماعي، وعقد المعاهدة مع الرايخ الألماني، يمكن أن تساعدنا في الحصول على موقع لألمانية في الشرق

الأدنى وتقويه.. فالتعاون مع لاهي سيكون طبقاً لخط الكلام الأخير الذي صدر عن مستشار الرايخ الثالث والذي أكد فيه الهير هتلر بأن أي تجمع وأي تحالف سيكون مقبولاً من أجل عزل بريطانيا وهزيمتها».

فمثل هذه الكراهية لبريطانية قادت شامير كرئيس لعصابة شتيرن ليؤدي باللورد موين الوزير البريطاني المسؤول عن شؤون الشرق الأوسط إلى القتل في المظاهرة التي جرت في القاهرة في نوفمبر ١٩٤٤، ثم بنفس الأسلوب الإرهابي قتل الكونت برنادوت في ١٧/٩/١٩٤٨. فقد كان الاهتمام الوحيد لشامير وصحبه بالصهيونية السياسية لإيجاد (فراغ حي) في فلسطين لازم لإحضار يهود العالم هناك. وقد كتب هارولد رينهارت في ٢٣/٩/١٩٤٨ في التايمز: «فقط الجنون يستطيع أن يفسر جريمة قتل الكونت برنادوت ولكن الحد الفاصل بين الجنون والقومية المنطلقة من لجامها غير متعين، لأن القومية العارية لا تعرف غير قانون الضرورة لأن عاطفتها نحو المجال الحيوي LEBENSRAUM وراء مجال العقل والشعور فهي تلد من اليأس والتحرر من الوهم فإن «القومية المجردة» على النقيض من العرف اليهودي كله تجد بعض التعبير عن نفسها بين يهود اليوم».

هؤلاء هم ثالث جرائم الحرب الذين سيطروا على (إسرائيل) في فترة غزو لبنان، وسيكون من السذاجة افتراض أن المشكلة ستحل بمجرد تبديل هؤلاء الرجال بشخصيات أخرى مختلفة عنهم، لأن الموضوع ليس رجال بل مبدأ الصهيونية السياسية التي يشكل الأفراد هؤلاء فيها مجرد حدودها المتطرفة. فالبربرية بوجهها الإنساني ما زالت بربرية، وريغان بالتأكيد يريد أتباع أقل عجرة من بيغن لمتابعة نفس السياسة، فهو ولا شك يفضل شمعون بيريز وفريقه.. وبالإضافة لذلك فإن هذا الفريق «الاحتياطي» يتشكل من رجال كانوا في السلطة منذ تأسيس دولة إسرائيل حتى الآن، فشمعون بيريز كان هو التلميذ المفضل لدى بن غوريون الذي أبرز خطوط برنامج الصهيونية السياسية بكل نتائجها السيئة، فهل كان أكثر إنسانية تجاه الفلسطينيين؟ وقد أجابه شارون عندما عاتبه على مذبحه صبرا وشاتيلا قائلاً: «أين كان الضباط الإسرائيليون عندما ذبح الفلسطينيون في مخيم تل الزعتر؟ فقد كنت أنت وزير الدفاع آنذاك». وفي الحقيقة عندما قام رجال الكتائب المسيحيون بعد حصار خمسين يوماً لتل الزعتر من ٦/٢٢ - ١٢/٨/١٩٧٦ بذبح ٢٠٠٠ شخص وإخفانهم (حسب إحصائية الصليب الأحمر الدولي) لم يرفع شمعون بيريز وزير الدفاع أصبعه معترضاً على تلك البشاعة التي ارتكبتها صنائع إسرائيل. وبالتأكيد فإن آريل شارون هو الذي تبجح بجرائمه قائلاً: «يجب أن نضرب، ونضرب ونضرب باستمرار... في كل مكان: في الريف والمدن العربية وما وراء البحار.. لأنها مسألة مينوس من إيجاد حل لها، فعلياً بعد أن ضربونا أن نلاحقهم بالضرب في كل زمان ومكان. ولو عرفنا أنهم في بلد أوروبي معين فيجب أن نلاحقهم رغم كل الصعاب والقيود. إننا لسنا بحاجة للحرب الواسعة. شخص ما يجب أن يختفي هناك وشخص ما يوجد هنا وشخص آخر يعثر عليه مطعوناً حتى الموت في ناد أوروبي ليلى».

فما يتحدث عنه شارون يتحدث عنه حزب العمل لأن إرهاب الدولة هو منطق الصهيونية السياسية ككل. فنتائج التحقيق في جريمة قتل وائل زعير في رومة في ١٦/١٠/١٩٧٢م (ممثل منظمة التحرير الفلسطيني في ايطالية) فإنها صدرت عن المحكمة في نوفمبر ١٩٨١م بأنهم لم يستطيعوا أن يجدوا شخصاً متهماً وأنها كشأن سياسي تقع خارج مجال اختصاصها.. فهذه جريمة نفذتها منظمة تخص حكومة اسرائيل... وإن قتل ستة اشخاص في الفترة ما بين أكتوبر ١٩٧٢م ويوليو ١٩٧٣ إنما هي نتيجة الحرب الشرسة التي تخوضها اسرائيل ضد المقاومة الفلسطينية وممثليها في كل مكان وبكل الوسائل الممكنة.. وإن مثل هذه الجرائم يجب أن تسجل ضمن الخدمة الاسرائيلية السرية وبشكل خاص تتبع قسم يعمل بنشاط على مستوى العالم.. وقد أوردت غولدا مائير ملاحظات في وقت جريمة زعير مشابهة لملاحظات ارييل شارون فقالت عند سؤالها في الكنيست في ١٨/١١/١٩٧٢ وبعد ٤٨ ساعة من وقوع الجريمة: «إن كل ما أعرفه هو أن الرصاصات قد أصابت هدفها».

فمن هو الذي قدم قانون العودة العنصري؟ ومن الذي نظم قضم الأرض النظامي؟ ومن الذي طرد من الأرض مزارعيها؟ ومن الذي ارتكب العدوان على السويس؟ وعدوان ١٩٦٧؟ إننا نعثر في كل مرة على أسماء بن غوريون وموشيه دايان وغولدا مائير وشمعون بيريز.. إنهم كل الأشخاص الذين ينسبون إلى الحزب الذي يقف الآن في «المعارضة». فالهجوم على لبنان من قبل بيغن وعصابته ما هو إلا مجرد فصل من نفس القصة، خاضع لنفس المنطق. فليس هناك خلاف رئيسي بين الليكود والعمل حول أسس هذه السياسة. فلم يعترض على سياسة الحكومة عند التصويت بالثقة عليها بعد غزو لبنان غير حزب راکاح الشبوعي و ٩ نواب آخرين امتنعوا عن التصويت منهم ساريد عضو حزب العمل.

وهنا يرى المؤلف أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الجهة الوحيدة القادرة على التفاوض من أجل حل المشاكل إذا بحث عن السلام بغض النظر عن تعنت الليكود وحزب العمل معاً ضد المفاوضات.. فالمؤلف على معرفة قريبة برجال المنظمة ومدى حرصهم على التهاك للصلح مع اسرائيل منذ أمد بعيد.. ولهذا نجده يقول بأنه من أجل فهم موقف المستشار النمساوي السابق برونو كرايسكي وهو اشتراكي يهودي ذبحت أسرته في المعسكرات النازية، فإنه بعد وصفه لكفاحه داخل الاشتراكية الدولية كتب قائلاً: «إنني أريد أن أعمل لا شيء من تلك الاسرائيل» معبراً عن يأسه من التعامل مع تعصبهم وتعنتهم وحقدهم.. ولكنه ماذا سيقول بعد أن مات وشبع موتاً لسيرهم منذ مؤتمر مدريد في عمليات تنفيذ سياسة الصهيونية السياسية في الصلح مع مصر فالمنظمة فالأردن وغيرها غداً تنفيذاً لسياسة الحكم الذاتي الإداري للمنظمة في الضفة والقطاع!!

٤ - الخاتمة:

(١) لا تملك دولة (إسرائيل) الصهيونية في فلسطين أية شرعية لا تاريخياً ولا دينياً ولا قانونياً، كما أنها لا تملك أية شرعية أخلاقية لا من حيث أعمالها الداخلية ولا الخارجية التي تصطبغ بالعنصرية، والتوسع، وإرهاب الدولة، فإنها بذلك لا تشبه أية دولة ولا تشبه أسوأ دولة في العالم، وهي تشبه تلك الدول التي ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً وهي:

(١) الولايات المتحدة الأمريكية التي تأخذ منها لتستخدمه ضد العرب أسوأ التقاليد أي التعامل مع الهنود والسود، والتي أخذت منها أسوأ أعمالها كالتى مارستها في حرب فيتنام، والتي أخذت منها أساطيرها «الديمقراطية» المدعومة بالديكتاتورية كما هو الحال في أمريكا اللاتينية.

(٢) جنوب إفريقيا التي كانت تمارس تمييزها العنصري والاستيطان العتيق.

(٣) السلفادور وغواتيمالا وبرغواي (ملجأ النازيين الرئيس) التي تمدها إسرائيل بالسلاح والمدربين لمساعدتها في إرهاب شعوبها.

(٢) إن المبدأ الأساسي لدولة (إسرائيل) أي الصهيونية السياسية لم يلد من ديانة يهودية، ومنها فقط تستمد التضليل والمبررات بما فيها من قومية واستعمار غربي ساد القرن التاسع عشر، إنها صيغة عنصرية، قومية، إستيطانية إستعمارية.

(٣) فهذه الدولة التي انبثقت من هذه الأيديولوجية المزيفة ومن سلسلة من أعمال العنف والإرهاب خلقت باسم قرار منظمة الأمم المتحدة غير الشرعي (لأنها منظمة تسيطر عليها القوى الغربية) وبوسائط الضغط والافساد، فلم تعش بعملها الذاتي ولا بقوتها الذاتية ولكنها عاشت كالدول الصليبية في حينها من خلال تدفق المال والسلاح من الغرب ومن خلال الدعم غير المشروط وغير المحدد من الولايات المتحدة الأمريكية التي استخدمتها كعنصر أساسي في استراتيجيتها العالمية كأسفين دق في الشرق الأوسط.

(٤) وإن دولة (إسرائيل) الصهيونية تصبح بعد تجريدها من الأساطير التي استخدمت لتبرير تأسيسها، ومن الإرهاب الفكري والمادي الذي يستخدم لحمايتها، مجرد دولة واحدة من الدول الأخرى لا هالة لها ولا امتياز ولا شخصية مقدسة. ونظراً لأن جميع الدول المدينة في وجودها، كما هو الحال بالنسبة (لإسرائيل)، ليس إلى أي «حق» ولكن إلى صلة قوى خاصة وحقائق ناجزة فإن إدعاء الحقوق الخاصة مرفوض بالنسبة لهذه الدولة المزيفة.

(٥) ولهذا فإن التاريخ لا يمكن تعديله، وحدود الدول لا يمكن تغييرها بأعمال العنف.. فما هو إذن الشيء الذي يدعم أي مشكلة بالحل الحقيقي؟

(٦) فمما لا معنى له أن نطالب منظمة التحرير الفلسطينية «بالاعتراف» بإسرائيل دون شرط لثلاثة أسباب رئيسية على الأقل:

(١) لأن هذا يتطلب من الفلسطينيين أن يعترفوا ويقبلوا شرعية نهب الأرض وانتزاع الملكية التي كانوا ضحاياها. فدولة (إسرائيل) تستطيع أن تكون مقبولة إذا كان ذلك ضرورياً في فلسطين أكثر من أي مكان آخر وذلك كأمر واقع ولن تكون معترفاً بها كأمر قانوني.

(٢) إن دولة (إسرائيل) في جوهرها المتمثل بالصهيونية السياسية، وفي ذات وجودها المتمثل بسلسلة من الاغتصابات والحروب التي تخوضها، ما هي إلا توسع دائم، فبعد كل عدوان وكل ضم تتوق إلى منطقة جديدة من «المجال الحيوي».

فمن المستحيل إذن الاعتراف بصلاحيه حدودها «المرنة». فما هي (إسرائيل) هذه التي يتوقع أن تعترف بها منظمة التحرير الفلسطينية؟ هل هي المشروعة بقرار تقسيم الأمم المتحدة عام ١٩٤٧؟ أم هي التي صنعتها تعديلات عام ١٩٤٨ بالرعب من خلال دير ياسين؟ أم هي حصيلة عام ١٩٦٧ بما اكتسبته من أراض فيما أسمته بالحرب والغزو الوقائي؟ أم هي نتيجة عام ١٩٨٢ وتكاثر مستوطناتها على تلك الأرض؟ أم هي المعبر عنها في أحلام جنون عظمة هيرتزل، (أي من الفرات إلى النيل) أو في أفكار بن غوريون أي من الليطاني إلى سيناء؟

أم هي التي فكر بها آرييل شارون بأحلامه في السيطرة على الشرق الأدنى من المضائق إلى قناة السويس؟ أم هي مع خطة تمزيق جميع الدولة العربية تبعاً لخطوط تقسيمها العرقي والديني؟

(٣) وأخيراً كيف يمكن لمنظمة التحرير الفلسطينية أن يطلب منها أن تعطي اعترافاً جحيماً لشيء عندما يكون حقها في الوجود منكرأ؟ وكيف يمكن أن يطلب الاعتراف من مؤسسة وجودها منكرأ؟

ومع أي محاور آخر ممثل للمنظمة يريد قادة إسرائيل أن يبحثوا ما دام المسؤولون المنتخبون من الفلسطينيين، والذين أظهرت أكثريتهم النافذة ولاءها لمنظمة التحرير، قد أزالهم الاسرائيليون من مكاتبهم؟

فهل هذه التجاوزات الجديدة تحت «التفاوض» مع عدد فرضوا على الشعب بالتواطؤ، أو مع دمي يمثلون الفلسطينيين العرب كما يمثل

حداد المسيحيين اللبنانيين؟ فالحقيقة أن حكام إسرائيل من بيغن إلى بيريز لا يريدون التفاوض مع أحد. لقد كان ذلك أيها المؤلف قبل الضغط الأمريكي لحل ما يسمونه بمشكلة الشرق الأوسط بحل قضية فلسطين وفرض أمريكا على رابين ثم بيريز بالتفاوض والتنازل حتى توقيع اتفاقيات الصلح مع ما كان يسمى بدول الطوق أولاً ثم مع جميع الدول العربية وما يسمى بعدها بالإسلامية لتكتمل السيطرة الأمريكية على العالم الإسلامي أجمع.. وظاهر أن ذلك كان قبل أن تعطي أمريكا الضوء الأخضر لشارون للبطش بالإسلاميين وغيرهم الرافضين لوجود (إسرائيل)..]

(٧) وتبعاً لذلك فإن حل المشكلة يمكن أن يأتي فقط من المجتمع الدولي:

(١) إنها ليست مسألة «القاء الاسرائيليين في البحر» كما تزعم الدعاية الكاذبة، فالذي حاربه الفلسطينيون كغيرهم من أنصار الحرية في العالم ليس هو الأشخاص بل مبدأ العنصرية المتمثل بالصهيونية السياسية وسلوك الدولة وحكامها العدوانى الاستعماري.

(٢) وعند استخدام عبارة أحد قادة منظمة التحرير الفلسطينية بأنه عندما يلد طفل بطريقة غير شرعية حتى لو نتيجة اغتصاب لا يمكن أن تكون هناك مشكلة في التخلص من الطفل الوليد.

(٣) فأى حل يجب أن يضمنه المجتمع الدولي بغض النظر عن عيوب هذا المجتمع في الماضي عندما سيطر عليه الغرب وقام «بالاصلاح» اللاشعري للظلم الذي أصاب «اليهود» من هتلر بايقاع الظلم على الفلسطينيين الذين لم يشتركوا أبداً في جرائم النازي.

(٨) ولذلك فبالرغم من أن القادة الاسرائيليين كانوا يسخرون من قرارات الأمم المتحدة باستمرار فإن الحل الوحيد المشرف لكل طرف والموفر للأمن لكل طرف من الاسرائيليين والعرب على حد سواء هو كما اقترح ياسر عرفات أن يقبل الطرفان جميع قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين. وإننا نذكر أن أول القرارات كان بخصوص التقسيم الذي حدد حدود دولتي (إسرائيل) وفلسطين بالضبط، وأن ثاني القرارات قد منح دولة (إسرائيل) الوجود الرسمي. فحتى لو كان هذا التقسيم وهذا «الوجود للدولة» قد تجاوز الاهلية القانونية للجمعية العمومية وكان ظالماً بشكل أساسي فإنها مقبولة لدى الفلسطينيين من باب احترام القانون الدولي ولكن بشرط أن تكون مقبولة من الطرف الآخر مع ضمانات دولية لهذا القبول.

(٩) إن العقبة الوحيدة لتنفيذ هذا الحل تأتي من القادة الاسرائيليين الذين ستمنع صهيونيتهم السياسية ذلك لأنها كأسطورة تقوم على أساسها دولتهم من تطور

إرادتهم إلى سلطة وتوسع. فلننا بحاجة للتفكير بهذا الحل لأن الصهيونية السياسية قد أصبحت أسطورة وهمية: فأولاً لأن ١٨% فقط من يهود العالم قد استجابوا لنداء «العودة»، وثانياً لأن التيار قد انعكس الآن بزيادة عدد اليهود المغادرين لإسرائيل عن العائدين إليها. وهكذا نستطيع أن نلاحظ الآن هزيمة الصهيونية السياسية وخطتها في إحضار جميع يهود العالم إلى فلسطين في غيتو عالمي كما رغبت لجميع اللسامين في العالم.

(١٠) إن تحقيق هذا الوفاق السلمي الذي سيطفئ النيران المؤدية لحرب عالمية ثالثة يعتمد كلياً على المجتمع الدولي، فأى تدخل عنيف سيكون بالطبع بعيداً عن الموضوع، ولكن اعتماد دولة (إسرائيل) الصهيونية على العالم الخارجي من الجوانب المالية والاقتصادية يمكن أن يجعل التخفيض التدريجي لهذه «المعونة» الخارجية يفرض على حكام (إسرائيل) سواء كانوا تحت اسم بيغن أو بيريز أن يأتوا إلى طاولة المفاوضات. [وما كانت تخطر ببال المؤلف هذه الحرب الفذرة التي تقودها أمريكا في العالم وفي فلسطين ضد الإسلام وتستخدم فيها (إسرائيل)..]

(١١) وإن نشر هذا الكتاب بالفرنسية والإنجليزية قصد به المساهمة في حل غموض الرأي العام وخاصة في أمريكا وفرنسة و(إسرائيل) باستبدال صورة المسائل الأسطورية ذات المضمون الموضوعي بحقائق قطعية حتى يمكن طرح المشكلة على طاولة النقاش السياسي الهادئ.

(١٢) فلا بد من الاتفاق:

(١) بأن كل مجتمع يجب أن يتلقى ضماناً أمنياً لوجوده ولصيانه حريته من التمييز ولحفظ حقه في تقرير المصير مع مساندة بقوة دولية.

(٢) وأن كل إمدادات السلاح والذخيرة والمعدات الحربية للشرق الأوسط يجب أن تتوقف فوراً مع منع جمع المال في أي بلد من قبل أعضاء حكومة (إسرائيل) الرسميين سواء أعطوا صفة «التشريعات الأساسية» أو منظمة الصهيونية العالمية أو الوكالة اليهودية.

(٣) وأن هذه الإزالة المتقدمة لصهيونية دولة (إسرائيل)، اللازمة لذات أمنها بشكل ليس بأقل من لزومها لجيرانها، والتي وحدها ستجعل المفاوضات ممكنة، وهي يمكن تسريعها بإجراءات اقتصادية مكثفة حتى يوافق الحكام الإسرائيليون تحت ضغط رأيهم العام للبدء في مفاوضات حقيقية مع منظمة التحرير الفلسطينية ومع جميع أولئك الذين هاجمت أو هددت سياستها الآخرين لمدة نصف قرن تقريباً. وعندما تفتح الطريق في مجراها الطويل لتكامل حقيقي لهذه الدولة مع غيرها من الدول في آسيا وتنتهي مهمتها كعنصر غربي وبلد

أجنبي استعماري وتصبح ما حلم به مارتن بوبر منذ عام ١٩٢١م واستمر يدافع عنه حتى ١٩٤٧ في اتحاد الشرق الأدنى حيث يمكن التعايش الأخوي دون أي تمييز عرقي بين العرب واليهود على أرض حيث يواصل اليهود والمسيحيون والمسلمون الذين ينتسبون لتراث إبراهيم مع من فقدوا إيمانهم في هذا التراث آمالهم لتغذية حضاراتهم وقيمهم الإنسانية السامية. [وهنا تورط المؤلف في مسابرة الحلول الوسط التي تسيطر على الفكر الديمقراطي الغربي فأنزلق في الدعوة للمفاوضات والصلح بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل وكان المنظمة هي كما زعموا الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وكأن مشكلة إسرائيل هي في تجاوز الأمر الواقع والاعتراف بها ككيان بحجة القرارات الدولية التي ما أكثر ما هاجمها ثم انتهى لمسايرتها بحجة رضى ومطالبة المنظمة بها مع أن الأمر الواقع شيء ونظرة الإسلام الذي اعتنقه لذات وجود إسرائيل شيء آخر..].

تمت ترجمة ودراسة الكتاب

الحمد لله رب العالمين

٢ - دراسة كتاب صراعنا مع اليهود

في ضوء السياسة الشرعية

لمؤلفه الدكتور محمد عثمان شبير

تقديم

يضع المؤلف الكتاب في أكثر من مائة وأربعين صفحة تشمل المادة وفهارسها بعد أن حاول أن يعطي البعد الإسلامي حقه في الصراع مع اليهود عبر جميع المستويات الفكرية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، وحرص على أن يركز بحثه حول الحل الصحيح لهذا الصراع بين اليهود والأمة الإسلامية، فرفض أن يكون منشأ المصالح أو الحقوق أو التراب..

واعتمد النصوص القرآنية والنبوية والفقهية من الناحية الإسلامية والنصوص المعتمدة لديهم في التوراة والتلمود ورجال فكرهم من الناحية اليهودية.. فجاء الكتاب في بحثين الأول تناول حقيقة الصراع معهم من ناحية السياسة الشرعية، وفي الثاني حقيقة الصراع عندهم وعلاقته بالسياسة الشرعية.

الكاتب

المبحث الأول

حقيقة الصراع مع اليهود من ناحية السياسة الشرعية

المطلب الأول: صراعنا مع اليهود حلقة في سلسلة الصراع بين الحق

والباطل:

فقد أورد القرآن الكريم صراع اليهود مع الرسول عليه وآله السلام بعد الحديث عن قضية آدم عليه السلام ليوحي بأن كلاً منهما صراع بين الحق والباطل، وانتهى إلى القول مخاطباً بني إسرائيل {ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون} - آية ٤٢ من سورة البقرة - . فما أن أخذت دعوة الإسلام في مكة طريقها حتى وقف اليهود إلى

جانب المشركين يمدونهم بالاسئلة المحرجة ليبعدوهم عن الإسلام وكان منها السؤال عن الروح. وفي المدينة اتسع الصراع رغم معاهدة الأمن التي وقعها الرسول عليه وآله السلام معهم بصفة كل قبيلة منهم دولة على أرضها ولكنهم نقضوا العهود والمواثيق فاعتدى بنو قينقاع على امرأة مسلمة محجبة، وحاول بنو النضير اغتيال النبي عليه وآله السلام، واشترك بنو قريظة في غزوة الأحزاب ضد الرسول عليه وآله السلام، وتجمعت فلولهم في خيبر بداعي الحقد والحسد وحرصوا الأعراب على المسلمين وغذوا حركة النفاق، واستمروا في خيبر حتى أجلاهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام عملاً بحديث الرسول عليه وآله السلام (لا يجتمع دينان في جزيرة العرب).

وأما أسباب عداوتهم للمسلمين وللرسول عليه وآله السلام فتعود إلى الحسد والتعالي إذ رأوا في أنفسهم شعب الله المختار وأنهم أحق بالسيادة والنبوة حتى قال في ذلك تعالى {ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين} - آية ٨٩ البقرة - والسبب الثاني خبث طويتهم وكشف القرآن لها، فقال تعالى (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون} - ٧٥ من آل عمران -، وقال {سماعون للكذب أكالون للسحت} - ٤٢ من المائدة - وقال {ويقتلون النبيين بغير الحق} - ٦١ من البقرة - وقال {أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم} - ١٠٠ من البقرة -، وقال {ليس علينا في الأميين سبيل} - ٦٤ من المائدة -، وقال {وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل} - ١٦١ من النساء -.

واستمر اليهود في معاداتهم للإسلام والمسلمين حتى بعد وفاة الرسول عليه وآله السلام، فهم وراء استشهاد الخليفين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وهم وراء حركة الوضع باختلاق أحاديث ونسبتها للرسول عليه وآله السلام كذباً، ناهيك عن الإسرائيليات من قصص أهل الكتاب وتفسير القرآن بها وأكثرها خيالي ومختلق، وهم وراء الحركات المناهضة للإسلام من قرامطة وشعوبية وباطنية وغيرها وغيرها، وهم وراء انتشار الفلسفات الضالة في المجتمع الإسلامي من مثل فلسفة الحلول والاتحاد التي قال بها بعض المتصوفة من اعتقادهم بأن الله حال في كل شيء حتى صح عندهم أن يطلق الله على كل شيء، وهم وراء القضاء على الخلافة الإسلامية في الدولة العثمانية بعد أن فشلوا في حمل السلطان عبد الحميد على السماح بهجرتهم إلى فلسطين فبلغه النائب اليهودي (قره صو) نائب سلافيك بقرار البرلمان التركي بعزله وقد قال إلى شيخه محمود أبي الشامات (إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما سوى أنني بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم (جوت ثوراه) وتهديدهم اضطرتت وأجبرت على ترك الخلافة).

والمعروف أن النانيين السوريين في مجلس الأمة التركي عبد الوهاب الانجليزي وشكري العلي قد هاجما فكرة الوطن اليهودي في فلسطين أيام حكم الاتحاديين فأعدمهما جمال السفاح وإلى سورية بعد محاكمة سورية بتهمة ملفقة.

واستمر اليهود يكيّدون للإسلام والمسلمين حتى وجدوا من يسهل لهم من الانجليز وأذئابهم إقامة دولتهم في فلسطين، وهامهم يجدون اليوم من يعترف بدولتهم المسخ هذه ويعقد معاهدات السلم والأمن معهم.. وأنى لهم أن يوفوا بالعهود والمواثيق إلا بقدر ما تفرض عليهم من أسيادهم في الغرب وخاصة أمريكا ما داموا يجدون أن في ذلك مصلحة لهم وأملاً في تحقيق أهدافهم ومآربهم.

وهكذا يظهر أن الصراع معهم صراع بين الحق والباطل، والباري يقول: {لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا} - ٨٢ من المائدة -، ويقول: {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى، ولن أتبع أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير} - ١٢٠ من البقرة -، ويقول: {ولا يزالون يقاتلوكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون} - ٢١٧ من البقرة -.. فهل بعد هذا التأكيد الرباني على استمرارية عداوتهم للمؤمنين وعدم رضاهم عن المسلمين واستمرار قتالهم لهم من إمكانية تصور التزامهم بالعهود والمواثيق مهما سميت!!؟

المطلب الثاني: صراعنا مع اليهود جهاد في سبيل الله يحتمه

الدين

الجهاد قسمان: فرض كفاية، وفرض عين. والكفاية أن يكفي جمع أو جيش من المسلمين في قتال الأعداء سواء بشحن الثغور بكفاية من الجنود أو غزو الإمام لدار الكفر بنفسه أو من ينبيه مرة في كل سنة على الأقل. فالجهاد ليس حرباً لذات الحرب وإنما لإزالة الحواجز المادية التي تقف في طريق وصول الإسلام للشعوب والأمم الأخرى لا ليفرض عليهم إعتناقه إذ {لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي} - ٢٥٦ من البقرة - وإنما ليروه مطبقاً بعدالة عليهم فيقررون بمحض اختيارهم إعتناقه أولاً.

وأما فرض العين فيكون إما عند نزول الكفار ببلد من دار الإسلام فيجب على كل فرد بعينه من أهل البلد قتالهم إلا إذا تولى ذلك جيش الخلافة الموجود في البلد وكفى وإلا فكل الجيوش الإسلامية مطالبة بذلك. وعند التقاء الزحفان لا يجوز لفرد الانصراف من القتال {ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير} - ١٦ من الأنفال - وعند استنفار الإمام لقوم فإنه يتعين عليهم جميعاً النفير {يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أنفقتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليلاً} - ٣٨ من التوبة - وعندما يأسر الكفار مجموعة من المسلمين فإنه يتعين عليهم الجهاد {ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان} - ٧٥ من النساء -.

والصراع مع اليهود من الجهاد المفروض عيناً لأنهم نزلوا ببلد من دار الإسلام
بغير إذن السلطان عبد الحميد إمام المسلمين في ذلك الوقت حيث أنه أصدر فرماتاً عام
١٨٨٢م منعهم بموجبه من دخول فلسطين ومنعهم من إنشاء المستوطنات فيها ولكنهم
استعانوا باعداء الإسلام من الإنجليز الذين سهلوا لهم ذلك بدءاً بوعد بلفور وانهاء بعهد
الانتداب البغيض وما اتبعه وتخلله من مكائد ومؤامرات من عملاتهم أوجدت دولتهم
وقوتها حتى أصبح لا يكفي حريهم واخراجهم من فلسطين إلا كل المسلمين. وفي هذا ترى
المذاهب الإسلامية أن «الجهاد فرض عين إن هجم العدو» كما قال الزيلعي من الحنفية،
وقال الامام البغدادي «إذا نزل الكفار دار الإسلام تعين على كل من أمكنه النصر..» من
المالكية، وقال الإمام النووي «الجهاد الذي هو فرض عين، فإذا وطئ الكفار بلدة
للمسلمين أو أظلموا عليها ونزلوا بها، قاصدين ولم يدخلوا، صار الجهاد فرض عين» من
الشافعية، وقال ابن مفلح «إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم» من
الحنابلة.

واما أدلة وجوب القتال دون أراضي المسلمين فكثيرة منها قوله تعالى {انفروا
خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون} - ٤١
من التوبة - فأمر الله بالنفير العام مع الرسول عليه وآله السلام لغزوة تبوك وقاتل الروم
لأنهم كانوا يعدون العدة لغزو المدينة، فكيف وقد دخلوا فلسطين واحتلوا وأقاموا دولة
فيها؟! والامام القرطبي يرى أنه إذا لم يكف المسلمون المقاربون لموضع عدوان العدو
رده فإنه يتعين على من قاربهم حتى كل المسلمين إذا لم يكف من قبلهم ذلك. والله تعالى
يقول: {وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين} - ٣٦ من
التوبة. والرسول عليه وآله السلام عندما يقول: (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية،
وإذا استنفرتم فانفروا) فقال النووي (الجهاد فرض كفاية إلا أن ينزل الكفار ببلد المسلمين
فيتعين عليهم الجهاد، فإن لم يكن في أهل ذلك البلد كفاية وجب على من يليهم تميم
الكفاية).

وأما ممارسات اليهود ضد المسلمين في فلسطين فإنها مهما تغيرت مظاهرها
وتحت أية تسمية تبقى التآمر ضد الدين من أجل تحطيم أهله وتذويبهم بكل الوسائل، وهذا
ما يحاولون الحصول عليه من خلال ما يوفر لهم الصلح مع المنظمة والدول المجاورة،
وإذا كانوا لم يوفروا فرصة للنيل من الإسلام وأهله طيلة حكمهم المباشر سواء بشتم الله
تعالى أو تحريف المصاحف أو الهزء بشعائر الدين أو تهديم أماكن العبادة والمساجد فإن
ذلك سيتخذ أشكالاً أكثر مكرراً مع الصلح، وما حصل في الحرم الابراهيمي وقبله المسجد
الأقصى وبعده مسجد يافا لأكبر دليل على ذلك.. وها هم يشجعون التبشير المسيحي بين
المسلمين لاجباً بالمسيحية وإنما استدراًراً لعطف الدول الغربية لمساعدتهم ضد الإسلام
والمسلمين. وها هم يشجعون المسلمين بالانتماء للحزب الشيوعي راحاً تشجيعاً للالحاد
بين المسلمين لا حباً في الشيوعية وإنما كيداً للإسلام وأهله. وهاهم يشجعون الحركات
الهدامة من بهائية التي ترعاها الحكومة الاسرائيلية بكل وسائل الاعلام، والقاديانية التي

تلغي الجهاد وتصدر النشرات والمجلات مثل (البشرى) وتوزع دون مقابل.. [وأما مذابحهم الآن في جميع أنحاء فلسطين فحدث عنها ولا حرج].

وأما اعتداءاتهم على المسلمين في فلسطين فلا حصر لها، فها هي مذبحه دير ياسين في ١٠/٤/١٩٤٨ التي فُتِكَ بها بيغن وعصابته بـ ٢٥٠ شخصاً، وها هو شارون في ٤/٢/١٩٥٤ يذبح ٦٦ من أهالي قبية، وها هي كفر قاسم يقتل رجالها في ٢٩/١١/١٩٥٦ اثناء عودتهم من أعمالهم إلى قريتهم، وها هي قرى نحالين وغزة وخان يونس والبطيحة وقلقيلية والتوافيق والسموع وغيرها تتعرض للمذابح والتصفيات الجسدية دون أن تجد من حكام المسلمين إلا الصمت المرعب!!

وأما بروتوكولات صهيون فقد أعلنت الحرب على العرض والنسل عندما قالت (يجب أن نعمل لتنهيار الأخلاق في كل مكان لتسهل سيطرتنا) وقالت (عليكم أن توجهوا التفاتاً خاصاً في استعمال مبادئنا إلى الأخلاق الخاصة بالأمة التي أنتم بها محاطون، وفيها تعملون، وعليكم أن لا تتوقعوا النجاح خلالها في استعمال مبادئنا بكل مشتعلاتها حتى يعاد تعليم الأمة بأرائنا. ولكنكم إذا تصرفتم بكل سداد في استعمال مبادئنا فستكتشفون أنه قبل مضي عشر سنوات سيتغير أشد الأخلاق تماسكاً) وهكذا استخدموا بكل مهارة ونذالة تجارة الفتيات من اليهوديات أولاً ثم من المسلمات اللواتي أغروهن بكل أنواع الاغراء وعرضوهن لكل أنواع الاضطهاد والتركيح.. ففي أعقاب حرب ١٩٦٧ وزعوا ٢٠٠ فتاة يهودية من الكاسيات العاريات في كل من القدس والخليل لافساد الشباب وأغرقوا الأسواق العربية بالمجلات البذيئة والأجساد العارية بالإضافة إلى الأفلام الجنسية التي تدعو إلى الدعارة وتسهلها.. وما يستخدمه اليهود من هناك أعراض المسلمات كجزء من التعذيب ليس بغريب عليهم.. وما حصل مع السيدة عبلة طه والآنسة رسمية عودة ما هو إلا نموذج من هناك العرض الذي يصفق قادة المنظمة أولاً والحكام من بعدهم ثانياً والأمة كلها معهم ثالثاً وأخيراً..

وأما التآمر على العقل بترويج المخدرات وغيرها فليس إلا جزءاً من مكائدهم ضد المسلمين وإن كانت عمليات تشويه الفكر والتفكير من خلال النظريات والافكار السياسية والاقتصادية والاجتماعية ليست بأقل خطراً من المسكرات والمخدرات.. فاليهود وراء الشيوعية، ووراء علم الاجتماع المدمر لنظام الأسرة، ووراء نظرية فرويد النفسية التي تربط كل النشاط البشري بغريزة الجنس، ووراء نظرية دارون وسارتر وغيرها.. حتى صرحت البروتوكولات بمنتهى الوضوح (لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء، ولاحظوا هنا أن نجاح دارون وماركس ونييتشه قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحاً لنا على التأكيد)، كما لجأوا إلى حذف الآيات والأحاديث من مناهج التربية الإسلامية التي تحث على الجهاد في سبيل الله، وفي نفس الوقت تكتثيف المعلومات عن تاريخ اليهود في مختلف العصور القديمة وتشويه التاريخ الإسلامي ووصف الفتوحات الإسلامية بالعدوان الإسلامي،

وتعليم الطلاب أن حدود دولتهم من البحر إلى النهر، كما حذفوا النصوص الأدبية التي تثير الحماسة في نفوس المسلمين ضد اليهود..

وأما الاعتداء على المال فقد أجازته تعاليم دينهم المزيفة، فقد قال تلمودهم «إن الله لا يغفر ذنباً ليهودي يرد للأمي ماله المفقود..» فهم يرون أن مال الآخرين ملك لهم ومغتصب منهم يجب استرداده بأي وسيلة، فقال تلمودهم «مسموح غش الأمي وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش» ولهذا فقد صادروا الأراضي في فلسطين التي يملكها الأفراد.

وأما رأي الفقه الإسلامي في الدفاع عن الضرورات الخمس أي الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال، فقد اتفق الفقهاء على وجوب حفظ الدين، حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم لعمر وقد رأى في يده كتاباً من التوراة يتعلمه «والله لو لحقني أخي موسى لما وسعه إلا اتباعي» فألقاه عمر في التنور مما يدل على وجوب اتلاف الكتب المضللة ومعاقبة أصحابها لمنع الاعتداء على الدين، والله تعالى ينبهنا إلى تأمر الكفار على الدين إذ يقول {ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا} - ٢١٧ من البقرة - . وعندما حرض كعب بن الأشرف قريش ضد المسلمين وتشبب بنسائهم أرسل إليه الرسول عليه وآله السلام من قتله حماية لأموال وأعراض المسلمين. وحصلت غزوة بني قينقاع لاعتدائهم على حجاب امرأة مسلمة، فكل هذا وأمثاله من الأدلة التي استند إليها الفقهاء في الحفاظ على الضرورات الإنسانية الخمس لدى كل فرد من أفراد رعية المجتمع الإسلامي في ظل الحكم الإسلامي.

المطلب الثالث: العقيدة هي المرتكز الأساسي للجهاد في سبيل

الله:

ترتكز سائر التصرفات والأعمال على العقيدة وإلا لم يكن لها قيمة ولا وزن {مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، لا يقدرُونَ مما كسبوا على شيء، ذلك هو الضلال البعيد} - ١٨ من سورة إبراهيم - والقرآن الكريم يحرك العقيدة في النفوس بأساليب عديدة مثل المعاوضة بين النفوس والأموال بالجنة {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم جنة} - من الآية ١١١ من التوبة - فللعقيدة الإسلامية الأثر الأكبر في تحريك النفوس ضد أعداء الإسلام والمسلمين، فهي التي حولت العشائر المنقسمة على نفسها إلى أكبر قوة في عصرها، فكان المسلمون لا يهابون الموت ويتسابقون إلى ساحة الجهاد، وها هو الطفل الصغير عمير بن أبي الوقاص يتوارى بين الصفوف حتى لا يراه الرسول عليه وآله السلام ويرده، وها هو طفل آخر رافع بن خديج يقف على أطراف أصابع قدميه ليظهر طويلاً فلا يرده الرسول عليه وآله السلام، وها هي أم عمارة بنت كعب المازنية تخرج في غزوة أحد هي وزوجها وابناها. فالعقيدة تبعث الثقة بنصر الله حتى يقول خالد بن الوليد لأهل قنسرين «والله لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لانزلكم إلينا»..

ولهذا يدرك اليهود أثر عقيدة الجهاد والاستشهاد في النفوس، فها هو ضابط اسرائيلي يصرح بأنهم لم يهاجموا قرية صور باهر عام ١٩٤٨م لأن فيها قوة كبيرة من المسلمين المتعصبين الذين يقاتلون بحماسة واندفاع بسبب تمسكهم بدينهم الإسلامي الذي يعدمهم بالجنة بعد الموت، وقال بأنهم لو تعلموا وتخلصوا من هذا التعصب الذي يقف ضد السلام مع اليهود لذهب الخطر الكبير الذي يبذل الكثير لإزالته لاقامة علاقات سلمية واعية بيننا وبينهم.. ثم يقول للضابط المصري الذي يحاوره بأن هؤلاء خطر عليكم أنتم أيضاً لأن بلادكم لن تستقر حتى يزول هؤلاء وتقطع صرخاتهم المنادية بالجهاد والاستشهاد في سبيل الله..

وخلاصة القول أن الصراع مع اليهود صراع بين الحق والباطل، وجهاد في سبيل الله يبدأ بالكفاية ليتوسع حتى يعم فرض العين الأرض كلها إياها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين} - ١٢٣ من التوبة - ورفض السلطان عبد الحميد عام ١٩٠١م مقابلة هيرتزل الذي عرض عليه تسديد ديون الدولة العثمانية مقابل السماح لليهود لاستيطان فلسطين، وحصلت معارك على أرض فلسطين سقط فيها كثير من الشهداء الميامين أمثال فرحان السعدي وفواد حجازي وعز الدين القسام وعبد القادر الحسيني وفارس حواري وغيرهم.. واستمر الجهاد في سبيل الله يطبع كل المعارك حتى قيام حركة الجهاد المقدس عام ١٩٤٧م وبعدها، ولكن الأحزاب العلمانية سيطرت على المعركة وحولتها إلى كفاح «فنادق لا معارك» وسارت منظمة التحرير الفلسطينية وعلى رأسها فتح التي قامت أصلاً للجهاد وبالجهاد إلى الصلح الخبيث مع اليهود.. ونسوا أن الحق لن يلتقي مع الباطل مهما طال الزمن إلا في ساحات الجهاد الفاصلة.. [وها هم يلمسون قيمة عهد اليهود مع مذابح شارون الوحشية!!].

المبحث الثاني

حقيقة الصراع عند اليهود

المطلب الأول:

إنه صراع يحتمه الدين ويباركه حاخاماتهم:

فاليهود ينطلقون في صراعهم مع المسلمين لاحتلال فلسطين وما جاورها بحجة أنها الأرض الموعودة. فهيرتزل يقول (إن فلسطين التي نريد هي فلسطين داود وسليمان) وهذا ما رده ايغال ألون ومناحيم بيغن وبين غوريون وليفي اشكول، وهذا ما يردده الحاخامات، فها هو تسفي يهودا كوك الزعيم الروحي لجماعة غوش أمونيم يقول (إن الجيش الإسرائيلي كله مقدس لأنه يمثل حكم شعب الله على أرضه، وملكوت السموات

تتجلى حتى في حكم دافيد بن غوريون) هذا الحاخام هو الذي بكى عند صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧ وصرخ (أين نابلس؟ أين أريحا؟ أين نهر الأردن؟ إنها جميعاً لنا).. وأجمع الحاخامات أنه (يجب عدم التخلي عن أي جزء من أجزاء أرض إسرائيل) كما نشرت الصحف الإسرائيلية. وقال الحاخام سن يسرائيل (إن محاربة العرب مثلها كالحرب المقدسة التي وصفها الحاخام موشه بن ميمون تشن ضد ثلاثة: عمليكم، والشعوب السبعة، وللدفاع عن إسرائيل..) وقال الحاخام فريدمان (.. لأن ما يتعلق بتحرير البلاد واحتوائها ذو طابع ديني وتوراتي، وتقول التوراة، إنه ليس لأحد الحق في التخلي عن أي شبر من أراضي بلادنا المقدسة). فالقتال كما يرى جميع حاخامات اليهود ضد المسلمين في فلسطين واجب ديني مقدس لتحقيق وعد الله لبني إسرائيل وتحرير أرض إسرائيل.. ولا شك أن هذا ادعاء كاذب لأن الله لا يحابي أحداً ولا يكرم شعباً لجنس أو لون أو عرق {إن أكرمكم عند الله أتقاهم} - ١٣ من الحجرات -

المطلب الثاني:

العقيدة اليهودية هي مرتكز الصراع مع الأمة الإسلامية :

صحيح أن المرتكزات الاقتصادية والسياسية والعسكرية موجودة لديهم ولكن أهمها عقيدتهم حتى قال جاكوب كلاتزمان (.. إن التربية هي أيضاً من مستلزمات الدفاع المدني) ويقصد التربية على عقيدتهم اليهودية ولذلك قال مدير إحدى الكليات العسكرية عندهم (إن تدريس المعارك التي جاءت في التوراة ضروري للتربية النفسية للجندي الإسرائيلي). واعتمد هيرتزل على الحاخامين لتحقيق أهداف الصهيونية فقال: (مما يدل على أنني لا أعمل لغير صالح الدين أنني أريد أن أتعامل مع الحاخامين جميع الحاخامين). وقال: (الشيء الوحيد الذي ما زال يجمعنا هو إيمان آبائنا.. الإيمان يوحداً..) وقال ديان (إن جيشنا ليست مهمته الأساسية حماية الصناعات وإنما رسالته حماية المقدسات، وعلى هذا الأساس يتدرب ويقاوم..) وقال أيضاً (كل واحد منا حارب من أجل شيء هو مزيج من الحب والإيمان والوطنية، وكنا نشعر أننا نقاتل لمنع سقوط الهيكل الثالث)..

هذا وترتكز العقيدة عندهم إلى مصدرين أساسيين هما التوراة والتلمود، والتوراة تشتمل على الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام: التكوين، والخروج، واللاويون، والعدد، والتثنية. ونسبتها إلى موسى بالاسم لأنه دخلها الكثير من التحريف والتزييف، وملينة بالقسوة والهمجية ووصف الأنبياء بالفسق والدعارة، وتبيح الغش والسرقة والغدر والمكر والقتل.. فمعظمها من وضع حاخاماتهم. وأما التلمود فيرجع وجوده إلى ما بعد السبي البابلي، فهو مجموع المتن والشروح والتعليقات على التوراة مع أنهم يرونه كالتوراة كتاباً منزلاً بوحى غير مكتوب، ومن جرأتهم على الله (إن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء..) كما قال

الرابي منحيم، ومنها ما جاء في التلمود (إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله!) وقال أحد الحاخامات عام ١٥٠٠م (إن من يقرأ التوراة بدون المشناة والجمارا فليس له إله) والمشناة هي الشروح والجمارا هي التعليقات التي شكلت مع المتن التلمود. وقال كرافت اليهودي عام ١٥٩٠م (أعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء.. فإذا قال لك الحاخام: أن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصدق قوله ولا تجادله).. والتلمود أخطر وثيقة ضد الإنسانية لأنه يدعو لتحطيم كل العقائد والقيم والحضارات لإقامة مجتمع عالمي صهيوني بكل الوسائل الممكنة من غش وسلب ونهب وكذب وخداع وبطش معتبراً غير اليهود حيوانات تحل أموالهم ودمائهم.

وأما مقومات العقيدة اليهودية فالإله اسمه يهوه وهو خاص ببني إسرائيل فيسمونه إله بني إسرائيل أو رب الجنود، وهو جاهل حيناً وعالم حيناً آخر، وضعيف حيناً وجبار حيناً آخر، ويلعب ويهزل ويحزن ويندم ويخاف ويتعب ويحابي ويظلم ويعدل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وأما الإنسان عندهم فإنه في نظر جميع الأنبياء والمرسلين مخلوق اختصه الله بمقام الخلافة في الأرض وحمله أمانة الاهتداء فاستحق التكريم وأما في نظر ديانتهم فقد جعلت الإنسان جنسين: يهود وجوييم أو أميين، فاليهود هم السادة المميزون وهم شعب الله المختار لأن أرواحهم جزء من روح الله كما زعم التلمود، أما أرواح غيرهم فهي أرواح شيطانية كأرواح الحيوانات، فالجنة لا يدخلها إلا اليهود والجحيم مأوى غيرهم، وقال التلمود (إنه إذا ضرب أمي إسرائيلياً فالأمي يستحق الموت). وقد وصف التلمود غير اليهود بأنهم حمير وكلاب وخنازير بصور إنسان، وأنهم خلقوا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم، ولهم حق التسلط عليها. وأما الكون عندهم فهو مخصص بما فيه لليهود ومسخر لخدمتهم فقط حتى قال الرابي ابو (سلط الله اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم). وأما الحياة في نظرهم فالحياة الآخرة بعضهم (حزب الكتبة) يؤمن بها وبعضهم (الصدوقيون) لا يؤمن بها وذلك بحجة أن التوراة العبرية المنسوبة إلى موسى عليه السلام لا تصرح بيوم القيامة.

وأما آثار العقيدة اليهودية في حياة الفرد والمجتمع عندهم فهم يعتمدون عليها في الناحية التربوية والتعليمية لكي ينشأ الفرد متعلقاً بأرض الميعاد ويدافع عنها، كما يعتمدون عليها في الناحية الاجتماعية، فيوم السبت مقدس عندهم والطعام عندهم نوعان كوشير الذي أباحه موسى، وكشروت الذي أباحته التوراة، كما يعتمدون عليها في الناحية العسكرية فيستخدمون الغدر والمباغرة في الحروب تمشياً مع الإرهاب والقتل في كل معاركهم، ويضعون نسخة من التوراة في كل دبابة ويعينون لكل كتبية واعظاً دينياً ولا يبدأون القتال يوم السبت مطلقاً. ولها أثرها الكبير في الناحية السياسية التي توجهها الحركة الصهيونية إذ يقول هيرتزل (الصهيونية هي العودة إلى حظيرة اليهودية قبل أن تصبح العودة إلى أرض الميعاد) وقال وايزمن (إن الشعور الديني مصدر الصهيونية والحافز لقيامها..) وقال ليفي أبو عسل (إن موسى كان أول من شيد صرح الصهيونية ووطد دعائمها ونشر مبادئها السياسية..) وقال إسرائيل ابراهامز: (جميعنا صهيونيون

بحكم أن الصهيونية هي التي تقوي فينا روح التضامن وتشعرا بقوميتنا اليهودية المشتركة)..

وأما أهداف الصهيونية فهي العودة إلى أرض الميعاد وتقوية الوعي القومي وإقامة دولة إسرائيل الكبرى.. وكلها مأخوذة من ديانتهم، وبهذا يظهر لنا أن الصهيونية واليهودية وجهان لعملة واحدة ولا صحة لمقولة التفريق بين اليهودي والصهيوني، فالإثنان واحد والكل يعمل ضد الإسلام والمسلمين وويل لنا من الغفلة والخديعة وممن تبعهم ووالاهم من الطواغيت المتحكمين في البلاد والعباد!! وكذلك لا ننسى أثر عقيدتهم في الأحزاب السياسية عندهم، فأحزابهم الدينية لها دورها الكامل في حياتهم النيابية وتضبط مسار العمل السياسي وتهيمن على الحياة السياسية وتفرض التوراة دستوراً للدولة ولا تسمح بدستور آخر فيقول حزب عمال مزراحي (يجب أن تكيف التوراة نمط الدولة ويجب أن تعتمد قوانين الدولة على التوراة) وهذا ما تراه جميع الأحزاب الدينية الأخرى.

وأما أثر دينهم وعقيدتهم في سياسة الصلح والمعاهدات فظاهر في المماثلة وعدم الوفاء بها لأن التوراة عندهم تقول (فلا تقطعوا عهداً مع سكان هذه الأرض) والتلمود يقول (على اليهودي أن يؤدي عشرين يمينا كاذبة ولا يعرض أحد إخوانه اليهود لضرر ما)..

المطلب الثالث :

صراعهم مع الإسلام قديم :

صراع اليهود مع الأمة الإسلامية مبني على الصراع القديم الذي بدأه أجدادهم مع الرسول عليه وآله السلام: فقد قال موشي ديان بعد حرب ١٩٦٧: (هذا يوم بيوم خبير.. يا لثارات خبير) وقالت غولدا مائير وهي تقف في إيلات (إني أشم رائحة أجدادي في خبير). ولكن اليهود غيروا استراتيجيتهم بعدم استفزاز المسلمين بأساليب ووسائل شتى منها إبعاد إثارة الروح الإسلامية في النفوس بالدعوات القومية أو العلمانية المختلفة وبإثارة النعرات العنصرية والطائفية، فقال أوسكار ليوى (نحن أوجدنا النعرات العنصرية والطائفية..) وقال بن غوريون (نحن أوجدنا النعرات العنصرية والطائفية..) وقال بن غوريون (نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا الثوريات ولا الديمقراطيات في المنطقة، نحن نخشى الإسلام هذا المارد الذي نام طويلاً وبدأ يتململ) وقال شارون: (ما من قوة في العالم تضاهي الإسلام من حيث قدرته على اجتذاب الجماهير فهو يشكل القاعدة الوحيدة للحركة الوطنية الإسلامية) وقال الباريش (إن الإسلام قوة سياسية واجتماعية قادرة على توحيد الجماهير وخاصة في الضفة الغربية حيث يقوم علماء الدين المسلمون بمهمة توحيد الصفوف ضد اليهود).

وقد انتقدت صحيفة يديعوت أخرونوت في ١٨/٣/١٩٧٨ مقابلات التلفزيون الإسرائيلي لسعد حداد والموارنة خوفاً من أن تؤدي إلى ردة فعل عنيفة بين المسلمين وتحرك الروح الإسلامية من جديد وقالت (إن على وسائل اعلامنا ألا تنسى حقيقة هامة هي جزء من استراتيجية إسرائيل وحربها مع العرب، وهي أننا نجحنا بجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عاماً، ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة إلى الأبد، ولهذا يجب ألا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع استيقاظ الروح الإسلامية بأي شكل وبأي أسلوب ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف والبطش لإخماد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا)..

فاليهود يتخوفون إذن من المد الإسلامي في فلسطين المحتلة حتى قال مسؤول يهودي في مقابلة مع صحيفة هآرتس في ٢/٢/١٩٧٩ بأن ما يثير قلقهم هو تحول الشباب عن زعامتهم القومية إلى شباب متدينين وقال (إن خطراً حقيقياً بدأ يهدد الاستقرار في الشرق الأوسط وقسماً كبيراً من إفريقية وهذا الخطر هو انتشار ثورة إسلامية شاملة يقوم بها متدينون متطرفون) وقال سيمحا ارليخ وزير ماليتهم الأسبق في ٢٦/٢/١٩٨١ (إن تل أبيب تنظر إلى انتشار التطرف الإسلامي بين عرب فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ بقلق بالغ جداً).

وأما الوسائل التي يتبعها اليهود لإقصاء الإسلام عن المعركة فتشتمل على: إبعاد القادة الأقوياء والإتيان بقيادة ضعفاء لهم ميول العبيد في تولي الحكم في البلاد الإسلامية، ومما قاله بن غوريون للمؤرخ الصهيوني إيرل رغر (لا أمل لإسرائيل في الصلح مع العرب إلا بالقضاء على الرجعيين واقامة دول شعبية اشتراكية محل الأنظمة الرجعية في المنطقة) ويؤكد بن غوريون هذا المعنى في كتابه (أعوام التحدي) فيقول: (إن إسرائيل ستبقى عنصراً غير مرغوب فيه في المنطقة إلى أن تسيطر طبقة العسكريين ومفسفو ومبدعو فتاوى كل ما تاتيه هذه الطبقة). وقال الكاتب السياسي الأمريكي هاري آليس بعد ظهور الانقلابات العسكرية في المنطقة بأن الأمل بخلق زعيم عربي يساعدها في الخروج من ورطة فلسطين حتى ظهر البكباشي الشاب في مصر (الذي بدأت اتصالات الأمريكيين به قبل الثورة وبطرق بعيدة عن الأساليب القانونية المألوفة) وأن أمريكا قد حددت أهدافها في المنطقة بثلاثة هي: القضاء على النفوذ البريطاني، وفرض تسوية سلمية مع إسرائيل وتصفية القضية الفلسطينية، والقضاء على العناصر الرجعية المتطرفة والمعادية لأي نفوذ أجنبي والساعية للقضاء على إسرائيل... وهذه هي الأهداف التي جاءت الانقلابات العسكرية لتحقيقها، فطردت أمريكا الإنجليز من المنطقة وسيطرت هي عليها وسارت في الصلح مع اليهود وملأت السجون بالمسلمين.. ومما صرح به بيغن (إني لن أطمئن على مستقبل معاهدة كامب ديفيد وملحقاتها مع مصر إلا بعد أن يتم القضاء نهائياً على الحركة الإسلامية في مصر بخاصة والمنطقة العربية بعامه..) وقال بأنه في أول زيارة لمصر حمل معه مجموعة منشورات ومطبوعات صدرت في مصر ضد اليهود وإسرائيل وطلب من صديقه السادات أن يتخذ كل ما يمكنه من (إجراءات حازمة

وعنيفة لتأديب قادة الحركة الإسلامية في مصر وإيقافهم عند حدهم وإلا ستبقى إسرائيل تشك في مستقبل اتفاقيات السلام مع مصر) وأضاف قائلاً: (ولقد كان صديقي السادات عند حسن ظننا به، إذ لم أكد أغادر مصر عائداً إلى إسرائيل حتى بدأ حملة عنيفة للقضاء على الحركة الإسلامية وأني أتمنى له النجاح من كل قلبي في القضاء على هؤلاء المسلمين المتعصبين).

ومن الوسائل التي اتبعتها الصهيونية في إبعاد الإسلام عن المعركة دعم التصورات الجاهلية والأحزاب العلمانية، فهناك الطائفية والعنصرية والوجودية والداروينية والنقدية وغير ذلك من أحزاب قومية حتى قال الدكتور فيليب حتى (إن القومية إنما هي بضاعة غريبة استوردها العالم بما فيه الشرق العربي من أوروبا)، وقال تفي يافوت أستاذ التاريخ في جامعة تل أبيب (أما القومية فقد كانت من ابتكار الأوروبيين الذين أزعجهم انتشار الحروب الدينية في أوروبا فابتكروا الفكرة القومية للتخفيف من حدة الصراع الديني في أوروبا.. ثم باعوا ابتكارهم للشرق الأوسط.. فتاه في الحروب القومية)، وأما الشيوعية فقد تأسست في الدول العربية على أيدي اليهود والصليبيين من أمثال حسني العربي وروزنتال وأنطون مارون وسلامة موسى وأرتين مادويان ويوسف يزبك وفؤاد الشمالي...

وبدعم هذه التصورات الجاهلية والأحزاب العلمانية يهدف اليهود إلى ثلاثة أمور: القضاء على روح المقاومة عند المسلمين ضد أهداف اليهود ومطامعهم، وإيجاد قيادات شعبية موالية لليهود تحرص على مصالحهم أكثر مما تحرص على مصالح المسلمين، وإقامة دويلات طائفية تعزل دولة يهود عن البلدان التي يشكل المسلمون فيها أغلبية مطلقة. فقد قال السفير البريطاني في دمشق (لا الشيوعية العربية ولا الشيوعية العالمية ستكون في يوم من الأيام خطراً على إسرائيل وأن اليهود لا يحسبون حسابات لأي خطر كما يحسبون للخطر الذي تمثله الحركات الإسلامية ضد إسرائيل).

وعام ١٩٤٨ كتب الشيوعيون العرب إلى موسكو قائلين (إن جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود هو الطريق الوحيد والوسيلة الناجحة لبلشفة العالم العربي)، وقال الشيوعيون في العراق (إن الشعب العراقي يرفض إباء أن يحارب الشعب الإسرائيلي الشقيق)...

المطلب الرابع:

صراع اليهود مع الأمة الإسلامية ذو بعد حضاري :

إنهم يهدفون إلى بناء الحضارة اليهودية على أنقاض الحضارة الإسلامية، وقد رفعوا في البداية شعار (الحضارة الغربية) كما قال هيرتزل، وكما أعلن هيرتزوغ (على الولايات المتحدة بذل المزيد من الدعم بالمال والأسلحة لإسرائيل باعتبارها خط

الدفاع عن الحضارة الغربية أمام الهجمة الإسلامية المتوقعة). وقال ناحوم غولدمان (أذن ضرورة تركيز قواها على الدفاع والسلاح سيشغلها عن تركيز عبقريتها على خلق حضارة عبرانية جديدة ولعب مركز روحاني) وكل هذا الهدف ينطلق من فكرة التعالى على البشرية واعتبارهم لأنفسهم شعب الله المختار وحملة رسالة رائدة في الحضارة والأخلاق!! حتى أن الكاتبة الصهيونية ترود فايس روز مارين ترى بزهو و صلف أن لليهودية الفضل في إرساء (قواعد الضمير والخلق في حضارة الإنسان) وتقول (والحقيقة أنه لا يوجد جانب واحد من العلاقات الإنسانية لم يتناوله الفكر اليهودي الديني ويضفي عليه رقة وسمواً وروحانية).. فأية حضارة وأية أخلاق هذه التي يتبجحون بها وتاريخهم حافل بالفتن والدسائس وهدم الأخلاق وتحريف الكتب وقتل الأنبياء ونقض العهود والمواثيق..!! والله تعالى يقول {مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا} بنس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين} - ٥ من الجمعة - والمشهور من كتب التاريخ أنهم عندما أتوا فلسطين تعلموا من أهلها الأصليين سكن البيوت بدلاً من الخيام، وارتداء الملابس المنسوجة بدلاً من جلود الحيوانات، واقتصرت حياتهم على رعي الماشية مع السلب والنهب، ولا يوجد في فلسطين لهم أي أثر قديم ثابت إلا مجرد الإدعاءات والتخرصات.

وأما وسائلهم لتحقيق بناء حضارتهم الزائفة فهي: القضاء على معالم الحضارة الإسلامية، والاستيلاء على أرض المسلمين للسيطرة على ثرواتها. فهم لا يكلون ولا تفتن عزائمهم في هدم المقدسات الإسلامية وتحريف وطمس الثقافة الإسلامية من مساجد ومؤلفات وحتى القرآن الكريم.. وها هو بيغن يقول (أنتم أيها الإسرائيليون لا يجب أن تشعروا بالشفقة حتى تقضوا على عدوكم حتى تنتهي من إبادة ما يسمى بالحضارة الإسلامية التي ستبنى على انقاضها حضارتنا) وقال الحاخام شلومو غورين (إن حركة رابطة الدفاع اليهودي ستخوض صراعاً حاداً من أجل استعادة الهيكل وإزالة المساجد بما فيها المسجد الأقصى). وأما الاستيلاء على الأرض فهم لا حدود لأطماعهم في الأرض والثروات حتى الخليج ونفطه، وهم يحرصون على شرق الأردن ويرون فيها مفتاح الأمن والاقتصاد لفلسطين وقد احتج زعماءهم عندما أنشأ الإنجليز إمارة شرق الأردن، وأما في العراق فقد اشتروا الكثير من الأراضي وهاجر أكثرهم إلى فلسطين وهم يقولون علناً (سيأتي اليوم الذي نعود فيه إلى العراق لاستعادة أملاكنا) وأعلن موشي ديان يوم ٦ حزيران ١٩٦٧ قائلاً: (لقد استولينا على أورشليم ونحن في طريقنا إلى يثرب وإلى بابل) وقال بيغن في ١٩٥٠/٤/٧: (إنه لن يكون سلام لشعب إسرائيل، ولا لأرض إسرائيل، حتى ولا للعرب ما دمنا لم نحرر وطننا بأجمعه بعد، حتى ولو وقعنا معاهدة للصالح). وأطماعهم في سورية ولبنان معروفة، وأما أطماعهم في الجزيرة العربية فقد قال دايان عام ١٩٦٧ (الآن أصبح الطريق مفتوحاً أمامنا إلى المدينة ومكة).

الخاتمة:

صراعنا مع اليهود لا يعرف حقيقته إلا من أطلع على نواياهم ومخططاتهم وأهدافهم، فهو صراع بين الحق والباطل، وهو جهاد في سبيل الله تعالى لنصرة الدين وإنقاذ ما اغتصبوه من دار الإسلام وما تحكموا به من المسلمين، وهو لا بد له ما إعداد جيل قادر على تحرير البلاد والعباد سواء احتاج الأعداد ١٣ عاماً كما فعل الرسول عليه وآله السلام في إعداد جيل الصحابة قبل الشروع في الجهاد أم احتاج أكثر من ذلك، وهو صراع عقائدي يركز على عقيدتهم الصهيونية بجميع جوانبها وكذلك لا يمكن أن يقابل بالتنكر من الدين، وهو صراع حضاري يهدد كيان الأمة الإسلامية كما يهدد أراضيها ومقدساتها بقدر ما تفرط الأمة وحكامها في ذلك.. ولذلك لا بد من تجنيد كل الطاقات وحشد كل الجهود للتصدي لهذا الخطر الزاحف والذي أخذ يتلبس بالمهادنة والمصالحة التي إن حمتهم من بطش الأمة فلن تطول هذه الحماية مهما تعاون طواغيت هذه الأمة وحكامها في ذلك مع هؤلاء اليهود وحمايتهم في واشنطن ولندن وباريس وبون وموسكو.. فالصرخة الإسلامية الصريحة المدوية القوية قادمة مهما تأخرت ومهما افتعل الغرب الصليبي من معارك ضد الإسلام والمسلمين باسم الإرهاب والإرهابيين لتحطم العروش والكراسي وتقضي على خرافة إسرائيل.. ويومها يفرح المؤمنون بنصر الله وما ذلك على الله بعزيز.

تمت دراسة كتاب صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية.

والحمد لله رب العالمين

٣ - دراسة كتاب اليهود في القرآن الكريم

لمؤلفه محمد عزة دروزة

تمهيد:

١. يبدأ الكتاب بتمهيد يمكن تلخيصه فيما يلي وذلك في الفقرات التالية نظراً لأنه جاء مطولاً في ٢٥ صفحة:

- شغل اليهود في القرآن الكريم حيزاً كبيراً في الدورين المكي والمدني إذ ورد ذكرهم في خمسين سورة منه، وقد غلب ذلك في العهد المكي مما يشير إلى قصصهم السابقة للبعثة النبوية جاءت خالية من العنف مع بعض التنديد بما كان لهم من مواقف تمرد وتعجيز من موسى عليه السلام، مع مواقف غير مستحبة بعد موسى عليه السلام، مع الإشارة إلى إيمان بعضهم وشهادتهم بصدق رسالة الإسلام والوحي القرآني أحياناً والإشارة إلى ما هم عليه من خلاف في ذلك كما في:

أ- الآيات القصصية التالية:

١- الآيات ١٣٨-١٤١ من سورة الأعراف التي تبدأ بـ {وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون} وتنتهي بـ {وإذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم}.

٢- ثم الآيات ١٤٧-١٥٥ من سورة الأعراف أيضاً التي تبدأ بـ {واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلأ جسداً له خوار..} وتنتهي بـ {..أتهلكنا بما فعل السفهاء منا.. فاعفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين}.

٣- والآيات ٢-٨ من سورة الإسراء التي تبدأ بـ {وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل..} وتنتهي بـ {عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً}.

ب- أمثلة من التنويه بهم مع الإشارة إلى اختلافاتهم:

١- الآيات ٥٧-٧٨ من سورة النمل التي تبدأ بـ {وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين} وتنتهي بـ {..إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم}.

٢- والآيات ٢٣-٢٥ من سورة السجدة التي تبدأ بـ {ولقد آتينا موسى الكتاب} وتنتهي بـ {إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة في ما كانوا فيه يختلفون}.

٣- والآيات ١٥ و١٦ من سورة الجاثية التي تبدأ بـ {ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب} وتنتهي بـ {..إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون}.

جـ أمثلة من آيات مكية تشير لمواقفهم وتستشهد بهم وتورد إيمانهم وتصديقهم:

١- الآية ١١٤ من سورة الأنعام التي تبدأ بـ {أفغير الله أبتغي حكماً} وتنتهي بـ {فلا تكونن من الممترين}.

٢- والآية ١٥٦ من سورة الأعراف التي تبدأ بـ {الذين يتبعون الرسول النبي الأمي} وتنتهي بـ {... أولئك هم المفلحون}.

٣- والآية ٩٤ من سورة يونس التي تبدأ بـ {فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك} وتنتهي بـ {فلا تكونن من الممترين}.

٤- والآية ٣٦ من سورة الرعد التي تقول {والذين آتيناها الكتاب يفرحون بما أنزل إليك}.

٥- والآية ١٠٠ من سورة الإسراء التي تبدأ بـ {ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات} وتنتهي بـ {..إني لأظنك يا موسى مسحوراً}.

٦- والآيات ١٠٧ و١٠٨ من سورة الإسراء أيضاً التي تبدأ بـ {قل آمنوا به أو لا تؤمنوا} وتنتهي بـ {ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً}.

٧- والآيات ١٩٦ و١٩٧ من سورة الشعراء التي تبدأ بـ {وإنه لفي زبر الأولين} وتنتهي بـ {..أن يعلمه علماء بني إسرائيل}.

٨- والآيات ٥٢ و٥٣ من سورة القصص التي تبدأ بـ {الذين آتيناها الكتاب} وتنتهي بـ {..إن كنا من قبله مسلمين}.

٩- والآية ١٠ من سورة الأحقاف التي تبدأ بـ {قل أرايتم إن كان من عند الله} وتنتهي بـ {..إن الله لا يهدي القوم الظالمين}.

وأما الوارد فيهم في القرآن المدني فقد غلب عليه ذكر مواقفهم من الدعوة النبوية مع الإشارة لما كان من آياتهم من تمرد وانحراف للربط بينهم وبين أبنائهم مع التقرير اللاذع لهم على تلك المواقف التي تظهر مع الأمثلة التالية:

- ١- الآيات ٧١-٧٩ من سورة البقرة والتي تبدأ بـ {وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها} وتنتهي بـ {..فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون}.
- ٢- والآيات ٨٧-٩٣ من سورة البقرة أيضاً والتي تبدأ بـ {ولقد آتينا موسى الكتاب..} وتنتهي بـ {..قل بنسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين}.
- ٣- والآيات ٢٤-٥٢ من سورة النساء التي تبدأ بـ {ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب..} وتنتهي بـ {وأولئك الذين لعنهم الله، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيباً}.
- ٤- والآيات ٥-٨ من سورة الجمعة التي تبدأ بـ {مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً..} وتنتهي بـ {..ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون}..

وما يفهم من الآيات المكية أنهم لم يقابلوا الدعوة بالمناوأة بل بالارتياح والترحيب والتصديق لأنهم لم يصطدموا بها فكانت غير عنيفة، وأما في المدينة فكانوا كثيرين ولهم مصالح كثيرة فاستشعروا بالخطر بعد الهجرة فكان موقفهم المناوأة ثم العداء فظهرت حقيقتهم فتبدل الأسلوب القرآني في مخاطبتهم والحديث عنهم.. فيمكن إذن تناولهم في الظرفين التاليين:

الأول.. أحوالهم وأخلاقهم وسيرتهم قبل زمن النبي عليه وآله السلام في الآيات والسور التالية:

- ١- الآيات ٤-١٨ من سورة يوسف التي تبدأ بـ {إذ قال يوسف لأبيه يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين} وتنتهي بـ {..فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون}.. ويتضح من هذه الآيات صورة من حقد معظم أبناء يعقوب على أخيه يوسف وحسدهم له وغدرهم به والكذب على أبيهم..
- ٢- الآية ٩٩ من سورة يوسف أيضاً والتي تذكر أن يعقوب وذريته قد نزحوا إلى مصر.
- ٣- والآية ٤٩ من سورة البقرة التي تقول {وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب، يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم} وفي هذا تذكير لهم بنعم الله على آباءهم، مع تكرار ربط أخلاقهم ومواقفهم في زمن النبي عليه وآله السلام بأخلاق ومواقف آباءهم للتدليل على وحدة الحيلة واستمرارها، كما أن فيها سوء العذاب الذي كانوا يلاقونه من فرعون وقومه في مصر. وهذه الصورة تكررت في آيات عديدة أخرى فيما يلي:

١- الآية ١٤١ من سورة الأعراف،

٢- والآية ٦ من سورة إبراهيم،

٣- والآية ٤ من سورة القصص،

وهذه الصورة كانت قبل بعثة موسى عليه السلام، وفي الآيات التالية ما يفيد أن ذلك استمر بعد بعثته أيضاً كما يلي:

١- الآية ١٢٧ من سورة الأعراف، والآية ١٢٩ من نفس السورة.

٢- والآية ٨٣ من سورة يونس،

٣- والآية ٥٠ من سورة البقرة التي تبين كيفية خروج بني إسرائيل من مصر إذ تقول: {وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون} وقد تكررت حكاية ذلك في آيات أخرى فيما يلي:

١- الآية ٤٠ من سورة يونس التي تبدأ بـ {وجاوزنا ببني إسرائيل البحر..} إلى أن تنتهي بـ {..وأنا من المسلمون}.

٢- والآيات ٧٧-٨١ من سورة طه والتي تبدأ بـ {ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي..} وتنتهي بـ {..ومن يحلل عليه غضبي فقد هوي}.

٣- والآيات ٥٢-٦٦ من سورة الشعراء التي تبدأ بـ {وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي..} وتنتهي بـ {..ثم أغرقنا الآخر}.

٤- وفي سورة البقرة الآية ٥١ التي تبدأ بـ {وإذا وعدنا موسى أربعين ليلة..} وتنتهي بـ {..وأنتم ظالمون} التي تشير إلى مسارعة بني إسرائيل في حياة موسى إلى الانحراف عن توحيد الله، والآية تربط بين ماضيهم وحاضرهم، وقد تكررت هذه الصورة في الآيتين التاليتين:

٥- الآيتان ٩٢ و٩٣ من سورة البقرة التي تبدأ بـ {ولقد جاءكم موسى بالبينات..} وتنتهي بـ {..قل بسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين}.. ثم تأتي الآية التالية:

٦- في سورة البقرة الآية ٥٥ التي تقول {وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون} والتي توضح موقفهم التعجيزي لموسى وما حل بهم من عذاب الله بسبب ذلك.. وفي الآية ربط بين مواقفهم من رسالته صلى الله عليه وآله وسلم ومواقف آبائهم.

٧- الآية ١٥٣ من سورة النساء التي تبدأ بـ {يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء..} وتنتهي بـ {..ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات} توضيح وتدعيم لذلك.

٨- وفي سورة الأعراف الآية ١٥٥ التي تقول {واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا..} وتنتهي بـ {..فاغفر لنا وارحمنا أنت خير الغافرين} وفيها صورة لنكال الله المذكور سابقاً.

٩- وفي سورة الأعراف الآية ١٤٨ تبدأ بـ {واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلًا جسداً له خوار..} وتنتهي بـ {..وكانوا ظالمين} تشير إلى ذلك.

١٠- وفي سورة طه الآيات ٨٥-٩١ التي تبدأ بـ {قال فإننا قومك من بعدك وأضلهم السامري..} وتنتهي بـ {..حتى يرجع إلينا موسى} تكرر الإشارات السابقة.

١١- وفي الآيتين ٩٢ و٩٣ من سورة البقرة ما يفيد أن عبادة العجل ظلت راسخة في نفوسهم واستمرت في أجيالهم بالإضافة إلى صورة أخرى هي مجاهرتهن لموسى بأنهم يسمعون ويعصون!

١٢- وفي الآية ٥٢ من سورة البقرة التي تبدأ بـ {وإذ قال موسى لقومه..} وتنتهي بـ {هو التواب الرحيم} ذكر للعقوبة الربانية التي حلت أو ستحل بهم بعبادة العجل، وتكرر هذه الصورة في الآية ١٥٢ من سورة الأعراف.

١٣- وفي الآية ٧٥ من سورة البقرة التي تبدأ بـ {أفتطمعون أن يؤمنوا لكم..} وتنتهي بـ {..وهم يعلمون} خطاب للرسول عليه وآله السلام والمؤمنين معه بصدد جحود اليهود للإسلام، كما تذكر تحريف آبائهم كلام الله وهم يعلمون ما يفعلونه من تحريف.

١٤- وفي السورة نفسها الآيات ٧٨-٨٠ التي تبدأ بـ {ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب..} وتنتهي بـ {..أم تقولون على الله ما لا تعلمون} صور لما اعتادوه قبل الإسلام وامتداده إلى ما بعد البعثة من تدليس في كتاب الله وتفاخر كذباً بالاختصاص الرباني لهم. وقد تكررت هذه الصورة عنهم في الآيتين ٢٣ و٢٤ من سورة آل عمران التي تبدأ بـ {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب..} وتنتهي بـ {ما كانوا يفترؤن}.

١٥- وفي سورة البقرة الآيات ٥٨-٦٠ التي تبدأ بـ {وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها..} وتنتهي بـ {..بما كانوا يفسقون} وفي سورة الأعراف الآيات ١٦١-١٦٣ التي تبدأ بـ {وإذا قيل لهم اسكنوا..} وتنتهي بـ {..بما كانوا يعملون} صورة لمخالفتهم لأوامر الله تعالى رغم نعمه عليهم ثم بيان ما استحقوه من عذاب.

١٦- وفي سورة البقرة الآية ٦١ التي تبدأ بـ {وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد..} وتنتهي بـ {..وكانوا يعتدون} التي تعطي صورة تعجيزية منهم ثم التنديد بهم والعقاب الذي استحقوه لذلك. وفي الآيات التالية يتكرر ذلك: الآية ٨٥ من سورة البقرة، والآية ٨٧ من نفس السورة، والآية ١١٢ من سورة آل عمران، والآية ١٨٣ من سورة آل عمران، والآية ١٥٥ من سورة النساء، والآية ٧٠ من سورة المائدة. وفي بعضها ربط بين مواقفهم في زمن النبي عليه وآله السلام ومواقف آبائهم من قبل، وكلها تدل على كفرهم بآيات الله وتكذيبهم لأنبيائه بل قتلهم إياهم بعد موسى عليه السلام.

١٧- وفي سورة البقرة الآيات ٦٣-٦٦ التي تبدأ بـ {وإذ أخذنا ميثاقكم..} وتنتهي بـ {..وموعظة للمتقين} صورة لنقضهم الميثاق مع الله تعالى، وللنكال بمن خالف وصاياه تعالى واعتدوا يوم السبت. والآيات تربط بين مواقفهم من الرسالة النبوية

ومواقف آبائهم السابقين. وتتكرر الصورة في الآية ٤٧ من سورة النساء، والآيات ١٣-٢ من سورة المائدة، والآية ٦٠ من سورة المائدة أيضاً، والآيات ١٦٧-١٦٣ من سورة الأعراف، والآية ١٦٩ من سورة الأعراف أيضاً. وفي هذه الآيات تسجيل للعنة الله عليهم وتذكير بنكال الله فيهم.

١٨- وفي سورة البقرة الآيات ٦٧-٧٤ والتي تبدأ بـ {وإذ قال موسى لقومه..} وتنتهي بـ {..وما الله بغافل عما تعملون} صورة للجاهم وتعجيزهم لموسى عليه السلام وقسوة قلوبهم وربط مواقفهم تجاه النبي عليه وآله السلام ومواقف آبائهم الأولين..

١٩- وفي سورة البقرة آية ٢١٣ التي تبدأ بـ {كان الناس أمة واحدة..} وتنتهي بـ {..والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم} إشارة إلى ما كان من اختلافهم بشأن الكتب المنزلة بقصد البغي والانحراف. وتكررت هذه الصورة في الآية ٢٥٣ من سورة البقرة، والآية ١٩ من سورة آل عمران، والآية ١٠٥ من سورة آل عمران أيضاً، والآية ٩٣ من سورة يونس، والآية ١١٠ من سورة هود، والآية ١٢٤ من سورة النحل، والآية ٩٢ من سورة النحل، والآية ١٤ من سورة الشورى، والآية ٦٥ من سورة الزخرف، والآية ١٧ من سورة الجاثية.

٢٠- وفي سورة البقرة الآيات ٢٤٦-٢٤٩ التي تبدأ بـ {الم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى..} وتنتهي بـ {..والله مع الصابرين} صورة للجاهم وجبنهم وعصيانهم وتناقض أقوالهم بأفعالهم.

٢١- وفي سورة آل عمران الآيات ٤٩-٥٤ التي تبدأ بـ {ورسولاً إلى بني إسرائيل..} وتنتهي بـ {ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين} صورة لموقف الكفر والمكر الذي وقفه معظمهم من عيسى عليه السلام ورسالته، وتتكرر هذه الصورة في الآيات ١٥٦-١٦١ من سورة النساء التي تسجل قذفهم لمريم وادعائهم قتل السيد المسيح عليه السلام مع الإشارة للعقوبة التي حلت بهم لظلمهم وصددهم عن سبيل الله وأكلهم الربا.. كما ترد في الآية ١١٠ من سورة المائدة التي تكشف أنهم اتهموا عيسى عليه السلام بالسحر، وفي الآيات ٢٤-٣٧ من سورة مريم التي تورد صورة لموقفهم من مريم وولادتها الإعجازية لعيسى عليه السلام، ثم الآيات ٦٤ و ٦٥ من سورة الزخرف والآية ٦ من سورة الصف.

٢٢- وفي سورة آل عمران الآية ٧٥ التي تتحدث عن النصارى واليهود وما درجوا عليه من استحلال كل شيء يأخذونه من الغير أو يفعلونه بهم زعماً منهم أنهم غير مواخذين عليه لأنهم شعبه المختار كذباً وافتراء.

٢٣- وفي سورة آل عمران الآية ١٨٧ صورة لمخالفتهم ميثاق الله واستخدامهم لكتاب الله في منافعهم الدنيوية.

٢٤- وفي سورة المائدة الآيات ١٩-٢٦ التي تبدأ بـ {وإذ قال موسى لقومه..} وتنتهي بـ {..فلا تأس على القوم الفاسقين} صورة لجبنهم وعدم اعتمادهم على الله..

٢٥- وفي نفس السورة الآية ٣٢ التي جاءت بعد قصة ابني آدم وقتل أحدهما للآخر بغياً، وهي الآية التي تقدم صورة عن انحراف كثير منهم عن كتب الله وفسادهم في الأرض على مدى الأجيال.

٢٦- وفي السورة نفسها الآيات ٧٧-٧٩ تعطي صورة لاستغراق كثير منهم في الآثام والأفعال المنكرة، وتسجيل لعنة الله عليهم على لسان داود وعيسى عليهما السلام.

٢٧- وفي سورة الأعراف الآية ١٣٨ التي تبدأ بـ {وجاوزنا ببني إسرائيل البحر..} صورة لرسوخ الوثنية فيهم وسرعة عودتهم للأصنام، وهذه حالهم على أدوار تاريخهم المتتالية.

٢٨- وفي سورة الإسراء الآيات ٤-٧ التي تبدأ بـ {وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب..} وتنتهي بـ {وليتبروا ما علوا تتبيرا} صورة من تاريخهم بعد موسى عليه السلام وتكليف الله بهم.

٢٩- وفي سورة الأحزاب الآية ٦٩ التي تقول {يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً} وفيها إشارة إلى ما كان منهم من أذى لموسى عليه السلام عندما برأه الله لما رأوا جسده ووجدوه لا عيب فيه.

٣٠- وفي سورة الشورى الآية ١٤ التي تبدأ بـ {وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم..} وتنتهي بـ {..لفي شك منه مريب} تشير إلى تفرقهم أحزاباً دون سند من حق، وقصد إلى حق، ولكن لمجرد البغي والانحراف عن الحق.

والجدير بالذكر أن كل هذه الصور القرآنية قد وردت في أسفار العهد القديم المتداولة.

الثاني.. أحوالهم وأخلاقهم في الحجاز ومواقفهم من الرسالة الإسلامية، ومصيرهم في زمن الرسول عليه وآله وصحبه الصلاة والسلام.

ويمكن التعرض لذلك في الفصول التالية:

الفصل الأول جنسية يهود الحجاز

فقد نسبتهم الآيات إلى إسرائيل دون استثناء، وربطت بينهم وبين بني إسرائيل الأولين من عهد موسى بل عهد يعقوب (إسرائيل)، وذلك واضح في الأمثلة التالية:

١- في الآية ٤٠ من سورة البقرة، والآية ٨٣ منها، والآية ٢١١ منها، والآية ٩٣ من آل عمران، والآيات ٢-٢٣ من سورة المائدة، وفي الآيتين ٧٨-٧٩ من المائدة أيضاً.

٢- وأنهم كانوا يعيشون في أحياء وقرى خاصة بهم في المدينة وحولها، وإن اللغة العبرية كانت لغة كتبهم وطقوسهم وحياتهم، وذلك من آيات سورة الأنعام ١٥٥-١٥٧، وآية سورة فصلت ٤٤، وهناك أحاديث تدل على ذلك، كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أجلى معظمهم عن المدينة والقرى الأخرى إلى بلاد الشام فكان وجودهم في الحجاز طارئاً وليس بصحيح إن قبائل بني النضير وبني قريظة كانت قبائل عربية متهودة وإنما قد يكون بعض الأمراء من العرب قد تهودوا وصاهروا اليهود. ولم يبق هناك وجود لأي جماعة يهودية أيام الرسول عليه وآله السلام لا في الحجاز ولا في اليمن بدليل أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يجلب يهوداً من اليمن كما أجلى نصارى نجران تنفيذاً لأوامر الرسول عليه وآله السلام (لا يجتمع في هذه الجزيرة دينان) وفي الأمر الآخر (أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب) مما يفيد أنه لم يكن في اليمن عند موته يهود، والمرجح أن ما وجد في اليمن منهم بعد ذلك هو جالية إسرائيلية مستعربة وفدت من الأندلس بعد سقوطها.

الفصل الثاني

أحوال اليهود في الحجاز

هناك آيات عديدة تساعد على رسم صورة كاملة لأحوال اليهود الذين كانوا في الحجاز يمكن إيرادها ثم التعقيب عليها فيما يلي:

١- الآيات ٤٠-٤٤ من سورة البقرة، و٢- الآيات ٧٥-٨٠ من سورة البقرة أيضاً، ٣- والآيتان ٨٤-٨٥ من نفس السورة، ٤- والآيات ٨٨-٩٢ من نفس السورة، ٥- والآية ٩٤ من نفس السورة، ٦- والآية ١٠٣ من نفس السورة، ٧- والآية ١١١ من نفس السورة، و٨- الآية ١٣٥ من نفس السورة، و٩- الآية ٢٥٣ من نفس

السورة، و ١٠- الآيات ٧٨ و ٧٩ من آل عمران، و ١١- الآيات ١٠٢ و ١٠٣ من آل عمران، و ١٢- الآية ١١٢ من آل عمران، و ١٣- الآيات ١١٨-١٢٠ من آل عمران، و ١٤- الآيات ١٨٠-١٨٤ من آل عمران، و ١٥- الآيات ٤٤-٥٢ من النساء، و ١٦- الآية ٦٠ من النساء و ١٧- الآية ١٣٩ من سورة النساء، و ١٨- الآية ١٤٤ من النساء، و ١٩- الآية ١٥٠ من النساء، و ٢٠- الآيات ١٦٠ و ١٦١ من النساء، و ٢١- الآية ١٣ من سورة المائدة، و ٢٢- الآية ١٨ من المائدة، و ٢٣- الآية ٤٤ من المائدة، و ٢٤- الآيات ٥١ و ٥٢ من المائدة، و ٢٥- الآيات ٦٢ - ٦٤ من المائدة، و ٢٦- الآيات ١٦٧-١٦٩ من المائدة، و ٢٧- الآيات ٥٥-٥٦ الأنفال، و ٢٨- الآيات ٣٢-٣٤ من التوبة، و ٢٩- الآية ٩٤ من يونس، و ٣٠- الآية ١٩٧ من الشعراء، و ٣١- الآيات ٧٦-٧٨ من النحل، و ٣٢- الآيات ٢٦ و ٢٧ من الأحزاب، و ٣٣- الآية ٢ من الحشر، و ٣٤- الآية ٧ من الحشر، و ٣٥- الآية ١٤ من الحشر، و ٣٦- الآية ٦ من الجمعة.

فهذه المجموعة من الآيات التي وصل عددها إلى (٧٧ آية) في (١٢ سورة) تشير إلى مجيء جماعات من بني إسرائيل إلى الحجاز منذ أمد بعيد. واستقر أكثرهم في يثرب، وتعلموا اللغة العربية، وعاشوا في تفاهم مع العرب، وإن تفاخروا بدينهم ومعارفهم، وسكنوا في قرى حصونها بالحصون والأسوار، وكان في يثرب قبيلتان عربيتان هما الأوس والخزرج تحالف فريق من اليهود مع كل منهما ضد الآخرين ليحاولوا التخلص مما كانوا فيه من الذل والجبن والفرع، وكانوا يشتغلون بالزراعة والتجارة والصناعة مما جعلهم أثرياء وأصحاب نفوذ وتأثير على العرب.

الفصل الثالث

أخلاق اليهود في الحجاز

وهناك الكثير من الآيات القرآنية التي ترسم صورة عن أخلاقهم المستمرة منذ آبائهم والمتوارثة في أبنائهم، ومنها الانحرافات الدينية والأخلاقية والاجتماعية من كفر وأنانية وتبجح وتكبر وتضليل وتدليس ودس وحسد واستحلال أموال الآخرين وخيانة ونفاق وحقد وخداع حتى صار كل من عايشهم يشتمهم ويسعى للتخلص منهم وحتى استخدمهم الاستعمار الغربي في الحاضر عندما دعمهم وما زال في سيطرتهم على فلسطين، وما هي إلا جولة وتنقش هذه الغمة بعون الله ومشيئته، وهذه هي الآيات التي تسجل ذلك:

الآيات ٤٠-٤٤ من البقرة، و ٢- والآيات ٧٠-٧٣ من آل عمران، و ٣- والآيات ٧٥-٨٠ من البقرة، و ٤- والآيات ٢٣ و ٢٤ من آل عمران، و ٥- والآية ٧٧ من آل عمران، و ٦- والآية ٨٣ من البقرة، و ٧- الآية ٩٣ من البقرة، و ٨- الآية ٥٥ من النساء، و ٩- الآية ١٣ من المائدة، والآية ٥٥ من البقرة، و ١١- الآية ٦٣ من البقرة،

و١٢- الآيات ٦٧-٧٤ من البقرة، و١٣- الآيتان ١٣٩ و١٤٠ من البقرة، و١٤- والآيتان ٦٥ و٦٦ من آل عمران، و١٥- الآيتان ٩٣ و٩٤ من آل عمران، و١٦- الآيات ٨٧-٩٢ من البقرة، و١٧- الآية ١٠٥ من البقرة، و١٨- الآيات ٥٥-٥٨ من الأنفال، و١٩- الآية ١٠٥ من البقرة، و٢٠- الآية ١٠٩ من البقرة، و٢١- الآيتان ٢٣ و٢٤ من آل عمران، و٢٢- الآية ٧٥ من آل عمران، و٢٣- الآية ٩٩ من آل عمران، و٢٤- الآيات ٩٩-١٠٣ من آل عمران، و٢٥- الآيات ١١٨-١٢٠ من آل عمران، و٢٦- الآيات ١٨٠-١٨٤ من آل عمران، و٢٧- الآيات ٤٤-٤٦ من النساء، و٢٨- الآيتان ٤٩ و٥٠ من النساء، و٢٩- الآيتان ٥١ و٥٢ من النساء، و٣٠- الآيتان ٥٣ و٥٤ من النساء، و٣١- الآيتان ١٦٠ و١٦١ من النساء، و٣٢- الآيتان ٦٢ و٦٣ من المائدة، و٣٣- الآية ٦٤ من المائدة، و٣٤- الآيات ٧٨-٨٠ من المائدة، و٣٥- الآية ٨٧ من المائدة، و٣٦- الآية ١٦٩ من الأعراف.

الفصل الرابع

مواقف اليهود من الدعوة الإسلامية في العهد المدني

انهم لم يحتكوا مع الرسول عليه وآله السلام في مكة لأنهم كانوا أقلية ضعيفة المصالح ولكنهم على العكس من ذلك في يثرب (المدينة) فقد اصطدموا وتآمروا وحاربوا الرسول عليه وآله السلام دفاعاً عن مصالحهم ومكانتهم الكبيرة بالرغم من أنهم كانوا يعرفونه بأنه حق وما جاء به حق كما تدل الآية ٨٩ من البقرة والآية ٨٦ من آل عمران والآية ١٥٧ من الأعراف. ثم نقضوا العهد مع الرسول عليه وآله السلام كما تشير الآية ١٠٠ من البقرة والآية ٥٦ من الأنفال، وتبجحوا بأنهم أهدى الناس كما في الآية ١١١ من البقرة والآية ١٢٠ منها والآية ١٣٥ منها والآية ١٨ من المائدة و١٣٦ من البقرة و٢٨٥ من البقرة، و٩٠ من الأنعام و٢٤ من السجدة و١٦ من الجاثية. ولكن ظنهم خاب عندما رأوا الرسول عليه وآله السلام يدعوهم إلى رسالته كغيرهم من الناس وأحياناً يندد بهم وبمواقف كفرهم كما في الآيات ٤٠-٤٤ من البقرة والآيات ٨٧-٩١ من البقرة والآية ٤٧ من النساء، والآية ١٩ من المائدة.. فما كان منهم إلا أن تنكروا للدعوة وحقدوا على صاحبها منذ بداية العهد المدني ثم ضاعفوا المكائد وانتقلوا إلى التآمر المتواصل، مما جعل الرسول عليه وآله السلام يتأثر بشكل بالغ من موقفهم مع نزول الآيات التي تندد بهم، الأمر الذي أدى إلى تفاقم الخلاف.. وقد اشتمل القرآن الكريم على الكثير من الآيات التي تعبر عن مواقفهم هذه كلها وخاصة مع تنامي دور المنافقين بسببهم كما تشير الآيتان ٥٦ و٥٧ من التوبة، والآيات ٥-٨ من المنافقين.. ولا بد من الوقوف على المواضيع الخمسة التالية بهذا الشأن كله:

أولاً: موقف اليهود إزاء الدعوة:

ويظهر في الآيات التالية: ٤٠-٤٤ من البقرة التي تكشف معاملتهم للدعوة الإسلامية بشكل سيء، ثم الآيات التالية بعدها حتى تغطي ثلث السورة وهي تشير لتذكيرهم بنعم الله عليهم وعلى آبائهم وتندد بمواقفهم المعاندة للحق والمرتكسة في الكفر وعبادة العجل والمغرفة في التحريف والكيد والدس والغرور والحسد، وتظهر في الآيات ٤٧-٥٣ والآية ٥٥، والآيتين ٥٨ و٥٩، والآية ٦١ والآيات ٦٣-٦٦ والآيات ٧٢-٨٠ والآيات ٨٩-٩٣ والآيات ٩٩-١٠١ فهذه الآيات تندد بهم من خلال قصصهم مع أنبيائهم، وتظهر جمودهم على موقف آبائهم الجاحد والمنكر للدعوة كما يظهر ذلك في سور أخرى كما في الآيتين ١١٢ و١١٣ من آل عمران و١٩٩ من نفس السورة و١٦٢ من النساء. وقد جمعت الآيات بين أسلوب التنديد والأسلوب الهادئ كما في الآية ٢٠ من آل عمران و٦٤ منها و١٥ و١٦ من المائدة.

ثانياً - مواقف اليهود للجاجية:

منها حول إبراهيم عليه السلام وملته وزعمهم أنهم على الهدى كما يظهر من الآيات ١١١-١١٣، و١٢٠-١٢١ و١٣٠-١٤٠ من البقرة، كما ردت عليهم الآيات بأن إبراهيم عليه السلام لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولكن حنيفاً مسلماً، كما ردت عليهم الآية ١١٣ من البقرة بأنهم ليسوا على شيء من الحق في اتهامهم للنصارى، كما تكررت الإشارة بصدح حججهم حول إبراهيم في سورة آل عمران في الآيات ٥٦-٦٨ تؤكد ما ورد في سورة البقرة. كما أنهم حاجوا حول نبوة محمد عليه وآله السلام بسبب عربيته كما ورد في الآيات ٢-٧ من الجمعة، إذ أنكروها بحجة أنه ليس من بني إسرائيل وكان النبوة حصر فيهم، وفضل الله ونعمته موقوفة عليهم!! كما أن سوء أدبهم مع الله ورسوله ظهر في الآيات ١٨٠-١٨٣ من آل عمران، كما ورد في الآيات ٤٤-٤٦ من النساء صورة ساخرة لليهود من النبي عليه وآله السلام ونعتهم له بالرعونة مع الدعاء عليه بالسوء وكان ذلك بعد واقعة أحد التي استشعروا بعدها بالشماتة، ويظهر في الآيات ١٥٣-١٦٩ من سورة النساء موقف التحدي منهم للنبي عليه وآله السلام والزهو بادعاء أنهم قتلوا السيد المسيح عليه السلام، كما ورد في سورة المائدة في الآيات ٤١-٤٣ التي تظهر تواطؤهم مع المنافقين ضد الرسول عليه وآله السلام للخروج على الحكم بالقسط، وفي سورة المائدة أيضاً الآية ٦٤ التي تكشف إدعاءهم الفقر عند إلزامهم بالدفع للدية تمشياً مع حقدهم وسخطهم لرسوخ قدم النبي عليه وآله السلام في المدينة وانتشار دعوته، ثم دعوة المسلمين للانصراف عنه ومقاطعته لكيدهم للإسلام ودعوته ورسوله كما في الآيات ٢٨ من آل عمران و١٠٠ من آل عمران و١١٨ من آل عمران و١٣٩ من النساء و١٤٤ من النساء مما أثر على وضعهم الاقتصادي بشكل سيء فزاد غيظهم وسخطهم ودفعهم لسوء الأدب مع الله ورسوله، كما ورد ذلك في الآيتين ٦٥ و٦٦ من المائدة. ثم هناك الآيتان ٩٧ و٩٨ من

سورة البقرة تكشف عن مدى مكابرتهم وعنادهم عندما اعتبروا جبريل وميكائيل عدواً لهم. وفي الآيات ١٤٢-١٥٢ من سورة البقرة تبين موقفهم اللجائي من القبلة والكعبة والحج، مما يجعل هذه الآيات وما قبلها تظهر موقفهم الكيدي والمتعالي بعد أن تحولت القبلة إلى الكعبة بدلاً من بيت المقدس مع أنه سبحانه قد دعاهم لطاعته سواء كانت القبلة هنا أو هناك لأن الاتجاه الخالص إلى الله هو المهم وليس المشرق ولا المغرب، وأنه لا قيمة لكل انتقادات اليهود ويظهر ذلك في الآيات التالية:

(١) ١٠٥-١٠٩ من البقرة، (٢) ١١٤-١١٥ من البقرة، (٣) ١٢٤-١٣١ من البقرة، وكلها تبث الطمأنينة في نفوس المؤمنين بدلاً من الشكوك التي أثارها اليهود بصدد نسخ القبلة الأولى بنائية. وبالرغم من تنديد آيات سورة البقرة بهم وبمكاندهم وتشكيكهم إلا أنهم استمروا في ذلك بصدد الكعبة كما يظهر من آيات ٩٣-١٠٠ من آل عمران التي تشير إلى إنكارهم لصلوة إبراهيم بالكعبة مع علمهم بصحة ذلك. ثم تأتي الآيتان ٧٩ و ٨٠ من سورة البقرة التي تتحدث عن تدليسهم على العرب بتظاهرهم بالعلم فيما يقولونه أو يكتبونه منسوباً إلى الله افتراءً. وفي سورة البقرة الآية ٩١ الفاضحة لغرورهم واستخفافهم بادعائهم أن إيمانهم يكفيهم عن الإيمان بالقرآن ونبوة محمد عليه وآله السلام. وفي نفس السورة الآيتان ٩٤ و ٩٥ التي تحدثهم بإظهار كذبهم في الزعم بأنهم أصحاب الحظوة عند الله تعالى في الآخرة.. وتكرر هذا التكنيب في الآيتين ٦ و ٧ من سورة الجمعة والآية ١١١ من البقرة والآية ١٣٥ منها. والآية ٧٥ من آل عمران والآية ١٨٨ من نفس السورة والآيتان ٤٩ و ٥٠ من النساء والآية ١٨ من المائدة.

ثالثاً - دسائس اليهود بين المسلمين:

فهناك الكثير من الآيات التي تتحدث عن ذلك، فهناك آيتان ٤١ و ٤٢ من سورة البقرة نهت اليهود عن كتم الحق والباسه بالباطل بقصد الدس والتشكيك، وآيتا ٧٥ و ٧٦ من نفس السورة تقرر فقد الأمل من إيمانهم، والآيتان ١٠٤ و ١٠٥ وفيهما يسخرون من الرسول عليه وآله السلام وتنبيه المسلمين بعدم الاستماع إليهم، والآيات ١٤٢-١٥٢ التي تتحدث عن دسهم وتشكيكهم للمسلمين، والآيات ٦٩-٧٣ من آل عمران وفيها التظاهر كذباً بالإيمان ودعوة المسلمين لعدم الثقة بهم، ثم الآيتان ٧٧ و ٧٨ من آل عمران وفيهما صورة من تدليسهم على المسلمين، وهناك الآيات ٩٩-١٠٣ من آل عمران وفيها إشارة لإثارتهم الفتنة بين الأوس والخزرج، ثم الآيتان ١٠٤ و ١٠٥ من نفس السورة والآيات ١١٠-١١٢ من نفس السورة التي تحذر المسلمين وتحط من شأن اليهود وقوتهم، ثم الآيات ١١٧-١٢٠ من نفس السورة وتوضح مدى عدائهم ومكرهم وبغضهم للمسلمين، ثم آية ١٤٤ من سورة النساء، وفيها حملة على المنافقين الموالين للكافرين، والآيات ٤٤-٤٦ من النساء وفيها صورة لدسائسهم ضد

المسلمين، ثم الآيات ٥٧-٦٣ من المائدة وهي تحذر من جديد المسلمين من موالة اليهود وغيرهم من الكفار.

رابعاً - تأمر اليهود مع المنافقين:

فكانت آية ١٤ من سورة البقرة هي في الراجح أول آية ذكرت صلوات اليهود بالمنافقين {وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون} لأن تفسير (شياطينهم) جاء بمعنى اليهود، وهي تشير إلى عظم تضامنهم معهم ضد الإسلام، ثم تأتي آيتا سورة النساء ١٣٨ و ١٣٩ اللتان تذكران اليهود بصفة الكافرين وأن المنافقين كانوا يتولونهم للاعتزاز بهم، ثم الآيات ٥١-٥٣ من المائدة والتي تتحدث عن {في قلوبهم مرض} بأنهم المنافقون وتحالفهم مع اليهود وتأمرهم معهم ضد الإسلام والمسلمين، ثم الآيتان ٢٥ و ٢٦ من سورة محمد التي تعني المنافقين بوصفهم {إن الذين ارتدوا على أديبارهم} ثم الآية ١٤ من سورة المجادلة التي تتحدث عن المنافقين وتوليهم لليهود وتندد بهم وبنفاقهم، ثم الآية ١١ من الحشر والآية ٢٠ منها تبين اليهود وتواطؤهم مع المنافقين والتنديد بهم لذلك..

وكل هذه الآيات رغم قلتها نتيجة لإخفاء التواطؤ والتآمر فيما بين الفريقين تجزم أن اليهود كانوا وراء معظم مواقف المنافقين ضد الرسول عليه وآله السلام ودعوته ورسالته.

صحيح أن المودعة بين اليهود والرسول عليه وآله السلام تفتضي استمرار التعاون بين الطرفين، ولكن التنديد ينصب على كيد المنافقين وتأمرهم مع اليهود واستمرار هذا رغم تحذير القرآن الكريم من ذلك، مما يجزم أن استمرار تحالفهم مع اليهود ليس حرصاً على الوفاء بالعهد وإنما للتآمر والكيد فقط، ثم إن مواقف اليهود نقضت العهد مع المسلمين {أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم، بل أكثرهم لا يؤمنون} الآية ١٠٠ من البقرة ثم الآيتان ٥٥ و ٥٦ من الأنفال {إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون. الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون} فكان نقضهم للعهد مبكراً جداً كما كان سير وتأمر المنافقين معهم مبكراً فافتضى هذا التنديد المبكر.

خامساً - تأمر اليهود مع المشركين:

وكانت الآيات المصورة لذلك أيضاً قليلة نظراً لقلّة المشركين أنفسهم في المدينة. ومنها الآيتان ٥١ و ٥٢ من النساء واللذان تكشفان قصة ذهاب وفد أحبار اليهود إلى مكة ليجمعوا الأحزاب ضد المسلمين، وكيف أنهم شهدوا زوراً وبهتاناً بأن دين شرك قريش خير من دين التوحيد، وكيف أنهم تمسحوا بالأصنام تزلفاً لقريش عندما تعاهدوا معهم للتآمر ضد الإسلام، مما يجعل حقدهم على الإسلام ورسوله يعميهم عن الحق والتوحيد الذي هو أساس دينهم، مما يصممهم بالعار الذي لا يمحي..

ثم حصلت وقعة الخندق أو الأحزاب نتيجة هذه المؤامرة وكادت تعصف بالإسلام وأهله، وقد أوضحت ذلك سورة الأحزاب في الآيات ٩-١٤ ثم الآيات ٢٥-٢٧ والتي تشير إلى تأمر اليهود مع المشركين نقضاً لكل عهد معهم، ثم تأتي الآيات ٧٨-٨١ من المائدة التي تشير لمواالاتهم للكافرين بدافع البغضاء التي تجمعهم معهم للإسلام وأهله لنقض أركانه وهدم بنيانه، ثم تأتي بعدها الآية ٨٢ التي تذكر أن موافقهم كانت مكشوفة في التأمر مع المشركين..

الفصل الخامس

وقائع التنكيل باليهود وبواعثها ونتائجها

ويمكن الإشارة إليها كما يلي:

فبعد ان تجاوزت موافقهم الجحود والفس الكلامي إلى الغدر الفعلي بدأ التنكيل بهم من الربع الأول من العهد المدني حتى تم إجلاؤهم عن المدينة، ثم إجلاء الباقين من القرى في الربيع الثاني والثالث منه. وكان غدرهم بالندريج والتنكيل بهم كذلك، مما جعل أهل الكتاب من يهود ومبشرين يزعمون افتراء أن الرسول عليه وآله السلام كان قد بيّنت نية التنكيل بهم منذ البدء، لأنهم في الأصل لم يخرجوا ضد الرسول عليه وآله السلام ورسالته ككتلة واحدة وإنما بالندريج تبعاً لتحالفاتهم مع الأوس والخزرج السابقة وتقاتلهم فيما بينهم نتيجة هذه التحالفات. فمما روي أن بني قريظة استمروا في المحافظة على عهودهم حتى نقضوها في غزوة الأحزاب، مما يدل على أن صدر الرسول عليه وآله السلام قد اتسع كثيراً لمكائدهم مما جعلهم يستمرون في محالفاتهم ولا يصل معهم الأمر إلى طور التنكيل إلا بعد أن طغح الكيل من دسائسهم وأذاهم وغدرهم.

١- قتل أبي عفك اليهودي: وكان شاعراً يحرض على الرسول عليه وآله السلام، وفتك به سالم بن عمير رضي الله عنه من أهل بدر.

٢- إجلاء بني قينقاع بعد بدر بثلاثة أشهر، وكانوا أول من نقض العهد مع الرسول عليه وآله السلام في كشف سوءة امرأة مسلمة في سوقهم، وقتلوا المسلم الذي قتل الصائغ الذي كشف عورتها، وكانوا حلفاء الخزرج مما جعل رأس المنافقين ابن سلول الخزرجي يلح على الرسول عليه وآله السلام في أن يهبهم له ففعل بشرط خروجهم من المدينة فخرجوا إلى أذرعات. ولكن الذي شجعهم على التحدي هو غيظهم على المسلمين لانتصارهم في بدر، فنزلت آيتنا سورة آل عمران ١٢ و ١٣ التي أنذرتهم لاستخفافهم كما أشارت الآية ١٠٠ من سورة البقرة بصراحة لذلك، ومما زاد في استخفافهم حلفهم مع ابن سلول والخروج مما جعل سورة الأنفال تشير لذلك في الآيات ٥٥-٥٨ التي نزلت بعد بدر، فكانت حادثة المرأة في سوقهم السبب المباشر فقط بعد أن

طُفح الكيل بنقضهم العهد، وفيها {فشرذ بهم من خلفهم لعلمهم يذكر} تحذير لبقية اليهود لتفادي الحرب معهم ولكن دون فائدة.

٣- قتل كعب بن الأشرف: وكان شاعراً يهجو الرسول عليه وآله السلام وأصحابه ويحرض على أذاهم ويتشبه بنساء المسلمين ويهجوهم فهدر الرسول عليه وآله السلام دمه، فقتله محمد بن مسلمة في الشهر الخامس والعشرين من الهجرة.

٤- إجلاء بني النضير، وكانوا الكتلة الثانية التي وقع عليها التنكيل كما تشير سورة الحشر التي سماها ابن عباس سورة بني النضير كما في الآيات من ٢-٧ والآيات من ١١-١٧ فاتصر المسلمون عليهم دون عمل حربي ولكن بعد حصارهم وقطع نخيلهم الجديد الغرس، وتم ذلك النصر بعد وقعة أحد ومرور ٣٧ شهراً من الهجرة، وكان السبب المباشر لها تأمرهم لاغتيال الرسول عليه وآله السلام عندما ذهب إليهم يطالبهم بالمعونة في دفع دية بعض القتلى عملاً بواجب الحلف القائم، وكانوا حلفاء للخزرج أيضاً مما جعل ابن سلول يحرضهم لعدم الجلاء ويعددهم بالقتال معهم ولكنه لم يصدقهم بذلك.. وذهبوا إلى خيبر فكانوا زعماءها كما ذهب بعضهم للشام.

٥- القضاء على بني قريظة: وأشارت لذلك سورة الأحزاب في الآيتين ٢٦ و ٢٧ أخيراً بعد سلسلة الآيات التي تتحدث عن زحف الأحزاب على المدينة من قريش وخطان في السنة الخامسة، فانظر في الآيات من ٩-٢٢ التي تصف الحالة الخطيرة التي كان عليها المسلمون بعد أن أطبقت الأحزاب عليهم من كل جهة، ثم الآية ٥١ من سورة النساء التي تشير إلى تحالف اليهود من خيبر وعلى رأسهم زعماء بني النضير مع مكة ومشركي قريش، ومع قبائل غطفان وقيس وغيلان، وأن حبي بن أخطب الزعيم النضري قد حرض الزعيم القرظي كعب بن أسد مطمئناً له بالنصر، ثم انصرف الكفار عن المدينة مرتدين بغيظهم كما ورد في الآية ٢٥ من سورة الأحزاب ورجع الناس إلى المدينة وجاء جبريل عليه السلام الرسول عليه وآله السلام وقال له (إن الله يأمرك بالمشير إلى بني قريظة) فنادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة) وحاصرهم ٢٥ ليلة وقذف الله الرعب في قلوبهم فنزلوا على حكمه عليه وآله السلام، وكان حكم سعد بن معاذ الزعيم الأوسي فيهم بقتل الرجال وسبي النساء والأطفال وقسمة الأموال فهتف النبي عليه وآله السلام (لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع أرفعة «سموات») فقتل منهم ٧٠٠ وسبي ٧٠٠ وغنم ١٥٠٠ ترساً و ١٥٠٠ سيفاً و ٣٠٠ درعاً وبيع السبي في العراق.

وبذلك انتهى عهد الكتل اليهودية في المدينة ولم يبق إلا أفراداً مسالمين هناك، وبذلك أخذت تتطفي نار المنافقين، فكان عدد جيش الأحزاب عشرة آلاف وذهب الرسول عليه وآله السلام لفتح مكة في عام تال بعشرة آلاف مقاتل بعد أن كان قد عقد معها صلح الحديبية وعاد.. فتفرغ المسلمون لقريش وكتب الرسول عليه وآله السلام بكتبه إلى الملوك والأمراء في داخل الجزيرة وخارجها من عرب وغير عرب. ولم يمض إلا ثلاث سنوات حتى تم تشكيل الجيش الذي تألف من عشرة آلاف مقاتل لغزو مكة وفتحها ويدخل الناس على إثر

ذلك في دين الله أفواجاً. وكان هناك مجموعات من اليهود تسكن قرى في الشام وقد أجل القضاء عليها حتى ينتهي من رأس الأفعى في المدينة ثم بادر للقضاء عليها في السنة التالية بعد بني قريظة، وذلك ببيان ما يلي:

(١) قتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضري في خيبر، وكان في وفد بني النضير لمكة لتحريضها، فأرسل الرسول عليه وآله السلام من قتلوه وعلى رأسهم عبد الله بن عتيك الأنصاري الذي كان يعرف اليهودية.

(٢) قتل أسير بن رازم وجماعة معه، وهو الذي أمره على خيبر بعد أبي رافع، فأرسل إليهم الرسول عليه وآله السلام ثلاثة يرأسهم عبد الله بن رواحة فقتلوه وجماعته بعد أن استدرجهم خارج المدينة بحجة أن الرسول عليه وآله السلام يريد التفاهم معه.

(٣) فتح خيبر والقرى اليهودية الأخرى، فبعد صلح الحديبية خرج الرسول عليه وآله السلام إلى خيبر وكانت محصنة واستمر في الصراع معهم أكثر من شهر ثم فتحت وتم الاستيلاء على أموالهم ومزارعهم وأقر من بقي على رعاية البساتين على نصف الغلة وأجلى سائرهم. وهنا دست زوجة سلام بن مشكم السم للرسول عليه وآله السلام في شاة أهدتها إليه مشوية فمات من أصحابه عليه وآله السلام بشر بن البراء بعد أن أكل منها مع الرسول عليه وآله السلام، وبقي عليه وآله السلام متأثراً بما لآكته منها حتى أن أصحابه رضوان الله عليهم كانوا يرون أنه مات شهيداً بسبب ذلك. ثم انصرف الرسول عليه وآله السلام بعد خيبر إلى القرى المجاورة في وادي القرى فقاوموا قليلاً ثم استسلموا، ومنهم يهود فدك وتيماء الذين صالحوا على نصف أملاكهم مع معاهدة مسالمة، وقد ورد بهذا الصدد الآية ١٥ من سورة الفتح {سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم} {١٨} - ٢١ من نفس السورة {لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة.. وكان الله على كل شيء قديراً} ففي الآيات يأمر المولى نبيه أن يسير إلى خيبر بعد صلح الحديبية، ولا يصطحب معه إلا الذين شهدوا الحديبية، وبشره بالفتح والمغانم، مع أن أقوال المفسرين هذه غير موثقة إذ أن أناساً آخرين من غير شهود الحديبية كانوا مع الرسول عليه وآله السلام ونالوا من الغنائم منهم المهاجرون الأولون في الحبشة الذين عادوا في هذا الوقت والتحقوا بالنبي عليه وآله السلام في خيبر، ومنهم وفود الدوسيين والأشعريين الذين جاؤوا من اليمن أيضاً في هذا الوقت والتحقوا بالرسول عليه وآله السلام وأعطاهم من الغنائم.. وكل ذلك يكذب مزاعم المبشرين والمستشرقين الذين قالوا بأن غزوة خيبر كانت للتعويض عن غنائم مكة التي ضاعت على المسلمين بالصلح.. ثم إن الآيات المشار إليها من سورة الفتح لا تحدد من يصحب الرسول عليه وآله السلام، ثم أنه لو افترض هذا الحصر فإن غنائم مزعومة من فتح مكة لم تكن واردة لأنها كانت للحج أو الزيارة وليس للفتح أصلاً

بالنسبة لتلك الرحلة التي حصل فيها صلح الحديبية، وهي غير رحلة الفتح التي جاءت فيما بعد.. والآيات تفرض عدم صحة غير من ثبت إخلاصهم واستعدادهم للتضحية والجهاد بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله. هذا وقد استمر زعماء يهود خيبر من بني النضير على التحريض ولم يرتدعوا بعد التنكيل الشديد في بني قريظة بل استمروا في تحريض غطفان ومشركي العرب الآخرين على النبي والمسلمين وغزو المدينة، مما جعل الرسول عليه وآله السلام يأمر بقتل زعيمهم كما مر سابقاً، الأمر الذي كان يشكل أكبر مبرر للزحف على خيبر والقرى الأخرى التي يتآمر فيها اليهود ضد المسلمين، فكان إبرام الصلح مع مكة الفرصة المنشودة للقيام بهذا الزحف ضد خيبر وما وراءها من القرى. وقد استمر وجود اليهود الذين أبقاهم الرسول عليه وآله السلام لرعاية البساتين حتى انقضاء شطر من خلافة عمر رضي الله عنه حتى قرر تطهير الجزيرة منهم عملاً بقوله عليه وآله السلام في آخر أيامه (لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان) ثم لأنهم صولحوا على ذلك ليخرجوا متى طلب منهم، ثم لأنهم أخذوا يعيشون فساداً بين المسلمين ويعشونهم، فأجلاهم وتم تطهير الجزيرة العربية منهم.

الختام

وبعد، فقد ابتلي المسلمون باليهود في هذا العصر في بلادهم، فبعد أن اضطهدتهم البلاد الأخرى وأحسن إليهم المسلمون لم يجدوا منهم إلا المكر والبغي كما فعل أسلافهم.. وما حصل ويحصل في فلسطين هو أكبر شاهد على غدرهم وكيدهم ضد الإسلام والمسلمين، إذ ساندتهم اخوانهم في الغرب والشرق بالمال والرجال كما ساندتهم قوى الحقد الصليبي جنباً إلى جنب مع الحقد الصهيوني حتى وصلوا إلى ما أرادوه من إنشاء كيان لهم في فلسطين مازال يتغطرس ويتعالى بسبب التقصير في التصدي لهم والتواطؤ معهم ومع مسانديهم بحجة أن الحرب لا تأتي بخير ونمو وازدهار وإنما ذلك كله يأتي بالسلام، الأمر الذي شجعهم على التمادي في الغطرسة والتطلع إلى السيطرة على جميع البلاد الإسلامية المجاورة.. وهو الأمر الذي يتطلب من أمة الإسلام أن تهب لإعداد كل ما تستطيع من قوة تنفيذاً لأمر القرآن للقضاء على جرثومة الشر هذه التي غرست في أعز بقعة من البقاع الإسلامية والتي بارك فيها رب العالمين عندما قال {سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله}.. كيف لا وقد وعد الله عباده المؤمنين المخلصين بالنصر المبين إذا صدقوا الجهاد، ولم يسمحوا لأحد منهم رئيساً كان أو مرئوساً أن يتواطأ معهم أو مع من يساندتهم، وكتب على أعدائهم اليهود الذلة والمسكنة والغضب كلما أوقدوا ناراً للحرب ولن يخلف الله وعده متى وجد أمثال هؤلاء المؤمنون الصادقون.

استدراكات

أولاً - من باب الحرص على الحق والحقيقة يمكن التأكيد أن العبرانيين هم من الأرومات العربية الجنس، وهم يسمون كل الأقوام التي تجمع تلك الأرومات بالساميين في حين نسميها نحن بالجنس العربي، وبالطبع هناك الصالح والطالح، والعاقل والظالم، والمستقيم والمنحرف في هذا الجنس، كما منهم أنبياء الله ومنهم المجرمون.. وهذا كان شأن اليهود الذين عرفوا منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد بأسوأ ما تكون عليه القسوة والظلم والعدوان والحقد والانحراف مما جعلهم نتيجة أحقادهم التي انفردوا بها يعتزلون غيرهم ويتعالون عليهم ولا يندمجون معهم ويستحلون أموالهم حتى لم تر الأمم التي ابتليت بهم غير إبادتهم أو إجلائهم كما فعل المصريون القدماء ثم البابليون، ثم اليونان ثم الرومان ثم الفرس ثم المسلمون عندما أجلوهم عن الجزيرة العربية، وما موقف أوروبية وأمريكية في بدنها بعامة والألمان بخاصة ببعيد شأنهم معهم عن ذلك.

ثانياً - إن دعوة الصهيونية المعاصرة بأن لليهود المعاصرين صلة وثيقة باليهود الإسرائيليين القدامى وتاريخهم في فلسطين يبرر حركتهم بوجود دولة لهم في فلسطين لا تستند إلى منطق ولا تاريخ صادقين، لأن وجود بني إسرائيل قد طرأ أصلاً على فلسطين وهي غاصة بالسكان، ثم لأن معظم الفئة القليلة التي بقيت منهم في فلسطين قد اعتنقوا المسيحية ثم الإسلام واندمجوا تماماً في السكان، ثم إن من الثابت أن جماعات من أصل آري في آسيا وأوروبا قد اتخذت اليهودية ديناً، وكان ذلك قبل الميلاد ومنهم بعده فلا صلة لهؤلاء باليهود القدامى مطلقاً. وما فعلته وتفعله الحركة الصهيونية من تجميع اليهود على أساس العنصر والدم باطل وزائف وإنما هي حركة سياسية لتخليص بني دينهم من التشتت في العالم القائم على الكراهية والبغضاء ضدهم وذلك بهدف تجميعهم في كيان لهم رأوا أن فلسطين وصهيون (التل المجاور لمدينة القدس) خير وتر يضربون عليه لتحقيق ذلك بدافع ديني وذكريات دينية تشكل خير معين لهم على تحقيق هدفهم.

وأما استعمالهم ومحاولة إحيانهم للغة العبرية فذلك لكونها لغة أسفارهم وطقوسهم الدينية المستندة للدافع الديني. وهكذا شكل تطلعهم لفلسطين والقدس واللغة عناصر متضاربة تساعدهم على الوصول لغايتهم.. ولولا المكائد والتآمر مع قوى الشر الاستعمارية بدءاً من الانجليز وانتهاء بالأمريكان لما كان لهم أن يصلوا إلى شيء من أهدافهم المصطنعة والخبثية على حساب البلاد وأهلها الأصليين من جهة، ومن عمروها وأقاموا فيها العدل والنور من المسلمين بعد أن فتحوها وحكموها بالإسلام بدلاً من جور الرومان والفرس وحكمهم من جهة أخرى. كما أنه من المعروف أن الأكثرية الساحقة من اليهود الذين لبوا نداءات الحركة الصهيونية وأتوا إلى فلسطين كانوا من

الفقراء والساعين للأمن ومن النادر من كان منهم غنياً من أوروبية أو أمريكية. ولولا الإغراءات المادية العظيمة لما هاجر إليها أحد، ويكفي دلالة على ذلك أن الكثير منهم كان يحرص على العودة من فلسطين تحت الأزمات المالية والأمنية وكان يمكن أن يفعلوا ذلك لولا التشدد ضد من يفكر بذلك.

ولو صدقت الدول العربية في مقاطعتها وتجنب التعامل مع هذا الكيان اليهودي المصطنع في فلسطين لما استطاع أن يستمر في الوجود سنة واحدة بدون اغداق المساعدات الأمريكية بخاصة عليهم، ولكن هذا الوهم الكبير من إمكانية أن يعيش هذا الكيان المصطنع إلى الأبد وسط هذه الكراهية الإسلامية التي يعيش فيها والتي باتت تتنامى أكثر فأكثر بالرغم من الأعياب من يريدون حمايتهم باسم الصلح والسلام معهم، وما هي إلا فترة محدودة لن تطول حتى ينتهي هذا الهدوء الزاخر بالرعب الإسلامي لهم وبالأمل الكبير للمسلمين من حولهم، وستنفض الدول الأجنبية وأولها أمريكا وأخرها أوروبية يدها منهم كما نفضتها في الأصل من وجودهم فيها. ولن تكون الآية ٢ من سورة الحشر عن مصيرهم مهما اشتدت قوتهم ببعيدة بغض النظر عن تبرير فعلة المنظمات الفلسطينية في التصالح معهم..

ثالثاً - والقول بأنه مادام يهود اليوم لا صلة لهم بيهود الأمس ينجي هؤلاء من المصير المحتوم لأولئك مردود لأن هؤلاء على دين ومكر وغدر أولئك، والقرآن الكريم يردد ما يزعمون به {ليس علينا في الأميين سبيل} {ولا تركنوا إلا لمن تبع دينكم} وهو ما يفعلونه اليوم كالأمس سواء بسواء، وهو نفس حالهم في فلسطين والمنطقة كلها، ناهيك عما فعلوه في الانتفاضة الأولى ويفعلونه الآن في الانتفاضة الثانية من قتل وحصار.

رابعاً - وأما محاولات إيهام المسلمين برعاية الله لهم ببعض الآيات القرآنية في الآية ٤٧ من البقرة، والآيتين ٢٣ و ٢٤ من السجدة، والآيتين ٥٣ و ٥٤ من غافر، والآيات ٣٠-٣٣ من الدخان، والآيتين ١٦ و ١٧ من الجاثية، فكلها مرتبطة بظرف محدد وليس على التأييد، وإلا فكيف ينالون الرعاية الربانية مع عودتهم للكفر ولعنهم في القرآن الكريم؟!

خامساً - وأما محاولاتهم خداع المسلمين من غير العرب بما جاء في القرآن من صلتهم بفلسطين، وأن معاداة العرب المسلمين لهم تخالف إرادة الله تعالى، ويحتجون لذلك بأيتي ٢٠ و ٢١ من المائدة، والآية ١٣٧ من الأعراف، والآية ١٠٤ من الإسراء، والآيات ٥٧-٥٩ من الشعراء، فكلها محاولات كاذبة لأن يهود اليوم غير بني إسرائيل القدامى من جهة ولأن هذه الآيات ليست على التأييد بل مرتبطة بظروف

وشروط معينة انتهت مع أفعالهم المنكرة وانحرافاتهم الدينية المريعة مما استوجب ليس فقط عدم الرعاية والتأييد لهم بل اللعنة عليهم وكتابة الذلة والمسكنة عليهم كما في الآيات ٦١ من البقرة، و٨٥ و٨٦ من البقرة أيضاً، و٨٦ و٨٧ من آل عمران، و١١٢ من آل عمران، و٤٤-٤٦ من النساء، و٥١ و٥٢ من النساء، و١٢ من المائدة، و٦٤ من المائدة، و١٦٧-١٦٩ من الأعراف، و٤-٨ من الإسراء..

ثم لا ننسى أن الاصحاح ٢٦ من سفر الأحبار تهددهم بالنكبات والضربات والشتات والتسلط عليهم وإذلالهم وتدميرهم إذا هم انحرفوا عن وصايا الله وشرائعه.. وأين هم من تلك الوصايا والشرائع!؟

سادساً - وأما ما درج عليه رؤساؤهم من الدعوة للتصالح والسلام مع العرب والمسلمين بحجة أن الله تعالى يقول {وإن جنحوا للسلم فاجنح لهم وتوكل على الله إنه هو السميع العليم} الآية ٦١ من الأنفال - فهذا مما يجب تحذير المسلمين منه ومن الاستجابة إليه لأن هذه الآية خطاب لدولة الإسلام القادرة على الحفاظ على نفسها ودينها ضد أعدائها ليبقى الإسلام سيداً وتبقى دعوتها مصونة، وأما مع هذه الكيانات الهزيلة في العالم الإسلامي التي تستجدي رضا الكفر وتوالي الكافرين فمما لا يجوز العمل إلا بعكسه وهو الجهاد ضدهم حتى تستأصل شأفتهم ويعود للإسلام دولته ورايته التي يقاتل المسلمون معها وتحتها.. فهذه الآية ترسي للمسلمين قاعدة أساسية عندما يكون لهم دار ودولة يقاتلون منها ويجنحون للسلم منها ولا ينطبق ذلك على اليهود في فلسطين لأنهم معتدون في الأصل ضد الإسلام والمسلمين ومغتصبون لفلسطين اغتصاباً باغياً بمساعدة طواغيت الاستعمار وأهله الحاقدين على الإسلام وأهله أينما كانوا..

وما يجري الآن من إعلان أمريكا الحرب ضد كل جماعة إسلامية تهدد مصالحها باسم الإرهاب ليس ببعيد!!

والمعروف أن المسلمين في دارهم ودولتهم وخلافتهم كانوا يمنحون من يلجأ إليهم كل الأمان والاطمئنان ويقاتلون دونهم بأنفسهم وأموالهم، وأين ذلك من هؤلاء اليهود المغتصبين؟! فليس لأحد من المسلمين والعرب الحق في قبول هذا الزعم في التصالح وهذه الدعوى في السلام معهم سواء كان ذلك بالاستناد إلى هيئة الأمم وقوانينها وشرعتها أو بغير ذلك من مصالحهم وإراداتهم الجائرة، وأي تساهل في ذلك هو خيانة لله ولرسوله وللمسلمين يجب محاربتها وعدم التساهل معها مهما كلف ذلك من تضحيات..

والويل كل الويل لهؤلاء المتهاككين في ذلك مع هذه الشرذمة اليهودية الباغية المغتصبة..

والويل كل الويل لهذا الكيان الصهيوني المصطنع مهما تعاظمت قوته واشتد
جبروته {وما الله بغافل عما يعمل الظالمون} {وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب
ينقلبون}.. ولن يطول بقاء فلسطين المقدسة تحت رجز هذه العصابة اليهودية
المجرمة مهما طال الزمن وستطهر من رجسهم وتعود إلى السلطان الإسلامي كما كانت
بعون الله ونصره.

{وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم} - آل عمران ١٢٦ -

وبذلك انتهت دراسة كتاب اليهود في القرآن الكريم.

والحمد لله رب العالمين

٤ - دراسة كتاب

اليهود المعتدون ودولتهم (إسرائيل)

للإمام محمد الغزالي

تقديم

جمع الناشر هذا الكتاب من مقالات ومحاضرات ألقاها صاحبها الشيخ المرحوم محمد الغزالي، وجعلها في فصول يشتمل كل فصل على مجموعة من تلك الموضوعات التي وردت في مقالات أو محاضرات الشيخ الغزالي.

الفصل الأول

صراع طويل وكيد مرير

ويشتمل على الموضوعات الخمسة التالية:

١. صراع بين رسالتين.
 ٢. هم بنو إسرائيل، فبنو من نحن؟
 ٣. الزحف اليهودي لا يوقفه إلا الإسلام.
 ٤. اليهود في المدينة المنورة.
 ٥. اليهود في ميزان القرآن.
- ونتابع وقفاتنا مع هذه الموضوعات حسب تتابعها.

١. صراع بين رسالتين

كان بنو إسرائيل أول أمرهم أصحاب عقيدة التوحيد بين عقائد الشرك والوثنية، مما جعل يعقوب، وهو نفسه إسرائيل، يسأل من باب الاطمئنان بنيه ويوصيهم قبل موته بعقيدة التوحيد والتزام البقاء مسلمين أي خاضعين لأمر الله تعالى ونهيه، ولكن ابنه يوسف الصديق كان الوحيد من بينهم الملتزم بوصية والده مما جعله يستحق النبوة عن ربه في قومه الذين تحملوا الكثير من الابتلاء في صبرهم أول الأمر على طاعة ربه، ولكنهم مع الزمن، واستجابة لدواعي الغرور ومطالب الدنيا أخذوا يخلطون بين الشرك والتوحيد حتى نسوا يوم القيامة فيما يزعمون أنه التوراة المنزلة عليهم دون تحريف ولا

تبديل، ولكن الله تعالى كان يقبل عثرتهم ويقبل توبتهم إمهالاً لهم وإعذاراً، ولكن تماديهم في الغي والانحراف بل جرأتهم على أنبياء الله وقتل بعضهم حتى حاولوا قتل آخر من أرسله إليهم، وهو عيسى بن مريم لولا أن أنجاه منهم، هذا الغي أبعدهم عن رضى الله تعالى فأبعدهم عن التكليف بحمل رسالته لأهل الأرض واستبدلهم ببني إسماعيل من العرب، فكان محمد صلى الله عليه وآله وسلم الرسول الخاتم، وكانت رسالته الرسالة الخاتمة للعالمين إلى يوم الدين. وجاء القرآن مقارناً ومذكراً بين ما كانوا عليه بني إسرائيل في أول عهدهم مع الله من الصدق، مما حملهم الكثير من الابتلاء، وفي آخر عهودهم من الزيف والباطل، مما أبعدهم عن رسالات السماء، وأن أي مسيرة مثل مسيرتهم لن تؤدي بالعرب الذين كلفوا بالرسالة الخاتمة العامة إلا إلى نفس المصير...

لقد خدع اليهود غرورهم وهم يظنون أنهم شعب الله المختار، وأنهم المفضلون على العالمين، وأنهم أبناء الله وأحبواؤه، وأنه لن يعذبهم بذنوبهم مهما أذنبوا... فأخذوا تبديلاً وتحريفاً في رسالته التوراة حتى طعنوها في أصولها العقيدية ودون أن يبقوا على فروعها في أحكامها العملية، فكما نسوا الإيمان باليوم الآخر جعلوا العزيز ابناً لله تعالى ورأوا استحلال دماء وأموال وأعراض الشعوب الأخرى.. وهكذا استحقوا عقاب الله العزيز الحكيم.

ولكنهم وقد رأوا إبعادهم عن خير السماء أخذوا يتفننون في الكيد لرسالة الإسلام وأهلها فاستطاعوا أن يمهّدوا باستشارة اتباع المسيح المؤمنين بالتوراة ليقفوا بجانبهم ضد المسلمين ودينهم، فاستجاب هؤلاء لهم إذ وجدوا فيهم طمعاً لاصطياد المسلمين فكان تأييدهم المطلق لهم في العصر الحاضر لإقامة دولة لهم على أرض فلسطين ليجعلوها جسراً للحفاظ على مصالحهم وواسطة قوية للقضاء على الإسلام وأهله.

وهكذا استطاع اليهود بسند من الصليبية الحاقدة والشيوعية الماكرة أن يضربوا ضربتهم القاضية للأمة الإسلامية المترنحة المتخاذلة بعد أن استجاب ساستها وتخاذلت هي أمام سطوة هؤلاء الساسة، الذين استجابوا لإيثار الدنيا على الآخرة ولمن يدعوهم لذلك، فكان وما زال الدعم الصليبي بجميع أنواع أسلحته السبيل لتثبيت كيان دولتهم في فلسطين بعد أن سمح بقيامها مهازيل من الحكام المسلمين... وهكذا كانت أوربة اليد الأولى في صنع هذا الكيان الدخيل، وأصبحت أمريكا اليد الأخيرة والقوية في بقائه وحمايته، كيف لا وقد أصبح الوسيلة الأولى التي تستخدم لفرض هيمنتها على المسلمين وجعلهم يستجدون رضاها وتدخلها كوسيط يحميهم من طمع (إسرائيل) وعدوانها! وما المسماة بالحروب الثلاث في أعوام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ إلا أكبر شاهد على ذلك. وأما مأساة ١٩٧٣ فلها واقع وتفسير آخر يغنيها قائدها السادات عن ذلك بقوله بأنها كانت حرب تحريك للصالح مع (إسرائيل) وليست حرب تحرير وقضاء على (إسرائيل) ...

وأما أين المسلمين في ذلك؟ لقد أبعدوا عندما قررت الأصابع الأجنبية ما أعلنته السياسة العربية من أن فلسطين قضية عربية، ثم شطبوها وأنزلوها إلى قضية وطنية

فلسطينية تخص أهل فلسطين وحدهم بل تخص ما أسموه بمنظمة التحرير الفلسطينية التي انتهت إلى ما انتهت إليه من مهزلة اتفاقيات أوسلو للصلح مع (إسرائيل) بعد أن كانت اتفاقية كامب ديفيد مع مصر السادات ثم اتفاقية وادي عربة مع حسين الأردن...

فأين العظة والاعتبار للذان دعانا القرآن لوضعهما نصب أعيننا مما حصل باليهود عندما تركوا رسالة الله تعالى فتركهم للبابليين أولاً ثم للرومان؟ لقد ترك المسلمون رسالة الإسلام وأخذوا يحتكمون لغيرها من شرائع وضعية غربية وشرقية، فأصبحوا واليهود فرسي رهان، واستطاع اليهود بما ملكوه من مقدرات الدنيا المادية في المال والسلاح والنفوذ أن يهزموا المسلمين الذين ارتضوا القعود حتى عن ملكية مثل هذه المقدرات، فنفذت فيهم سنة الله تعالى: قوة مادية تقف أمام قوة مادية، والغلبة للأقوى. ولو تسلح المسلمون مع ضعفهم المادي الذي فرض عليهم من أنفسهم أكثر من أعدائهم بالقوة الروحية لعوضوا ضعفهم وهزموا عدوهم.. ولكن.. من أين تأتي هذه القوة الروحية؟ ممن باعوا دينهم بديناهم من ساسة المسلمين وحكامهم، بل من الأكثرية الكاثرة من المسلمين أنفسهم بعد أن أصبحوا يرون في الدعوات العصبية والشيعية والغربية سبيلاً لنهضتهم بدلاً من إسلامهم.

وهكذا سهل على أعدائهم أن يمزقوهم في دول وكيانات تكيد بعضها لبعض بل تحارب بعضها بعضاً، كما سهل على أعدائهم أن يجعلوهم يبعدون دينهم عن حياتهم وقضاياهم بينما هم يتمسكون بدينهم ليتقوا به على المسلمين الذين أسقطوه من حسابهم بعد أن أصبحوا يرون أن إدخاله في الحرب هو حرب دينية مرفوضة.. إنها مرفوضة لدى المسلمين ولكنها مقبولة لدى العالم كله من اليهود.. لا لشيء إلا لأن الكل مجمع على القضاء على الإسلام والمسلمين.

وأما من أين جاء إقرار اليهود على المستوى العالمي أولاً والعربي أخيراً بأن لهم الحق في فلسطين؟ أهو التاريخ أم الدين أم افتعال المصالح الاستعمارية ليس غير؟ إن اليهود لم يستقروا في فلسطين طيلة عهودهم لأكثر من مائة وثلاثين سنة فقط لا غير حتى استبدلهم رب العالمين من باب إمهالهم برسالة السيد المسيح، فكان ما كان من كيدهم لمحاولة قتله والقضاء على رسالته، ثم كان ما كان من محاولاتهم للقضاء على الإسلام ورسوله، ولكن الله تعالى أبى إلا أن يتم نوره وينصر رسوله وأصحابه...

وأن أي نصر يرجى على اليهود ومن وراءهم من قوى الطغيان والعدوان، واسترجاع أرض القبلتين من إخوة القردة والخنازير، لن يكون بغير العودة الحقة إلى الإسلام ودولة الإسلام.

كم كان رائعاً هذا العرض التسلسلي لمسيرة اليهود في صلته مع رسالة الله التوراة إليهم، حتى حرقوها وقتلوا من قتلوا من أنبياء الله، ثم أبعدهم سبحانه عن هذا التشريف ليسند المهمة إلى العرب ليقودوا البشرية في هذا السبيل ويستحقوا هذا التشريف إن أحسنوا ولم يقفوا بما وقع فيه بنو إسرائيل... ولكنهم ويا للأسف، إن كان في

هذه الكلمة ما يكفي ولو جزئياً عن مأساة ما حصل، لم يعتبروا بالرغم من القصص القرآني العديد وبالأساليب العديدة... فكان أن وقعوا لا بتحريف القرآن المحفوظ عن ذلك ولكن بإهماله من الحياة والاحتكام لغيره فاستحقوا ما هم عليه، والباب رغم كل الصعاب ما زال مفتوحاً للعودة إليه والانتصار به...

٢. هم بنو إسرائيل فبنو من نحن؟

لو سألت كل مستوطن يهودي في مستوطناتهم المنتشرة في كل مكان من فلسطين، كما فعل مراسل وكالة فرانس برس، في ٢/٥/١٩٨٢م، لوجدته يقول بأنه جاء إلى فلسطين تلبية لنداء التوراة، وأن على العرب الذين ينادون في يوم الأرض وفي كل مناسبة يسمونها وطنية أو قومية، بأنهم رجال حرب وأنهم أحفاد الكنعانيين أصحاب فلسطين الأصليين، عليهم أن يتدبروا أمرهم ويرحلوا إلى الدول العربية الأخرى ففيها متسع كبير لهم...

هكذا يصر العرب على استرجاع فلسطين باسم كنعان وعدنان وقحطان وينسون الإسلام الذي لولاه لما كان لهم وجود حضاري في الأرض، ولما جاء عمر بن الخطاب ليتسلم مفاتيح بيت المقدس من مطران مسيحي لا يهودي...

فهل اليهود باتوا أولى في تمسكهم بالتوراة المحرفة المنسوخة الملغاة من الأرض بقرار رباني من المسلمين وتمسكهم بالإسلام الرسالة الرحمة لكافة الناس أجمعين؟!

إن العربي الذي يصر باسم القومية أن صلاح الدين الأيوبي كان بطلاً عربياً يتجاهل التاريخ الإسلامي الذي جعل من ذلك الكردي بطلاً إسلامياً، وينسى أن قطز التركستاني لم يكن لينصر على التتار في موقعة عين جالوت إلا تحت راية الإسلام.

إن لجوء قادة من منظمة المؤتمر الإسلامي لباب الفاتيكان يستجذونه لإنقاذ العرب في فلسطين من مذابح اليهود باسم الإنسانية لا باسم الوحي الجامع بين الأديان الثلاثة دليل خزي وعار...

إن الصليبية التي تقف بكل طاقتها وراء الصهيونية، وجعلت من الفاتيكان والبابا فيها يشطبون أسساً من معتقداتهم التي تحمل اليهود إلى يوم القيامة وزر دم المسيح استرضاء لليهود وإسرائيلهم، هذه الصليبية هي التي جعلتهم يهبون بجميع قدراتهم المالية والعسكرية للوقوف بجانب اليهود وإسرائيلهم لتثبت وتثبت...

وليتق الله العرب في إسلامهم، وفي بيت المقدس، وفي المسجد الأقصى، وفي.. وفي.. وليذكروا أن فلسطين ومسجدها لن تعود إليهم إلا بالإسلام ونداء الله أكبر..

إنها كلمات حق يراد بها وجه الله فيمن يقرأ ويسمع ويذري ويفكر ويعمل! لقد أفرغ حكام وساسة وأحزاب العلمانية في الدول العربية قضية فلسطين من محتواها الإسلامي وجعلوها قومية فوطنية فانتتهت إلى مهزلة الصلح والسلام مع اليهود. إن قراءة

أي كتاب من كتب مذكرات زعماء اليهود أو ممن تواطؤوا معهم من الغرب الصليبي أو الشرق الذي كان شيعياً يظهر المدى البعيد الذي قطعه كل منهم في الكيد مع الصهيونية ضد الإسلام والمسلمين... أما ما كتبه زعماء الصهيونية من تيودور هرتزل إلى حاييم ويزمن إلى بن غوريون فيظهر إلى أي مدى يسخرون من السخف الذي وصله سياسيونا ومفكرونا وأحزابنا الوطنية والقومية والاشتراكية... فمتى يصحوا النيام؟

٣. الزحف اليهودي لا يوقفه إلا الإسلام

عاد المؤلف رحمه الله تعالى إلى القرآن الكريم، المرجع الموثوق، ليعرض على مصلي يوم الجمعة بجامع عمرو بن العاص بالقاهرة عام ١٩٧٣ حقيقة اليهود في القديم والحديث، ويؤكد للناس انه ما لم نعرف حقيقتهم ونتعامل معهم على أساسها فلن يكون النصر القادم إلا لهم، وستصل دولتهم من النيل إلى الفرات...

إن القرآن الكريم يؤكد أنهم عندما استضعفوا فقتل صبياتهم وتركت نساؤهم من فرعون وعصابته وصبروا على ما أودوا، استخلفهم الله في الأرض ونصرهم على أمم الوثنية والطغيان، ولكنهم عندما انحرفوا عن دين الله وأبعدوا أحكامه عن حياتهم، وتركوها إلا بقدر ما يستخدمونها في سيطرتهم على الشعوب المتخلفة هي بدورها عن الله وشرائعه، فإنهم أخذوا في الانتصار عليهم.

إن القول بأن الحرب بيننا وبين اليهود حرب سياسية أو استعمارية يستخدم الاستعمار الصليبي فيها (إسرائيل) لكي يسيطر على المسلمين وثرواتهم كذب وافتراء، لأن اليهود هم أنفسهم الذين غدوا عقول أبنائهم أولاً وعقول الصليبيين الحاقدين ثانياً، وعقول زبانية الشيعية من دعاة الوطنية والقومية ثالثاً، وعقول رجال السياسة والحكم والإعلام في بلادنا رابعاً وأخيراً، هم الذين أصروا ويصرون على أنهم الشعب المختار الذي يجب أن يحكم العالم في (دولة يهوه) وأن العالم يجب أن يساعدهم في ذلك وفي طليعته أصحاب العهد الجديد الذين يشتركون في الإيمان معهم بالعهد القديم، والعهد القديم هذا، وما يتصل به من تعاليم دينهم في التلمود، هو الذي أشبعت ومازالت تشبع به عقول أبنائهم وأبناء الصليبيين في أوربة وأمريكا.

إننا كمسلمين ما دمنا نصر بقياداتنا السياسية والعسكرية والفكرية والإعلامية على أذنوبة الحرب السياسية والعسكرية والاقتصادية مع اليهود، ونصر أن نستجدي القوة من أعداء الإسلام الصليبيين ليعينونا على اليهود، وهم يصرون على إعانتهم لأنهم معهم في الإيمان والدين، ونصر على التخلي عن إسلامنا وعن ربنا، فإنه هو سبحانه يتركنا لأنفسنا لننال الجزاء الأوفى لما صنعته أيدينا...

إنه الحق الذي لا مرأى فيه، أن يحشد اليهود جميع طاقاتهم في الأرض، بدءاً من أوربة التي تقرر بالأمس الاعتراف بمحرقتهم في ألمانيا النازية، وتبعد دولة كالنمسا عن

المجموعة الأوروبية لمجرد مشاركة حزب يهاجم الصهيونية، وتجعل بابا الفاتيكان يعلن توبة المسيحية وكنيستها الكاثوليكية عن المآسي التي ارتكبتها في حق اليهودية بينما هو يشير مجرد إشارة خجولة إلى مخازي الحروب الصليبية ضد المسلمين، بدءاً من أوربة هذه بكل صليبيتها وانتهاء بأمرية التي باتت لا تسمح لأحد أن يتدخل في حل قضايا طفلها المدلل (إسرائيل) دون أن تكون هي الواسطة... فمتى يدرك المسلمون أن الحرب مع اليهود دينية ويعودون لإسلامهم ويحاربون به عدوهم؟!

٤. اليهود في المدينة المنورة

وفي يوم جمعة أخرى عاد الشيخ المرحوم الغزالي وألقى في نفس المسجد خطبة أخرى عن اليهود في المدينة المنورة، فذكر كيف أنهم هرباً من الاضطهاد الروماني استقروا حول المدينة وفي خيبر، وأخذوا لا يدعون لدين بل لزرع الفتن بين العرب كطريق لبقائهم هنا، وتاجروا بكل ما يمكنهم من السيطرة المالية على العرب، فعاملوهم بالربا نهباً لثرواتهم، وتاجروا بالسلاح والزرورع التي كانت سبب نزاعاتهم، واستمروا على زعمهم بأنهم شعب الله المختار وأن على شعوب الأرض أن تخضع لهم.

وجاء الإسلام تحت الاضطهاد من مكة إلى المدينة ليجدهم في حصون منيعة وقد سيطروا على العرب، فعقد معهم معاهدات حسن الجوار، فقبلوا بتلك المعاهدات على مضض كما يكشف ذلك القرآن الكريم، ولو أن لديهم أي احترام أو تقدير لدين الله لوجدوا فيه نصيراً لهم على الوثنية ولكنهم لم يكتفوا بذلك بل بدافع الحسد أخذوا يكيدون للمسلمين ليردوهم إلى الكفر بعد التوحيد، وأعلنوا بأن الصنمية خير من التوحيد وإن استنكر ذلك بعض علمائهم، وكادوا للإسلام بدخول بعضهم فيه لينسحبوا محتجين بأنه دين غير صالح ليعبدوا الناس عنه.

صبر المسلمون على هذا المكر والتآمر، ورأوا كيف يسخر اليهود من المسلمين لاتباع قبلتهم إلى بيت المقدس وفي نفس الوقت عدم اتباع دينهم، فجاء أمر الله باتباع قبلة الكعبة ليزداد كيدهم وشططهم، ونسوا أن عبادة الله ليس بالقبلة وهي رمز توجيه للصلاة ليس غير، وإنما بصدق الإيمان والطاعة الكاملة... واستمر اليهود الكيد والتحدي حتى أظهروا استخفافهم بنصر الله للمسلمين في بدر بحجة أن العرب في قريش لا يحسنون القتال مثلهم، وتحولت معاهدة حسن الجوار إلى حبر على ورق، وتمزقت بشروهم عندما هتكوا في سوق بني قينقاع عرض امرأة مسلمة فهب مسلم فقتل اليهودي الذي هتك عرضها، فجمعوا عليه فقتلوه، فهاجمهم صلى الله عليه وآله وسلم وأكرههم على ترك المدينة مما أسقط في أيدي قبائلهم الأخرى فلم يجرءوا على الحركة المضادة بهجوم مضاد.

ولكن بني النضير منهم فكروا بقتل الرسول عليه وآله السلام عندما جاء يطالبهم ببعض الالتزامات المالية التي تفرضها المعاهدة المبرمة معهم، فحاصروهم حتى كسر

حصونهم وحرقت زروعهم وطردهم من المدينة ليلحقوا ببني قينقاع. ولكن بني قريظة الباقين منهم في المدينة لم يعتبروا وأصروا على الكيد والغدر، واستجابوا ليحيى بن أخطب رئيس بني النضير، وإلحاحه وقد تزعم مؤامرة ضد المسلمين بحجة أنه جاءهم بعز الدنيا ممثلاً باستجابة القبائل العربية للتحالف معه ضد الإسلام ورسوله.. وجاءت قريش والأعراب معهم وخاضوا معركة هزمهم الله تعالى فيها، إنها غزوة الخندق، التي لولا استغلال اليهود وقريش ومشركي العرب ما وقع من هزيمة للمسلمين في موقعة أحد لما جرو أحد منهم على التفكير بها. وانتهت الخندق بتأديب بني قريظة على غدرهم وخيانتهم عندما شاركوا في الحرب مع الشرك والوثنية ضد الإسلام والتوحيد، فضربت رقاب مقاتليهم، وفر من بقي منهم على قيد الحياة إلى خيبر حيث تجمعوا ليخوض الإسلام معهم المعركة الرابعة النهائية ليقضي على وجودهم العسكري نهائياً من تلك البقاع.

لقد كان الإسلام يريد حسن الجوار معهم ولكنهم أصروا على الغدر والخيانة فنالوا جزاءهم لا في حروب دينية ولكن عسكرية سياسية هذه المرة، مما يؤكد أنه لا مانع لدى الإسلام أن يعيشوا كأقلية في كنف الأمة الإسلامية مجردة من القوة وأسباب الشر والأذى، وتتمتع بعبادتها ودينها.

لقد أمن الإسلام اليهود على دينهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم وأولادهم حتى جرو أحدهم على طلب رهن من الرسول عليه وآله السلام بعد أن هزمهم وهزم من بعيد الفرس والروم، فبعطه درعه رهناً... رئيس الدولة والرجل المسيطر في الأرض يدفع درعه رهناً على كمية من طعام الشعير يأخذها منه... ما هذا الشرف في المعاملة والوفاء في الذمة، أين منها غدر اليهود وخيانتهم!؟

فالحرب بين الإسلام واليهود إذن لم تكن حرب إكراه اليهود على دخول الإسلام، لأنه لا يكره أحداً على ذلك، ولكن كانت حرب تقليم الأظافر المتوحشة وكسر الأنياب المفترسة لأهل البلاد ودينهم.. فلقد أبقاهم الرسول عليه وآله السلام في خيبر مقابل جزء من زراعتها، ولكنهم حاولوا رشوة الجابي الذي أرسله إليهم فرفض فتظاهروا بحب هذا العدل.. ولكن أين العدل منهم؟! وبالنتيجة لم يكن بد لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من طردهم من جزيرة العرب نهائياً، فعاشوا بعدها قلة في العالم الإسلامي دون أن يتعرض أحد للإساءة إليهم مستغلين سماحة الإسلام والمسلمين.

فيا مسلمون، إن السماحة شيء والتأمر والخسة شيء آخر، وعلى من يريد التعامل والتواطؤ من المسلمين مع الاستعمار أو الصهيونية فليتحمل وزر عمله، ولن يبقى المسلمون مستغفلين ساذجين.. فالكل يتأمر عليهم، ومن لم يعتبر من الماضي البعيد والقريب فستدوسه النعال وينتهي إلى الزوال.. فكيف يقتل عالج مجوسي أعدل حاكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخليفة الصديق ظهر في القارات الخمس ألا وهو عمر بن الخطاب!؟ لقد ثبت أن لليهود كان ضلع في مقتله رضي الله عنه... والأكثر ثباتاً دور اليهودي عبد الله بن سبأ في مقتل الخليفة الراشد الثالث ذي النورين عثمان بن عفان

الذي كانت الملائكة تستحي منه... وأما مقتل الخليفة الراشد الرابع ابن عم رسول الله عليه وآله السلام وصهره علي بن أبي طالب فهل تبتعد أصابع كيدهم ومكرهم عنه؟!!

الخلفاء الراشدون الأربعة يقتل منهم ثلاثة... كيف؟ إنها المؤامرات التي كانت تحاك وما زالت ضد الإسلام، إنها صليبية بطرس الناسك وصهيونية هرتزل التي تعمل في الظلام أكثر من النور، والتي لن يكتب لها النجاح إلا بسبب حكام المسلمين وعلمائهم.. فلنكف عن السذاجة والغباء ومسايرة الأعداء واستجداء الكرامة...

لا فض فوق يا شيخنا المرحوم، ولتصل كلماتك هذه إلى آذان الحكام في مشارق العالم الإسلامي ومغاريه، وليدرکها علماءهم الذين باع أكثریتهم دينهم بديناهم وأصبحوا يتكسبون على أعتاب السلاطين... ولتسمعها الأمة الإسلامية كلها ولتقول كلمتها في حق التخاضل والغفلة والتواطؤ والخيانة والغدر والبطش والاضطهاد... وعندها فقط ستعلو كلمة الله ويداس على الشيطان...

٥. اليهود في الميزان

يتحدث المرحوم الشيخ الغزالي حول هذا الموضوع (اليهود في الميزان) في خطبة أخرى من خطب يوم الجمعة في مسجد النور بالقاهرة عام ١٩٨١، فيذكر كيف أن الله تعالى قد ذكر موسى في القرآن الكريم مائة وثلاثين مرة، وتكررت قصة بني إسرائيل في القرآن أكثر من قصة أي قوم آخرين، مما يسترعي الانتباه ويثير التساؤل: لماذا؟ لاشك أن وقفة على ذلك كله تظهر أن القرآن قد تناول مراحل تاريخهم فذكرهم كيف كانوا في بداية عهدهم من الإيمان بالله تعالى والطاعة لرسوله حتى قال عنهم في سورة الدخان آية ٣٢ {ولقد اخترناهم على علم على العالمين} فقد كانوا بالفعل في ذلك الوقت شعب الله المختار لما امتازوا به من الإيمان والطاعة.

وكما مدحهم في تلك الفترة من تاريخهم في القرآن المكي مدحهم أيضاً في القرآن المدني فقال في سورة البقرة آية ٤٧ {يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين} إنها بدايتهم الحسنة التي استحقت هذا الثناء كما صورتها سورة يوسف من الأمانة على دعوة التوحيد وتحمل المتاعب في سبيلها، فمكثهم الله من مشارق الأرض ومغاريها. ولكنهم عندما تحولوا عن ذلك الصبر واليقين مع القسوة في المعاملة والزهد في الآخرة والحرص على الدنيا وصفهم القرآن في الآية ٩٦ من سورة البقرة {ولتجدنهم أحرص الناس على حياة} فعبدوا المال من دون الله وأصبحوا عباقرة في شؤون المال والأعمال الدنيوية، عباقرة في توجيه السياسة لصالحهم وفي دغدغة الغرائز والجنون الجنسي ليس فقط في عالم ما يسمونه بالجمال بل الرياضة أيضاً حتى كادوا يفقدون الشعوب وعيها وهي تركض كالبهائم المجنونة دون غاية نبيلة يرجى تحقيقها. وأما في ميادين الدين والروحانية والخلق الرفيع فلا مكانة لهم مما جعلهم يستحقون اللعنة على لسان داوود وعيسى ابن مريم ويستحقون العقوبة فقال عز من قائل

في الآية ١٦٧ من سورة الأعراف {وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، إن ربك لسريع العقاب، وإنه لغفور رحيم}.

وهكذا طويت صفحات الخير فيهم لتحل محلها صفحات الشر، فبعد أن اختبرهم تعالى في البلاء والابتلاء جاء دور اختبارهم في المال والخلق فقالوا كما قال قارون {إنما أوتيته على علم عندي} (القصص ٧٨) فلا علاقة لله تعالى فيه، إنها عبقريتي وخبرتي، فجاء الجزاء الأوفى {فخسفنا به وبداره الأرض} (القصص ٨١) سقط في الاختبار رجل من بني إسرائيل لكن رجلاً آخر هو سليمان عليه السلام نجح في الاختبار فلم يعثر بما آتاه من سلطان ومال فشكر فاستحق التأييد.

فكما يختبر الأفراد تختبر الجماعات والأمم، وليس في قصة بني إسرائيل تسليية للمسلمين، إنما هي التوعية والتنبيه والتحذير، فهل تعلم المسلمون درس جيداً ووعوه حقاً؟ فقد نبه المولى سبحانه بني إسرائيل لما حصل بالأمم السابقة عاقبة بغيهم وكفرهم، فلم يتعلموا، فنالوا جزاء عننتهم وكبرهم وحسدكم، وعاد القرآن ونبه المسلمين إلى ما حصل بتلك الأقوام عاقبة إجرامهم وكفرهم، وذكرهم بأنه سبحانه قاضيهم جزاء أفعالهم فقال {ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون} (يونس ١٤) فكان الكلام واحداً للجنسين... فهل ما فعله اليهود من سقوط بسبب حب الحياة والحرص على المال والتخلي عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس نذير شؤم للمسلمين إذا ساروا على دربهم؟

كان المسلمون في العصر الأول من عهدهم يعقدون الصفقة ببذل المال والأنفس مع الله تعالى مقابل الجنة، ولكنهم في العصور المتأخرة وبالذات الآن أصبح حبهام لا لله ورسوله ولكن للحياة ومتعها وغابت المحبة كما كانت في الله ورسوله، فوجدت أصحاب البيوت في القدس يبيعون بيوتهم بسهولة استجابة للحملة الصليبية في عهد الأردن بأضعاف أضعاف ثمنها مما جعل العلماء المسلمين يفتون بأن من باع أرضه أو بيته لصليبي فهو مرتد عن الإسلام.

لقد حاولوا أن يستولوا على القدس بالأموال فوجدوا ضعاف النفوس يوافقون لهم، وجاء دور اليهود ودفعهم الأموال لشراء الأراضي بطريق مباشر وغير مباشر بعد أن سيطروا على فلسطين كلها، فوجد من أهلها من يوافق معهم كما وجد من يقتله بتهمة الخيانة للأرض الإسلامية...

ثم نبه الشيخ المرحوم الغزالي المسلمين إلى أن هذا العصر هو العصر الذهبي للأديان: فاليهود الذين كاد يمحي ذكرهم من التاريخ عادوا فأصبحت لهم دولة وأصبحوا يفرضون وجودهم وآراءهم بقوة نفوذهم واستجابة الصليبية لهم حقداً على الإسلام أكثر منه إيمان.. والهندوكية أصبحت تعزز دينها وهي تباهي على مسلمي الهند بتفديس البقر وعبادة الأوثان.. والبوذية أصبحت تجد من وسائل الإعلام الغربية من يبرز أخبارها ويشيع وجودها.. والبروتستانت والكاثوليك ما أكثر ما يقتتلون في إيرلندة باسم الدين وهم جميعاً صليبيون...

الكل يجد من يسلط الأضواء عليه وعلى دينه إلا المسلمين، فإنهم لا يذكرون إلا حيث يكون التشنيع والتقبيح لهم وبالتالي لدينهم... فما يجري اليوم في نيجيريا والجزائر وأمريكا هو أمثلة حية على ذلك ناهيك عن مهزلة أندونيسية... الإسلام يا مسلمون يراد قتله وقتل أهله... والمسلمون لاهون في ملاعب كرة القدم ومبارياته.. فهل من صحوة تعيد الحق إلى نصابه؟

ما أروع هذه الكلمات يا شيخ غزالي، وما أروع الاستجابة الحقة لو تحققت من قبل المسلمين وأولي الأمر فيهم، وما أروع أن توضع الموازين للحساب في الدنيا قبل الآخرة فيعرف المتغافل والمستغفل كل منهم رصيده وعاقبته. لا شك أنه تعالى ليس بغافل عما يعملون ولكنه يمهلهم للدنيا قبل الآخرة فيكرم من يكرم ويخزي من يخزي...
بغافل عما يعملون ولكنه يمهلهم للدنيا قبل الآخرة فيكرم من يكرم ويخزي من يخزي...

الفصل الثاني

اليهودية والصهيونية وجهان لعملة واحدة

هذا الفصل يشتمل على ثلاثة موضوعات هي:

١. يهودية وصهيونية
٢. الصهيونية عقيدة دينية
٣. الصهيونية ميراث يهودي تلمودي

١. يهودية وصهيونية

بالرغم من ترديد مقولة أن اليهودية غير الصهيونية، وأن اليهودية هي دين والصهيونية حركة عنصرية دولية، إلا أن الشيخ رحمه الله تعالى يصر في هذا المقال بالأدلة المنقولة من نصوص توراتهم أن اليهودية والصهيونية شيء واحد، فالتوراة تتحدث وفق ما كتبه كتابها الحاخامات اليهود عن غضب الله عليهم وتمزيقهم في البلاد بسبب كثرة نجاساتهم، ثم تتحدث أن الله رضي عنهم وأنه يجمعهم في أرض فلسطين التي وعدهم بها، وأنهم بدافع هذه النصوص يتجمعون من مشارق الأرض ومغاربها في فلسطين أرض الميعاد...

وللحقيقة فإن هذا التجمع في دولة لهم في فلسطين لم يأت لأنهم عادوا إلى التوحيد والخضوع لله فتابوا فتاب الله عليهم ولكن لأن المسلمين تنكبوا عن دينهم فاستحقوا هذه العقوبة بنصر إخوة القردة والخنازير عليهم...

إن هناك من الحكام من يكره الإسلام حكماً ونظاماً، ومن المفكرين من يحارب الإسلام لياً ونهاراً، ومن عامة الأمة سادرون في جهلهم فلا يعينهم إسلامهم لا فهماً ولا تطبيقاً، لا عبادة ولا معاملة... وهذه ليست فئة قليلة بل هي الكثرة الكاثرة في الأمة.. فماذا ينتظر لها من النصر أمام عودة يهودية صهيونية لفلسطين أرض ميعادهم الكذوب؟ لقد صدق من قال: إنه لم يتم الانتصار الذي أحرزه اليهود في فلسطين لخير فيهم بل لشر في غيرهم، لشر في العرب والمسلمين الذين أصبحت صلة أكثريتهم بإسلامهم بهذا الشكل المخزي...

وصحيح أن اليهود ما كان لهم لو انفردوا في حربهم ضد المسلمين في فلسطين أن ينتصروا ولكنهم استقوا بالصليبية الحاقدة التي تردد بل تعتقد صحة ما ورد في العهد القديم الذي يضمونه إلى كتابهم المقدس. فما هو موقفهم من أخبار المذابح التي أوقعتها اليهود في قرى فلسطين؟ لم يكن ليشيرهم أكبر مجزرة من مثل مجزرة الحرم الإبراهيمي عام ١٩٩٤ عندما قتل مستوطن متعصب ٢٩ رجلاً وهم في صلاة الفجر بسند وحماية من جيشهم المشحون بالحقد والكرهية لكل إسلام وصلاة إسلامية أينما كانت فكيف إذا كانت في الحرم الإبراهيمي الذي يصرون على قدسيته عندهم ولهم وليس لغيرهم...

يتجمع اليهود في فلسطين لياتيهم العقاب الذي يستحقونه على إجرامهم في الأرض بحيث لا يفلت منهم أحد (تقاتلكم اليهود، فتسلطون عليهم، حتى يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله) فمتى تحققت العودة المظفرة إلى الإسلام أصبح المسلمون يستحقون أن ينادي الحجر كناية عن استحالة حمايتهم حتى في الحصون، ينادي المسلم فيأتي مليباً نداءه...

كيف لا يأتيهم هذا المصير المحتوم وقد سيطروا على أسواق الخمر والقمار والمخدرات، ولهم باع طويل في عالم الخلاعة والتهاك.. إنهم يقودون حملة الإفساد والتخريب في العالم مع الاحتفاظ بكيانهم وتماسكهم. فمصير اليهودية الصهيونية إلى بوار، ولكن متى؟ إنه عندما يؤوب المسلمون إلى رشدهم ورسالتهم... لا بد من العلم أولاً وقبل كل شيء أن حربنا معهم على أساس الدين، على أساس أنهم ينظرون إلينا كمسلمين يجب أن يبيدونا ويقضوا على ديننا، ونحن لن نستطيع أن نقهرهم إلا إذا عدنا والتزمنا ديننا بحق...

وصحيح أنه قد ظهر جلياً لكل أقطار الأرض التي كان يسكنها يهود وغادروها إلى (أرض الميعاد) بأن ولاءهم لها كان مزيفاً، وأن ولاءهم لجنسهم وتاريخهم وأحلامهم ليس غير... وهم يحرصون على السيطرة على المال والإعلام والتوجيه في الدول الأوروبية وأمريكا ليمنعواهم من الوعي على ما يفعلون ويدبرون فلا يسمعون ولا يعلمون إلا ما يقولون لهم فيجدونهم سندا قوياً لهم بدلاً من الوعي على مكائدهم وبالتالي القضاء عليهم كما فعلت النازية.

إننا في الوقت الذي ننتهي فيه من وصف انتصارهم علينا بالحركة العنصرية، والعدوان المحلي، والتعاون الإمبريالي، والتآمر الرأسمالي.. وأمثالها من الترهات ونضع

بديلاً عنها الحقد اليهودي ضد الإسلام والمسلمين فإننا نكون قد وضعنا أقدامنا على الطريق الصحيح الذي ينهي وجودهم في عشية أو ضحاها..

انظروا إلى حزقيال الذي عاش في محنتهم الأولى في السبي البابلي وهو يعزيهم بكلماته في إصحاحه المعروف في العهد القديم ويدفعهم للثقة بأنهم سيخلصون من ذلك الأسر ويعودون إلى بلادهم، وكيف انهم بالفعل قد عادوا ولكنهم لم يطل مقامهم حتى زاغوا وطردهوا من فلسطين، وهاهم اليوم يعودون للمرة الثالثة وهم أشد حقدًا وأسوأ أعمالاً وأخبث إيماناً من قبل، مما ينبئ بطردهم القريب إن شاء الله من فلسطين. فحزقيال الذي يزعمون أنه أحد أنبيائهم حدد لهم دولتهم المقبلة هذه بأنها من الفرات إلى النيل.

فسواء حزقيال أو غيره فإنه لن يغير من مصيرهم المشؤوم، وهاهو الإنذار الرباني الحق يلاحقهم (وإن عدتم عدنا) فهاهم قد عادوا بكل سيئاتهم وجرانمهم وما عليهم إلا أن ينتظروا العودة إلى الإسلام من قبل أهله، وهي بعون الله لن تتأخر، وعندها ليبشروا بالعاقبة الحقة التي يستحقونها، وعندها ستتكشف الحجب وترفع الأستار عن كل هذه الأضاليل والأكاذيب التي يغشون العيون بها.

٢. الصهيونية عقيدة دينية

في هذه المحاضرة التي ألقاها الشيخ المرحوم بكلية الهندسة بجامعة القاهرة في ١٩٧٣/٣/١٧ أصر على أن مأساة العرب في حروبهم مع اليهود هي في إبعادهم الإسلام عن جميع الحروب بينما اليهود يحاربونهم بالدين اليهودي.

فقد كان اليهود منذ خمسين سنة لا يجدون عطفاً في أوربة وأمريكا لأن النصرى يكرهونهم إذ يحملونهم مسؤولية قتل المسيح كما يعتقدون والتأمر عليه لدى الرومان، ولكن صبر اليهود وكفاحهم وتجمعهم باسم الدين حولهم شيئاً فشيئاً إلى قوة معزولة في فلسطين... وضرب كعادته أمثلة من كتب أو أسفار من يسمونهم بأنبيائهم بأن اليهودية والصهيونية شيء واحد وأنها دينهم الذي يتجمعون حوله ويسعون باسمه لإعلاء دولتهم وتجميع شتاتهم فيها.

ويؤكد بالشواهد التاريخية حرص قادتهم على التزام دينهم وعدم الخروج عن شعائره يوم السبت المحرم عندهم العمل فيه مهما كان فمشوا على الأقدام عندما ذهبوا لبريطانيا للاشتراك في تشييع جنازة تشرشل عام ١٩٦٥ بينما ركب جميع المشيعين السيارات لبعده المسافة.

الاتحاد الاشتراكي العربي في عهد عبد الناصر كان يكذب على الناس بأن الصهيونية حركة إمبريالية استعمارية بينما اليهودية دين والحقيقة أنهما دين ولا فرق بين الاثنين في شيء بدليل في كتبهم لمن يقرأ ويفهم...

الجزائر حاربت فرنسا حتى أخرجتها بالدين والجهاد الإسلامي وليس باسم العرب والعروبة العلمانية.

اليهودي لا يتعالى مهما وصل من درجات عالية في العلم ولكن العربي لا يصل إلى درجة إلا لكي يصبح زعيماً...

الناس لا تعرف في الشارع إلا من تضخمه وسائل الإعلام، فمغني مثل شكوكو تحييه الجماهير لو مشى في الشارع بينما المهندس الحاصل على جائزة الدولة التقديرية لا تعرفه ولا تبالي به لو مشى في الشارع!

موشى ديان ذهب في ميادين القتال من بلد إلى بلد، وقاد معارك بلاده من نصر إلى نصر ضدنا، ولو جاء لجيش من جيوشنا لأسقطه الفحص الطبي.

السلال الذي استلم الحكم اليمني في انقلاب عام ١٩٦٢ رقى نفسه إلى رتبة مشير كما فعل الكثير من الانقلابيين في بلادنا ولكن أيزنهاور وديغول وغيرهم ممن سطروا صفحات المجد في بلادهم لم يفعلوا ذلك.

دخلنا حرب ١٩٦٧م بدون خطط قيادة فانتحرنا ودخلها اليهود بقوة الدين والعقيدة فانتصروا علينا... فيجب أن لا نبعد الدين عن الحرب التي أوشتك أن تجري...

كلمات فيها الحق المبتور لأن إدخال الدين في حرب ١٩٧٣ قد حصل ولكن ماذا حصل بعدها في مصر؟! إنها كعب ديفيد!! فإدخاله للاستغلال لا يكفي مادام الرجال طوع إشارة الشيطان.

٣. الصهيونية ميراث يهودي تلمودي

تحت عدة عناوين فرعية كتب المؤلف هذا البحث قبل أن يبرز التركيز عليه بعدم التفريق بين الصهيونية واليهودية وأنهما دين وإن اتخذت الصهيونية الطابع السياسي العنصري الذي يتوفر لليهودية في كتابات أنبيائها مما لا تسلط عليه الأضواء.

فتحت العنوان الأول: الصهيونية في بعدها السياسي والديني والتاريخي يرى المؤلف بأن الصهيونية كمذهب سياسي عنصر مدمر قد اتخذت الدين سبيلاً للتأثير بينما هو في كتاباته الأخرى يصر على أنها واليهودية صنوان أو وجهان لعملة واحدة وليس مجرد اتخاذ الدين وسيلة للتأثير على العقول.

وعندما يبرز اتخاذها للتلمود قاعدة لها فإنه يوضح ما في هذا التوجه من مكر للسيطرة على العالم من منطلق عنصري محض. فتيودور هرتزل الذي قادها بدءاً من كتابه (الدولة اليهودية) الذي صدر عام ١٨٩٥م ونجح في عقد مؤتمر يهودي عام ضم أقطابها وأحبارها في بال بسويسرة عام ١٨٩٧م وجه أنظار اليهود إلى فلسطين فقط من منطلق يهودي ديني ليقول في نهاية المؤتمر (الآن أنشأنا الدولة اليهودية)...

ولم يسيطر على هرتزل الحزن لأن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني رفض بيعه فلسطين بل ركب موجة الاستعمار البريطاني بنجاح حتى نال ما يريد بإسقاط الدولة العثمانية وحصولهم على وعد بلفور قبل نهاية الحرب العالمية الأولى.

وقد تحقق لهرتزل أعظم نجاح في مؤتمر بال عندما قرر المؤتمرين تأييد (بروتوكولات حكماء صهيون) التي لم تعرف إلا بعد ترجمتها إلى الروسية عام ١٩٠٢ ثم ترجمتها إلى لغات أخرى.

وتحت العنوان الثاني: عرض موجز لقرارات حكماء صهيون ذكر المؤلف عدداً من تلك القرارات التي تركز على أن القوة المالية التي بأيديهم تمكنهم من السيطرة على الدول بالرشوة والخداع والتمويل، ومن خلال إشعال الحروب التي تحتاج لهذا المال، وبواسطة خلق الأزمات المالية وإثارة الغوغاء ضد الحكومات، وبالسيطرة على بيوتات المال والاحتكارات العالمية، وبتوجيه الحكام ضعاف النفوس لتحقيق رغباتهم، وبالسيطرة السرية على النشاطات السياسية والوسائل الإعلامية، وبالعامل على زعزعة الإيمان والعقائد، وبالتسرب في كل المنظمات السرية في العالم، وبعدها يصلون إلى إقامة مملكة يهوه.

وتحت العنوان التالي: الصهيونية لا سند لها من دين موسى عليه السلام يبين الكاتب بان دين موسى لا يمكن أن يقوم على العنصرية وكرهية الشعوب بل محبة الآخرين وإحقاق العدل بينهم، ولكن مسخ التوراة ووضع التلمود وصبغه بأحلام الأبحار والمفكرين اليهود هو الذي حول اليهودية لتصبح هذه الصهيونية وذلك على أثر ما لاقوه من اضطهاد السبي البابلي، مما جعلهم يمنون شعبهم بالعودة المظفرة إلى أرض الميعاد...

وتحت العنوان الآخر: كتاب التلمود دستور الصهيونية يظهر الكاتب كيف تلاقى تحريف التوراة مع التلمود الذي كان اليهود يقدمونه في عبادتهم وحياتهم على التوراة نفسها كما تشهد كتاباتهم الكثيرة حتى قال كاتبهم عام ١٨٩٢م (فالتوراة ذاتها لم تبلغ ما بلغه التلمود)...

وتحت العنوان التالي: الصهيونية تحارب كل فضيلة لأن الفضائل تقف في طريق الوصول إلى غاياتها، حتى أن أنبياءهم كذبتهم الصهيونية، وقتلت من قتلت منهم لأنهم جاءوا بغير ما تصبو إليه. وما حاولوه من قتل السيد المسيح والرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهما تصديا لأطماعهم وفضحوا دخائل نفوسهم الخبيثة لأكبر شاهد على حقدهم وحسدهم ضد كل من يقف في طريق مآربهم الشريرة.

وأما العنوان: كتب اليهود المقدسة التي تتحدث عن أغراض الصهيونية الآثمة فإن نبذة من التلمود تكشف عن ذلك عندما يرى أن اليهود بركة الأرض ولولاهم لامتنع المطر عنها، وأنهم أبناء الله وأحباؤه وباقي البشر حشرات وأنعام، وأنهم أحب إلى الله

من الملائكة، وأن من يضرب يهودي من الأمم الأخرى يجب قتله، وأن، وأن، فهذه نماذج من التلمود دستور الصهيونية الذي يفصح عن نوعية البناء العقلي والنفسي الذي عليه اليهود المؤمنين والعاملين لأهداف مثل هذا التلمود.

وتحت العنوان: الصهيونية تكافح للحصول على وطن للشعب المختار فقد جعلوا من التوراة المحرفة وفي سفرها الأول سفر التكوين، أن حدود وطنهم الموعود (من نهر مصر - النيل، إلى النهر الكبير - نهر الفرات) وأن كتاب أحد زعمائهم حايمم ويزمن المسمى التجربة والخطأ يكشف عن اعتبارهم فقط لليهودية كجنسية وقومية وانهم لا يعترفون بأي جنسية أخرى مهما كان نوعها إلا كوسيلة لدعم مساعيهم للوصول إلى هدفهم.

وقد أعلن ذلك أول رئيس لوزرائهم ابن غوريون عندما قال بأن دولتهم ليست غاية في ذاتها بل وسيلة لتحقيق غايتهم ألا وهي جمع اليهود في الأرض فيها لتكون دولتهم...

وتحت العنوان: لقد خدعت الصهيونية الناس طويلاً بفكرة اضطهاد اليهود وضّح أنها عندما ركزت على ذلك حققت استدرار العطف ومنع العقول عن التفكير بحقيقة سبب تشردهم وسوء ما لاقوه من المعاملة حيثما حلوا، وانهم كانوا السبب في الاضطهاد الذي تعرضوا له سواء من الجشع المادي والاتجار بأرزاق الشعوب والسيطرة على خزانهم وإشاعة الفساد والفحشاء فيما بينهم مما جعل الشعوب تلجأ لحماية أنفسها منهم فتطردهم من بلادها كعلاج وقائي مشروع.

وتحت العنوان: سيطرة الصهيونية الاقتصادية والسياسية في العالم الغربي ذكر أن ذلك يبرز الآن أكثر من ذي قبل وبالذات في أمريكا وفرنسة وإنجلترا حتى كادوا يصبحون الحكام الحقيقيين أو المؤثرين عليهم بشكل فعال مستخدمين في ذلك جميع الاحتكارات والمنظمات السرية كالماسونية ونوادي الروتاري.

وتحت العنوان الأخير: الصهيونية والاستعمار يلتقيان في طريق العدوان والطغيان، يؤكد بأن ذلك مما لا شك فيه ويلمسه كل ذي عينين في العالم أجمع...

إن تتبع وقائع الحياة اليوم يظهر المدى الفظيع الذي وصلوا إليه من سيطرة ونفوذ على الغرب بل العالم أجمع، وأن لقاء الفكر والمصالح هما الركيزة في ذلك، وأن المنطلق الديني الذي تؤمن به النصرانية يسهل عليهم الوصول للقاء المصالح...

الفصل الثالث

في جبهة واحدة: يهودية ماهرة وصليبية حاقدة

تحدث الكاتب رحمه الله تعالى عن الموضوعات الثلاثة التالية:

١- لماذا خالف البابا الحالي أسلافه وصادق اليهود؟ أهو اتفاق ضدنا؟

٢- أمريكة الصليبية المتصهينة.

٣- (إسرائيل) والاستعمار الصليبي في مواجهة المسلمين.

١. لماذا خالف البابا الحالي أسلافه وصادق اليهود، أهو اتفاق ضدنا؟

يتحدث الكاتب عن التحول الذي حصل لدى بابا روما، فبعد أن كان الفاتيكان ينظر لليهود قبل اغتصاب فلسطين نظرة احتقار حتى كان البابا يرد هدية حبرهم المتمثلة في التوراة بازدراء ويقول لهم بأنه لا يستطيع أن يساعدهم بأكثر مما ساعدوهم من قبل، وهذا ما روي عن موقف البابا بيوس العاشر قبل قرن من الزمان، بينما نجد أن البابا الحالي قد ذهب بنفسه في ١٤/٤/١٩٨٦ لزيارة كنيس روما الكبير كما قالت الصحف الفرنسية ليضع حداً للعداء التقليدي بين اليهودية والكاثوليكية فلماذا حصل هذا التحول؟

إنه على أثر انتصار اليهود في فلسطين على المسلمين المتخاذلين الشاطبين لإسلامهم من حياتهم بادرت الفاتيكان بدءاً من البابا بيوس الثاني عشر الذي صمت أيام المذابح النازية لليهود، فأخذ بالصلح مع اليهود بالدعوة إلى تبرنتهم من دم المسيح ومحو الأدعية الكنسية التي تلعنهم منذ عشرين قرناً.. ومع البابا أعلن ساسة الغرب مشاعرهم العدائية ضد المسلمين، فهب من زعماء العرب من يستجدي رضا الغرب واليهود معاً واعترف بدولتهم، فجاء القرآن الكريم يصور هذا أدق تصوير إذ يقول في سورة المائدة، الآيتين ٥١ و ٥٢: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين.

فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة}.

وجاءت دولتهم تمثل ما زعموه من الدولة الممثلة للحضارة الغربية، وللتعصب الديني. ونجح الاستعمار الثقافي والسياسي في عملية غسيل الدماغ لهذه الأمة لقبول هذا الواقع. واستخدم التسامح الإسلامي لليهود وسيلة لإقرار ذلك، فاستجاب حكام المسلمين لهذه المزاعم تحت ضغوطات يعرفها القاصي والداني...

لقد سارت الصهيونية اليهودية مع الصليبية الحاكمة بتلاؤم تام ضد الإسلام بزعم أنه الممثل للإرهاب والتعصب وتجاهلوا كل ما يعرفونه عنها من استباحة سرقة الدم والخطف والقتل لاستعمال الدم في طقوسهم الدينية اليهودية...

ها نحن نرى ما فعله بابا روما في فلسطين بحجة رحلة دينية بمناسبة انتهاء الألف الثانية على ميلاد السيد المسيح عندما زار نصب مذبحه اليهود النازية وعندما أعلن قبلها الندم من الكنيسة والتوبة عما ارتكبته في حق الآخرين. وبالرغم من ذلك نرى كيف يهب دعاة السلام الصهيوني لطلب العون من بابا الفاتيكان هذا الذي رفض إعلان الندم والتوبة عما ارتكبه في الحروب الصليبية وغيرها ضد المسلمين.

٢. أمريكا الصليبية المتصهينة:

ويظهر ذلك فيما يلي :

مشروع أيزنهاور: فقد أعلن الرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور (١٩٦١-٥٣) عام ١٩٥٧ مشروعاً سمي باسمه للسياسة الأمريكية في الخارج وذكر فيه أن أمريكا مستعدة لتقديم العون العسكري والاقتصادي لبلدان الشرق الأوسط ولاستخدام جيوشها لصيانة استقلالها.

وظاهر من رفض أمريكا لاشتراك روسيا في رد العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ واحتجاجها الشديد على روسية لانفرادها بمقاومته بأن أمريكا لم تقصد فقط حفظ مصالحها في المنطقة ومنع روسية من الوصول إليها، ولكن أيضاً لتنفرد هي في السيطرة على المنطقة محل استعمار بريطانية وفرنسة القديم... فمثل هذا الموقف من أمريكا الذي جاء يؤكد معه بأن (إسرائيل) خلقت لتبقى وأن بلاده تكفل لها البقاء، هذا الموقف الذي دعا فيه أيزنهاور لتدويل القناة بل تدويل قطاع غزة وخليج العقبة لا يقيم أي وزن لأهل المنطقة وبلادهم إلا بقدر رضاهم عن حلوله محل الاستعمار القديم بما سماه ملء الفراغ الذي سببته هزيمة العدوان الثلاثي بعد التهديد الروسي باستخدام الصواريخ ضد بريطانية وفرنسة، وبعد الضغط الأمريكي الذي جاء ليملاً الفراغ بدلاً من روسية الشيوعية أو الشيوعية الروسية، وذلك لأن الشرق في نظر أمريكا مهم كطريق مواصلات ومصدر نفط وسوق استهلاك لأوربة قبل أمريكا.

فأي عون عسكري أو مالي تريد أن تقدمه أمريكا لمنطقة تتدخل هي في إفقارها وسيطرتها عليها؟ بل أي أكذوبة يزعمها هذا المشروع من حماية للأديان السماوية، وكأنه يريد دغدغة مشاعر المسلمين ضد الشيوعية، وما هو في الحقيقة إلا محاولاً للضحك على المسلمين من صليبية حاقدة لا تقيم أدنى وزن حتى في بلادها للأديان أو الأخلاق! ثم هاهي تدعم فرنسة في حربها ضد الجزائر المجاهدة لطردها استعمارها منها. إنها في الحقيقة لا تخشى على المسلمين من الشيوعية وهي تعرف أن الإسلام كفيل بمنع الشيوعية من أي سيطرة على بلادهم، ولكن الخشية من السيطرة العسكرية، فهي تريد ضرب هذا التوجه قبل أن ينجح، ولذلك جاء زعمها بدعم الإسلام من السخف بمكان لأنها وهي لا تقيم للأديان أي وزن استنارت الشيوعيين الملحدين في المنطقة بهذا الزعم ضد الإسلام، ناهيك عن أن الإحصائيات التي تكشف عن مدى سقوط الأمريكيين في الرذيلة تؤكد هذه الأكذوبة.

وأما استخدام الأمم المتحدة كوسيلة تحقق بها أمريكا السيطرة عليها مآربها في العالم فهذا ليس بخاف على أحد، فهي التي نصرت الباطل اليهودي في فلسطين على الحق الإسلامي الذي يسمونه الحق العربي، وهي التي تنصر كل باطل في العالم يصدر

من حلفائها الصليبيين ضد غيرهم حتى لو كان عملهم ضد ما يسمونه بحقوق الإنسان وشرعة الأمم المتحدة.

وأما حماية أمريكا لـ (إسرائيل) فهي من الأمور التي لا تخفيها بل تتحدى كل دول المنظمة الدولية في أي قرار تتخذه ضدها وكأنها الولاية الخمسين من الولايات الأمريكية، وقد درجت على تأييدها في كل عمل عسكري أو سياسي ضد أهل البلاد الشرعيين، وفي العدوان ضد مقدسات المسلمين فيها، وفي اعتبارها لها القاعدة الأساسية لمصالحها العسكرية والاقتصادية في المنطقة. ثم هي الشريكة الفعلية لحمايتها وبقائها لبريطانية التي أنشأتها في الأصل...

إن مشروع أيزنهاور كان سياسة أمريكية في الخمسينيات والستينيات لتحل أمريكا بدلاً من بريطانية وفرنسة بالفعل متذرة بالخطر الشيوعي ليس غير.

٣. إسرائيل والاستعمار الصليبي في مواجهة المسلمين

لاشك أن أعمال اليهود تفضح خباياهم أكثر من أي قلم أو لسان، فهم لم يتركوا في تاريخهم مجالاً لفتنة إلا طرقوه ولا بخلوا بأذى بحق من أتاحت الفرصة للإيقاع به، فقد مد الرسول عليه وآله السلام يد حسن الجوار إليهم فنقضوا العهود وأصروا إلا على الكيد والخديعة والغدر حتى نالوا جزاءهم العادل وفاق غدرهم. وجاءوا إلى فلسطين وبدعوا بنقض كل هدنة وعهد معهم {ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون}. وكيف لا ينقضون العهود وقد جمعهم ملل الكفر مع الإنجليز والفرنسيين والأمريكان. وظهر ذلك في جميع اعتداءات عصاباتهم سواء التي ساندهم فيها الإنجليز والفرنسيون في العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م أو غيرها. فقد ملأوا خنادق مدن غزة وخان يونس ورفح بالشباب المسلم المذبوح كالخراف عام ١٩٥٦ واعترفت صحفهم أن ضباطهم قد ذبحوا المنات من الجنود المصريين في حربي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ فهل تحرك غرب أوربة وأمريكا الزاعم لحفظ حقوق الإنسان؟!

إن التصدي لهذا الغرب الصليبي المتواطئ مع اليهود المجرمين لن يكون بغير الجهاد الصادق...

ولكن من يجاهد؟ هؤلاء الحكام العرب الذين باتوا يتسابقون على الصلح مع اليهود، فعليهم أن يعلموا أن عهداً من هذا لن يحافظوا عليه، وإنما هي فترة استجماع قوى الشر والكيد والخديعة حتى تأتيهم الفرصة المؤاتية في المستقبل وينقضوا كل عهد وينقضوا عليكم... فاذكروا ذلك إذا استمرت هذه المأساة.

وأي مقارنة بين ما فعله المسلمون عبر التاريخ بالأقليات من أهل الذمة الذين عاشوا في كنفهم بأمن وأمان حتى اعتبر رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم (من

آدى نذمياً فأنا خصمه يوم القيامة ومن خاصمته قصمته) فكان اليهود يهربون من اضطهاد الدول الأوربية ويلجأون طلباً للأمن إلى الديار الإسلامية... فأبي مقارنة بين هذا وبين ما يفعله اليهود وهم يتقربون افتراءً على الله تعالى بالقرابين البشرية فيذبحون النصراني في أوربة ليستخدموا دمه في قربانين أعيادهم، فتتستر أوربة عليهم مقابل الأموال التي كانت تسكت بها الأفواه وتكتم الأقدام، ويذبحون المسلم دون أن ينبس ببنت شفة ضد ذلك... وما حادثة الأب توما في ١٨٤٠/٢/٥م عندما ذبحه اليهود في حارة اليهود بدمشق لحاجتهم لدم غير يهودي في قربانهم إلا من هذه الحوادث التي لولا شهرتها لما عرفت ولا ذاعت لتتدخل الدول والقناصل الأجنبية فيها والتي انتهت بشراء ذمة محمد علي نفسه في مصر ليصدر عفواً عن اليهود المجرمين القتلة وتطوى القضية.

ولولا الحقد الصليبي ضد المسلمين وإسلامهم الذي يجمع أوربة وأمريكا مع الصهيونية ودولتها لما استمرت هذه الدولة إلى اليوم رغم هزال المسلمين وخورهم ولكن المال والسلاح الذي باتت لا تضن به عليها أمريكا الطاغية الباغية... فهل ما زلتهم أيها المسلمون تظنون بهم الظن الحسن؟ كفاكم غفلة وسذاجة... تأكد يا سيدي الفاضل أن الأمر في السير مع الغرب وعلى رأسه الباغية الكبرى أمريكا والاستجابة لوساطتها بل لشرارتها في تحقيق السلام مع اليهود ليس مجرد غفلة وحسن ظن بل هو أكثر من ذلك وأشنع بكثير. ولن ينتظر إلا ذلك ممن باع دينه بدنياه...

الفصل الرابع

إسرائيل دولة البغي والعدوان

تحدث المؤلف في هذا الفصل عن الموضوعات الستة التالية:

- ١- حول قيام إسرائيل،
- ٢- سنن مطردة،
- ٣- الجيش الذي لا يقهر أكذوبة لها تاريخ،
- ٤- وقع أول الحشر وسيقع آخره،
- ٥- فلسطين الدرّة المغتصبة،
- ٦- فلسطين إسلامية .

١- حول قيام (إسرائيل)

بالجزم أن العرب والمسلمين لم يكونوا على دراية بالمؤامرة الرهيبة المعدة لتمزيقهم والتهامهم بدءاً بمؤتمر بال الصهيوني عام ١٨٩٧م والسير في تنفيذ مقرراته

حتى قيام دولة (إسرائيل) وانتهاء بما فعله الغرب الصليبي بإسقاط الخلافة الإسلامية بعد الحرب الكونية الأولى على يد مصطفى كمال ثم تمزيق العالم الإسلامي إلى أقطار أخطر ما فيها تمزيق العالم العربي تكيد بعضها لبعض سواء الدول السبع التي تظاهرت بالقتال ضد (إسرائيل) في أول نشأتها والتي لم تكن في الحقيقة إلا متواطئة مع الصليبيين الإنجليز بالذات وعميلة لهم في الهزيمة أمام اليهود وتثبيت كياناتهم.

صحيح إن المسلمين والعرب لم يكونوا راضين بهذا التقسيم والتمزيق ولكنهم ما أسرع ما تكيفوا مع هذا الواقع وأصبحوا تبعاً لليأس من الوحدة وضغط حكامهم يسرون معهم في الدفاع عن حدودهم الوهمية مع البلاد العربية والإسلامية الأخرى... ولو كانوا في وحدة بين العرب على الأقل لما حصل لا قيام (إسرائيل) ولا سيطرة الاستعمار عليهم... ولكن قاتل الله النظم الجائرة التي لم تستطع أن تحافظ حتى على الوحدة النواة التي قامت بين مصر وسورية ١٩٥٨ - ١٩٦١ بسبب الحكم العسكري الاستبدادي في الداخل والتآمر الأجنبي من الخارج.. فضاعت اللبنة الأولى في الوحدة بعد أن ضاعت فلسطين.. ومن ينقذ والطريق بعيد عن الإسلام؟ وانصب قبلها الاضطهاد الفردي والجماعي على أهالي فلسطين كجزء من مؤامرة الصليبيين للتمهيد لقيام (إسرائيل) حتى نجحوا في ذلك بالرغم من التوضيحات التي تعجز عن المدح والوصف للشعب في فلسطين... ولكن هل مهزلة السلام مع (إسرائيل) هذه ستمنع الجولة القادمة التي لن يطول انتظارها للقضاء على الصهيونية؟ بالتأكيد لا... إنه عون الله تعالى الذي لا بد قادم متى توفر المستحقون لنصره تعالى... وكلنا رجاء إليه تعالى أن لا يطول الانتظار.

٢ - سنن مطردة

كتب المؤلف المرحوم هذا المقال في الخمسينيات من القرن العشرين وقبل هزيمة عام ١٩٦٧م فقال يجب على المسلمين أن يستوعبوا هذه الحقائق قبل جولة أخرى مع اليهود:

(١)- نعم الله الكبرى على اليهود التي جحدوها: لا بد أن نذكر أن المحافظة على المجد ليست أسهل من بلوغه بل قد يكون استمرار النعمة أصعب من تحصيلها، وما ذلك إلا لأن المحافظة عليها للبقاء بعيداً عن الآفات تحتاج إلى جهود أخرى. وأخطر ما تتعرض له النعم من عوامل الزوال هو الظن بأنها جاءت أصحابها دون أسبابها أو محاباة الأقدار لهم أو بزعم العظمة الكاذبة والاستحقاق الباطل كما قال قارون {إنما أوتيته على علم عندى} القصص ٧٨.

فقد اختارهم تعالى على شعوب زمانهم لتفوقهم عليهم في المعرفة والقدرة، ولكنهم ما أن ظنوا أن إكرام الله حق مكتسب لهم بحكم الجنس، وأنه دائم لهم مهما فعلوا، حتى فرطوا وتكاسلوا وتحاملوا وأفسدوا وتجاهلوا، بل توههم من بعدهم من ورثتهم نفس

الشيء، فنعى الله عليهم هذا الغرور بالمعاصي وزور الانتماء إليه تعالى فقال لهم {وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه، قل فلم يعذبكم بذنوبكم، بل أنتم بشر ممن خلق} - المائدة ١٨-. فالخلق كلهم متساوون في الأصل متفاضلون بحسن العمل، وهو سبحانه يختبر عباده بالعسر واليسر فيكشفهم لأعينهم ليلزمهم الحجة وهو يحكم وينفذ حكمه فيهم. فقد كانت موائد المن والسلوى ابتلاء لهم، كما كانت منات الرسل إليهم أعظم نعمة ابتلاهم الله تعالى بها، ولكنهم لم يقدروها قدرها بل تجرعوا عليها فقتلوا عدداً منهم لأنهم لم يجينوا وفق هواهم {فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون}.. وها هو يحيى بن زكريا الذي قتلوه لأنه أمرهم بعبادة الله وحده وبالصلاة وبالصيام وبالصدقة وبذكر الله.. إنهم يريدون من يستجيب لرغباتهم لا من يكلفهم بما لا تهوى أنفسهم التي أصبحت لا ترى إلا الدنيا ومتعتها وأموالها وسلطانها والتميز على جميع البشر فيها..

فنزلت بهم لعنة الله وغضبه ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ - المائدة ٧٨ - فتشتتوا في الآفاق والاضطهاد يلاحقهم حيثما حلوا والعقاب يحل بهم أينما كانوا جزاء سيئاتهم التي صارت دينهم {وإذ تأذن ربك ليعيثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم} - الأعراف ١٦٧-.

هذا شأن أهل الكتاب من اليهود بالذات فأين المسلمون؟ لقد حذرهم الرسول عليه وآله السلام (لنتبع سنن من قبلكم، شيراً بشير، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟) فقد سقطت أو هدمت الخلافة الإسلامية في الأستانة منذ خمس وسبعين سنة ونيف فماذا حصل بالأمة الإسلامية غير هذا الهوان والتمزق والضياع!؟

لاشك أنها سنة الله في خلقه، ولن يحابي سبحانه أحداً، فما كان مصير اليهود لملاحقة اللعنة لهم جاء مصير المسلمين منذ تخلوا عن شريعتهم وخالفتهم... ومتى عادوا إليها استحقوا أن يغير الله عليهم ويجيئهم نصره بلا ريب.

(٢) المسلمون وحال اليهود حينما استلبت فلسطين: فقد كان المسلمون عندما أضاعوا فلسطين في حال السكران من عدم الوعي على ما انتهوا إليه من تخليهم عن الإسلام والعيش بلا شرعة ولا قوة لا في أفكارهم ولا أعمالهم فهانوا على أعدائهم الذين خاضوا معهم حروباً صليبية استمرت لقرنين من الزمان وانتهت إلى الفشل لأنهم كانوا على صلة وثيقة بإسلامهم مما جعلهم يعدون العدة لحرب أخرى ضدهم لا تنتهي هذه المرة إلى الفشل والهزيمة، إنها الحرب الفكرية المدمرة للعقول أولاً واستعانوا بعد ذلك باليهود الذين كانوا منذ طردهم من الجزيرة العربية لا يجرؤون على التفكير بخوض حرب ضد المسلمين، ولكونهم رأوا كيف تخلوا عن دينهم بسبب قوتهم فترشوا بهم ليأخذوا فلسطين ثم ليعدوا العدة بأساليبهم الماكرة أساليب السلام ليبتلعوا

بها المنطقة بإغراقها بالسيطرة الاقتصادية والمالية التي رسموها لها. فقد رصدوا الأموال والعقول والخطط لذلك وياتوا يسوقونها في المؤتمرات السنوية التي تعقد تحت رعاية أمريكا.

لقد شحنوا شعبهم بالعاطفة الدينية ليرجعوا إلى (أرض الميعاد) وشحنت أمتنا أبناءها بالشعور البارد الميت الذي سهل معه فقدان الأرض لعدوهم رغم الفتاوى التي تحرم ذلك، ولكن ما قيمة الفتاوى والقلوب لا تنبض بعاطفة الإيمان الحق. وما هذا الذي انتهى إليه العمال في فلسطين إلى طلب العيش في العمل لدى اليهود ولو بأجور بخسة؟! وما هذا الذي انتهى إليه حكام المسلمين من الرضى بل استجداء رضى عدوهم ليقبل التعامل معهم ويسندهم على كراسيهم وعروشهم ولو على حساب شعوبهم وبلادهم؟! فهل واحد منهم يذكر ما فعله حايمم وايزمن عندما طالب حكومة إنجلترا التي أسدى لها خدمات كثيرة أن تقدم مقابل ذلك لا مكافأة له ولكن للشعب الذي ينتمي له؟ لقد كان التشاحن بين جناحي الأمة الإسلامية في العهد العثماني، العرب والترك، يحطم هذه الأمة ويفسح بإعطاء الفرصة لنجاح أعدائها في تحطيمها، فها هو إسرائيل كوهين يتحدث عن وايزمان كيف ذهب إلى العقبة وقابل الأمير فيصل بن الحسين بعد أن أعلن والده الثورة على دولة الخلافة متفقاً مع المعتمد البريطاني في مصر مكماهون الذي وعده مقابل مساعدتهم له أن تمنح دولته بريطانيا الاستقلال للعرب إذا ساعدوها كحلفاء، وكيف أن الأمير فيصل قد أشار في ١٩١٩/٢/٦ كرئيس لوفد الحجاز في مؤتمر الصلح إلى فلسطين ثم سكت عنها لدراسة أصحاب الشأن وطالب فقط باستقلال بقية المناطق العربية!! فاليهود يطالبون بوطن قومي لهم وأمراء المسلمين يفرطون بفلسطين بل بكل بلادهم بعد أن يمزقوها ويتآمروا على هدم خلافتهم!! ويقف رشدي غانم في ١٩١٩/٢/١٣ رئيس وفد سوريا لمؤتمر الصلح ليطالب بإنشاء دولة ديمقراطية مستقلة في سورية، وبإعطاء استقلال ذاتي لفلسطين تحت سيطرة اليهود لتنضم لسورية في صورة اتحاد فيدرالي! ولكنه يهاجم القسوة (التركية) ضد العرب ليجد هو وأمثاله الثأر منهم ليس بإقصانهم عن حكم دولة الخلافة ولكن بهدمها. إنها شهوة الحكم والسيادة للجنس لا للعقيدة والدين، فقد خان العرب دينهم.

وحافظ اليهود على دينهم وتاريخهم فساعدتهم إنجلترا لتحقيق مصالحها وخذلت العرب وغدرت بهم فنال كل فريق ما يستحق .

(٣) الفجوة السحيقة بيننا وبين اليهود في الإعداد والتخطيط: فإن ما حصل لنا ليس صدفة ولا معجزة خارقة ولا قدراً قاهراً إنما هو نتيجة حتمية لما كنا ومازلنا عليه.. فالخطابات الرنانة لا تأتي بنصر على العدو إذا لم تصاحب بإعداد القوة الإيمانية والمادية معاً.. والفلاح الذي لا يبذر الحب ويرعاه لا يمكن أن ينتظر الثمر، فالقدر لا يعني الجبر ولا يقعد عن العمل، والتوكل لا يعني الكسل وترك العمل، والرجاء لا يعني الاكتفاء بالدعاء بغير عمل.. والجهاد بدون دراية بالفنون الحربية انتحار.. وقد رأينا

كيف يحرص اليهودي على وقت عمله كاملاً بينما يتهرب عمالنا وموظفونا من العمل، رأينا كيف يبذل الواحد منهم ماله في سبيل الآخرين بينما يبذل أحدنا جهده في الوصول ولو بالحرام للأموال العامة، ورأينا كيف يقاتل الواحد منهم مع الحرص على معرفة الفنون العسكرية بينما نحن نتهرب من الخدمة العسكرية!! فكيف ينتصر من هو مثلنا على من هو مثلهم؟! إن ذلك خارج عن السنن الربانية، فمتى أصبحنا نملك من الصفات ما يفوقهم يمكن أن نتساءل إذا هزمنا أمامهم عن سبب الهزيمة؟ أما ونحن هكذا فكيف نتساءل؟ حكمانا دفعوا الجيوش بقوات رمزية إما لأنها لا قوة لها أو لأنها تريد أن تحمي حدودها، وغيرهم وفي ظليعتهم مصر كانوا يعبثون بالبلاد والعباد.. وما أن دارت الحرب حتى انتصر اليهود للبون الشاسع بيننا وبينهم... لقد كنا في وهن وخذاع وكانوا في جراءة ونور.. فربحوا وخسرنا...

ولو تتبعنا الصفات التي نعي القرآن عليهم الاتصاف بها: من الجراءة على الله في المعصية، إلى سيطرة الهوى والضغائن على قلوبهم، إلى الطمع والحرص على أكل المال الحرام، إلى الغرور بالنجاح بحجة أنهم أهل الإيمان دون عمل، إلى التحاسد بين العلماء، إلى تحجر الطباع وفقدان الرحمة من القلوب... لوجدناها كلها أصبحت موجودة في المسلمين فكيف ننتظر النصر عليهم وهم يعرفون مواطن ضعفنا ويأتوننا منها؟!

فإذا أردنا أن نشق طريقنا في الحياة بنجاح وننتصر على أعدائنا فلا بد أن نغير ما نحن عليه ليغير الله علينا، وإلا فالأمر كما قال تعالى {وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم} - محمد ٣٨ - .

فلاشك أن هذا هو عين الصواب من حيث وصف الداء والدواء ولكن كيف نصل إلى هذا الدواء؟ هل نخترع طريقة أم نلتزم طريقة الرسول عليه وآله السلام في بناء الأمة وتهيئة المجتمع وإقامة الدولة؟ لا شك إذا كنا نريد الحل الإسلامي، ونحن حتماً لا نريد غيره، فلنا في الرسول عليه وآله السلام الأسوة الحسنة وهو عليه وآله السلام الذي {لا ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى}. فعلياً أن نستقرئ السيرة النبوية لنرى المراحل التي سار فيها بأمر ربه فنسير نحن فيها، ولاسيما لأننا تخلينا عن حكم الشريعة منذ هدم نظام الخلافة فأصبحنا بحاجة لهذا النظام الإسلامي ليقودنا في الحياة كما قاد المسلمين منذ عهد الرسول عليه وآله السلام وخلفائه الراشدين إلى نهاية العهد العثماني بغض النظر عن الجيوب الهوائية الصعبة التي مر بها طيلة مسيرته.

(٤) سلاح العدو وسلاحنا في هذه المعركة الطويلة: ينقل المؤلف رحمه الله تعالى صورة حية عن الفرق الهائل بين ما كان عليه سلاح العدو الصهيوني وهو يستعد لخوض أول معاركه مع العرب المسلمين في فلسطين وبين ما كان عليه سلاحهم، ويقول بأن ما كتبه بصدد ذلك الأستاذ أحمد رمزي هو خير تصوير... فقد كان عدونا يعتمد على اقتصاد تخطط له الوكالة اليهودية أثناء وجود جيوش الانتداب البريطاني على فلسطين،

فكان ينشئ المصانع ويبني الزراعة لا على أساس الاكتفاء الذاتي بمجرد قيام دولتهم بل تزويد جيوش الإنجليز بحاجاتها حتى تنسحب، ثم جيشهم الذي يحل محلها ليحمي دولتهم وينتصر على أعدائهم العرب المحيطين بهم، فكانت الخطط الاقتصادية ليست فقط تبعد كل عربي عن مصانعهم ومعاملهم بل جاهزة لاستيعاب كل المهاجرين اليهود الجدد مهما كان عددهم بحيث لا يسمحون بالبطالة لأي يد عاملة مهما كانت مدربة ومتعلمة دون أن تجد عملاً وبحيث لا مجال لأي إضرابات تؤثر على مسيرة هذا الاقتصاد.. فالأموال المرصودة لهذا الاقتصاد لا تعرف الحدود والسدود...

فأين كانت أموال نفطنا في الجزيرة العربية وغيرها من الأقطار؟ وأين محصول القطن المصري الهائل؟ لقد كانت لدينا الدخول الهائلة، ولكن وسائل العبث والتهو والمجون وسرقة الأموال لتتجمع أرصدة في البنوك السويسرية كانت هائلة أكثر...!!

إنهم يجمعون الأموال من تبرعات أغنيائهم في أقطار أوربية وأمريكية وينفقونها في البناء ونحن نبدد الأموال الضخمة بين أيدي أعدائنا وننققها في اللهو العابث والرصيد الفاجر. فكيف لا ينتصرون؟! وكيف لا ننهزم?!

وفي الوقت الذي نقبل على الصناعات الثقيلة والخفيفة، ونصبح قادرين بل مستغنين عن الصناعات الأجنبية بجميع أنواعها فإننا نستطيع أن نقول بأننا وضعنا أيدينا على بداية طريق النصر.

وإن الصناعات لن يكون لها وجود لدينا دون عقل وإرادة، ودون علم يحيط بأسرارها فبالإرادة والعلم نبني كل تلك القوة اللازمة، وإلا فلنستبشر بالهزائم تلو الهزائم أمام عدو لا يكل ولا يمل في البناء وفي تسخير كل طاقاته الداخلية والخارجية للانتصار علينا... ولنعلم مسؤولون قبل عاديين بأن استرجاع فلسطين لن يكون بغير هذا الدرب!!

كنت أتمنى على شيخنا المرحوم أن يضع الأصبع على أصل الداء وهو ضياع وفقدان العقل والقلب المؤمنين المخلصين الواعيين لدى كل حكامنا، وأنا بحاجة لحاكم واحد يملك ذلك كله، وعندها سيوجد النهضة الصناعية والزراعية المتفوقة في بلادنا التي تملك تحقيق ذلك بسهولة بثرواتها المادية والبشرية الهائلة.

٣- الجيش الذي لا يقهر أكذوبة لها تاريخ!!

وهنا يصور الشيخ المرحوم كيف انهارت أكذوبة الجيش اليهودي الذي لا يقهر عندما جابه جنود وضباط الجيش المصري يوم العاشر من رمضان عام ١٣٩٣ هـ الموافق ١٩٧٣/١٠/٦ فقد نسجوا أكذوبة الجيش الصهيوني الذي لا يقهر بكل طاقات تأمرهم الصليبي الحقود مع الصهيوني الجحود، فأمدوه في غربهم الأوربي بكل القدرات العسكرية وجعلوه وهو الذي لم يثبت أمام مجموعات ضعيفة السلاح قوية الإيمان من الشباب الفلسطينيين يظهر كأنه المنتصر ليس فقط على تلك الجماعات ولا نقول الجيوش بل على الجيوش التي أرسلتها الدول العربية السبعة للقتال.

لقد دبروا المكيدة الرهيبة لتظهر دولة (إسرائيل) بجيش لا يقهر عندما يمكنونها من هزيمة جيوش الدول العربية، ففرضوا هدنة لإنقاذ اليهود المنهزمين وإنقاذ عاصمتهم تل أبيب من احتلال تلك المجموعات المحاربة من الشبان المسلمين وأكثرهم فلسطينيون، وفيما بينهم خليط من الشباب المسلم من جنسيات مختلفة حتى الأوربية، فبالهدنة التي فرضوها على الطرفين أنقذوا اليهود الجبناء الفارين وأوقعوا المزيد من التفكك والتشرذم في صفوف المجاهدين الذين لم يجدوا حاكماً واحداً يمددهم بالسلاح الإيماني والعسكري بل وجدوا الكل يتأمرون عليهم فيذوبون في إطار الجيوش العربية التي أدخلت لتساعد العصابات اليهودية على النصر عندما أخذت تنسحب من الميدان في بعضها ويعلم بعضها الآخر: ما كو أوامر! ويعرضها سلاحها الفاسد للهزيمة المنكرة المخزية أمام من يراد جعله جيشاً لا يقهر، فكانت الهزيمة الأولى فيما سمي بحرب ١٩٤٨!!

وجاءت المأساة لتحريك خيوطها مع صناعة أنظمة ودول في الأقطار المجاورة لفلسطين، والمفروض أن تكون خط الدفاع الأول والمجال العسكري الواسع للهجوم النهائي على ما سمي (إسرائيل)، فظهرت دول تنادي بالأنظمة التقدمية وترفض الإسلام ونظامه باسم الرجعية، وكرت حبات السبحة في هزائم متتالية في فصول مسرحية مخزية! وكانت حرب ١٩٦٧ قمة القمم في تأكيد أكذوبة الجيش اليهودي الذي لا يقهر.

ولكن ما أن فتح المجال ولو بحدود ضيقة، وظهر أنها سياسة مرسومة بمكر ودهاء عظيمين، حتى خاض الجيش المصري عام ١٩٧٣ معركة تحطيم تلك الأكذوبة الساخرة، فعبّر قناة السويس وحطم خط بارليف الذي أنشأته الصليبية الحامية للصهيونية المجرمة، وخاض معركة دبابات لو لم تتدخل خيانة الحكام لحطم الجيش الإسرائيلي ومحا (إسرائيل) من الوجود ولكن (الصديق العزيز كيسنجر) قد وفر الغطاء الهائل من الدبابات الثقيلة تهبط على أرض معركة جيش اليهود المتقهقر ليعيدوه ليهزم الجيش المصري ويحصل جيب الدفرسوار الخياني وتجري مفاوضات الانسحاب في الخيمة (١٠١) الخيانية فتظهر حرب التحريك لا التحرير على حقيقتها!! إنه جيش كفيل بشطب (إسرائيل) من على الخريطة... ولكن!!

٤- وقع أول الحشر وسيقع آخره!!

وذهب الرسول عليه وآله الصلاة والسلام إلى بني النضير ليطلب منهم تنفيذ ما التزموا به من معاهدة حسن الجوار، فأسرعوا لمحاولة قتله عليه وآله السلام، فأسرع بجيش حاصرهم وأجلاهم عن ديارهم كما تصور ذلك سورة الحشر.. تلك السورة التي تصور التركيبية العقلية والنفسية الخبيثتين اللتين كان اليهود عليهما، كما تصور على النقيض من ذلك ما كانت عليه ذات التركيبية الإيمانية الطاهرة النقية لدى المسلمين من مهاجرين وأنصار... فمضت سنة الله تعالى في الفريقين بهزيمة منكرة لليهود ونصر مشهود للمؤمنين.

وبالتدبر الحق لتلك السورة، وما تذكرنا به نحن المسلمين من عناصر استحقاق النصر التي اتصف بها أسلافنا، وبغناصر استحقاق الهزيمة التي اتصف بها أسلاف اليهود، ترينا أننا في الوقت الذي نعود ونغير ما أصابنا من بعد عن إيماننا وإسلامنا فنعود إلى القرب بل الالتزام الحق بهما وبمقتضياتهما فإننا سنجد أنفسنا قد عدنا لاستحقاق النصر الذي مازالت حكومات عالمنا الإسلامي تطلبه بغير عناصره، وبالطبع لن تناله بل ستنال الهزيمة تلو الهزيمة تبعاً لذلك.

واسمع يا أخي القارئ لهذه الكلمات التي أوردها شيخنا المرحوم على لسان الجنرال دايان الذي قاد الجيش اليهودي كوزير للدفاع عام ١٩٦٧م رداً على شاب مسلم متحمس عندما قال له وهو ضيف في بيت أبيه بالرغم منه كوجيه بلده: جنرال، لا يغرنك النصر الذي أحرزته! إنه نصر موقوت! وقد عرفنا نبينا أننا سنقاتلكم وننتصر عليكم حتى يقول الحجر: يا مسلم ورائي يهودي تعال فاقتله!

فماذا رد الجنرال على هذا الشاب: لقد ضحك وقال: يستحيل أن يقع هذا ما دمنا نحن نحن وأنتم أنتم!!

لقد صدق هذا الجنرال وهو يؤكد انه من المستحيل على المسلمين أن ينتصروا على اليهود وهم على ما هم عليه من ترك دينهم وإسلامهم واليهود على ما هم عليه من استخدام دينهم ونصرة الصليبية الحاكمة لهم.

فمتى نصدق الله بالعودة الصحيحة إلى ديننا، ونرفع رايات الجهاد والاستشهاد الحق، وعندها فقط يصدقنا الله بنصره المحتوم، إن ذلك لا شك كائن بعون الله يوم الحشر القادم.

ألا لا فض فوك، ولا جف قلمك يا شيخنا المرحوم وأنت تصرخ بهذه الكلمات النورانية وتكتب هذه السطور الربانية... وثق وأنت في قبرك أن أمة الإسلام لا بد بأذن الله عائدة إلى دين ربها ومسترجعة مجد أسلافها رغم أنف الكائدين من شياطين الأرض وأذنانهم!

٥- فلسطين... الدرّة المغتصبة

والشيخ المرحوم ينبش التاريخ، تاريخ الجنس العربي وتاريخ الجنس الإسرائيلي ولا أقول اليهودي فإنه يقارن بصدق بين ماضي الجنسين، وكيف كان العرب قساة جفاة غلاظ، سواء في سحيق تاريخهم مع عاد في جنوب الجزيرة العربية أو ثمود في شمالها أو مدين والقرى المؤتفكة في حدودها الشمالية مع بلاد الشام وفي بلاد الشام، أو في تاريخهم في جاهليتهم قبل الإسلام، أو في تاريخهم المعاصر وبالذات خلال هذين القرنين الأخيرين عندما تخلوا عن دينهم في التشريع والحكم والحياة وارتضوا العودة إلى شكل من أشكال الجاهلية الأولى بالعيش على فتات موائد القوانين الوضعية من رأسمالية ديمقراطية أو اشتراكية شيوعية...

وكيف كان بنو إسرائيل أشد قسوة وغلظة وخسة ومكر وجشع سواء عندما تصدوا لموسى عليه السلام وهو عائد بهم من ظلم وطغيان الفراعنة إلى بلاد الشام إلى فلسطين ليرفضوا دخولها فيحكم عليهم الله تعالى بالتية في صحراء سيناء لمدة أربعين عاماً ريثما يظهر جيل مؤمن صادق الإيمان بدلاً من ذلك الجيل الجبان ليقوده النبي يوشع بن نون الذي خلف موسى عليهم بعد أن مات في التية كمداً على قومه.. أو عندما أخذوا يعودون إلى التمرد على أنبياء الله فيكذبون بعضهم ويقتلون البعض الآخر حتى سلط عليهم بختنصر البابلي فسباهم وأذلهم بعد أن دمر هيكلهم ونهب أموالهم.. أو عندما أعادهم قورش الفارسي إلى فلسطين فلم يطل بهم المقام حتى عادوا للفساد والإفساد، فسلط عليهم الله بذنوبهم الرومان فهدموا هيكلهم وشردهم من جديد حتى انتهى الكثير منهم إلى شمال الجزيرة العربية، وبالذات حول يثرب إلى خيبر.. أو عندما استمروا في الفساد والإفساد حتى جاءهم الإسلام ففضى على وجودهم في الجزيرة فتشتتوا في الأفاق يعيشون في الأرض فساداً ويستعدون باستخدام دينهم اليهودي ومساعدة الصليبيين الحاقدين على الإسلام والمسلمين ليعودوا لفلسطين...

فيؤكد شيخنا المرحوم أن ما نطق به قادة جيوش الصليبية وهي تدخل القدس ولسان الجنرال اللنبي الإنجليزي يقول: الآن انتهت الحروب الصليبية، مشيراً إلى أن المسلمين وعلى رأسهم شريف مكة حسين بن علي وولديه فيصل وعبد الله هم الذين تأمروا معهم للقضاء على خلافتهم والسيطرة على بلادهم، وظهر ذلك جلياً على لسان الجنرال غورو الفرنسي الذي دخل دمشق واتجه لبقبر صلاح الدين ليركله بجزمته ويقول له: يا صلاح الدين.. ها نحن قد عدنا! مشيراً إلى هزيمتهم على يديه من قبل وأن أمثاله الرافعين راية الإسلام والجهاد قد اختفوا من بلاد الإسلام وحل محلهم دعاة الجنسية والعصبية والوطنية...

فأين اليوم من الأمس؟!

إن هذا الحلف الدنس بين الصهيونية اليهودية الماكرة والصليبية المستعمرة الحاقدة لن يطول بعون الله ولن يصمد أمام جيوش الإسلام القادمة، وستعود فلسطين الدرّة الإسلامية المغتصبة للإسلام والمسلمين...

وعندها فقط سيفرح المسلمون بنصر الله، ألا إن نصر الله قريب... وما ذلك على الله

بعزيز...

٦ - فلسطين إسلامية

بعد أن يسفه المؤلف الشيخ المرحوم الغزالي الزعم بأن قضية فلسطين قضية عنصرية أو إمبريالية يؤكد أنها كانت وستبقى قضية دينية إسلامية، وأن أي تجاهل لحقيقة هذه القضية لن يؤدي إلى الحل الإسلامي الأمثل لها ولا إلى استرجاعها.

ففي الماضي البعيد كان سكانها عرباً كنعانيين وهم مع بقية القبائل العربية التي انتشرت في الجزيرة العربية من عاد و تمود والمدائن والمؤتفكات ومعهم الفينيقيون كانوا قد لاقوا العقاب الرباني جزاء تكذيبهم المتتابع للأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى إليهم. فمصير الكنعانيين العرب كان غيرهم إذ سلب الله عليهم الإسرائيليين فهزموهم بعد أن كانوا جبابرة يخشى منهم من بعيد.

صحيح إن الأناجيل وبالذات إنجيل متى، يروي قصة عن السيد المسيح عليه السلام من الراجح أنها من تحريفات اليهود للإنجيل بأنه قال لامرأة كنعانية جاءت تطلب منه شفاء ابنتها: أذهبي يا امرأة فإن طعام البنين لا يرمى للكلاب، من أنه يقصد بالكلاب الكنعانيين... ولكن فساد بني إسرائيل قد جر عليهم السبي البابلي أولاً ثم الاضطهاد الروماني الذي سبب هربهم إلى الجزيرة العربية والسكنى حول يثرب، وللمناسبة فإن الرومان قد تنصروا لا ليبقوا على النصرانية بل ليدخلوا إليهم عقائدهم وأخلاقهم فأصبحت تقول بالتثليث بعد الوحدانية، والمهم أن الفتح الإسلامي قد جاء لينفذ فلسطين من الصليبية الرومانية. وهنا يشير المؤلف المرحوم إلى ثلاثة حوادث تظهر البون الشاسع بين سماحة الإسلام وعدله مع أهل البلاد وبين إجرامهم عندما عادوا في الحروب الصليبية واحتلوا فلسطين:

الحالة المتواضعة للغاية التي دخل بها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه القدس ليتسلم مفاتيحها من البطريرك وفقاً للعهد العمرية المشهورة وكيف دخلها على بغيره وكيف رفض أن يصلي في كنيسة القيامة عندما حان وقت الصلاة حتى لا تحول إلى مسجد.

الحالة الإنسانية المتسامحة التي كانت على صلاح الدين الأيوبي عندما استرجع القدس من الصليبيين وكيف انه لم يبادل إجرامهم بإجرام عندما ذبحوا سبعين ألف مسلم عندما احتلوا بينها هو قد أمتهم ولم يعتد على أحد منهم.

ما فعله الصليبيون في السابق في عهد الحروب الصليبية قد تكرر في الغزوة الصليبية في مطلع هذا القرن عندما دخل الجنرال ألنبي الإنجليزي بيت المقدس فأعلن انتهاء الحروب الصليبية كاشفاً عن حقدهم الصليبي الدفين.

ويشير المؤلف المرحوم إلى طبيعة الشعب في مصر بأنه مؤمن وأنه لا يحركه شيء مثلما يحركه الإيمان كما ظهر على الأمير المملوكي قطز عندما صرخ فيهم: وإسلاماه! فهبوا وخاضوا موقعة عين جالوت ضد التتار ليهزموهم هزيمة ساحقة وينتهي الأمر بالتتار إما إلى الانسحاب لمن انسحب منهم أو الدخول في الإسلام.

ويعود الشيخ المرحوم الغزالي ليؤكد إسلامية القضية الفلسطينية وأنها لن تنفذ إلا بالحل الإسلامي...

انه والله للقول الحق بعينه، فقضية فلسطين إسلامية، ولا حل لها إلا الحل

الإسلامي، ولكن ما هو هذا الحل غير الجهاد الذي ينهي الكيان الصهيوني ويقتلعه من أرضها ويعيدها تحت راية الإسلام وحكم الإسلام! لاشيء غير هذا..

الفصل الخامس

أكاذيب يهودية دسها أحبارهم في أسفارهم المقدسة

١- من أكاذيبهم المفتراة عن الله عز وجل،

٢- مزاعمهم أنهم شعب الله المختار وتحقيرهم للأمم الأخرى.

١- من أكاذيبهم المفتراة عن الله عز وجل

فقد زعم اليهود أن الله تعالى يتعب، ويجهل، ويندم، ويأكل، ويصارع.

إنه يتعب، كما ورد في الإصحاح الثاني من سفر التكوين، ولذلك (استراح) من العمل في اليوم السابع من الأسبوع، يوم السبت، فكان هذا اليوم محرم العمل فيه عندهم!

إنه يجهل، كما ورد في الإصحاح الثالث من سفر التكوين، فسأل آدم المختبئ في إحدى أشجار الجنة: أين أنت؟!

إنه يندم ويحزن، كما ورد في الإصحاح الثالث والسادس من سفر التكوين، لأن آدم أكل من شجرة المعرفة فأصبح يعرف الخير والشر كالرب وهو يحزن لأن آدم قد يأكل من شجرة الحياة شجرة الخلد فيصبح خالداً كالرب!!

إنه يأكل، كما ورد في الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين، عندما اشترك مع نفر من ملائكته في تناول مائدة دسمة أقامها لهم إبراهيم!! إنه يصارع، كما ورد في الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر التكوين، عندما تصارع مع يعقوب حتى كاد يعقوب يصرعه لولا أن تركه مقابل أن يسميه (إسرائيل)!!

٢- مزاعمهم أنهم شعب الله المختار وتحقيرهم للأمم الأخرى

فقد زعم محرفو التوراة من أحبار اليهود بما يفرد بني إسرائيل بالنسب العريق والعلاقة الفذة على حساب غيرهم من الأمم. فقد كرهوا العرب كما كرهوا غيرهم من الأجناس الأخرى فحرصوا على أن تعتمد هذه الكراهية على أساس ديني يصبح العرب بعده ملعونين في الأرض والسماء. وهكذا افتروا على نبي الله نوح قصة رخيصة فاجرة بأن سكر من الخمر، فاستلقى على الأرض وانكشفت عورته فرآه ابنه حام والد كنعان فضحك منه، ولكن أخويه سام ويافت غطياه بالرداء، فلما أفاق وعلم بما فعله ابنه الصغير لعنه وبارك سام وجعل كنعان عبداً له.. وهذا ما افتروه في الإصحاح التاسع من سفر التكوين من توراتهم المحرفة ليجعلوا الكنعانيين جنساً ملعوناً!!

واقترى كاتب التوراة فرية سكر أخرى في حق نبي آخر من أنبياء الله تعالى، انه لوط عليه السلام، كما روى الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين، عندما زعموا بأنه سكن مغارة مع ابنتيه، فلجأتا إلى سقيه الخمر ليضطجعا معه الواحدة في ليلة والأخرى في ليلة أخرى لينجبا منه، فكان ابنه البكر موآب كما سمته إحداهما وهو أبو الموابيين الذين اعتادوا على إثارة الحروب ضد بني إسرائيل وإيقاع الهزائم والخسائر بهم، مما جعل كتاب التوراة يلفقون القصص ضدهم ولو بالإساءة إلى نبي كريم! لأن المهم عندهم هو الحط من أنساب أعدائهم ولو بوحى سماوي لا يجرؤ أحد على تكذيبه.

ولقد قادهم هذا الاعتداد المجنون بالجنس والنسب إلى الحط من القيم والفضائل وهم يظنون بنبل أصلهم وخسة أصول غيرهم، مما جعلهم لا يقيمون وزناً لما يفعلون أو يقولون بزعم أنهم أبناء الأنبياء وذروة البشر، وليقترفوا ما يحلو لهم من الدنيا والآثام مما يحقق شهواتهم.. فلا عتب عليهم.

فمن قصصهم الجريئة في الفحة والنذالة أنهم جعلوا من إبراهيم الخليل ديوتاً في زيارته لمصر في سبيل حرصه على الحياة ومنافعها الحقيرة فيقدم امرأته سارة إلى الفرعون الذي يغدق عليه المواشي والبهائم ويقربه مقابل التمتع بعرضه، ولكنه يطرده من بلاده مع امرأته عندما يعلم بغضب الرب عليه بسبب ذلك، كما يقول الإصحاح الحادي والعشرون من سفر التكوين.

ولم يترددوا في سبيل مآربهم الدنيوية من تحقير يعقوب نفسه الأب المباشر لليهود، الذي تحصل على لقب إسرائيل نتيجة معركة استمرت طيلة ليلة كاملة مع الله تعالى! فصوروا يعقوب عليه السلام بالشخص المحتال الذي سرق النبوة من أخيه البكر عيسو بطريقة حقيرة! عندما تأمرت والدته رفقة معه ليقيم الوليمة التي طلبها أبوه من أخيه فيحصل بدلاً منه على بركته وتركة النبوة من بعده، وقنع أباه الأعمى بأنه هو عيسو البكر فيعطيه مطلبه ويفوز بالنبوة من بعده، كما يقول الإصحاح السابع والعشرون من سفر التكوين، مصوراً كيف تكون (الفهلوة) والمكر والخداع حتى في أنبل وأجل موضع، مما يعطيهم الذريعة مهما كانت حقيرة للوصول لغاياتهم دون تردد...

وها هو الإصحاح الرابع والثلاثون من سفر التكوين في توراتهم المكذوبة على الله تعالى يسوق قصة أخرى من قصص الزنى التي تجري في بيوت الأنبياء المعصومين عن ذلك.. إنها قصة ابنة يعقوب عليه السلام نفسه المدعوة دينة عندما اتصل بها ابن رئيس المدينة المجاورة ثم أراد الزواج منها فعرض الرئيس على يعقوب المصاهرة فتظاهرت أسرته بالموافقة ولكن طلبوا من أصهارهم الجدد أن يختنوا حتى يتم الزواج وتتوطد العلاقة بين القبيلتين، فاستغل أولاد يعقوب انشغالهم بالختان، وأغاروا عليهم في اليوم الثالث وقتلوا ذكورهم وسبوا نساءهم وأطفالهم ونهبوا ثروتهم، وأظهروا موافقة يعقوب على ذلك الخزي والعار كله!! إنه التبرير الديني لكل جرائم الفسق وسفك الدماء لغير جنسهم!!

والغريب أن النصارى قد قبلوا هذه الأسفار المفتراة على الله تعالى وأنبيائه على الرغم مما اشتملت عليه من هذه الأكاذيب والافتراءات، ولكن يظهر أنهم هم أيضاً وجدوا فيها ما يخدم أمرين أساسيين في نصرانيتهم الشائعة وهما أمر أو قضية تجسد الإله وإمكانية تحول رب العالمين سبحانه وتعالى مما يفترون علواً كبيراً إلى شخص يمكن أن يأكل ويجهل ويندم ويصارع..

وأمر أو قضية التأكيد على أن البشر جميعاً أصحاب خطايا ومفاسد وأنهم بحاجة لمن ينتحر من أجلهم لتغفر خطاياهم..

والإسلام يرفض كل هذه الافتراءات وينزه الله تعالى عن ذلك كله، كما يؤكد نقاوة وطهر وعصمة أنبياء الله ورسله من كل ما افترى عليهم.

وإذا كان من المتوقع كل هذا الكذب والافتراء من اليهود لتبرير جرائمهم في حق الأجناس البشرية الأخرى، فكيف يعذر النصارى أنفسهم في تصديق ذلك الكذب كله ويساقون معهم في ادعاء الأبوة والبنوة في حق الله سبحانه وتعالى!!!

فلاشك بأن شعب أو جنس كالجنس اليهودي قد خبرته أقطار الأرض من شمالها إلى جنوبها بانغلاقه على نفسه زعماً بأنه شعب الله المختار وأنه بذلك يحرص على نقاء أصله من التعرض للضياع بالإضافة إلى القيود المشددة في التحاق أحد بدينه من هذا المنطلق، ليدل دلالة قطعية وصريحة على الدوافع الحقيقية التي دفعت أحبارهم وعلماءهم للجرأة في الأصل على إدخال مثل هذه الافتراءات والأكاذيب في توراتهم على الله تعالى أولاً ثم على أنبياء الله ورسله ودون أن يسلم حتى رسل الله إليهم بل أبو كل أولئك الأنبياء والرسل ألا وهو إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام. أما مردود هذه الأكاذيب والافتراءات التي لم يترددوا حتى في الإقدام عليها في عهد الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم عندما حاولوا طمس حد رجم الزاني المحصن لينقذوا أحد زعمانهم فقد كان ظاهراً الدافع إليه من الخداع والكذب على الآخرين الذين يخشونهم لينالوا مأزباً محدداً منهم من مآرب هذه الحياة الدنيا التي لا هم لهم إلا الحصول عليها بعد أن قطعوا صلنتهم بالحساب يوم الدين حتى شطبوا ذكره في توراتهم!

وأما هذه الاستجابة المريبة من النصارى لأكاذيبهم وتحريفهم واستبدالهم لكلمات الله تعالى وآياته فما كانت لتحصل دون ما يحققه رجال دينهم من مآرب تبدأ بتحريف عقيدتهم التي يشير كل من تخلى عن دينهم بأن المدعو بولس الرسول والذي كان يهودياً حاقداً على السيد المسيح والنصرانية، وكان يبذل كل جهده ضدها، انه اندس في النصرانية ليبعدها عن التوحيد إلى التثليث والتجسيد، وأنه من خلال نشاطه المنقطع النظر قد نجح في ذلك..

مع أنهم مازالوا يتساعلون عن مصير يهوذا الاسخريوطي الذي وشى بالسيد المسيح، مما يؤكد على حد قول بعض علمائهم السابقين بأنه هو الذي صلب!!

فيا أمة الإسلام، أفيقوا من سباتكم والتفوا حول دينكم وأعيدوا خلافة إسلامكم
لتستحقوا النصر والعزة في دنياكم والسعادة والرضى من ربكم في أخراكم...

وبذلك انتهت دراسة كتاب (اليهود المعتدون ودولتهم إسرائيل)

والحمد لله رب العالمين

٥- ترجمة ودراسة كتاب
التاريخ اليهودي، الدين اليهودي ،
وزن ثلاثة آلاف عام

لمؤلفه

إسرائيل شاحاك
الوزير الإسرائيلي السابق

قام بالترجمة والدراسة

الشيخ الدكتور
محمد بن حامد حواري

تقديم

إن هذا الكتاب بفصوله الستة شاهد ناطق من أهله على نوعية هذه (الدولة اليهودية) التي أقامها الغرب وعلى رأسه بريطانية، في فلسطين ورعتها وما زالت ترعاها أمريكة الرعاية الكاملة من بعدها .

وإن كاتب هذا الكتاب، إسرائيل شاحاك، قد أراحنا إلى حد بعيد من عناء البحث عن الكثير من الحقائق التي أوردها فيه بشأن تلك (الدولة) وحقيقتها، وعقيدتها، عقيدة أرض الميعاد التي قامت عليها، وسياستها، سياسة التوسع في محيطها، وانغلاقها، وانغلاق مداها على نفسها ورفضها للآخر...

هذا ما يمكن رؤيته من الفصل الأول من الكتاب، وأما الفصل الثاني فإنه يقف سريعاً مع مسار التاريخ لتلك المجتمعات أو التجمعات اليهودية، وما مارسته على نفسها من سلطات هنا وهناك من تلك المجتمعات أو التجمعات اليهودية، وما مارسته على نفسها من سلطات هنا وهناك من بلدان العالم، ودور التلمود في ذلك منذ البداية سواء في العلاقة مع الذات أو مع الآخرين، وكيف كان الأبحار يلجنون للكذب والمواربة

في التعبير عما يعتقدون تبعاً لمدى قبولهم أو رفضهم من الآخرين، وكيف أن ذلك الخداع تعيش عليه (دولتهم) الآن.

وأما الفصل الثالث فإنه يُري كيف أن الكاتب لا يتردد في التصريح في مطلعته بأنه مخصص لوصف بنية العقيدة اليهودية،

مما يجعله أهلها في أكثريتهم قبل غيرهم، وكيف أن تلك العقيدة قد ابتعدت عن كونها في الأصل ديانة توحيدية وأصبحت تقر بوجود ونفوذ آلهة أخرى، وكيف أن النظام التلمودي القائم على تلك العقيدة قد تشدد عند التطبيق حتى استدعى التأويل للتخفيف من غلوائه .

وأما الفصل الرابع فإنه يتحدث عن تلك التطورات التي مر بها الشعب أو المجتمع اليهودي عبر العصور التاريخية، ويبين كيف يمكن التمييز بين أربعة مظاهر من ذلك الشعب أو المجتمع ..

ثم يقف مع ما أسماه بالملاح الرئيسية للديانة اليهودية الكلاسيكية أو التقليدية، ويبين ما كانت عليه تلك الديانة في بعض البلدان الأوروبية، وفي العالم الإسلامي، وما تعرض له أهلها من اضطهاد في الماضي والحاضر، ثم يقف مع فكرة اللاسامية قديماً وحديثاً، والرد الصهيوني عليها، وينتهي الفصل بدعوة اليهود للتصدي لماضيهم التوتاليتاري الاستبدادي وضرورة تطويره...

وفي الفصل الخامس لا ينسى الكاتب الإشارة إلى تلك القوانين والتشريعات اليهودية التلمودية ضد غير اليهود، وبالذات ضد (عرب إسرائيل) الآن، كما يسميهم، وما يتعرضون له من إساءة في المعاملة، ويشير الفصل أخيراً إلى مواقف اليهودية من النصرانية والإسلام

وفي الفصل السادس والأخير يشير الكاتب إلى المواقف السياسية التي تقتضيها تلك العقيدة التلمودية وتشريعاتها في الداخل والخارج ...

لاشك أنه كتاب من الأهمية بمكان بالرغم من قصره وتركيز مادته، مما يجعله يستحق الدراسة والإطلاع من قبل كل من هو غير يهودي أكثر ممن هو يهودي طالما كان الجهل بالديانة اليهودية شائعاً بين الطرفين ولاسيما في عقيدتها وتشريعاتها وتطبيقاتها .

المحرر

مقدمة غورفيدال

يتحدث هذا الكتاب اليهودي في مقدمة الكتاب هذه عن الخلفية التاريخية الأمريكية منذ عهد الخمسينات التي دعت لمساندة (إسرائيل) فيرى أن جون كيندي، الذي اسماءه بمؤرخ المناسبات والإشاعات قد أخبره بأن هاري ترومان، الذي أصبح رئيساً لأمريكا في تلك الفترة، كان منبوذاً أثناء حملة الترشيح للرئاسة الأمريكية عام ١٩٤٨م، من جميع الشعب الأمريكي، وأنه لم ينفذه إلا تلك الحقيبة بما فيها من مليوني دولار قام صهيوني أمريكي بتسليمها له أثناء وقوف القطار في محطة !!

إن الكاتب، وإن اعتبر هذا الأمر مجرد قصة هزلية حول ترومان وفساد السياسات الأمريكية، يرى أن محتوى تلك الحقيبة كان سبب اعتراف أمريكا السريع (بإسرائيل)، مؤكداً أن شراء الذمم (العالية) كانت سياسة اللوبي الصهيوني منذ القدم كما كانت السياسة الأمريكية بما يكتنفها من الفساد ...

وهاهو يؤكد هذا الفساد في خلفه الاعتراف السريع (بإسرائيل) كدولة من الاضطراب والإجرام طيلة هذه المدة منذ إنشائها، مع أن المأمول كان في نظر المهاجرين الصهيونيين، كما يقول، هو جعلها موطناً لجميع سكانها الأصليين من المسلمين والنصارى واليهود، مع سكانها القادمين من مهاجري أوربة وأمريكا من اليهود، وسكانها المعتقدين بأن يهودة والسامرة منحة لهم للأبد .

فأي سكان أصليين بجانب المسلمين غير أهل الذمة من النصارى واليهود الذين كانوا يساكنونهم تحت ظل الإسلام ودولته وشريعته؟ ثم من قرر هذا الحق لتكون فلسطين موطن مهاجري اليهود من أوربة وأمريكا غير قادة الغرب الذين وجهوا اليهود إليها ليتخلصوا منهم وجمعوهم في فلسطين كراس حربية لمصالحهم في أشد بقاع الأرض حساسية، إذ تفصل بين آسية وأفريقية وتشدهم إلى التاريخ؟ ثم من أعطاهم الحق بمنحة الله تعالى لهم فلسطين بشمالها وجنوبها، كما يسمونها لتكون لهم إلى الأبد؟ أهو التاريخ أو ربّ التاريخ؟ فإن كان التاريخ فهو بمسيرة أحداثه قد ألغى وجودهم من قبل، وإن كان ربّ التاريخ فقد جعلهم أفضل أهل زمانهم ما داموا على الطاعة والصلاح، فلما عصوا وفسقوا أحلّ غيرهم مكانهم؟

وإذا كان قيام (دولة إسرائيل) كما يشير الكاتب بصراحة قد شحن الحياة الفكرية والسياسية في أمريكا بالسموم بسبب الكثير من المنازعات في الرأي حول المساندة الأيديولوجية غير الإنسانية، والمالية غير المتوقعة، حتى قال بأن الأقلية اليهودية قد اختطفت المبالغ الضخمة من دافع الضرائب الأمريكي لتستغلها في فلسطين التي أسمتها (موطنها).. فكيف حصل ذلك وهي أقلية دينية نسبتها والسكان دون ٢%؟ وهنا نورد نمطاً آخر من أنماط الفساد في الذمم والمال، بأن ذلك اعتمد على شراء أو

تخويف ثلثي مجلس الشيوخ الأمريكي للتخلص من فيتو الرئاسة ضدهم! هذا بالطبع ناهيك عن الدعم الإعلامي لهم والذي يعرف القاصي والداني كيف يتحقق لهم.

أرادت السياسة الأمريكية أن توجد حاجزاً في فلسطين بالذات وساحل بلاد الشام ضد الشيوعية لتمنعها من الوصول لمنابع النفط في الجزيرة العربية وبلاد الخليج، فوجدته في (إسرائيل) اليهودية بشكل خاص وفي لبنان النصرانية، وفي تركيا عضو حلف الأطلسي بشكل عام، إذا استبعدنا الشاطئ السوري المتنازع عليه، وجدت في ذلك وبالذات في (إسرائيل) مبتغاهما، فأخذت تنفق عليها بلايين الدولارات، فماذا كانت النتيجة؟ إنها هذا الكره المتنامي للسياسة الأمريكية في المنطقة بل في العالم أجمع، ولاسيما بعد أن تكشفت إزدواجيتها، وبرزت أكاذيبها وإن كان مازال دافع الضرائب الأمريكي الضحية الرئيسة لذلك، ومازال اليهود الأمريكيون ضحية أكاذيب إرهابهم المحترفين سواء بالأمس من أمثال بيغن وشامير، أو اليوم من أمثال نتنياهو وشارون.

ويرى الكاتب بأن الأسوأ من ذلك كله هو نبذ الليبرالية من قبل الكثير من المثقفين اليهود الأمريكيين، وذلك من أجل عقد تحالفات شريرة مع اليمين المسيحي المعادي للسامية والضالع مع مجموعة البنتاغون الصناعية.. فكم كان حرياً بهم لو رفضوا تلك التحالفات وخلصوا اليهود ودافع الضرائب الأمريكي من هذا العبء الثقيل والكابوس الموهوم، ألا وهو (دولة إسرائيل) حامية الغرب ومصالحه دون الزحف الشيوعي!! ثم لمصلحة من تتحول هذه المنطقة العربية بل الإسلامية لتكون ضد أمريكا واليهود معاً، مع أنهم - أي اليهود - كانوا في أحسن حال في ظل الإسلام ودولته؟! ثم من هم هؤلاء المحافظون الجدد الذين يسيطرون على صنع القرار الأمريكي فيقعون في هذا التخطيط باعتبار كل من ليس معهم فهو عليهم أولاً ثم بالركض وراء الآخرين وبالذات أوربة لتتقدمهم من ورطة التفرد السياسي ثانياً، واعتبار أنهم يقودون حرباً صليبية أولاً ثم أن الإسلام ليس هو المقصود بالحرب على الإرهاب ثانياً ثم في صراحة بعضهم بأن الإسلام في صلبه هو مولد الإرهاب ثالثاً وأخيراً. ثم من هؤلاء الذين يصنعون القرار في (إسرائيل) وهم يقفزون فوق الحبال من الإصرار على العزلة اليهودية ورفض الليبرالية في أول عهدهم، إلى السير مع الليبرالية لموافقتها لاهتماماتهم وتطبيقها مع مصالحهم فيما بعد، وبخاصة منذ عهد بوش الأب؟!

صحيح أن اليسار الأمريكي قد انتقد هذه التحالفات اليهودية مع الراديكاليين البروتستنت لأنها قائمة على الانتهازية المخادعة، فكان جزاؤه الاتهام بأن رجاله (أعداء السامية) بل (اليهودية نفسها)!

يا لمهزلة توزيع هذا الاتهام وتصديقه من قبل العالم الغربي عامة!

وهنا يؤكد الكاتب لهذه المقدمة بأن صاحب هذا الكتاب الذي نحن بصدد دراسته النقدية، وهو إسرائيل شاحك، كان نموذجاً من أصحاب العقل الحي النشط في

(إسرائيل) وخارجها بتحليل سياستها البائسة أولاً وتفنيد مزاعم التلمود نفسه ثانياً وما جره الأحرار في سيطرتهم الدينية لمحاولة تحويل هذه (الدولة إلى دينية خاصة باليهود فقط أخيراً.. وكان المسألة هي في هذا التحويل وليس في وجود (الدولة) كجسم غريب في هذه المنطقة سرعان ما تلفظها ليعود اليهود أهل ذمة أعزاء بعد أن أصبحوا أهل دولة أعداء.

وإذا كان شاحك، كما يرى كاتب المقدمة، بأنه يرى الإسلام كما يرى غيره من الأديان : فيه من الأخلاط ما لا يمكن ترشيده وتطبيقه، وفيه من التناقضات في النصوص ما لا يمكن الجمع والتوفيق بينها، فماذا يرجي من أمثال نقده لليهودية كدين ودولة غير محاولة الإصلاح لما لا يمكن إصلاحه، جرياً على أسلوب تعبيره؟!

وإذا كانت (دولته إسرائيل) لم تتصد لنقده بتصفيته جسدياً، كما تفعل بعض أجهزة مخابرات العالم المدعو بالثالث، فإنها نبذته كبرفسور كيمياء متقاعد بعد أن نبذته كوزير في إحدى حكوماتها.

وإذا كان هذا الوزير المنبوذ قد استمر كما يقول الكاتب- إنسانياً في كتاباته، بكرهيته للإمبريالية والتمسار الاستبدادي لليهودية على حد سواء، فإنه استمر عقلياً في يهوديته برفضه كل ما يخالف العقل حسب تقديره ودرأيته مما كان فيها أو انضاف بفعل التلمود، وأحباره إليها، ومات مؤخراً دون أن يتخلى عنها.. وكما كان حرياً به لو أحسن دراسة الأديان المقارنة كعالم محايد ونزيه، وأنقذ نفسه من الموت على ديانة ملؤها الخطأ والظلم.. ولكن..

الفصل الأول

مجتمع مثالي مغلق؟

يبدأ الكاتب الفصل بالإشارة إلى أن هذا الكتاب جاء جزءاً من نشاطه السياسي كيهودي إسرائيلي مع أن كتبه بالإنجليزية خارجاً عن طريقة اليهود الإسرائيلية في تعصبهم لعبريتهم، مما يدل على أن معارضته الفكرية والسياسية كانت مستمرة منذ بدئها عام ١٩٦٦/٦٥، ومما يدل على أن نقده لم يبال به مادام في إطار يهوديته الإسرائيلية.

وأما ذلك الحادث الذي شاهده بعينه من رفض يهودي متدين مساعدة غير يهودي أصيب في حادث سيارة يوم السبت، وإقرار الأحرار في مجلسهم ذلك، فقد شكل هزة عنيفة له دفعته لدراسة القوانين التلمودية التي تحكم علاقة اليهود بغيرهم، ولا سيما أنها كما يقول ذات تأثير عميق على جميع جوانب الحياة السياسية الإسرائيلية

في (إسرائيل) والمهجر.. ولكن الأمر كله لم يتجاوز لديه محاولة إصلاح الخطأ دون تبديل جذري، مكتفياً بالترقيع لثوب خرق، وأنى يحقق أمثال ذلك مع كل نظام، وواقع لإيجاد المجتمع المثالي؟

فانظر إليه وهو يرى أن التمييز العنصري في (إسرائيل) منذ حرب الأيام الستة، وموقف أكثرية اليهود من رفض ما يسمونه بالحقوق المشروعة للفلسطينيين، بأنها قد دعمت القوانين التلمودية بقوة.. إنها محاولة منه لإصلاح الخطأ بترقيعه لا بتبديله بالصواب بإزالة أسباب ذلك من جذورها.

وها هو يقر ما أثر على الاستراتيجية لدى حكام (إسرائيل) عندما يصرح بأنه لا يتجاهل ذلك في نقده لسياساتهم، ولكنه يخشى عندما تسيطر هذه السياسة على اليهود أن تصبح شبيهة باللاسامية التي تحاربها (إسرائيل)، فكيف يخشى ذلك وهو يهاجم تجاهل وجود العنصرية ذاتها داخل (إسرائيل) وخارجها؟ لاشك أن مهاجمة العنصرية وما يبني عليها من تمييز يؤديان للبحث عن البديل الجذري مادام جزءاً لا يتجزأ من العقيدة اليهودية والتشريعات التلمودية وقرارات الأحرار، ولا يقفان عند مجرد النقد النظري المجرد.

وعند تعريف (إسرائيل) كدولة يهودية يرى أنها تشكل خطراً على نفسها وجميع اليهود وأهل منطقة الشرق الأوسط جميعاً، بل وأبعد من ذلك، ولكنه يساويها في الخطر مع كل الدول في المنطقة التي ترى نفسها عربية أو إسلامية، فما الذي يدعو إليه هذا الكتاب غير أن تزيل رئيسك ليثبت هو بدوره رئيسه؟!

صحيح أنه يهاجم ذلك القانون الدستوري الذي صدر عام ١٩٨٥م بأكثرية الكنيست، والذي رسخ مفهوم الدولة اليهودية عندما هيمن على جميع القوانين الأخرى ومنع أي حزبي يعارض ذلك أو يقترح تغييره بالطرق الديمقراطية كما يسمونها من المشاركة في الكنيست، ويقول بأنه قد منع من الالتحاق بأي حزب له نفس الآراء، وأن في ذلك دليلاً جازماً على عدم ديمقراطية (إسرائيل)، ولكن هل المشكلة تقف عند هذا الحد فينزعج صاحبنا لعدم ديمقراطية دولته؟ فأين هي هذه الديمقراطية في عالمها وبين أهلها غير تلك المعايير المتقلبة بين مصالحتها؟!

وعندما يرى أن خطر هذا القانون يأتي من تأثيره على السياسة الإسرائيلية الخارجية ولا يقف عند الداخلية، وأنه سيتضاعف بتركيز الشخصية اليهودية في (إسرائيل) وبزيادة قوتها النووية، فإنه ينبه الداخل والخارج إلى خطورة ما ينتظره إذا استمرت هذه (الدولة) في يهوديتها بحيث لا تقبل غير اليهود في مواطنيها.. فكيف تقبل ذلك وهو من صلب عقيدتها وتلمودها وقوانين مجالس أحرارها؟

وعندما يتشاعم الكاتب من زيادة تأثير اللوبي الصهيوني في السياسة الأمريكية فإنه يدعو للتدقيق في اليهودية ومعاملتها السينة لغير اليهود، ولكن هل أهمية ذلك

الحيوية والسياسية قائمة من مجرد سوء المعاملة تلك أم أن ذلك لا يُزال إلا بزوال سببه وهو وجود الدولة اليهودية المؤمنة بذلك ؟

وعندما يذكر التعريف الرسمي لمصطلح (يهودي) بأنه الشخص إذا كانت أمه أو جدته أو أم جدته أو جدة جدته يهودية الديانة، أو إذا تحول بنفسه إلى اليهودية بطريقة مقنعة للسلطات الإسرائيلية، وأنه لم يتحول إلى ديانة أخرى وإلا سقط اعتباره (يهودياً)، فإنه يذكر بأن قبيلة بيروقية قد تحولت إلى اليهودية فاعتبروا فوراً مواطنين إسرائيليين يستفيدون من ٧٠% من أراضي الضفة الغربية و ٩٢% من أراضي (إسرائيل) المخصصة لليهود فقط، بينما جميع غير اليهود من سكان (إسرائيل) يمنعون من هذه الاستفادة ولو خدموا في الجيش الإسرائيلي ووصلوا إلى رتب عالية، فعندما يذكر هذا التعريف يؤكد أن الحكومات الإسرائيلية ترتكب مخاطر سياسية كبيرة وهي تعمل على إخضاع المستوطنين اليهود وليس الإسرائيليين للسلطة اليهودية فقط .

ولكن ما هذه المخاطر التي تقوم على كذب وسائل الإعلام ؟

إنه يراها في الحروب وما يحتمل أن تجره من ويلات على (إسرائيل) وعندما يجد في تخفيف التمييز ضد غير اليهود، بحجة أن ذلك موجود في الدول النصرانية والإسلامية، وكان موجوداً في الشيوعية، فإنه يجد فيه مفهوماً غير عقلاني يجب إزالته، وعندما يزول يتحقق في نظر الكاتب التساوي في الحقوق بين مواطني الدولة ليس إلا ...

وعندما يدعو لإعلان التعريف الرسمي لليهودي ولغير اليهودي فإنه يريد كشف (دولة إسرائيل) في تمييزها بينهما لمصلحة اليهودي وذلك في ثلاثة أمور هامة هي : حق الإقامة، وحق العمل، وحق المساواة أمام القانون، لأن أنظمة الصندوق القومي اليهودي المنفق مع المنظمة الصهيونية العالمية تنكر حق الإقامة والعمل على غير اليهود لأنهم كذلك، وأن ذلك كما يقول لو طبق في أي دولة لا تعتبر لاسامية تستدعي الاحتجاجات الشعبية .. ولكن ما قيمة هذا الكشف ما دام التمييز قائماً على العقيدة اليهودية وتشريعات التلمود والأخبار التي لا يسمح بمناقشتها ؟ وأنه لا حل إلا بتجاوز التعديل للإصلاح إلى التغيير الجذري ...

وعندما يذكر أمثلة من التمييز في حق العمل فإنه يذكر منع التاجير لأرضهم للعرب، وعلى العكس من ذلك لغير اليهود أن يؤجروا أراضيهم لليهود، فإنه يؤكد مدى الظلم الذي تلحقه عقيدتهم اليهودية في تمييزها حتى بين المواطنين في (إسرائيل) إذا كانوا غير يهود ..

وعندما يتحدث عن قانون حق العودة الذي يعترف بحق اليهود فقط في الدخول والإقامة في (إسرائيل)، ويمنحهم فوراً أفضلية المواطنة والحصول على منافع مالية

كثيرة، كما يعطيهم حق التصويت في الانتخابات والانتخاب لعضوية الكنيست، فإنه يعود ويؤكد فداحة ظلم هذا القانون بحق المواطنين غير اليهود في دولتهم ..

وعندما يذكر الفرق بين الإسرائيليين الذين يغادرون الوطن لفترة ما وهم يستطيعون الهجرة طبقاً لقانون العودة، وما ينالونه عند عودتهم من منافع جمركية ومنح لأطفالهم في التعليم المدرسي، وقروض ميسرة لشراء شقق وغيرها، فإنه يبين الفرق بينهم وبين المواطنين غير اليهود الذين لا يحصلون على شيء من ذلك، فإنه يؤكد أن القصد من ذلك هو تقليل عدد غير اليهود لتكون (إسرائيل) دولة يهودية محضة إنها العقيدة اليهودية والتلمود وتعاليم الأحرار ..

وعندما ينتقل الكاتب إلى الحديث عن عقيدة أرض الميعاد فإنه يشير إلى ما تفعله (إسرائيل) من تقيين الأطفال في المدارس، إلى تقليل عدد غير اليهود فيها إن لم يكن تصفيتهم، ولاسيما بعد ما حصل عام ١٩٦٧م عندما اعتبروا بأنهم استعادوا أرضاً لهم .. هذا هو شأنهم فأين شأن أصحاب الأرض الذين أبعدها عنها، ولا نقول هزموا، بمكائد باتت يعرفها القاصي والداني؟ فهل من مستلزمات تلك شيء أهم من الكذب على الأطفال؟

فالمقصود من تلك العقيدة والترويج لها الآن، هو إبعاد جميع غير اليهود عن أرض فلسطين وجعلها خالصة لهم ... فليظمن دعاة السلام معهم بأنه مجرد طعم لإيقاف كل رفض لهم ولوجودهم حتى إذا ما استقر لهم المقام في المنطقة كلها بفعل المكائد والمؤامرات الداخلية والخارجية، وأصبحت لديهم القدرة المادية على استعادة ما تبقى من (أرض الميعاد) لم يترددوا في الإقدام على ذلك، كيف لا وهم يعتبرون هذه الاستعادة ذروة عقيدتهم .

واسمعوا ما يردد الصهيوني المتعصب فولتر لاکور في كتابه (تاريخ الصهيونية) من احتجاج غوردون أحد آبائهم المتطرفين عام ١٩١٩م على عدم استرجاع كل شيء فيما سماه بالوطن اليهودي ليكون حتى الشجر من زرع اليهود فقط ودون أن يشترك معهم أي غير يهودي مطلقاً ... إنها عقيدتهم يا طلاب السلام معهم !

وهاهو الكاتب يورد دليلاً آخر على ذلك من كون الكيبوتسات، وهي تجمعات يهودية زراعية، لاتقبل أي عضو من العرب فيها حتى لو كان من أنشأ الواحدة منها ملحداً غير مؤمن باليهودية والعقيدة اليهودية !

فالدعاية الإسرائيلية تركز على متطلبات الأمن، وهي في ذلك كاذبة لأنها مجرد أسلوب لفرض الوجود الذي لا ينتهي إلا بالاستيلاء على ما يسمونه (بأرض إسرائيل) .

وهاهو الكاتب يؤكد ذلك بما تخطه دولتهم من تهويد الجليل لتشجيع اليهود على الإقامة هناك ولاسيما بإعطائهم مكاسب مالية كثيرة، كيف لا والصندوق القومي اليهودي ينفق هناك وفي جميع (إسرائيل) بنشاط مبالغ ضخمة من أجل ما يسمونه

استعادة أي أرض يمكن شراؤها من غير يهودي ! فهل تعلمون ذلك يا دعاة السلام معهم أم أنكم تدفنون رؤوسكم في الرمال؟ أم هل تظنون بأنهم غير واعين على تكتيكاتكم؟!

وعندما يتحدث الكاتب عن عملية التوسع الإسرائيلي فإنه يؤكد أنها جزء من متابعتهم الدؤوبة لتطبيق عقيدتهم، وأن الحروب التي يخوضونها جزء من ذلك، وأن عام ١٩٦٧ يشكل فترة فاصلة في نجاحهم في ذلك، مما ضاعف التمسك بالأيديولوجية اليهودية وقلل من غيرها .. فلا هنيئاً ولا مريئاً لطلاب السلام معهم ولمن أعطاهم تلك الفترة الذهبية في سعيهم للتوسع !!

صحيح أن الكاتب يهاجم سياسة التوسع هذه على اعتبار أنها استعمارية، وأنها قائمة على تلك العقيدة اليهودية سواء في حق المتدينين أو العلمانيين الذين يزعمون بالحقوق التاريخية لليهود، لأن هذا الزعم راجع إلى نفس تلك العقيدة، ولكن أين الإنكار لتلك العقيدة وتشريعاتها بطرح البديل لها؟ أم أن الأمر مجرد نشاط سياسي مذهري؟

وانظروا لهذا الشاحك وهو يتحول من الإعجاب ببن غورنون إلى خصمه المتعصب بيغن عندما أعلن الأول في اليوم الثالث من حرب السويس عام ١٩٥٦ بأن السبب الحقيقي منها هو استرداد مملكة داود وسليمان إلى حدودها التوراتية مع أنه أي بن غوريون، كان كما يقول ملحداً ! وماذا فعل أعضاء الكنيسة أمام هذا الإعلان؟ لقد وقفوا ورددوا النشيد الوطني الإسرائيلي.. فهذا هو الهدف الحقيقي لكل زعماء (إسرائيل) المتدينين والمليدين، فهل أدرك طلاب السلام معهم ذلك؟

وعندما يؤكد هذا الكاتب بأنه لا يوجد سياسي صهيوني واحد يرفض فكرة بن غوريون، وأن جميع السياسات الإسرائيلية الخارجية قائمة على العقيدة اليهودية، وأن أي نظر لغيرها يجعل تلك السياسات مبهمة .. فليعرف ذلك من يزعمون أنهم أصحاب القضية ممن يطلبون السلام معهم ..

ويعود الكاتب ويؤكد بأن الاختلاف بين الصهاينة المتدينين والعلمانيين هو مجرد الاختلاف في السبب وليس في النتيجة، فهؤلاء يرون ضرورة تأجيل الغزو حتى تكون (إسرائيل) أكثر قوة لكي لا تتراجع عما استولت عليه، أو أن يتحقق ما يسمونه بالفتح السلمي عندما يتنازل حكام العرب أو شعوبهم عن الأرض موضع النزاع مقابل منافع تقدمها الدولة اليهودية لهم ... فالاختلاف بينهما قائم على التعجل في تقدير القوة الذاتية والظرف الخارجي ولا علاقة له بلزوم ما يسمونه باسترجاع الحدود التوراتية لدولة (إسرائيل)، فهل عرفتم يا دعاة السلام ذلك ولم تغرّم أكاذيب العلمانيين منهم؟!

وقفوا وتدبروا النسخ العديدة المتداولة التي تبين حدود (أرض إسرائيل التوراتية) حسب تفسير مجالس أحبارهم، والتي ترى أوسعها حدوداً بأنها تشمل في الجنوب جميع سيناء وقسماً من شمال مصر حتى ضواحي القاهرة، وأنها تشمل في

الشرق جميع الأردن وشريطاً واسعاً من السعودية وجميع الكويت وقسماً من جنوب العراق، وأنها تشمل في الشمال جميع لبنان وجميع سورية وقسماً كبيراً من جنوب تركيا، وأنها تشمل في الغرب جميع قبرص .

فهل تريدون المزيد يا دعاة السلام معهم ؟ إذن إعلموا بأن الدراسات والبحوث العربية بشأن هذه الحدود تدرج في أطالسهم وكتبهم ومقالاتهم ودعايتهم الشعبية، وكلها مدعومة بالمنح الحكومية ولا يترددون في نشرها في (إسرائيل)، فهل هذا إلا أكبر دليل على جدية ما يسعون له من التوسع أم هو مجرد تكتيك للتخويف فقط يا دعاة السلام!؟

واعلموا بأن حركة جوش أمونيم وغيرها من الحركات يعتبرون تلك الحدود من الوصايا الإلهية، ويصرون على توقع نجاح غزوها بحجة أن الله سيؤيده .

واعلموا أن الشخصيات اليهودية المتدينة تستنكر رفض (إسرائيل) خوض تلك الحرب (المُقدّسة) وتعتبر إعادة سيناء من الخطايا التي عاقب عليها الرب، كما تعتبر فشل (إسرائيل) في احتلال لبنان عام ٨٢-١٩٨٥ عقوبة إلهية !

هذه هي العقيدة اليهودية التي تضبط السياسة الإسرائيلية في الداخل والخارج، فلا تخدعوا يا دعاة السلام أنفسكم في الظن بهم خيراً !

وهل تراهنون على ما يسمونه (الحدود التاريخية) التي يقول بها من يسمون بأصدقاء العرب من العلمانيين اليهود بعد أن رأيتم أنه لا فرق بينها وبين (الحدود التوراتية) في النهاية ؟ إنهم يراهنون على الحرب العملية التي تنطلق بها (إسرائيل) من قدرتها على استرجاع (أرض إسرائيل) وأنهم يرون أنها الآن ضعيفة جداً لاسترجاع جميع أرضهم المزعومة كما يرون أن خسارة حياة اليهود أهم من احتلال الأرض ..

واسمعوا شارون وهو يقترح على الليكود (قبل أن يتخلى عنه ويشكل حزباً جديداً) بأن يتبنى في ميثاقه عام ١٩٩٣م بأن على (إسرائيل) أن تلتزم بمفهوم (الحدود التوراتية) كسياسة رسمية، فحصل ذلك ولم يعترض عليه إلا القليل دون أن يسأله أحد عن مدى تلك الحدود ..

إنكم يا دعاة السلام ترون في قوة شارون السياسية حتى الآن الاحتمال الوحيد لتحقيق السلام مع هذا الكيان الغريب في المنطقة لا بدافع الإيمان أو الواقعية وإنما بدافع خارجي يعرفه سادة واشنطن ...

وأما أولئك اليهود الماركسيين العلمانيين فإنهم جزء من (الحياة اليهودية) التي يرون أنفسهم قادة لها من خلال منظمات يهودية ينتظمون فيها، ويظن دعاة السلام بأنهم جبهة المعارضة للسياسة الإسرائيلية، وما هم في الحقيقة إلا الوجه الآخر من العملة الإسرائيلية ..

واسمعوا ما يقوله جنرال الاحتياط شلومو غازيت، الذي تولى إدارة المخابرات العسكرية في فترة ما من (إسرائيل)، والذي يتحدث عن استراتيجية (إسرائيل) التي لا تقوم على (الأيدولوجية اليهودية) وإنما على اعتبارات إمبريالية : إن سقوط الاتحاد السوفييتي لم يغير واجب (إسرائيل) نحو العالم العربي والإسلامي الذي تعيش في وسطه، بل فرض عليها أن تحمي استقرار جميع الأقطار المحيطة بها والحكومات القائمة فيها، وأن تمنع أو توقف عمليات إزالتها، وأن توقف توسع ما أسماه بالحماس الديني الأصولي، وأن تمنع لتحقيق هذا الهدف جميع التغييرات خارج حدودها ولو اضطرت لاستخدام جميع قدرتها العسكرية !!

فماذا تريدون يا دعاة السلام من استراتيجية هذا شأنها وهي تسعى للسيطرة على دول المنطقة ببذل كل جهودها الحربية لاستقرار الحكومات العربية؟! وحماتها ضد جميع مساعي التغيير والإصلاح الحقيقي؟ وأما الإصلاح الشكلي فهي تدعّمه لما فيه من استقرار في المنطقة !

واسمعوه وهو يقول بأن حكومات المنطقة كانت قد انهارت منذ أمد بعيد لولا سندها من (إسرائيل) من خلال لعبة التهديدات الإسرائيلية!! فهل هذا القول مجرد رياء وتفاجر أم أن النفاق هو الضريبة التي تدفعها الرذيلة للفضيلة، كما قال أحدهم، فيرد عليه شلومو غازيت بأن استرجاع الأرض (اليهودية) هو محاولة لتجنب دفع هذه الضريبة .

فماذا تنتظرون يا دعاة السلام من هؤلاء العلمانيين؟

ويعود الكاتب ليرى بأن أخطار سياسات بن غوريون وشارون المدعومة من (الأيدولوجية اليهودية) هي أسوأ بكثير من السياسات الإمبريالية... وكأننا لا خيار لنا في نظر الكاتب غير الاختيار بين أهون الشرين، إن جاز التعبير هنا! فإما أن تقبل المنطقة المحيطة (بإسرائيل) بوجودها على أساس العقيدة اليهودية التوسعية وإما أن تكثفي بالأخذ بنظرية ما يسمونه بالحقوق التاريخية القابلة للتأويل والتعديل، وأنه بالتالي لا مجال لأهل هذه المنطقة بل العالم الإسلامي أجمع أن يفكر بإزالة هذا الكيان الدخيل من الأساس !

وعندما ينتقل الكاتب للحديث عن كيفية التخلص من تأثير العقيدة اليهودية على الكثير من اليهود يرى أن في عرضها للمناقشات العامة قد يقود الشعب للتصدي للتعصب الوطني الذي يعتمد على العنصرية واللاسامية . ويرى الكاتب بأنه لا بد من العرض الواسع لجذور اللاسامية التاريخية كأساس للكفاح ضدها ...

فلماذا يدعو الكاتب لعرض تأثيرات العقيدة اليهودية وجذور اللاسامية التاريخية للمناقشات غير محاولة الإبقاء على وجود (إسرائيل) الدائم في المنطقة وذلك

من خلال إزالة ما يراه أسباب حوار الأسس القائمة عليها من رفض الآخر والانغلاق على الذات...

فليتنبه لذلك المخدوعون بالعلمانية اليهودية ودعاتها ...

وعندما انتقل الكاتب للحديث عن المجتمع اليهودي المغلق المثالي رأى الصواب في مقولة سير توماس مور التي ترى الإفلاطونية في السياسة الإسرائيلية القائمة على العقيدة اليهودية، والتي ترى الميكافيلية في السياسة الأخرى القائمة على الاعتبارات الاستراتيجية المحضة ...

ولكنه يذكر بأن أفلاطون قد التقى مع مور في تقديس استخدام القوة والخداع اللذين اعتذر ميكافيلي عن طريقة استخدامهما، وكان من شرطهما استخدام الأمرين لدعم جمهوريتهما الفاضلتين .

فشلومو غازيت الذي يرى بأن موقف (إسرائيل) يفيد الحكومات العربية يختلف مع بن غوريون الذي لم يدع بأن إعادة ملكة داود وسليمان سيفيد غير الدولة اليهودية، وهكذا تضارب موقف العلمانيين فيما بينهم .

صحيح أن مفاهيم الإفلاطونية تلتقي مع سياسات العقيدة اليهودية كما يقول الحبر موسى حداس الذي يرى بأن أسس الديانة اليهودية الكلاسيكية أو التقليدية بناها حكماء التلمود على الإفلاطونية، وبالذات صورة إسبرطة كما رآها أفلاطون، ذلك لأنه يرى أن السلوك الإنساني يخضع للمقدسات الدينية الخاضعة لتلاعب الحاكم..، ويقول بأن كل إنسان بحاجة إلى مسؤول من فوقه وأن التفكير للإقدام على عمل سواء كان جدياً أو هزلياً لا يقف عند المسؤولية الفردية، ذلك كما يقول لأن المرء يعيش دائماً في السلم والحرب وعيونه على مسئوله الأعلى، الأمر الذي يفرض تدريب العقول على العمل الجماعي لا الفردي ..

ولكن ما قيمة هذا اللقاء بين الإفلاطونية والسياسات الإسرائيلية المبنية على العقيدة اليهودية ؟

يرى الكاتب أن الجواب لهذا التساؤل يتحقق باستبدال كلمة (حبر) بكلمة (مسئول) وغيرها سنرى الصورة التامة للكلاسيكية اليهودية والتي ستبقى المؤثر العميق في المجتمع الإسرائيلي وفي السياسات الإسرائيلية .

فالأمر كله في نظر الكاتب هو التسليم بوجود هذا الكيان الغريب، والعمل على إصلاحه بتخليصه من كل ما يعرضه للخطر .. ولهذا نراه يتحدث عن كارل بوبر ووصفه للمجتمع المغلق في كتابه (المجتمع المفتوح وأعداؤه)، وأن اليهودية التاريخية ووريثتها الأرثوذكسية اليهودية مع الصهيونية هما العدو الأكيد لمفهوم المجتمع المفتوح المعمول به الآن في (إسرائيل) ، وهو بهذا يدعو للحد من الأرثوذكسية اليهودية بتطوير تشريعاتها بما يتناسب مع الليبرالية والمجتمع المفتوح، كما يدعو

للحد من نفوذ النظرة الصهيونية العدوانية ..
ذلك أنه يرى أن إقامة الدولة اليهودية على اليهودية المعاصرة أو على أفكار
الأرثوذكسية اليهودية لن تستطيع أن تكون مجتمعاً مفتوحاً .

وينتهي بهذا الفصل ليرى أن المجتمع الإسرائيلي- اليهودي يواجه خيارين :
أحدهما أن يكون مغلقاً بشكل كامل ويصبح غيتو محارباً، كما كانت إسبرطة،
بحيث يدعم هذه الإسبرطة اليهودية عمل الأقتان العرب، كما يقول، كما يحافظ على
وجودها نفوذ اللوبي الصهيوني في أمريكا وعلى إدارتها السياسية، كما يحافظ عليها
من خلال تهديداتها باستخدام قوتها النووية،

وثانيهما أن تعتمد (إسرائيل) على ماضيها اليهودي، وعلى الوطنية المتطرفة،
على الانغلاقية اليهودية، وعلى مواقف اليهودية من غير اليهود ..

فهذان الخياران الواقعيان اللذان يفرضهما الواقع الإسرائيلي - اليهودي، هما
اللذان يعتبر كل منهما حلاً من الداخل، فأين الإصلاح الذي دعا إليه الكاتب طيلة هذا
الفصل بتطوير اليهودية في عقيدتها وتشريعاتها لتصبح ليبرالية، ويصبح المجتمع
منفتحاً بدلاً من هذا الانغلاق القاتل؟ أم أنه يشرّح الواقع بمرارته !

ثم إذا كانوا يعتمدون على تأثيرهم على الإدارة الأمريكية، فهل هي إطارناً
حسب مقتضيات المصلحة التي ما أسرع ما تتغير عندما يوجد من يهددها تهديداً
حقيقياً؟

الفصل الثاني

التحامل والمواربة

كان لكلمة يهودي، كما يقول الكاتب، معنيان مختلفان، فهي من جهة تعني
الهوية الدينية الذاتية، ومن جهة أخرى تعني الشخص المنغلق على نفسه المنفصل عن
غيره في جميع شؤون حياته .

فإذا كان المعنى الأول مقبولاً لارتباطه بمعتقد الشخص ودينه فلا يمكن أن
يكون المعنى الآخر مقبولاً طالما كان اليهودي يعيش مع غيره في مجتمع متعدد
الديانات . وأما الزعم بأن اليهودي من جنس فوق الأجناس، وأنه من السمو بحيث
يكون كل من غيره خدماً بل عبداً له، فإن هذا الزعم الذي جعله ينغلق في مجتمعه عن
المجتمعات الأخرى لدرجة أنه لا يشرب كوب ماء في بيت غير اليهودي، هذا الزعم
ليس إلا من باب التعصب العرقي المتعالي المرفوض من الشعوب والأمم والمجتمعات

الأخرى، وهو بالطبع من باب التحامل على الآخرين واللجوء بالتالي إلى الخداع والموارية في التعامل معهم طالما يشعر الفرد منهم أو الجماعة أو المجتمع بالخطر ممن حوله أو ممن يعيشون معهم .

ولكن هل استمر ذلك طويلاً بعد أن كان راسخاً عام ١٧٨٠م؟

لقد أخذ ذلك في التطور في أوربة بدءاً من هولندا وانجلترا، ومروراً بفرنسة الثورة والأقطار التي سارت على نهجها، وسيراً مع الملكيات الحديثة في القرن التاسع عشر .

فماذا حدث لليهود في ذلك التطور ؟

لقد كسبوا، كما يقول الكاتب، الكثير من الحقوق الفردية، وفي نفس الوقت أخذت سلطة المجتمع اليهودي الشرعية تنحسر إن لم تتدمر عن أعضائه .

فكيف سار هذا التطور في المجالين الفردي والمجمعي ؟ لقد كانت محاكم الأحرار في عهد الإمبراطورية الرومانية توقع العقوبات الشديدة على الأفراد، وكانت البلدان التي يعيشون فيها تسمح لهم بذلك بل تشجعهم، وكانت كل من أسبانية وبولندا نموذجين مهمين لذلك، وكانت البلدان التي يدين سكانها بالانصرانية كتلك التي يدينون فيها بالإسلام .

ويرى الكاتب بأن نظرة في الأرشيف الإسباني في القرنين الثالث عشر والرابع عشر تظهر كم كان ملوك كاستيلا وأرغون الكاثوليك متعاونين مع الأحرار اليهود في وجوب مراعاة السبب من اليهود .

ولكن لماذا ؟

ذلك لما يجره لهم من المكاسب المالية إذ كانت تسعة أعشار الغرامة التي يفرضها الأحرار تعود إلى الملك، كما يقول الكاتب .

وكان اليهود قد منحوا بعض الحقوق الفردية في النمسة، وكانت في اضطراب حتى فقدت سلطات مجالس الأحرار القدرة على معاقبة المذنبين، مما أدى إلى تراخي الأفراد في التزام الطقوس الدينية .

إن هذا الإلزام القسري بطاعة الأحرار تحت التهديد بالعقوبات ما أسرع ما أخذ يتلاشى مع تنامي الحقوق الفردية، وأخذت معه ممارسة الطقوس الدينية تتلاشى، مما يدل على ضعف الالتزام الفردي أصلاً بالديانة وطقوسها، ومما جعل دولتهم (إسرائيل) تراعي العلمانيين الملحدين فتعتبرهم يهوداً بالرغم من أنهم لا يؤمنون باليهودية ..

لقد كان ذلك التطور أهم واقع اجتماعي يهودي قبل ظهور الدولة الحديثة التي فقد فيها المجتمع اليهودي جميع سلطاته سواء لمعاقبة الفرد أو تخويله، وبذلك تعرض مجتمعه المنغلق الاستبدادي للانفتاح والحرية ...

فما هذه السلطة التي كانت تستبد بها مجلس الأحرار، والبيت كانت تفرض على الأفراد بالقسر المادي ؟ إن صحة الإيمان بالعقيدة اليهودية، لو كان لها وجود في حياة الأفراد، لما تعرضت للضعف والتراخي والتلاشي عند رفع الإكراه من الأحرار عنهم...

ثم إن عملية تحرير الفرد اليهودي كانت في الغالب من الخارج وإن وجد القليل من اليهود الذين ساعدوا في ذلك . والمهم أن هذا التحرير قد حقق نتائج مذهلة في المستقبل .. فما هذا التطور في الديانة والتزام الأفراد بها ؟!

وفي مثال ألمانية يؤكد تايلر بأن الحقوق الفردية والمساواة أمام القانون قد جلبتها جيوش الثورة الفرنسية و نابليون، فكانت حرية غير ألمانية .. وسهل تنقلها بين اليهود لتستخدم لمصلحة اليهودي ولاسيما عندما يستخدمها العرب ..

فماذا كانت النتيجة ؟

لقد أدى ذلك إلى تاريخ يهودي مخادع وعاطفي ومغرق في الرومانسية، مما جعل حنا أرندت يتجاهل تماماً الحديث عن الاستبداد واليهود في كتاباته الكثيرة، فغابت الصورة الحقيقية التي كان يملكها المجتمع اليهودي في ألمانيا في القرن الثامن عشر، ولا سيما مع حرق الكتب واضطهاد الكتاب .. مما يدل على مدى إهمال اليهود والمجتمع اليهودي في ذلك البلد .

وعندما يحاول أي باحث، كما يقول الكاتب، أن يجد شيئاً من الحقائق الأولية في التاريخ اليهودي المدون بالإنجليزية فإنه لا يعثر على شيء بشأن التصوف أو الروحانية اليهودية التي تظهر حالياً لدى بعض الأوساط اليهودية، ولكنه يجد شيئاً ممن يشبه ذلك لدى غير اليهود الذي يعتبرونهم كأيدي وأرجل إبليس، كما يجد ما يسمونه بالأرواح اليهودية لدى من يتحولون لليهودية من غير اليهود .. ويقولون بأنك لك الأرواح قد فقدت عندما دنس إبليس ما يسمونه بالسيدة المقدسة في مسكنها السماوي .. ويقصدون حواء عليها السلام عندما وسوس إليها إبليس لتأكل من الشجرة المحرمة فاستجابت لوسوسته مما يعتبرونه تدنيساً لعفافها أو لعرضها فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون...

ويرى الكاتب أن عملية تحرير الفرد الحديثة قد جعلت اليهودي حراً يفعل ما يريد في إطار القانون المدني لبلده، ودون أن يفرض عليه التحول إلى ديانة ذلك البلد، كما تمتع بحرية تعلم وقراءة الكتب بلغات حديثة، وحرية قراءة وكتابة الكتب بالعبرية دون أن تعتمد من الأحرار ومجالسهم، وحرية أكل أي طعام غير محرم، وحرية تجاهل الكثير من الأفكار المحرمة التي تنظم الحياة الجنسية، وحرية التفكير الذي كان من أكبر الآثام، فكل هذه الحريات نالها يهود أوربة من الحكومات الحديثة فيها .. وكل ذلك يدل على مدى الاستبداد الديني والقسر العقائدي التي كان يمارسها الأحرار على اليهود في مجتمعاتهم قبل ذلك .

فلو نظرنا إلى نموذج روسية وما كانت عليه في عهد نيكولاس الأول، الذي اشتهر بلاساميته، لوجدناه يصدر القوانين العديدة ضد اليهود، وفي نفس الوقت يفرض سلطة القانون في بلده بالشرطة السرية والنظامية والدرك، مما أبعد إمكانية قتل اليهود بأمر أبحارهم بينما كان ذلك في منتهى السهولة عام ١٧٩٥م في بولندا ... ففي هذا الفعل تطور لتلاشي القسرية الدينية كما يقول الكاتب .

صحيح إن الحبر (المقدّس) تزايدت قد أمر بإعدام مهرطق في أوكرانيا بالقائه في ماء يغلي من الحمامات، ولكن المراجع اليهودية المعاصرة استنكرت ذلك الفعل الشنيع .. فهل هي عقوبة إلهية أو مزاجية حتى تتدخل بها التقديرات البشرية فتستنكرها وتلغيها ؟ يظهر أنها في الحالتين سواء طالما يعطي الأبحار أنفسهم الحق في تعديل وتبديل وإلغاء الأوامر والقوانين الإلهية مثلها مثل المزاجية العقلية .

وحيثما ننظر إلى حكومة مترنيخ النمساوية، كما يقول الكاتب، نجدتها مبغضة لليهود قبل عام ١٨٤٨م، ولكنها لم تكن تسمح بقتل الناس بالسّم مهما كانوا متحررين من اليهودية، وأما عندما ضعفت سلطة الحكومة في ذلك العام أعدم قادة المجتمع اليهودي حبر مدينة ليمبرغ بالسّم لأنهم اعتبروه مهرطقاً .

فما هذه السلطة التي يمارسها من يسمون بقيادة أحياناً وبالأبحار أحياناً أخرى وبمجالس الأبحار أحياناً ثالثة ؟ فكان سلطة رعاية المجتمع اليهودي ليست بيد حكومة ولا دولة، لأن مثل ذلك لا ترد في أدبياتهم، وإنما بيد مثل تلك الفئات! وهل لمثل تلك الشخصيات وجود ونفوذ في (إسرائيل) الآن أم أنهم مجرد شخصيات دينية لها حق التوجيه في مدارسهم ومجالسهم دون أي أثر أو تأثير في الحكومة الإسرائيلية التي يسمونها باليهودية مع أن بعض وزرائها إن لم يكن الكثير منهم علمانياً ملحداً لا يؤمن باليهودية ؟

دعوهم يزوروا اليهودية كما زوروا من قبل هي وتاريخهم الحافل بالأكاذيب والأباطيل والخداع !!

وعندما يعود الكاتب ليستوفي الحديث عن تحرير الفرد اليهودي وبالتالي المجتمع اليهودي من الخارج فإنه يكرر اضطراب معنى كلمة (يهودي) خاصة في الأقطار الناطقة بالإنجليزية، وأما في أقطار أوربة الشرقية وفي العالم العربي فإن اليهود، كما يقول الكاتب، قد تحرروا من استبداد ديانتهم ومجتمعاتهم وذلك بفعل قوى خارجية جاءت متأخرة بسبب تأخر التغيير الاجتماعي الداخلي هناك الذي جاء بعد سقوط الاتحاد السوفييتي واستبدال النظام الاشتراكي الشيوعي بالرأسمالي الديمقراطي...

فما هذا الذي يسميه الكاتب بالاستبداد الديني والمجتمعي أم أن عقيدة فصل الدين عن الدولة التي أطلقت حرياتهم الأربعة : حرية العقيدة، وحرية الرأي، والحرية

الشخصية، وحرية التملك .. هي التي أنزلت بركات الحرية والتخلص من الالتزام الديني
فردياً ومجتمعياً ؟

ويشير بعدها الكاتب إلى الحال في (إسرائيل)، وكيف أن مفهوم المجتمع
العراقي أي المغلق والرافض لغير اليهود هو القائم فيها وبالذات بحق غير اليهود
وبحق تزييف التاريخ في آن واحد، مؤكداً أن ذلك لا يستثني يهود اليسار والشيوعية...
فبئس ما هو عليه هذا الكيان الدخيل في يمينه ويساره، وليهنأ يساريو العرب (برفاقهم)
الذين درجوا على الثناء عليهم أي على يساريي اليهود المبعوضين لعنصريتهم
وتعصبهم الوطني، والذين يرون المصلحة اليهودية فوق كل اعتبار، والذين يدعمون
التمييز ضد غير اليهود .

ويعود الكاتب لرفض الشعارات المبنية على الجهل أو النفاق، وتأكيد أن كلمة
(يهودي) تتحدث عن فئتين مختلفتين هما أصحاب الشمولية التقليدية من ناحية،
وأصحاب أفكار كارل بوبر التي تدعو للمجتمع المفتوح من ناحية أخرى.. فما قيمة
وجود مثل هاتين الفئتين إذا كان دعاة المجتمع المغلق يلتقون مع دعاة المجتمع
المفتوح في الحرص على عنصرية اليهودية ورفض الآخرين مهما تظاهر الطرف
اليساري بعكس ذلك، كما يرى الكاتب . وهاهي سياسة حزب العمل اليساري في
(إسرائيل) التي اجتمعت في ائتلاف حكومي مع حزب الليكود اليميني لمدة قبل أن ينفرد
العقد بينهما، إنها مثال حي على أكذوبة اليسار اليهودي إذا طرحنا جانباً اليسار العربي
الواهم بأنه يعمل شيئاً لنفسه وعربيته وما هو في الحقيقة إلا استكمال لديكور ما
يسمونه بالديمقراطية الإسرائيلية !

وأما تلك (الميزات الشخصية اليهودية) التي ينسبها دجلاً المثقفون الغربيون
للإهود فهي كما يقول الكاتب ميزات مستحدثة لم يعرفها التاريخ اليهودي .. فالفكاهة
والدعاية محرمة في الديانة اليهودية باستثناء النكت ضد الأديان الأخرى، وهجاء
الأخبار وقادة المجتمع لا وجود له في الديانة اليهودية، كما كان في النصرانية اللاتينية،
والملاهي اليهودية لم يكن لها وجود...إنها التشدد في رفض كل ما يدعو الفرد
اليهودي للدعة والترف، والإبقاء على عنفه وشدته ليحمي وجوده من الفناء، فهم كما
يقول الكاتب كحال إسبرطة الإغريقية ولنفس السبب . فهل هذه هي الديانة اليهودية أم
أنه التزييف والتزوير الذي دأبوا عليه !؟

وحب التعلم كان محصوراً في التعليم الديني الصرف، وكان مزريراً منحطاً في
أوربة على حد تعبير الكاتب، وكانت الأقسام الكبيرة من العهد القديم، وجميع الشعر
العبري غير الديني، ومعظم كتب الفلسفة اليهودية، لاتقرأ بل كانت ملعونة كما كانت
دراسة جميع اللغات محظورة كحظر دراسة الرياضيات والعلوم، وكما كانت دراسة
الجغرافية والتاريخ اليهودي مجهولة تماماً، وكان الحس النقدي مفقوداً بين اليهود بل

كان ممنوعاً ومحل خوف واضطهاد ، فكان اليهود غارقين في الخرافة والتعصب والجهل حتى أنكروا كبار الأحيار وجود قارة أمريكا ورأوا مستحيلة الوجود ...

فهل كل ذلك الذي كان شائعاً فيهم قبل عام ١٧٨٠م إلا دليل على نوعية المجتمع اليهودي المغلق، والذي نجد العدد الكبير من اليهود المعاصرين يحثون بشدة إليه وهم يرونه فردوسهم المفقود، ومجتمعهم المغلق المريح، بل تحاول الصهيونية استعادته؟!

ويرى الكاتب بأن دوافع كثيرة تكمن خلف السياسات الإسرائيلية فترتك (أصدقاء إسرائيل) الغربيين، إنه يمكن تفسيرها بسهولة كرد فعل بسيط للمفهوم السياسي الذي حملته كلمة (يهودي) في القرنين الأخيرين، إنها العودة الإجبارية المبتدعة والمخادعة إلى المجتمع المغلق للماضي اليهودي ...

فهل هذا إلا التعصب العرقي الذي يرفض الآخر ويريد العودة بكل أساليب المكر والتحايل والخداع إلى المجتمع اليهودي المغلق، فهل هذا هو المجتمع الذي تريدون السلام معه يا دعاة السلام؟ فمتى تفيقون من سباتكم وترون الحق والحقيقة بدلاً من الإصرار على دفن الرؤوس في الرمال بدافع اليأس والخضوع للواقع؟!

وعندما ينتقل الكاتب للحديث عن (عقبات للفهم) يبدأ بالهجوم على المثقفين الذين كانوا بالأمس أدوات لفتح المجتمع فإذا بهم اليوم أدوات خيانة للمجتمع وخداع وانحطاط بدعوتهم للمجتمع المنفتح للعودة للشمولية السابقة والانغلاق .

فبعد أن كان المجتمع اليهودي مغلقاً يحرم على نفسه أي وصف لذاته وأي شكل من أشكال التحليل النقدي انفتح قليلاً بفعل مجموعة من المثقفين الليبراليين، ولكن الكثير من هؤلاء المثقفين وغيرهم قد انتكسوا للعودة بالمجتمع اليهودي إلى ما كان عليه من الاستبداد والانغلاق، مستخدمين نفس الوسائل السابقة من فلسفة وعلوم وتاريخ واجتماع في العمل لهذه العودة الرجعية، كما يقول الكاتب،

ذلك أن اليهودية التقليدية لا تتم بوصف ذاتها كدراسة نقدية لأعضاء مجتمعها بغض النظر عن مدى علمهم بالدراسات التلمودية، مما جعلها تتوقف عن كتابة التاريخ اليهودي بالأسلوب التحليلي منذ نهاية القرن الأول وحتى عصر النهضة عندما انتعشت لفترة قصيرة في إيطاليا وفي أقطار أخرى تحت التأثير الإيطالي القوي .

إن الملاحظ في مسار المجتمع اليهودي من مغلق إلى منفتح إلى محاولة إعادته للإغلاق إلى محاولة دفعه في الانفتاح أنه كان في ذلك كله تحت تأثير الأحيار ومجالسهم المتحكمة فيه، إذ كانوا يخشون من كتابة التاريخ اليهودي لأن ذلك يكشف عن سيئاتهم ويفضح شناعاتهم .

وفي القرن السادس عشر ظهر أول كتاب بالعبرية تحدث عن تاريخ ملوك فرنسا والعثمانيين، ثم تبعه بعض كتب التاريخ التي تحدثت عن اضطهاد اليهود، وإن

كانت أعلى سلطات الأبحار قد منعتة فوراً فاختمت حتى القرن التاسع عشر، ذلك أن تلك السلطات في أوربية الشرقية قد منعت جميع الدراسات غير التلمودية التي كانت تستخدم لجمع المال الذي كانوا يوجبون استخدامه في دفع الرشى أو في مساعدة علماء التلمود. وبقي التاريخ اليهودي بخاصة والعام بعمامة ممنوعاً باستثناء السماح بقراءة التاريخ غير اليهودي المكتوب بالعبرية والعلماني البعيد عن الدراسات الدينية .
فماذا كانت النتيجة ؟

أن طورت تلك الفئة القليلة من اليهود الاهتمام بتاريخ ملوك فرنسا، وبقيت أكثرية اليهود في الظلام حتى خلال المائتي سنة الأخيرة عندما كانوا ينكرون وجود أمريكا، ولا يعرفون شيئاً عن التاريخ اليهودي ..

إنه جزء لا يتجزأ من ظلام العصور الوسطى بل القديمة والحديثة بفعل الأبحار ومجالسهم . وما نعلمه اليوم عنهم أن في المجتمع اليهودي الكثير من علماء الدين الأبحار من يطالب بالانغلاق ورفض الآخر بل القضاء عليه عملاً بالتعصب العرقي والديني معاً كما يقول الكاتب . كما أن الملاحظ أن هذه الفئة من الأبحار في تزايد مستمر بتأثير المدارس الدينية التي لا تطلب منها السياسية الأمريكية تطوير مناهجها كما تفعل في المدارس الإسلامية لأن هذه في نظرهم مولدة للإرهاب بينما تلك لا ! إنها مرحلة يخوضها المحافظون الجدد الذين يجمعون فيها بين البروتستنتية واليهودية تحقيقاً للمصالح الأمريكية في منطقة العالم الإسلامي بخاصة والعالم أجمع بعمامة ... إنها مرحلة من الصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية بغض النظر عن تسمياتهم الأخرى لها ..

وبعدها ينتقل الكاتب للوقوف قليلاً مع موضوع التاريخ الشمولي الاستبدادي في اليهودية والمجتمع اليهودي فيشير إلى ما كان عليه الصراع بين اليهودية والنصرانية، وكيف أن ذلك قد تطور منذ القرن الثالث عشر، إذ بعد أن كانت السلطات النصرانية تهاجم اليهودية قبل ذلك التاريخ، مركزة هجومها على التلمود وما فيه من مزاعم سخيفة ضد عيسى (عليه السلام)، وأن عقابه سيكون يوم القيامة بغمسه في براز يغلي، وأن ذلك كان بفعل تلك الفئة من اليهود التي تحولت إلى النصرانية عندما جذبهم تطور الفلسفة النصرانية باستخدامها المنطق الأرسطوطاليسي في علوم اللاهوت لديها .

وبالطبع كان من نتيجة تلك المزاعم أن تعرض التلمود لهجوم النصراني المتدينين .

ولكن هل توقف اليهود وأبحارهم عن التهجم على النصرانية أم طوروا ذلك بأسلوب محاولة تجنب الأخطار المعمول به لديهم في جميع العهود ؟

بالأمس القريب، وفي ٢٣ مارس / آذار من عام ١٩٨٠م قامت المنظمة اليهودية الدينية ياد ليناخيم Yad Le'akhim بحرق مئات النسخ من الإنجيل (العهد الجديد) في مدينة القدس بأسلوب احتفالي تدعمه وزارة الأديان الإسرائيلية.

ولكن هذا الهجوم القومي تطور في أوربة منذ القرن الثالث عشر عندما أصبح منازعات كانت تجري في الجامعات الأوروبية .

فهل وقف اليهود وأخبارهم أمام هذا الهجوم صامتين ؟

بالطبع لا، فقد اشبهوا سلاح الرشوة المشهود لهم منذ العهد القديم، وساروا مع خصومهم بأسلوب شد الحبل . واستمر الحال كذلك في معظم البلدان الأوروبية، حتى كان ذلك معروفاً في عهد بابوات رومة في عصر النهضة . فقد نشر قانون المشناه المعروف باسم ثوراة مشناه الميمونية دون تهذيب في رومة عام ١٤٨٠م في عهد سيكستوس الرابع، مع أنه كان طافحاً بالعداء لغير اليهود، وبالتهجم الصريح ضد النصرانية والمسيح (عليه السلام)، ولكن حاجة ذلك البابا الماسّة للمال جعلته يرضى بنشره، كما نشرت قبلها بعدة سنوات في رومة النسخة الأقدم من المشناه وهي نسخة الأتانة الذهبية The Golden Ass لأبيوليس وفيها يهاجم النصرانية بشدة، وما ذلك إلا لأن الباب الكساندر السادس كان شديد التحرر .. ومع هذا النشر كانت هناك أقطار يهاجم فيها التلمود، ولكن هذه الموجة من الهجوم خفت عندما وقعت مذبحه كبيرة في عهد الإصلاح والإصلاح المضاد، فظهر مستوى أعلى من الأمانة الفكرية، ومعرفة أفضل للعبرية في أوساط العلماء النصارى .

لقد خضعت في تطور جديد جميع الكتابات التلمودية من القرن السادس عشر للرقابة النصرانية في مختلف الأقطار، واستمر ذلك في روسية عام الثورة البلشفية ١٩١٧م، لماذا ؟

بتأثير يهود كانوا قادة في تلك الثورة .

وأما في بلدان أخرى مثل هولندا فقد كان بعض المراقبين أكثر تراخ، وإن وجد آخرون أكثر شدة، وجرى حذف أو تعديل الفقرات التلمودية العدوانية...

فليتلاعب الأبحار كعادتهم باليهودية، وليزعموا بعد ذلك بأنها الديانة التي أنزلت على موسى عليه السلام !

إن جميع الدراسات اليهودية الحديثة نشأت بسبب ذلك الصراع، وما زالت تحمل علاقات الأصل حتى الآن إذ قد سارت من خداع، كما يقول الكاتب، إلى تبرير، إلى جدال معادٍ، إلى عداوة نشطة أو لا مبالية في البحث عن الحقيقة .. إنها دائماً مجرد هجوم شديد ضد عدو خارجي أكثر منها حوار داخلي.

وعند النظر في مسيرة كتابة التاريخ كان على نفس الطريقة في جميع المجتمعات المعروفة بما فيها المؤرخون الأوائل من الكاثوليك والبروتستانت الذين تجادلوا فيما بينهم، ومؤرخو المجتمعات الأوروبية الذين احتقروا الآخرين بدافع الوطنية المتشددة، واستمر ذلك حتى ظهر نقد بعض المظاهر المهمة لتاريخ الجماعة الذاتي، الذي ظهر بعده علم التاريخ مع وضع بيتر جيل Pieter Geyl الذي اشتد فيها الجدل، وجاء بعدها التاريخ الإنساني الباحث عن الدقة في المعلومات والعدل في الأحكام، وتحول بعدها إلى أحد أقوى الأدوات الإنسانية والتربوية الذاتية.

فماذا فعلت الحكومات المعاصرة بالتاريخ ؟

لقد أعادت الحكومات الاستبدادية الحديثة كتابته أو عاقبت المؤرخين، فالمجتمع اليهودي الذي يحاول مثقفوه المتدينون التحول به إلى الاستبداد، ليس بإكراه من الحكام ولكن بضغط من الشعب، يسير في نفس الطريق في كتابة التاريخ اليهودي، وهنا يقول الكاتب بأن هذا هو ما يشكل العقبة الأولى اللازم عليهم تخطيها.

إنه والمثقفون الليبراليون يريدون منع المجتمع اليهودي من العودة إلى الاستبداد والانغلاق العنصري، والقبول بالعيش المشترك مع غيرهم في فلسطين، وإلا فقد عرضوا أنفسهم ودولتهم للزوال . ولكن ما هذا التحرر والانفتاح المطلوبين؟ إنه الإبقاء على هذا الكيان اليهودي في فلسطين بقبوله من أهل المنطقة كلهم وليس بالعيش من جديد في ذمتهم وتحت حكمهم وسلطانهم ..

وهنا ينتقل الكاتب للحديث عن (الآليات التي يمكن بها الدفاع) عن وجود وبقاء هذا الكيان اليهودي والمجتمع اليهودي، فيرى كالعادة بأن الرشوة والتعاون مع القوى الخارجية هما آلية الدفاع عن التلمود والكتب اليهودية الدينية الأخرى .

ثم يقول بأن التمييز بين التعصب والانغلاق في عهد بيغن وبين التحرر والانفتاح في عهد الصهيونية العمالية لا يحقق أي توفيق، لأن القراء المعتادين لتفاصيل السياسات الشرق أوسطية لا يلاحظون أي اختلاف حقيقي بينهما، وأنهما في الحقيقة وجهان لعملة واحدة، إذ ما جرى في عهد كل منهما من بطش بالفلسطينيين وتمييز بينهم وبين اليهود يكذب أي تمييز بينهما .

وعندما يتناول الكاتب أول آليات ذلك الدفاع المتمثلة كما يقول بالتحدي الخفي فإنه يرى بأن ما جرى من إزالة أو تعديل تلك الفقرات التلمودية المتهجمة على النصرانية أو ضد غير اليهود يعتبر استجابة عملية للضغط القوي .

ويقول بأن إزالة تلك الفقرات من النسخ الأوروبية قد ظهر بعد منتصف القرن السادس عشر، كما جرى استبدال عبارات غير اليهود أو الغرباء في مطبوعات العالم الإسلامي بعبارات أخرى مثل عابد وثن أو وثني أو كنعاني أو سامري .

ولكن هل هذه العبارات البديلة إلا نوع من التضليل والخداع؟! بدليل عدم قبولها من الرقابة الأوربية حتى منعت الرقابة الروسية القيصرية كل تلك التعبيرات التحسينية . وكذلك الحال كان بحق استبدال كلمات عربي ومسلم وإسماعيلي ومصري، وتوزيع قوائم المحذوفات التلمودية كمخطوطات بالمصطلحات الجديدة والبديلة عن المحذوفات . ثم طبع تخل كامل مصحوب بالقسم أحياناً بأن جميع التعبيرات المعادية في الأدب التلمودي قد قصد منها فقط الوثنيون القدامى أو الكنعانيون القدامى أكثر منها ضد الشعوب التي يعيشون معها.

فما أجرأهم على الخداع والتضليل بهذا الأسلوب الذي لم تنج منه الهند عندما استعمرها الإنجليز، فأعلنوا عدم القصد منها الهنود .

وهنا يكفي قول الكاتب بأن ذلك كله كان كذبة محسوبة من البداية إلى النهاية، والتي قامت عليها (دولة إسرائيل) والتي ظهرت على حقيقتها عندما أعيدت كل تلك الفقرات والعبارات العدوانية السيئة كما كانت في جميع الطبقات التلمودية الجديدة، وظهرت كل تلك المحذوفات التلمودية عندما نشرت في (إسرائيل) في طبعة رخيصة تحت عنوان Hesronot Shas، وأصبحت تتداول بين القراء بحرية تامة، ويجري تعليمها للأطفال اليهود. ففقرة الأمر لكل يهودي بالدعاء لأمهات الموتى إذا مر بمقبرتهم إذا كانت ليهود ويلعنهن إذا كانت لغير يهود، هذه الفقرة ثابتة بعد أن كانت قد حذفت منها اللعنة أو استبدلت بعارة غير اليهود ..

وينهي الكاتب حديثه عن هذا الموضوع بقوله بأن الأخبار قد حذفوا تحت الضغط الخارجي أو عدلوا بعض الفقرات بدهاء دون مساس بالطقوس العملية، الأمر الذي يفرض على اليهود بأن استخدام مجتمعهم الاستبدادي المغلق تلك العادات الوحشية اللا إنسانية لتسميم عقول أفرادهم لم ينته بعد بل ما زال معمولاً به في الحاضر، وأن تلك التقاليد لا يمكن تبريرها بمجرد رد فعل لغير السامية أو اضطهاد اليهود .

فما معنى أن اليهودي المتدين عليه بمجرد وصوله أسترالية ومروره بمقبرة غير يهودية أن يلعن أمهات الموتى المدفونين فيها كعبادة للرب؟!!

وما معنى طلب الكاتب من المجتمع اليهودي أن يواجه هذه الحقيقة الاجتماعية وإلا بقي جزءاً من الخداع والتواطؤ في تسميم الأجيال الحاضرة والمقبلة، وتحملنا جميعاً نتائج هذه العملية؟؟ وكأنه يقول المأساوية بإزالة كياناتنا ووجودنا من هذه المنطقة..

ولم يستطع الكاتب أن يمر بموضوع خداع الأخبار وسلطاتهم لما يراه من خطورة، فواصل الحديث عنه حتى نهاية هذا الفصل من كتابه تحت عنوان (ويستمر الخداع)، فيقول في بدايته بأن الأخبار الجدد قد وصلوا الخداع بتحسين طرق الأخبار

القديمة في الوقاحة والكذب، ثم يورد ثلاثة أمثلة خاصة ومثالاً عاماً واحداً على الخداع (العلمي) الحديث :

ففي المثال الأول ذكر أن قسماً من القانون الميموني المعروف باسم (كتاب المعرفة) قد نشر عام ١٩٦٢م في القدس في طبعة ثنائية اللغة : عبرية إنجليزية، وورد فيه الأمر بإفناء الكفار الذين حددهم النص العبري بمسيح الناصرة وتلامذته والصدوقيين والبيتوس وتلامذتهم، ولم تظهر كلمة واحدة من هذه في الترجمة الإنجليزية المقابلة، وجرى التوزيع الواسع لهذا الكتاب بين العلماء في الأقطار الناطقة بالإنجليزية ولكن دون أن يحتج واحد منهم على هذا الخداع الفاضح، كما يقول دون حاجة لأي نقد إضافة لاستنكاره لهذا الخداع .

وفي المثال الثاني تحدث عن كتاب (دليل الحيارى) للميموني الفيلسوف اليهودي الشهير الذي يرى بأن العرق المنغولي من الأتراك والبدو في الشمال والجنوب، هم كالحوانات الخرساء وأدنى من البشر وأعلى من القرود، كما أنه يتعصب ضد السود وهو يهاجم في هذا الكتاب السود تحت كلمة كوشايتس Kushites التي لاتعني شيئاً بدلاً من كوشم Kushim التي تعني السود، ومررت هذه الأعوام دون أن تذكر كلمة واحدة ذلك الخداع مع أن الأبحار دعموا حملة مارتن لوثر كنج، فكان دعمهم له إما مجرد تكتيك لتحقيق (المصلحة اليهودية) بكسب السود لسياستهم وإما منافقين باخفاء العنصرية العرقية.

وفي المثال الثالث يتحدث الكاتب عن كتاب شعبي جداً نشر عام ١٩٦٨ في أمريكا بعنوان متع الإيديش ومعناها بالإنجليزية The Joys of Yiddish لمؤلفه ليو روستن، وفي هذا الكتاب يتلاعب المؤلف بكلمة شايجيتس Shaygets التي تعني صبي أو شاب غير يهودي، فيذكر كلمة شيكسا Shiksa مؤنث كلمة شايجيتسن ويضع كلمة شيكيز أو حسب ترجمته شيكيس ويحدد معناها بالمعيب blemish وهو يقدم بهذا كذبة مكشوفة لأن شيكيز تعني بالعبرية كما في قاموس مجدو للعبرية الحديثة : حيوان قذر، مخلوق وسخ، ساحرة بغیضة، فتى جامع، فتى غير يهودي.

وفي المثال النهائي الأكثر عمومية، والأشد إشارة لاتصاله بحركة حاسيد Hassidic Movement يتحدث عن غير اليهود، علماً بأن لهذه الحركة نفوذاً كبيراً في (إسرائيل) بين قادة الأحزاب وفي أوساط الرتب العليا من الجيش.

وفي كتاب حتانيا Hatanya المشهور لحركة حباد Habbad Morement وهي أحد أهم فروع الحسدية، يعتبر جميع غير اليهود مخلوقات شيطانية تماماً، ولا عنصراً طيباً واحداً فيها، ووجودها غير ضروري، وإن خلقت كلها من أجل اليهود.

هذا الكتاب نشر بشكل واسع بين الجمهور الإسرائيلي، كما نشر في المدارس والجيش حتى أن نائب الكنيست شولومي آلوني تقول بأن دعاية حركة حباد قد تضاعفت

قبل غزو (إسرائيل) للبنان في مارس عام ١٩٧٨ م وذلك ليتوقف الأطباء والمرضات في الجيش عن الاستعانة بالجرحى غير اليهود، مشبهة بذلك النازي دون أي إشارة إلى العرب أو الفلسطينيين وإنما فقط إلى غير اليهود الجويم.

والمعروف أن (الرئيس الإسرائيلي) السابق شازار كان ملتزماً بحرارة مع حباد، كما كان بيغن يدعمها رسمياً وشعبياً، ولكن زعيمها الحبر لوبافيتشر يُنقَد بشدة لرفضه الذهاب إلى (إسرائيل) ولو لزيارة واحدة، ويلزم الإقامة في نيويورك، وذلك لأسباب مسيحية غامضة، كما يقول الكاتب، وإن كان لموقفه المعادي للسود هناك شهرة سيئة.

فحركة حباد تجد الدعم الشعبي الواسع من الشخصيات السياسية المدنية بسبب ما يمارسه جميع العلماء تقريباً بالكتابة حول حركة حاسيد وفرعها حباد، ويطمسون الدليل الفاضح لنصوصها القديمة ومضامينها السياسية التي يعبر عنها الحبر لوبافيتشر ببياناته المتعطشة للدماء والمحرضة ضد جميع العرب.

فمارتن بوبر مثال جيد لخداع الكتاب بأعماله الكثيرة التي تمدح حركة حاسيد وفرعها حباد دون أي إشارة لمعتقداتها بحق غير اليهود، وكان يتظاهر بمعادة النازية ويمجد المعتقدات الحاسيدية في نفس الوقت المشابهة لمعتقدات النازية عن اليهود.

وبالرغم من أن (كذبة بيضاء) كما يقولون دعمت الاضطهاد ضد اليهود في العهد النازي، إلا أن نتائج الخداع كانت أكبر من أن تحسب. فأعمال بوبر المترجمة للعبرية دخلت بقوة في المدارس الإسرائيلية فضاعفت التعطش الحاسيدي لدماء غير اليهود، الذين كان موتاهم بسبب رفض مرضات الجيش الإسرائيلي لرعايتهم بدافع الدعاية الحاسيدية شوماً كبيراً ينزل على رأس مارتين بوبر نفسه، الذي فاق ترفه للحاسيدية كل العلماء اليهود، واستطاع برومانسيته العاطفية المخادعة أن يربح الجولة في أمريكا و (إسرائيل) لانسجامها مع نعمة الإعجاب بكل ماهو (يهودي أصلي) ولتبنى دوائر يهودية يسارية معينة مواقفه بالرغم من النقد الذي وجه إليهم لإغراقهم في تناول الكحول، وتعصبهم لأخبارهم (المقدسین) الذين يبتزونهم النقود، ولأساطيرهم الكثيرة .

ولم يكن بوبر وحده ممثلاً النموذج السيئ، بل كان هناك عالم الاجتماع والتوراة يحيزكيل كوفنان Yehezkiel Koufnan الذي دافع في فترة ١٩١٥/١٤ م من طرد جميع الفلسطينيين إلى العراق، وكان هناك غيرهم كثير ممن كان مظهرهم الخارجي (كحمايم) بينما كانوا يشيعون صيغاً شديدة التطرف ضد العرب، وهم مدفوعون بميول روحية دينية، فكانوا يبدون شخصيات لطيفة وهم يدافعون عن الإبعاد والعنصرية والإبادة، وكانوا يظهرون كأنهم أعجز من أن يؤذي أحدهم ذبابة، فكان لذلك تأثير خداعهم الأكبر.

إن عمل هؤلاء هو تمجيد للإنسانية وإعلان من الأخبار والعلماء لكل ما يجب الكفاح ضده داخل (إسرائيل) وخارجها، كما يقول الكاتب، مردداً إنذار لوكريتيوس Luceretus التنازل عن حكم الرجل الصالح خطابات القادة الدينيين من أمثال تانتوم Tantum ومن الشر الذي يقود إليه الدين عندما يستخدمه رجاله للمراوغة والتزييف والخداع فيصبح أفيوناً كما يقول ماركس، ويصبح رجاله مهربي الأفيون.

فيا لهذه العبارات التي تلاحق البعض من رجال الدين، كل دين، عندما يستخدمونه لمنافعهم الدنيوية..

فنظرة إلى ما يجري في الضفة الغربية من فلسطين إذا أغفلنا غزّة ترى كم من الاضطهاد يجري هناك من الجيش اليهودي الإسرائيلي والمستوطنين بدافع التعصب ضد غير اليهود.

ونظرة أوسع إلى الأخبار والعلماء بعامّة والصحفيين والشخصيات العامة بخاصة، ترى كم هم يمارسون الكذب والخداع أكثر من غيرهم، وإن كانوا لا يواجهون خطر الاعتقال وموت المعسكرات، وإنما يتعرضون للضغط الاجتماعي الذي يستملح الكذب بدافع الوطنية والمصلحة اليهودية، فهم، كما يقول الكاتب، كذابون وطنيون، وهم من يلجأ للصمت عندما يجابهون بالتمييز واضطهاد الفلسطينيين.

وإذا نظرنا إلى ما يجري خارج تلك المجموعة التي تتميز (بالكذب الوطني)، فإننا نجد الكثير من رجال الدين النصارى والعلمانيين يحملون نفس تلك الآراء، ويرون أن السبيل الوحيد لما يسمونه التكفير عن اضطهاد اليهود هو ليس الكلام ضد الشر الذي ارتكبه اليهود في فلسطين وغيرها، ولكن بالمشاركة في (الكذب الأبيض) حوله، ولتكن تهمة اللاسامية، أو كره الذاتى بحق اليهود، من باب التمييز ضد الفلسطينيين أو إبراز الحقيقة حول الدين اليهودي أو الماضى اليهودي.. فوجود هذه المجموعة وتأثيرها الكبير في أمريكا بخاصة والغرب بعامّة من الأقطار الناطقة بالإنجليزية هي الأسباب التي سمحت للأخبار وعلماء اليهود بالدعاية لأكاذيبهم دون ضغط من أحد بل بمعونة كبيرة.

إن ذلك كله ناطق ينقد نفسه بنفسه.

هذا وإن لدى الكثير من الجماعات المحترفة والمضادة للستالينية صنماً آخر يعبدونه كما يقول الكاتب، وهم يدعمون العنصرية اليهودية والتعصب اليهودي أقوى مما كان في الماضى من الستالينيين الملتزمين، وأن ذلك قد برز منذ عام ١٩٤٥م عندما شاعت أخبار إبادة اليهود الأوروبيين .

وفي الحقيقة إن ذلك الدعم كان قبل ذلك بكثير، إذ كشف موسى هيس أحد أصدقاء ماركس القدامى والمعتبر من أوائل الاشتراكيين الألمان، كشف نفسه كعنصري

يهودي متطرف وداعية (لنقاء الجنس اليهودي) الذي نشر عام ١٨٥٨ م، والذي التقى مع الهراء المقارن بحق إنقاذ الجنس الآري.

إنه لن يكون غريباً هذا اللقاء ولكن الغريب أن يصمت الاشتراكيون الألمان بشأن العنصرية اليهودية وهم الذين ناضلوا ضد العنصرية الألمانية.

والمعروف أن حزب العمال البريطاني قد اعتمد عام ١٩٤٤م خطة لطرد الفلسطينيين من فلسطين، التي جاءت مشابهة لخطة هتلر ضد اليهود حتى عام ١٩٤١م وقد اعتمدت تلك الخطة تحت ضغط الأعضاء اليهود في قيادة الحزب فكان بذلك أقوى تأييداً من خطة دعم المحافظين للسياسة الإسرائيلية، ذلك لأن المحرمات الستالينية كانت أقوى في اليسار البريطاني من اليمين، فكان لا مجال للنقاش حول ذلك الدعم العمالي.

وفي أمريكا لم يختلف الليبراليون هناك عن أقرانهم في بريطانية، بل كانوا أكثر سوءاً في تأييد التعصب العنصري والتطرف اليهودي.

وينهي الكاتب هذا الفصل بالدعوة لمواجهة الحقيقة في الصراع ضد العنصرية والتعصب في الدين اليهودي، والذي سيجعل أكبر أعداء اليهود ليس فقط العنصريين اليهود أو من يستخدمون العنصرية، بل أولئك التقدميين من غير اليهود المعروفين في مناطق أخرى من العالم بهذه الصيغة المزيفة. إن هذا النقد الذاتي من الكاتب لا يحتاج لمزيد في مجاله، وإنما فقط للتنبية بأنه مازال ينطلق فيه من حرصه على بقاء سيطرة اليهود على فلسطين، وأن كل ما يطالب به من اليهودية ودولتها هو التخلص من ذلك التعصب والتطرف ليس غير.

الفصل الثالث

الأرثوذكسية اليهودية وتأويلها

يقول الكاتب بأنه يريد في هذا الفصل وصف بنية العقيدة اليهودية الكلاسيكية التقليدية، ويبدأ ببيان أن الديانة اليهودية ليست ديانة توحيدية كما يقال عنها.

ففي العهد القديم، أي التوراة، يقول الكاتب بأن النظرة التاريخية الخاطفة تظهر بأن وجود نفوذ ما أسماه بالآلهة الأخرى معترف به بوضوح، وأن يهوه المعتبر أكثرها سلطاناً غيور جداً من منافسيه ويمنع أتباعه من عبادتهم.. ويقول الكاتب أيضاً بأن عدم الاعتراف بالآلهة الأخرى قد جاء متأخراً لدى بعض الأنبياء المتأخرين.

فاليهودية الكلاسيكية وليس التوراتية كانت كما يقول الكاتب خلال بضع المئات من السنين الأخيرة بعيدة عن الوجدانية الصافية، وهذا ما يقال بحق اليهودية الأرثوذكسية المعاصرة التي تعتبر استمراراً لليهودية الكلاسيكية التقليدية. فمن أين جاء البعد عن التوحيد في الديانة اليهودية التقليدية؟

يرى الكاتب بأن تلاشي الوجدانية فيها قد جاء من خلال الصوفية اليهودية (كابالا) التي برزت وتطورت خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر، واستطاعت أن تكتسح جميع المراكز اليهودية في القرن السابع عشر، ولو تصدت الاستنارة اليهودية للروحانية الصوفية تلك وتأثيرها لأنقذت الكلاسيكية التقليدية اليهودية من تلك الأزمة العقائدية، ولكن (الكابالا) حافظت على تأثيرها على الأرثوذكسية اليهودية ولاسيما بين الأحرار، ويكفي أن نلمس آثارها اليوم في حركة (جوش إيمونيم) التي مازالت تستلهم الأفكار الكابالية إلى مدى بعيد.

فلماذا يجب معرفة وفهم تلك الأفكار؟

ذلك لسببين:

الأول – لأن المرء لا يمكنه فهم عقائد اليهودية الحقيقية بدون فهمها وبالذات في نهاية الفترة الكلاسيكية .

والثاني – لأن لتلك الأفكار دوراً سياسياً معاصراً مهماً، إذ ما زالت تشكل جزءاً كبيراً من عقائد الكثير من السياسيين الدينيين، ومنهم أغلبية قادة حركة غوش إيمونيم ذات التأثير غير المباشر على الكثير من قادة الأحزاب الصهيونية بما فيهم اليساريون. فماذا تقول الكابالا؟

إنها ترى بأن العالم محكوم من عدة آلهة وليس من إله واحد، وأنها كلها منبعثة مما تسميه بالسبب الأول والغامض First Cause وذلك كما يلي:
ينبعث من السبب الأول أو يولد الإله الذكر الأول المدعو (الحكمة) أو (الأب)، وبعدئذ تنبعث منه الآلهة الأنثى الأولى المدعوة (المعرفة) أو (الأم).

وتقول الكابالا بأنه من زواج هذين الاثنين يلد زوج من الآلهة الصغار: الابن، ويدعى بأسماء عديدة أخرى مثل (الوجه المصغير) أو (الإله المقدس المبارك)، ومعه تولد الابنة، وتدعى (السيدة، أو (الراعية) أو شيخيناه Shekhinah ، أو الملكة ... Queen

وترى الكابالا بأن الواجب أن يتحد هذان الإلهان الأصغران ولكن إبليس Statan يمنع ذلك، مما يجعله شخصية مهمة ومستقلة في هذا النظام.

فترى الكابالا إذن بأن الخلق قد جاء من السبب الأول لكي يتيسر للإلهين الأصغرين الاتحاد بينهما، ولكن، كما تقول، أصبحت أكثر تباعداً من ذي قبل بسبب السقوط The Fall، واستطاع إبليس نتيجة ذلك أن يقترب كثيراً من الابنة الإلهة ويغضبها إما على الحقيقة، كما تقول الكابالا، وإما تشبيهاً، مما تختلف بشأنه الآراء .

فما هذا السبب الأول يا كابالا ؟ أم أنه الغموض المثير للفضول والعجز عن البحث والوقوع في التسليم دون حجة مقنعة!

وكيف يلد السبب الأول ابناً وابنة ويعجز عن الجمع بينهما، بل يتمكن إبليس من التعدي على الابنة وكأنه لا وجود لأب لها يحميها منه؟!

ما هذه الهرطقة البعيدة عن كل عقل، بل ما هذه الهرطقة في أسطورة خلق الشعب اليهودي الذي تتحدث عنه الكابالا بأنه جاء لإصلاح الكسر بسبب آدم وحواء، وأن ذلك الإصلاح قد تحقق تحت جبل سيناء عندما جرى التوحيد بالتناسخ بين موسى الابن الإله الذكر والإلهة شيخيناه . ولكن لسوء الحظ، كما ترى الكابالا فإن خطيئة العجل الذهبي The Golden Calf قد أدت إلى الانفصال ثانية في الإله الرئيس، ولكن توبة الشعب اليهودي، كما ترى هذه الكابالا، قد أصلحت الأمور إلى حد ما .

فما هذه السيطرة للديانات الهندية على الديانة اليهودية لتردد القول معها بعقيدة التناسخ وتعدد الآلهة؟!

وما هذه التفسيرات لحوادث ومواقف الديانة اليهودية لتلتقي مع تلك العقائد الهندوسية؟!

أم أن الأبحار قد أجازوا لأنفسهم حتى العبث بالعقيدة نفسها فجعلوها محل تعديل وتبديل كالأمم في حق الديانات الأرضية من هندوسية وبوذية وكنفوشية؟!

وما هذا التخريف بحق خلق الشعب اليهودي من دون الشعوب الأخرى التي سبقته ولحقته، ودوره في مسار العقيدة نفسها؟!

ولنرجع لخلاصة ما تراه الكابالا من تفسير للتاريخ اليهودي التوراتي وحوادثه، فهي ترى أن كل حادث قد صوب بالاتحاد أو الافتراق بين الروحيين الإلهيين، فتفسر استيلاء اليهود على فلسطين من الكنعانيين، وبناء الهيكل الأول والثاني هي مجرد مبشرات باتحادهما، بينما تدمير الهيكل، ونفي اليهود من الأرض المقدسة هي مؤشرات خارجية على الافتراق الإلهي وعلى (عهر حقيقي لآلهة غرباء) عندما تسقط الابنة في قبضة إبليس، كما تقول الكابالا، ويصطحب الابن لفراشه إنثاً شيطانية بدلاً من زوجته الحقيقية !!

فما هذه الهرطقة والتجديف المريع في حق الله تعالى الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد؟!

ونواصل مع الكابالا هرطقتها فنجدها تقول بأن الواجب على المتدينين اليهود استرجاع الوحدة الإلهية الكاملة بصلواتهم وطقوسهم وذلك على شكل الاتحاد الجنسي بين الآلهة الذكور والإناث، ولذلك فإن الواجب أن يردد كل يهودي متدين لعدة مرات العبارة الكابالية قبل أكثر الطقوس اليومية : (في سبيل اللقاء الجنسي بين الإله المبارك المقدس وشيخينا..)، وهو بالصلوات الصباحية يطور هذا الاتحاد الجنسي، وبالصلوات المتتالية تقترب الإلهة مع وصيفاتها في نقطة معينة، ويضع الإله ذراعه حول رقبتها ويربت على صدرها في نقطة أخرى، ويجري أخيراً العمل الجنسي بينهما!!

وهناك صلوات أو طقوس أخرى يقوم بها الكاباليون من أجل خداع (!) ملائكة معينين أقل مكانة من الآلهة الأخرى، أو لملاطفة إبليس. ففي صلاة الصباح تردد آيات باللغة الآرامية من أجل خداع (!) الملائكة الذين يفتحون أبواب السماء لتدخل منها الصلوات، لأنهم لا يفهمون إلا العبرية، فيفتحون بمكيدة الكابالية الأبواب لحيرتهم أمام تلك اللغة فتدخل الصلوات كلها بما فيها العبرية!!

فيا عجباً لذكاء الكاباليين وغباء الملائكة المزعومين !؟

وعندما يورد الكاتب مثلاً آخر يستولي على القارئ المزيد من العجب .. فالدعاء اللازم قبل غسل اليدين عند الأكل هو من أجل تطوير الاقتران الإلهي، بينما غسلهما بعد الأكل هو عبادة لإبليس الذي كما تقول الكابالا يحب الصلوات والطقوس اليهودية ليمارسوها حتى تشغله لمدة عن إزعاج الابنة الإلهة!!

ويعتقد الكاباليون، كما يقول الكاتب، بأن بعض الأضاحي التي تحرق في الهيكل مقصود منها إبليس، فأضحية السبعين عجلأ في الأيام السبعة من احتفال المعابد تقدم لإبليس بسبب قدرته كحاكم على جميع غير اليهود ليبقى مشغولاً عن التدخل في اليوم الثامن عندما تقدم الأضحية للرب!!

ولفهم اليهودية في فترتها الكلاسيكية والمعاصرة يرى الكاتب تذكير القارئ بالنقاط التالية التي تكشف عن تأثير الكابالية في الممارسة السياسية الصهيونية :

أولاً – مهما قيل ويقال عن النظام الكابالي فإنه من المستحيل اعتباره توحيدي المعتقد، اللهم إلا إذا اعتبرت الديانات الهندوسية والرومانية والإغريقية والمصرية القديمة ديانات توحيدية، وهذا مستحيل طبعاً !

وثانياً – يوضح النظام الكابالي حقيقة اليهودية الكلاسيكية، ذلك أن العقائد تلعب دوراً صغيراً جداً في اليهودية الكلاسيكية بينما الطقوس تلعب الدور المهم فيها، فرفض بعض المتدينين من اليهود للكابالا اليوم تجعلهم يظنون أنهم يعبدون الرب بينما يعبد اتباع الكابالا إبليس ويلاطفونه ويسترضونه، وإن كان الطرفان يصلون معاً مع الكراهية المتبادلة.

وقبل التعرض لآخر النقاط لابد من ذكر ما يعتبرونه أقدس قاعدة يهودية، ألا وهي (اسمع يا إسرائيل، الربّ إلهنا، والرب واحد) فماذا تعني هذه القاعدة ؟
إنها تعني، كما يقول الكاتب، أمرين متضادين :

فهي قد تعني بأن الربّ The Lord هو (واحد) في الحقيقة، وقد تعني أن بتلاوتها حصل اتحاد أو تطور الاتحاد بين الذكر والأنثى الإلهين، هذا مع العلم أن جميع الأخبار الأرثوذكس يغضبون من ترديد هذه الصيغة سواء كانوا مؤمنين بالوحدانية أو بالاقتران الجنسي الإلهي.

وثالثاً وأخيراً – أن لهذا كله أهمية كبيرة في (إسرائيل) وجميع المراكز اليهودية في الوقت الحاضر، إذ أنه ينبثق عن هذه الكابالاه قوانين كقانون القدس، وآراء ودوافع لحركة مؤثرة هي جوش إيمونيم وتشدد في كراهية غير اليهود المقيمين في فلسطين، ورفض لجميع محاولات السلام التي ينادي بها الفلسطينيون والحكومات العربية.

ويرى الكاتب بأن من يريد أن يدرك حقيقة هذه السياسات الصهيونية فعليه بإدراك هذه الكابالا بآثارها السياسية والفكرية المختلفة.

وقبل أن ينتقل الكاتب إلى الموضوع الآخر من هذا الفصل يحذر من الوقوع في التطرف الآخر، أي التطرف الإسلامي أو الوطني الذي يرفض السلام مع (إسرائيل) بحجة أنها كيان دخيل ومحتل لأرض فلسطين كلها أو بعضها.

كما يعني هذا التطرف الآخر ما يصدر عن قادة الحركات الصهيونية، بدءاً من بن غوريون الذي يصفه بأنه كان ماهراً في التلاعب بالأفكار الكابالية بطريقة موجهة لأهداف معينة، ومروراً ببيغن الذي مارس تأثيراً كبيراً على الماضي الإسرائيلي أكثر من الحاضر، ولم يذكر بالطبع جماعة الليكود وسياساتهم لأنه لم يعاصرهم، فهم ليسوا بأقل تطرفاً من أولئك ولاسيما نتنياهو وشارون.

فهل هذه الكابالا والحركة الحاسيدية وفرعها الحيادية هي سبب كل هذا التطرف والرفض للآخر، سواء كان فلسطينياً إسلامياً أو علمانياً، أو كان عربياً بنوعيه، أو كان من بلد إسلامي غير عربي؟! فليمر عقلاء وحكماء هذه الأمة الإسلامية، عرباً وغير عربين الحقيقة، وليعملوا لها...

وعند الحديث عن الموضوع الآخر من هذا الفصل ألا وهو تفسير الإنجيل بعهديه القديم والجديد، أي التوراة والإنجيل، فإنه يؤكد منذ البداية أن المثقفين الذين يظنون بأنهم يعرفون اليهودية يمكن أن يكونوا مضللين جداً ماداموا لا يعرفون اللغة العبرية التي لا حذف فيها كالترجمة أو الكتابة الإنجليزية.

كما أن هناك فكرة مضللة أخرى – كما يقول الكاتب – من أن اليهودية دين إنجيلي، كما يشاع بين المثقفين النصارى، وأن العهد القديم يتضمن نفس العقيدة والسلطة اللتين يحتلها الإنجيل لدى البروتستنت أو النصرانية الكاثوليكية، ذلك أن ما رأيناه حتى في أمور الإيمان والعقيدة من تسامح كبير في التأويل والتفسير الثابت في التلمود أكثر من الإنجيل نفسه يحمل الشيء ونقيضه. فالممارسات والالتزامات الدينية تختلف اليهودية التقليدية والأرثوذكسية المعاصرة في فهمها عن المفهوم النصراني الإنجيلي، بل تتعكسان في المعنى اللغوي، حتى أن علم الدفاع عن اليهودية يدعي أن تفسير الإنجيل الذي قام به العلماء الفريسيون والمثبت في التلمود هو أكثر حرية من المعنى اللغوي، وهنا يورد الكاتب عدة أمثلة تظهر أن ذلك بعيد جداً عن الواقع :

المثال الأول- ويضربه من الوصايا العشر نفسها. فالوصية الثامنة تقول (عليك ألا تسرق) – كما في سفر الخروج ٢٠: ١٥ ، وهذا القول يحرم السرقة، وتفسر بالخطف من أي يهودي لأي يهودي، بينما الخطف من غير اليهودي فعمل جائز حسب القانون التلمودي، مستخدماً التأويل والأخذ بالمعنى اللغوي.

والمثال الثاني – من الآية المشهورة (العين بالعين، والسن بالسن..) الخروج ٢١: ٢٤ ، فإن التأويل يجعلها تعني (عين النقود بالعين)، فيدفع المعتدي غرامة ولا توقع عليه عقوبة بدنية.

والمثال الثالث – من تأويل المعنى اللغوي بالمعنى المعاكس، كالتحذير من اتباع عربة عصابة في قضية ظالمة، عندما يقول النص الإنجيلي: (عليك ألا تتبع جمهوراً لارتكاب الشر، وعليك أن لا تتكلم في قضية لإسقاط حكم) – الخروج ٢٣: ٢ ، فإن الكلمات الأخيرة في هذا الحكم قد أخرجت من قرينتها وترجمت كإنذار وتوصية لاتباع الاكثرية.

والمثال الرابع – من الآية (على المرء ألا يهيج طفلاً وهو يرضع من أمه) الخروج ٢٣: ١٩ فإنها تفسر كإدانة لخلط أي نوع من اللحم بأي حليب أو منتج حليب، فيمنع اليهودي من أكل مثل هذا المخلوط، ومن طبخه لأي قصد، ومن التمتع به أو الاستفادة منه بأي حال.

والمثال الخامس - من الآية (عليك أن تحب زميلك كما تحب نفسك) – ليفيت ١٩: ١٨ ، فإن اليهودي التقليدي والأرثوذكسي المعاصر يفهماتها كوصية لتحب زميلك اليهودي وليس أي شخص آخر.

وكذلك الآية (عليك أن تقف ضد دم زميلك)- بيد ١-١٦ فإنها تعني ألا يتكاسل اليهودي عند تعرض دم زميله اليهودي للخطر.. وأما غير اليهودي فهو ليس زميلك، وكذلك الوصية بعدم التقاط شيء من بستانك وحقلك من قبل (الفقراء والغرباء) ٩-١٠ بيد فإنها تقصد فقراء اليهود والمتحولين لليهودية.

والآية (هذا هو القانون، فعندما يموت شخص في خيمة فإن كل من يدخلها عليه أن يبقى بنجاسته سبعة أيام) - الأعداد ١٩ : ١٦ ، وكلمة (شخص) تعني يهودي، وبهذا التأويل يوقر اليهودي المتدين الجثث اليهودية والمقابر اليهودية، وأما غير اليهودية فلا ، حتى أن الكثير من المقابر المسلمة قد تم تدميرها في (إسرائيل) ..

والمثال السادس -من الآية (وعندما تبسط يديك فإنني أخفي عيني عنك، وعندما تصلي كثيراً فإنني لن أسمع منك لأن يديك مليئة بالدماء) إشيا ١ : ١٥ فهي تعني بأن الكاهن الذي يرتكب جريمة قتل عرضي فإنه غير مؤهل (لبسط يديه) للتبريك (ولو تاب) لأنهما (مليئة بالدم).

فالواضح تماماً من هذه الأمثلة، وغيرها كثير أن اليهود الأرثوذكس المعاصرين وجميع اليهود قبل عام ١٧٨٠م يقرؤون التوراة بمعنى مختلف عن التوراة التي يقرأها غير اليهود أو غير الأرثوذكس، وهذا التفريق موجود في (إسرائيل) وإن كانت القراءة بالعبرية.

والملاحظ أنه بالنتيجة لذلك فقد ذم الكثير من اليهود في (إسرائيل) وخارجها من غير الأرثوذكس، ذموا الإسرائيليين اليهود والمتدينين بسبب موقفهم غير الإنساني من الفلسطينيين وذلك بسبب تأويل آيات التوراة بالمعنى الإنساني الواضح.

كما يلاحظ أن اليهود التقليديين لا يتأثرون بهذه التأويلات لأنهم يرون النص التوراتي مختلفاً تماماً عن غيرهم.

فهذا الاختلاف موجود أيضاً خارج (إسرائيل) وبالذات بين النصارى التقليديين المتعلمين كما هو موجود داخلها.

لاشك أن المسألة ليست في اختلاف تأويل النص ولكنها في تحريف النص وتعديله وتبديله.. فكيف يقبل دعاة السلام عليه وهم يرون أن دولة (إسرائيل) قائمة على النزوير والكذب والخداع حتى في دينهم ومعتقداتهم !!

وهنا يجد الكاتب نفسه أمام موضوع بنية التلمود Structure of the Talmud لفهم مصدر جميع الطقوس اليهودية التقليدية والأرثوذكسية المعاصرة، وبالذات التلمود البابلي، وأما التلمود الفلسطيني أو المقدسي فإنه يمثل السلطة المرافقة.

ونبدأ مع الكاتب بذكر القسمين اللذين يتألف منهما التلمود :

الأول - المشناه Mishnah، وهي تشريع مكثف، من ست مجلدات، تنفرع إلى عدة فروع بمقالات بالعبرية ، وجرى تنقيحها في فلسطين حوالي عام ٢٠٠م.

والثاني – الجيماراه Gemarah، وهي سجل ضخمة من المناقشات حول المشناه، وتشكل مجموعتين متوازيتين من الجيماراه ألقت إحداهما في بابل ما بين ٢٠٠ و ٥٠٠م والثانية في فلسطين ما بين ٢٠٠م وعام مجهول قبل ٥٠٠م بكثير.

وللمقارنة بين التلمودين نجد البابلي، بما يجمعه من المشناه والجيماراه، أشد تركيزاً وافضل تنظيمياً من الفلسطيني، وهو وحده المعترف كمعترف ومشروع، وأما التلمود الفلسطيني فهو أقل مستوى كمشروع بسبب كثرة الأدب التلمودي فيه الذي نبذه محررو التلمودين، والذي كتب بخليط من العبرية والآرامية.

وهناك مجموعة من القصص والحكايات حول الأحبار أو عامة الشعب أو الشخصيات التوراتية أو الملائكة أو الشياطين أو السحر والمعجزات، وهذه المجموعة تدعى بالروائي narrative، ولها تأثير شعبي كبير في الديانة اليهودية وإن كانت حتى باعتبار التلمود بذات قيمة ثانوية.

ويرتب التلمود الشعب اليهود بشكل تصاعدي، فيجعل أدناه الجاهلين، وبعدهم من يعرفون التوراة، وبعدهم من يألفون المشناه أو الروايات، وأعلامهم من درسوا وناقشوا المشروع من الجيماراه، وهم من يناسبون لقيادة الشعب اليهودي في كل شيء.

ويرى الكاتب بأن النظام التلمودي رغم شموله ونفوذه إلا أنه مازال يمكن تطويره بشكل غير محدود مع المحافظة على الأساس العقائدي. فهناك تنظيمات الحياة اليهودية للفرد والمجتمع مع بيان العقوبات والجزاءات لكل خطيئة أو خرق للقانون، فالمناقشة تنصب على التفاصيل العملية للأحكام، وأما القواعد الأساسية لها فلا تخضع للمناقشة.

ولكن من أين جاءت هذه القواعد وتلك الأحكام المبنية عليها؟ أليست من التلمود الذي ألفه الأحبار والذي يقدم على التوراة من الأساس في كل شيء حتى لو خالفها؟ فلماذا لا تناقش القواعد والأحكام على حد سواء؟

والآن لنرى ذلك من الأمثلة التالية:

١- (لا عمل يوم السبت)، فالعمل محدد ب ٣٩ نوعاً فقط، فالكتابة ممنوعة يوم السبت إلا لإثنين ومازاد فهو خطيئة، وطحن الحبوب وكل طحن ممنوع يوم السبت، ومنه العمل في المجال الطبي سوى ما يعرض الحياة للخطر لأي يهودي، وتبقى هذه الممنوعات سارية مهما كانت سخيفة، حتى كتب ترتوليان Tertullian أحد آباء الكنيسة الأولين (أعتقد بها لأنها سخيفة) وهذا هو حال أكثرية أحكام التلمود مع استبدال كلمة (يعتقد) بكلمة (يمارس).

٢- يمنع الحصاد يوم السبت، فيمنع بالقياس قطع غصن شجرة، ويمنع ركوب حصان أو أي حيوان آخر منعاً من قطع غصن لضرب الحيوان، فلا يسمح بذلك ولو كان لديك سوط جاهز أو إنك ستركب حيث لا أشجار، وكما يمنع الحصان يمنع ركوب الدراجة !

٣- عندما سمح للكهان الأكبر بالزواج من عذراء ناقش التلمود تحديد معنى كلمة (عذراء)، وهل من فضت بكارتها في حادث تعتبر (عذراء)؟ وهل إذا وقع الحادث قبل أو بعد سن الثالثة من فرق؟ وهل إذا حصل بتأثير معدن أو خشب من فرق؟ وإذا كان أثناء تسلق شجرة؟ وإذا كان عند التسلق إلى أعلى أو أدنى؟ وإذا حصل بشكل طبيعي أو غير طبيعي؟.. كل ذلك بحث بالتفصيل.

فكل عالم من علماء اليهودية التقليدية ملزم بمعرفة دقيقة لمنات من هذه المسائل، وقادر على تطويرها بشكل أوسع بحيث يستمر تطوير التلمود مع الحياة من قبل كبار العلماء.

وهناك فترتان، كما يقول الكاتب، تختلفان فيما بينهما كثيراً هما فترة التلمود التي انتهت حوالي عام ٥٠٠م، وفترة اليهودية التقليدية التي بدأت عام ٨٠٠م، والقليل النادر من الأحوال الاجتماعية والدينية لليهود خلال تلك القرون الثلاثة معروف بين الفترتين، وأما بعد عام ٨٠٠م فقد كثرت المعلومات التاريخية، وعرف التلمود البابلي، ودرس وطور في جميع المجتمعات اليهودية، فلحق المجتمع اليهودي بذلك تغيير عميق شمل الجميع باستثناء الفلاحين.

ولا بد هنا من الإشارة لما لحق التلمود من تطور وتكيف مع المجالات الجغرافية بشكل واسع، والاجتماعية بشكل أضيق، وما حصل من اختلاف جذري مع اليهودية التقليدية.

وأهم جانب في ذلك يجب التركيز عليه، كما يرى الكاتب هو التكيف في الإدارة والحكم والتشريع.

وهنا ينتقل الكاتب إلى موضوع آخر في هذا الفصل بعد أن يسלט الضوء على مدى السخف الذي كانت التشريعات التلمودية والتقليدية تعيشها وما زالت تتقيد بها حتى الآن، وفي ذلك ما يغنينا عن النقد سواء بالتعليق أو التعقيب.

وعند الوقوف مع موضوع الإدارة والتشريع، يرى الكاتب مدى تعصب النظام التلمودي الشديد حتى ليبدو سخيفاً مع تغير الظروف، حتى أنه عندما يبدو مناقضاً للتوراة فإن المعنى الحرفي للنص يبقى ثابتاً ولا يسمح بتأويله، بينما لحق بالفوانين التلمودية في فترة اليهودية التقليدية الكثير من التعديل والتغيير لعدم صلاحيتها للطبقات

الحاكمة من أحبار وأثرياء وذلك بأسلوب الخداع المنظم بحجة أن ذلك فقط يحافظ على النص القانوني وإن خالف روحه ومقصده.

وهنا يصير الكاتب على القول بأن هذا النظام الزائف للتشريعات كان سبب الحط من قيمة اليهودية التقليدية كما كانت الصوفية اليهودية السبب الآخر وإن دامت فترة أقصر من تلك

ويأتي الكاتب هنا بالعديد من الأمثلة ليوضح مسيرة ذلك النظام، وما يداخله من خداع واحتيال :

الأول – التعامل بالربا Taking of Interest :

فبصرامة يمنع التلمود المرء اليهودي من أخذ الربا على قرض من يهودي آخر، ويعاقبه بشدة لو فعل ذلك، بينما يسمح بأخذ أكبر قدر ممكن من الربا من غير اليهود .

ولكن ذلك كان مختلفاً في أوربة الشرقية وخاصة في بولندة وفي القرن السادس عشر بسبب كثرة اليهود في المدن، فكان الإقراض للنبلاء وفيما بين اليهود معمولاً به وذلك وفق ما سموه (تشريع العمل) للإقراض الربوي بين اليهود بحجة أنه لا ينتهك القانون لأنه لا يعتبر إقراضاً وإنما استثماراً، فالمستثمر (يستثمر) ماله مقيداً بشرطين حتى يلتف على القرض الربوي وهما :

١- تحديد المدة والمبلغ ليحصل على نسبة من الربح.

٢- دفع المقرض نصيب المقرض من الربح المجزي إلا إذا ادعى الخسارة بشهادة حبر المدينة أو القاضي الحبر وتعلق نسخة من هذا الحكم على جدار جميع فروع البنوك الإسرائيلية، وتحفظ عيناً في الصدور، فيصبح القرض الربوي مشروعاً بين اليهودي واليهودي .

فيا للخداع !؟

والثاني – العام السبتى The Sabbatical Year :

فحسب التلمود يجب ترك الأرض المملوكة في فلسطين كل سنة سابعة محروثة دون أي زراعة فيها، وقد نفذ هذا القانون منذ عام ١٨٨٠م عندما أسست أول مستوطنة زراعية يهودية في فلسطين، ولكن الأحبار المتعاطفين مع المستوطنين قاموا بلعبة خداع على القانون بحيث يملك رئيس الأحبار جميع أرض إسرائيل ليبيعهها شكلياً

لغير اليهود على أن يشتريها ثانية بعد مرور سنة، وهذا الإجراء يتم مع نفس المشتري كل سبع سنوات :

إنه إجراء الأحبار الصهاينة هذا المرفوض من الأحبار غير الصهاينة فيردون عليهم بأنه ليس بيعاً حقيقياً وإنما هو بيع وهمي !
إنه الخداع حتى في التشريع !

والثالث – الحلب يوم السبت Milking on the Sabbath :

فيبقى هذا الحكم معمولاً به حتى سمح للمستوطنين الأوائل في فلسطين بتوظيف غير اليهود للقيام بالحلب وغيره، ولكن يسمح بالحلب بشرط غريب وهو أن يكون الحليب غير أبيض بإضافة صبغة تجعله أزرقاً، ثم يزال اللون الأزرق ليصنع منه الجبن .

هذا هو رأي وإجراء الأحبار الصهاينة وأما غير الصهاينة فهم أكثر دقة في التحايل والخداع، إذ سمحوا بتفريغ ضرع البقرة يوم السبت ليخلصوها من ألم انتفاخه، كما يزعمون، فيراق الحليب على أرض الغرفة ! ولكن شيئاً من ذلك لا يحصل لأن الشخص المتدين في الكيبوتس يذهب صباح السبت إلى حظيرة الأبقار ويضع السطول تحت الأبقار ويذهب للمشاركة في القداس، فيأتي زميله لتخليص الأبقار من آلامها فيجد السطول تحت الأبقار فيتجاهلها ويذهب للقداس منجزاً مهمته (!)،

ويأتي زميل ثالث فيجد السطول ملأى بالحليب فيضعها في مستودع بارد ويتبع زملاءه إلى القداس، وبذلك يمنعون إضاعة النقود على الصبغة الزرقاء !! فيا للاحتيال والخداع؟!!

والرابع – محاصيل مختلطة Mixed Crops :

فقد منع الأحبار الصهاينة زراعة نوعين مختلفين من الحبوب في نفس الحقل، ولكن ما كشفه خلط البذار من ربح وفير جعل الأحبار يبدعون تشريعاً احتيالياً (!) ببذر الحقل طويلاً بنوع من البذار، ثم في اليوم التالي يبذر الحقل نفسه زميل له عرضياً بنوع آخر من الحبوب

وتتلافى تكاليف الخلط لجنوا للاحتيال آخر، وذلك بوضع غطاء فوق كومة البذار، ثم يوضع النوع الآخر فوق الغطاء حتى يأتي زميله ليأخذ الغطاء أمام شهود بحجة حاجته له فتختلط الحبوب وتبذر في الحقل ! يا للاحتيال والخداع?!!

والخامس – المواد المخمرة Leavened Substance :

إذ لا يجوز حفظها طيلة أيام الفصح السبعة في فلسطين والثمانية خارج فلسطين، كما لا يجوز أكلها مطلقاً، وهي تشمل جميع الحبوب المطحونة وغير المطحونة.

كان المجتمع اليهودي الأوربي السابق للعهد التلمودي يلتزم بهذه القيود بشدة. واستمر ذلك حتى سنوا تشريعاً باعوا بموجبه تلك المواد لغير اليهود قبل الاحتفال ثم اشتروها منهم فوراً على أن تخزن طيلة فترة الاحتفال .

هذا البيع الوهمي هو المعمول به الآن في (إسرائيل) على أن يبيعوا موادهم لأحبارهم المحليين الذين يبيعونها بدورهم للحبر الأكبر الذي يبيعها بدوره لغير اليهود .
فيا للاحتيال والخداع!؟

والسادس – سبت غير اليهودي Sabbath- Goy :

فالتشريعات تتطور كثيراً بحق غير اليهودي يوم السبت حسب متطلبات الحياة، ولمزيد من الراحة ولاسيما في العصور الحديثة وما صاحبها من تغيير تكنولوجي .

فمنع طحن الحبوب خفف للمزارع اليهودي أو المهني من القرن الثاني في فلسطين منذ عهد الطاحونة اليدوية وإن اختلف ذلك بحق مستأجر طاحونة الماء أو الهواء التي كانت شائعة في أوربة الشرقية .

هذا بالنسبة للأمور الكبيرة ولكن الصغيرة كالحصول على كوب من الشاي يوم السبت بعد الظهر فإنه يصبح أمراً كبيراً (!) مع إغراء إبريق الشاي المستخدم طيلة الأسبوع والجهاز في الغرفة .

فهذان المثالان جزء مما يسمى بمشاكل العبادة أيام السبت وذلك من أجل إيجاد مجتمع اليهود الأرثوذكس حصراً، وأنها لم تتحقق إلا (بمساعدة) غير اليهود، وهو الأمر المعمول به اليوم في (إسرائيل) لأن توفير الماء والغاز والكهرباء لا يمكن أيام السبت إلا باستخدام غير اليهود .

ولكن النظم التلمودية تمنع اليهود الطلب من غير اليهود العمل يوم السبت فكيف تلافوا ذلك ؟

لقد لجأوا إلى نوعين من التشريعات :

١ - التلميح Hinting : بالتحايل على الطلب الآثم ليصبح مسموحاً به بالتعبير عنه بلباقة وذلك بشرط أن يكون التلميح (غامضاً) وإن سمح بالتصريح في التلميح عند الضرورة، الأمر الذي استدعى تعليم كيفية الحديث مع العمال العرب المستخدمين في الجيش يوم السبت . فعند إشعال النار للتدفئة أو

الإضاعة لطقس ديني فالجندي الإسرائيلي يستخدم التلميح الصريح بالقول :
إنها برد أو ظلام هنا . وعند التلميح الغامض لغير الضرورة يقول : سيكون
مسراً أكثر لو كانت أكثر دفئاً هنا .

والجدير بالذكر أن العامل غير اليهودي أو المستخدم في الجيش الإسرائيلي
يطرد من العمل دون رحمة إذا لم يدرب نفسه على استخدام التعليمات
الغامضة !

٢ - النتيجة الضمنية **Implicit Inclusion** : والتي تستخدم في عمل روتيني
ودون رقابة لغير اليهود، باستخدامهم طيلة الأسبوع أو السنة دون ذكر
السبت في الاتفاق، فيجري العمل يوم السبت طبيعياً . وفي الماضي جرى
استئجار غير اليهود لإطفاء مصابيح الطقوس بعد صلوات السبت مساءً،
ويجري الآن استئجارهم لترتيب الإمداد بالماء أو مراقبة خزانات الماء يوم
السبت .

والسابع - السبت اليهودي **Jewish Sabbath** :

وهذا مثال نضيفه لما ذكر الكاتب عندما يتحدث عن اليهود أنفسهم وأعمالهم
وأجورهم عليها، نظراً لأن اليهود ممنوعون من تسلم أي أجره لعمل ينجزونه يوم
السبت . ولكن الأعمال المقدسة من أعمال الأخبار والعلماء الواعظين أو المعلمين،
وقائد جوقه الغناء يوم السبت وغيره من الأيام المقدسة التي لم يدفع لها أجور لقرون
عديدة، استحدثت لها تشريعات خاصة أدخلت تحت (النتيجة الضمنية) فدفعت لهم أجور
شهرية أو سنوية كمهن مأجورة اللهم إلا أن الأخبار وعلماء التلمود سميت أجورهم
(بالتعويضات عن البطالة) ! فيا للاحتيال والخداع!؟

وعند انتقال الكاتب للحديث عن المظاهر الاجتماعية لتلك التشريعات فإنه يذكر
مظهرين مهمين :

الأول - مظهر مهم تشترك فيه تلك التشريعات مع اليهودية التقليدية وهو
الخداع، وبشكل أساسي خداع الرب (!) إذا أمكن استخدام هذه العبارة لكانن متصور
يمكن أن يخدعه الأخبار بسهولة وهم يرون أنفسهم أكثر ذكاء منه (!) .. فما أفضح تلك
المقارنة بين إله التوراة وإله اليهودية التقليدية الذي يشبه جوبتر لدى الرومان، والذي
كان عبده يخدعونه كما يذكر فريزر Frazer في كتابه (الغصن الذهبي Golden Bough) .

فاليهودية التقليدية تمثل، كما يقول الكاتب، عملية انحطاط **degeneration**
ما زالت مستمرة، وهي تجري في مجموعة طقوس فارغة وخرافات سحرية لها آثارها

الاجتماعية والسياسية الهامة بسبب تمسك الجماهير اليهودية بقوة بها أكثر من التوراة والتلمود نفسه .

فصلاة كول نيدري Kol Nidry مساء يوم كيפור Yom Kippur أو يوم الغفران تعتبر شعبياً الأعظم قدسية واحتراماً لدى المتدينين وغير المتدينين من اليهود مع ما يداخلها من تشريع لنشيد مخادع وسخيف بشكل خاص، كما يقول الكاتب، كما أن هناك صلاة القاديش Qadish Prayer التي تؤدي أيام الحزن من الأبناء لتسمو أرواح آبائهم إلى جنة الفردوس، وهي عظمة التقدير شعبياً بل هي أعظم أجزاء الديانة اليهودية خرافة ! كما يرى الكاتب .

وينهي الكاتب هذا المظهر الأول من الخداع بالقول بأن خداع الإله يسير مع خداع اليهود الآخرين ولاسيما لمصلحة الطبقة اليهودية الحاكمة بينما لم يؤذن لأي تشريع لمصلحة اليهود الفقراء بشكل خاص ولو كانوا يتضورون جوعاً، وكان الطعام حلالاً Kosher ! فيا للغظة والتحيز!؟

والثاني - مظهر الكسب المادي المسيطر على كل هذه التشريعات، مما يجعل النفاق والواقع المكسبي هما المسيطران على اليهودية التقليدية دون أن يدرك ذلك الرأي العام في (إسرائيل) بالرغم من تطوير النظام التربوي والإعلامي لتحقيق عملية غسل الأدمغة بشكل رسمي .

والملاحظ، كما يقول الكاتب - بأن المؤسسة الدينية من أحبار وأحزاب دينية ومجتمع أرثوذكسي ليست شعبية مطلقاً في (إسرائيل) وذلك بسبب شهرتها، كما يرى الكاتب، بالنفاق والفساد، وأنها تميل بقوة للمغالطة والابتزاز حتى أن مستوى المخادعة والفساد والرشوة عال جداً في الوسط الديني بحيث يفوق متوسط المسموح به عموماً في المجتمع الإسرائيلي غير المتدين .

كما يمكن أن يلاحظ، كما يرى الكاتب، بأن الدافع الكسبي هذا ليس صفة للديانة اليهودية في مختلف فتراتها، وما حصل من غش وغموض في اليهودية كان بفعل التغييرات التاريخية ولا سيما بعد تشجيع الصهيونية له بشكل قوي لاعتمادها على ما يسمونه (بالحقوق التاريخية) المأخوذة من التوراة . ولذلك يصدق، كما يرى الكاتب، الإدعاء اليهودي بأن التوراة تعادي الدافع الكسبي بينما التلمود هو الميال له . ثم إن خداع هذا الدافع الكسبي الذي مارسه اليهود الأغنياء ضد زملائهم اليهود الفقراء في مثل تشريع الربا على القروض يبقى كمظهر اجتماعي مهم .

وتأثراً بالفكر الماركسي أنهى الكاتب هذا الفصل بالقول بأنه بالرغم من معارضته للماركسية فكرياً واجتماعياً إلا أنه رأى أن ماركس كان مصيباً تماماً عندما ذكر بأن العامل الكسبي المسيطر على اليهودية بشكل بارز ، وأن هذا ما اشتهرت به اليهودية التقليدية .

ولو استعرضنا مواضيع هذا الفصل لوجدنا الكاتب يكفينا عناء التعقيب والتعليق والنقد الطويلة، فهو عندما يؤكد بأن اليهودية الكلاسيكية ابتعدت في عقيدتها عن عقيدة الوحدانية التوراتية، وأن ذلك قد جاء بفعل الصوفية اليهودية المتمثلة في بحوث الكابالا التي ترى أن الوجود محكوم بألوهة متعددة وليس بإله واحد، وتغرق في تفاصيل ذلك البعيدة كلّ البعد عن التوراة النقية الصافية من كلّ هذه الهرطقات وإن كان تأثيرها ما زال قوياً في (إسرائيل) على المستوى الفكري والسياسي .

ولا ينسى الكاتب ذكر الحركة الحاسيدية وفرعها الحبادية كصاحبة التأثير الرئيس مع الكابالا في إيجاد هذا التعصب ضد الآخر عربياً كان أو إسلامياً .

ثمّ يذكر أمثلة عديدة تبين مدى تأثير التأويل في التضليل والخداع لليهود في فهمهم المنحرف لدينهم .

ثمّ يتحدث عن التلمود وتأليفه بفرعيه البابلي والفلسطيني والفرق بينهما، وكيف أنه مقدم في الأعمال والالتزام على التوراة نفسها .

وأخيراً يتحدث عن خداع التشريعات المستحدثة التي تراعي الأغنياء على حساب الفقراء اليهود .. فكل ذلك ينقد نفسه بنفسه ..

الفصل الرابع

وزن التاريخ

The Weight of History

فيبدأ الكاتب بذكر أربعة مظاهر تبين مدى تغير بنية الشعب اليهودي الاجتماعية والعقائدية بعمق عبر العصور فيقول :

المظهر الأول – مظهر الممالك الإسرائيلية واليهودية القديمة حتى خراب الهيكل الأول عام ٥٨٧ ق.م والنفي البابلي. فالعهد القديم أي التوراة تهتم بهذه الفترة وإن كانت أكثر الكتب الرئيسية في العهد القديم بما فيها الأسفار الخمسة الأولى قد ألفت بعد ذلك التاريخ .

فالممالك اليهودية القديمة كانت تشبه تماماً الممالك المجاورة في فلسطين وسورية ولاسيما في الفرق الدينية والعبادات .

والمظهر الثاني- مظهر مركزي فلسطيني وميسوبوتاميا (ما بين دجلة والفرات) منذ العودة الأولى من بابل عام ٥٣٧ ق.م حتى ٥٠٠ م. فكانا مجتمعين يهوديين مستقلين ومعتمدين على الزراعة الأولية التي فرض أثنائها الدين اليهودي في الدوائر الكهنوتية بقوة وسلطة الإمبراطورية الفارسية. فكتاب عزرا Ezra للعهد القديم دعمه الملك الفارسي أرتاكسيركس الأول Artaxerxes I لتعيين حكام وقضاة على يهود فلسطين بأن كل من لا يلتزم بقانون الرب وقانون الملك سينفذ به الحكم بسرعة إما بالموت أو النفي أو مصادرة الأموال أو السجن. وفي كتاب نحيمياه Nehemiah، ساقى الملك الفارسي المذكور الذي عين حاكماً على اليهودية بسلطات أكبر ظهر منها مدى الإكراه الأجنبي كأداة لفرض الدين اليهودي ...

ومع الحكم الذاتي في المركزين تأكدت انحرافات الأرثوذكسية الدينية، وتأثرت الأرستقراطية الدينية بالأفكار الهلينية فيما بين عامي ٣٠٠ و٦٦ ق.م تحت حكم هيردوتس الكبير وخلفائه من عام ٥٠ ق.م. إلى ٧٠ م. أو عندما انقسمت كرد فعل للتطورات الجديدة بين حزبين كبيرين: الفارسيين والصدوقيين اللذين ظهرا حوالي عام ١٤٠ ق.م.

والمهم أنه كان المنتصر منهما يستخدم الإكراه في الحكم اليهودي الذاتي لفرض آرائه الدينية على اليهود في المركزين، ولذلك كان اليهود خارج المركزين أحراراً من القسر الديني بعد انهيار الإمبراطورية الفارسية.

وفي أوراق البردى المحفوظة في مصر العليا تتضمن رسالة مؤرخة بـ ٤١٩ ق.م. مرسوم الملك داريوس الثاني الفارسي وهي تأمر اليهود المصريين بالعبادة في عيد الفصح. ولكن الممالك الهلينية والرومانية الأولى لم تهتم بذلك وأعطت الحرية لليهود خارج فلسطين فوجد أدب يهودي كتب بالإغريقية وإن رفض من اليهودية.

والمعروف أن القديس بولس، المشهور برسائله لأهالي كورنث Corinth قد اتهمه المجتمع اليهودي المحلي بالزندقة، ولكن الحاكم الروماني غاليو رفض محاكمته وألغى القضية، ولكن الحاكم فيستوس Festus شعر بضرورة إجراء محاكمة قانونية لحسم النزاع اليهودي الداخلي. وانتهى ذلك التسامح حوالي عام ٢٠٠ م عندما فرضت السلطات الرومانية الدين اليهودي على جميع يهود الإمبراطورية.

والمظهر الثالث - مظهر اليهودية التقليدية التي يقتضي تأثير وجودها حتى اليوم أن نناقشها فيما بعد.

والمظهر الرابع - وهو المظهر الحديث بعد انهيار المجتمع اليهودي الاستبدادي وظهور الصهيونية كأبرز آثاره أهمية. لقد بدأ هذا المظهر في هولندا في

القرن السابع عشر، وفي فرنسا والنمسة في القرن الثامن عشر، وفي معظم الأقطار الأوربية الأخرى في القرن التاسع عشر، وفي بعض الأقطار الإسلامية كاليمن في القرن العشرين .

وهناك عدة قرون بين المظهرين الثاني والثالث تقل فيها المعلومات حول اليهود والمجتمع اليهودي، والمتوفر القليل مأخوذ من مراجع غير يهودية. فلا تتوفر سجلات يهودية حتى منتصف القرن العاشر بينما تتوفر بغزارة في القرن الحادي عشر وأكثر منها في القرن الثاني عشر. وتوفر القليل النادر في الأقطار الإسلامية قبل عام ٨٠٠ م. فهذه المظاهر الأربعة من مسيرة التاريخ اليهودي تدل على مدى عظم الخروج عن الخط والانحراف في السير، كيف لا وقد كتبت جميع الأسفار القديمة بما فيها الخمسة الرئيسية بعد ظهور اليهودية بقرون، وتعرضت لعبث العابثين استجابة للضغوط الهلينية والرومانية التي كان للثانية معها الدور الأساس في تحريف النصرانية وإخراجها من الوحدانية إلى التثليث بفعل من يسمونه بولس الرسول باعتبار الكثير من كبار الكتاب والعلماء النصارى .

والآن لنعد مع الكاتب إلى اليهودية التقليدية ونقف مع ملامحها الرئيسية التي توفرت عنها المعلومات الغزيرة منذ القرن الثاني عشر، وسارت عبر القرون التالية حتى الوقت الحاضر متعرضة لتغييرات عدة اتخذت طابع اليهودية الأرثوذكسية .

فكيف نصفها ونميزها عن السابق ؟

لنقف مع الكاتب وهو يستعرض ملامحها الرئيسية الثلاثة التالية :

الملح الأول - كان المجتمع اليهودي التقليدي خالٍ من الفلاحين، مما جعل الاختلاف بارزاً من القرية والمدينة خلال تلك الفترة، وجعل حرية الأقلية غير الفلاحية ملحوظة، وشكل اليهود في هذه الفترة بالرغم من الاضطهاد قسماً من الطبقات المتميزة . ولذلك فإن التاريخ اليهودي مضلل في هذه النقطة بقدر ما يركز على الفقر اليهودي والتمييز ضد اليهود لأن أفقر اليهود الحرفيين والباعة المتجولين، ووكلاء ملاك الأراضي، والكتبة الصغار، كانوا أفضل كثيراً من الأرقاء. وقد كان هذا صحيحاً في البلدان الأوربية كالنمسة وبولندا حيث استمر الحال كذلك إلى القرن التاسع عشر .

وقبل عام ١٨٨٠ م، عام الهجرة اليهودية الكبيرة، كانت هناك أكثرية كبيرة من اليهود تعيش هناك حيث كانت المهمة الاجتماعية الهامة هي إصلاح الفلاحين وإنقاذهم من الاضطهاد لصالح الملوك والنبلاء .

والجدير بالذكر أن اليهودية التقليدية قد طورت كره واحتقار الزراعة كعمل، وللفلاحين كطبقة أكثر مما كان لغير اليهود، وكان هذا واضحاً في القرنين التاسع عشر والعشرين .

وكانت أكثرية الاشرائيين اليهود في أوربة الشرقية مذنبة لتجاهلهم تلك الحقيقة حتى كان الكثير منهم ضد الفلاحين متأثرين باليهودية التقليدية، وأما الاشرائية الصهيونية فقد كانت أسوأ من ذلك بكثير، فما زال هذا الحال قائماً حتى الآن إذ يمكن مشاهدته بوضوح في الآراء العنصرية التي تسيطر على الدعاية بتفوق اليهود الفرصي الأخلاقي والعقلي ..

فهنيئاً لليهود التقليديين والصهيونيين الذين أحسنوا ركب موجة الاشرائية بأنواعها المادية والوطنية، فكانوا ضد فئة الفلاحين حيناً ومعهم حيناً آخر .. إنه الاحتيال والخداع !

الملح الثاني - كان المجتمع اليهودي التقليدي يعتمد على الملوك بخاصة وعلى النبلاء ذوي السلطة الملكية بعامّة، فكانت القوانين تأمر بشتم غير اليهود باستثناء الملك أو النبيل الذي يُمدح ويُطاع في كلّ الأمور المدنية والدينية، وكان الأطباء يُمنعون من إنقاذ حياة غير اليهود العاديين يوم السبت بينما يبذلون جهدهم لإنقاذ الزعماء والحكام، ولذلك كانوا يوظفونهم كأطباء لهم ويعتمدون عليهم في جمع الضرائب والجمارك وكوكلاء للمزارع .

فاليهودية التقليدية اعتمدت في هذه الفترة على (الامتياز) الذي منحه لها الملك أو الأمير أو النبيل المتنفذ، وكان الأحرار يرفضون ما يريدون من حقوق على اليهود الآخرين .

وهكذا وجدت طبقة رجال دين يهود تشبه ما لدى النصارى في العصور الوسطى، فكانوا لا يدفعون أي ضرائب للسلطة بينما يجمعونها من الشعب اليهودي لصالحهم . وقد تمتعوا بهذا النفوذ قبل مائة سنة من منح قسطنطين الأكبر مثل تلك الامتيازات لرجال الدين النصارى .

ولو نظرنا، كما يقول الكاتب، إلى وضع اليهود القانوني في الإمبراطورية الرومانية منذ عام ٢٠٠م إلى القرن الخامس لوجدنا البطريرك اليهودي في طبريا بفلسطين يعتبر رئيساً أكبر لجميع يهود الإمبراطورية وللطبقة الرسمية العليا من قناصل وقادة عسكريين ووزراء كبار بحيث لا يسبقه أحد إلا العائلة الملكية . وقد اشتهرت كمثال على ذلك حادثة إعدام حاكم فلسطين النصراني لمجرد إهائته للبطريرك .

إنه التزلف للحكام وكسب المنافع الكثيرة !!

وكان البطريرك يفرض الضرائب على اليهود، والغرامات والعقوبات من جلد وغيره حتى استخدم نفوذه لقمع اليهود الذين اتهموه بفرض الضرائب على الفقراء اليهود لمنفعته الخاصة . وعلى نفس الدرب كان الأحرار المعينين من البطريرك، وانتشرت بذلك كراهيته واحتقار الفلاحين اليهود وفقراء المدن في فلسطين للأحرار،

واستمر بالرغم من ذلك هذا النظام الاستعماري النموذجي، كما يصفه الكاتب، مدعوماً بسلطة الإمبراطور الروماني .

واستمر هذا النظام طيلة فترة اليهودية التقليدية وإن كان الاختلاف الاجتماعي يشتد بين المجتمعات اليهودية كلما ازداد عدد اليهود وظهرت طبقة اليهود الفقراء ومعها برز تعاون الطبقة الحبرية المتحالفة مع الأغنياء والرؤساء للضغط على الفقراء لمصلحتها ومصلحة من تحالفهم من الملوك والنبلاء ...

ونتيجة لغزارة المعلومات عن المجتمع اليهودي بعد عام ١٧٩٥م في بولندا بالذات حصل انشقاق بين طبقة اليهود العليا من أحرار وأغنياء وبين جماهير اليهود، وتطور الانشقاق من القرن الثامن عشر وطيلة التاسع عشر، ونشبت ثورات الفقراء الأولى بسبب الضرائب الكبيرة وقسر (الحكم الذاتي) اليهودي في جمعها حتى أوقع عقوبات دينية على المتمردين .

والمهم أن الأحرار كانوا أكثر الناس إخلاصاً ودعماً للسلطات القائمة مهما كان نوعها، وكان يشتد دعمهم بمقدار شدة رجعية الحكومات، كما يقول الكاتب .

فهنيئاً لهم على ابتزاز أبناء شعبهم لحساب جيوبهم وجيوب سادتهم !

الملح الثالث – أن مجتمع اليهودية التقليدية كان يعارض المجتمعات غير اليهودية المحيطة به لو استثنينا الملوك والنبلاء الذين كانوا يسيطرون على الدولة .

إن هذه الملامح الثلاث توضح تاريخ المجتمعات اليهودية التقليدية في الأقطار النصرانية والإسلامية على حد سواء . وكخط عام كانت اليهودية التقليدية تزدهر تحت الحكومات القوية التي كانت تفصل عن معظم طبقات المجتمع . فكانوا يقومون بمهام الطبقة المتوسطة بشكل دائم مما كان يجعل الفلاحين يعارضونهم كما يعارضهم رجال الدين النصارى الكبار والنبلاء المشتركون مع الملوك للسيطرة على الدولة التي اتخذت الشكل الوطني أو شبه الوطني حيث كان يفسد حال اليهود . إن هذا الوضع انطبق على البلدان الإسلامية والنصرانية على حد سواء، ونجد فيما يلي أمثلة توضح ذلك، كما يرى الكاتب:

ففي إنجلترا جاء وليم الفاتح باليهود إلى البلد كجزء من طبقة النورمان الحاكمة والناطقة بالفرنسية، وكانوا يمنحون القروض للوردات والرجال الروحيين والزمنيين، وإلا عجزوا عن دفع رسوم الإقطاع الثقيلة والأثقل في إنجلترا من كل الملكيات الأوروبية الأخرى . وكان الملك هنري الثاني والماغنا كارتا تحميهم طيلة فترة الصراع حتى بين البارونات وهنري الثالث الذي بدأ انهيارهم في عهده حتى حسمه إدوارد الأول مع تكوين البرلمان وفرض الضرائب العادية الثابتة على الشعب اللذين صاحبهما طرد اليهود .

ففترة إقامة اليهود الأول في انجلترا كانت قصيرة تبعاً لتطور الملكية الإقطاعية فيها .

وفي فرنسا: ازدهر حال اليهود خلال التشكيلات الإقطاعية القوية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر التي كان أفضل حماتها لويس السابع (١١٣٧-٨٠م) من ملوك الكبوشيين بالرغم من أنه عميق التدين النصراني .

واعتبر اليهود أنفسهم في ذلك الوقت، كما يقول الكاتب : كفرسان، ولكن قيادتهم رفضت وحذرت من الإقامة في ملكية أي لورد إقطاعي حتى يعتبروا أصحاب امتيازات كالفرسان .

وانحدر وضعهم مع فيليب الثاني مؤسس التحالف السياسي العسكري بين التاج وحركة المجتمع المدني الصاعدة، والتي رجح وزنها في عهد فيليب الرابع الذي دعا لعقد تحالف عام لجميع فرنسا ليحصل على الدعم ضد البابا .

وطرد اليهود من جميع فرنسا بفعل التعاون ضدهم من نقابة الحقوق الضريبية للملك والشخصية الوطنية للملكية .

وفي إيطاليا : ازدهر حال اليهود مع وجود جمهوريات المدن بكثرة ولاسيما الدول البابوية، وفي صقلية ونابلي مع ملوك الإقطاع الذين طردوهم بأوامر إسبانية عام ١٥٠٠م، وفي فلورنسة كان دورهم ضئيلاً لقلّة عددهم في المدن التجارية الكبيرة والمستقلة . وأما في العالم الإسلامي فلم يحصل طرد لليهود كما في الأقطار النصرانية، لأن ذلك يناقض الأحكام الإسلامية، كما يقول الكاتب، وإن كان القانون الكنسي الكاثوليكي الوسيط لم يأمر ولم يمنع من الطرد ، ففي إسبانية المسلمة ازدهرت المجتمعات اليهودية حتى كان فيها العصر الذهبي اليهودي الحقيقي من شعر عبري وقواعد وفلسفة وغيرها .

فبعد موت المنصور عام ١٠٠٢م، وتأسيس ممالك الطوائف العديدة بدأ ذلك العصر الذهبي الذي برز من رئيس الأركان اليهودي المشهور ورئيس وزراء مملكة غرناطة صموئيل الرئيس الذي مات عام ١٠٥٦م، والذي كان أحد أشهر شعراء اليهود في جميع العصور، بدأ يتدهور .

واستمر الحال كذلك طيلة فترة الممالك الإسبانية العربية حتى انحدر مع ظهور حكومة المرابطين (١٠٨٦/٩٠م)، وانحدر أكثر ليصبح قلقاً تحت حكومة المهدي القوية بعد عام ١١٤٧م، عندما هاجر اليهود بسبب اضطهادهم إلى الممالك الإسبانية النصرانية الضعيفة .

وفي الشرق الإسلامي كان الحال اليهودي نفسه، فقد وصل المجتمع اليهودي في الدولة الفاطمية إلى مركز سياسي مهم، وخاصة بعد فتح مصر عام ٩٦٩م لقيامها كما يقول الكاتب على حكم الأقلية الدينية للشيعنة الإسماعيلية .. وتكرر الحال مع الحكومات السلجوقية، وأما صلاح الدين فقد أسدى جماً كبيراً للمجتمعات اليهودية في

مصر والمناطق الأخرى من دولته الواسعة معتمداً في ذلك على تسامحه وكرمه وحكمته السياسية العميقة ...

وهنا تجاهل الكاتب ما ذكره في بداية إشارته للعالم الإسلامي من أن طرد اليهود لم يقع فيه لتناقضه مع القوانين الإسلامية ... ثم تجاهل حتى اسم الأندلس لإسبانية المسلمة مع أنه أتى على معاملتها لليهود ، وكيف أنهم وصلوا إلى مراكز حساسة في العصر الذهبي في فترة ممالك الطوائف ، وأنهم لم يتعرضوا للاضطهاد والطرْد إلا بعد ضعف وسقوط الحكم الإسلامي من الأندلس وعودة الممالك النصرانية إليها .

ولوحظ أنه يرى قوة ونفوذ اليهود حيث يكون الضعف في الدولة الإسلامية، ففي العهد الإسماعيلي الفاطمي في مصر وفي العهد السلجوقي في بغداد اشتد وقوي عودهم السياسي، ولكنه عندما يتحدث عن الدولة الأيوبية وقوة رئيسها صلاح الدين ينسب ذلك لتسامحه وكرمه وحنكته السياسية ويتجاهل قوة الدولة والتزامها بالأحكام الإسلامية .

وعندما يتحدث عن الدولة العثمانية يرى أوجها طيلة القرن السادس عشر حيث كان دور اليهود كما يقول الكاتب يشبه دور الانكشارية، أي كان ممتازاً تحت حكمهم المنفصل عن شعبه. ولكنه انحدر مع الرضى والمشاركة في السلطة وإن لم يكن الانحدر شديداً، كما يقول الكاتب، بسبب استمرار تسلط واستبداد الحكام . وفي هذا الوصف تجاهل انضباط الحكام العثمانيين الأقوياء بالأحكام الإسلامية، وإن كان يعترف بجودة وضع اليهود تحت الحكم الإسلامي بشكل عام.

كما ينعى على العديد من الفلسطينيين والعرب عامة، كما يقول، لأنهم يستخدمون ذلك الوضع الجيد لليهود تحت حكم الإسلام للدعاية الجاهلة، كما يصفها، لأنهم يحولون القضايا السياسية والتاريخية الهامة إلى مجرد شعارات، كما يقول . وبالرغم من هذا الانتقاد يقرّ الكاتب بأن حال اليهود كان أفضل حالاً منه تحت النصرانية . ويرى الكاتب بأن وضع المجتمع اليهودي كان أفضل قبل الحداثة، وإن لازمه المزيد من استبداد الأحرار ضد اليهود الآخرين . ويشرح ذلك من مثال صلاح الدين الذي أعطى امتيازات كبيرة للمجتمع اليهودي في مصر، وعين الميمونيين رؤساء لهم، فحررهم من الظلم الديني القاسي الذي كان يمارسه عليهم (المذنبون) اليهود من الأحرار أنفسهم . فالكهان اليهود منعوا من الزواج بعاهرات بل بمطلقات، ولكن هذا المنع كان منتهكاً في فترة الحكام الفاطميين المتأخرين من قبل الكهان الذين كانوا يتزوجون بالمطلقات في المحاكم الإسلامية التي تزوج المسلمين.

وأما صلاح الدين فكان يسمح للميمونيين بإصدار أوامر لمحاكم الأحرار في مصر لتعاقب بالجلد من ينتهكون الزواج المحظور حتى يطلقوا زوجاتهم .

وتكرر مثل ذلك في الدولة العثمانية عندما أعطيت محاكم الأحياء صلاحيات كبيرة جداً . وهكذا يمكن القول بأن وضع اليهود في البلدان الإسلامية كان مما يفرض عدم استخدامه للجدال السياسي في السياقات الحالية والمستقبلية.

وكان الكاتب يريد المسلمين ومفكريهم أن ينسوا تاريخهم وأحكام إسلامهم في كيفية التعامل مع اليهود وكيانهم الدخيل الذي زرعه الغرب في بلادهم .

ولابد من وقفة مع : ١ - إسبانية النصرانية ، و ٢ - بولندا ، لما حصل فيها من تطور عظيم للمجتمع اليهودي الداخلي لليهودية التقليدية .

أما إسبانية النصرانية : فكان حال اليهود السياسي أعلى من كل ما كسبوه في أي قطر باستثناء بعض الطوائف وحكم الفاطميين قبل القرن التاسع عشر .

فقد كان منهم الأمناء العامون لخزينة ملوك قشتالة، وكانوا جباة إقليميين وعامين للضرائب، ودبلوماسيين، وكانوا من الحاشية والمستشارين للحكام والنبلاء الكبار، ومنذ القرن الحادي عشر اضطهدوا فرقة القريتين اليهودية بتهمة الهرطقة بالجلد حتى الموت عند عدم التوبة، وكانوا يجدهون أنف اليهودية التي تتزوج من غير يهودي، وكانوا يقطعون أيدي من يهاجم القاضي الحبري، كما كانوا يسجنون الزاني بعد الركض حول الحي اليهودي، كما كانوا يقطعون لسان كل من يعتبر مجدفاً .

ففي مملكة قشتالة بشكل خاص وصل الحكم الإقطاعي والنفوذ اليهودي السياسي للقمّة تحت حكم بيدرو الأول الذي أعطاهم حق تأسيس محكمة تفتيش ضد المنحرفين اليهود وذلك قبل مائة عام من إنشاء محاكم التفتيش الكاثوليكية الشهيرة إثر الثورة الفرنسية .

وبعد صعود وهبوط عادت حال اليهود ووصلت القمّة برعاية فرديناند وإيزابيلا، ثم انحدرت مكاتهم، ثم طردوا بفعل التحركات الشعبية والضغط ضدهم. فكان النبلاء ورجال الدين الكبار يدافعون عنهم أمام معاداة الملتزمين بالكنيسة وعمامة الطبقات الدنيا، وكانوا يعتمدون على الملكية الاستبدادية بدلاً من أن يكونوا دائماً تبعاً للإقطاعية .

وأما بولندا : فكانت قبل عام ١٧٩٥م جمهورية إقطاعية بملك منتخب، ولذلك أمكنها أن تكشف عن حال اليهود قبل دخول الحداثة . وقد تطورت خلالها العائلة الحاكمة بسرعة شديدة بتطور سلطة النبلاء التي خضعت لقرار المحكمة، ولكن العداوات بين كبار النبلاء في القرن الثامن عشر استخدمت الجيوش الخاصة بتعداد عشرات الآلاف، مما جعلها تسخر من الجيش الرسمي للدولة . وصحب ذلك تخفيض مستوى الفلاحين البولنديين إلى مستوى الرق التام كعبودية أوربية حيث تمتع النبلاء بالنفوذ على الفلاحين حتى الموت دون أي اعتراض، وكان شرق البلاد أسوأ بين الجميع .

هذه هي بولنדה القديمة فأين اليهود فيها ؟

كان عددهم فيها قليلاً، وإن بدأت هجرتهم إليها في القرن الثالث عشر، ولكن وضعها كان منحدرًا في الغرب والوسط مما يجعل حالهم لقلّة المعلومات .

ومع انهيار الملكية في القرن السادس عشر برزت اليهودية البولندية اجتماعياً وسياسياً، إذ منحوا في هذه الفترة امتيازات كبيرة في جمع الضرائب من يهود بولنדה كلها لصالح لجنة الأراضي وصالح المجتمعات اليهودية المحلية والباقي لخزينة الدولة .

ولكن ما دور اليهود الاجتماعي من القرن السادس عشر إلى عام ١٧٩٥ م ؟

مع انهيار السلطة المطلقة استولى النبلاء على دور الملك، فأنزّلوا المآسي باليهود كوكلاء لهم لتدمير سلطة المدن التجارية الملكية، ولكن اليهود كانوا ينتصرون على النبلاء لضعف المدن، ولكنهم، كما يقول الكاتب، خسروا أنفسهم في الثورات الشعبية المتكررة، وخسروا أملاكهم حيث انتصر النبلاء.

ولكن الأقاليم الشرقية كانت أعظم المناطق مأساوية ضد اليهود، لعدم وجود مدن ملكية. وكانت تلك المناطق مأهولة باليهود، وكان الكثير منهم مراقبين وممارسين للرق على الفلاحين كوكلاء مزارع، فكان شرق بولنדה تحت حكم النبلاء والكنيسة الإقطاعية، واليهود الذين كانوا يستغلون الفلاحين تنفيذاً لأوامر النبلاء أسوأ استغلال، مما جعل بطشهم بالفلاحين يشتد أثناء ثوراتهم، وإن كانوا يخفون أو يوقفون تلك القوانين عند خشية الخطر ضدهم كعادتهم .

وكانت فترة ما بين ١٥٠٠ و ١٧٩٥م اشد فترات التاريخ اليهودي قسوة في جميع المجتمعات اليهودية لازدياد خنق كل فكر إبداعي بقوة الحكم الذاتي اليهودي من خلال تطوير استغلال الفقراء اليهود من أغنيائهم بالتحالف مع الأحرار من أجل تبرير دور اليهود في اضطهاد الفلاحين أثناء خدمة النبلاء .

وهكذا كانت فترة ما قبل ١٧٩٥م تظهر الدور الاجتماعي اليهودي الأكثر أهمية من أي فترة من فترات الشتات الأخرى التقليدية لأنها كانت تكشف إفلاس اليهودية التقليدية أكثر من أي بلد آخر، كما يقول الكاتب .

وهكذا يظهر مدى تواطؤ اليهود حتى مع حكام البلد والمتنفذين فيه ولو ضد بعضهم البعض من أجل المكاسب المادية والمعنوية ناهيك عن سيرهم على نفس الطريقة من تبرير ذلك بحجة دفع الخطر عنهم !

وينتقل الكاتب هنا للحديث عن موضوع اضطهاد اليهود خلال فترة اليهودية التقليدية، مما جعل الصهيونية تدافع الآن عن الدين اليهودي وهي تصدر القوانين ضد غير اليهود مستخدمين قتل النازية الخمسة إلى ستة ملايين يهودي قمة تبرير ذلك .

ولهذا فإن أحفاد اليهود لما قبل عام ١٧٩٥م البولنديين الذين يتولون السلطة السياسية العليا في (إسرائيل) الآن، كما يتولون السيطرة على المجتمعات اليهودية في أمريكا وجميع الأقطار العربية الناطقة بالإنجليزية، هم الذين حفر هذا النمط من التفكير في أذهانهم أكثر من غيرهم من اليهود .

ولكن لا بد من التمييز بشدة بين اضطهاد الفترة التقليدية وبين الإبادة النازية، لأن الأولى كانت صادرة من الحركات الشعبية بينما الثانية كانت من الرجال الرسميين النادرة في التاريخ اليهودي بخاصة والبشري بعامة، لأن الإبادة كانت غير محصورة باليهود، إذ قتلوا من العجر والسلافيين الملايين من المدنيين وسجناء الحرب .

وعليه فإن السياسيين الصهيونيين يجدون في اضطهاد اليهود المتكرر خلال الفترة التقليدية نموذجاً في اضطهادهم للفلسطينيين كما يجدون في ذلك حجة للدفاع عن اليهودية بشكل عام ..

فهل في هذا التبرير أدنى حجة سليمة في اضطهادهم الفردي والجماعي للفلسطينيين؟! وكيف ينسون أن أسوأ أحداث الاضطهاد لليهود كانت عندما أقدمت على ذلك تلك النخب الحاكمة من أباطرة وبابوات وملوك وأرستقراطية عليا ورجال دين كبار وبورجوازية غنية في مدن الحكم الذاتي اليهودي؟! وكيف يتجاهلون أن دفاع تلك النخب عن اليهود بأنها لم تكن لاعتبارات إنسانية، ولا من باب التعاطف معهم، وإنما لتبرير مصالحهم، لأن اليهود كانوا مفيدين لهم بدفاعهم عن القانون والنظام وكرههم للثائرين ضدهم بسبب خوفهم من أن يتطوروا إلى متمردين شعبيين؟! وكيف يتغافلون عن حقيقة سبب خداع اليهود في الفترة التقليدية بأنه كان جزءاً من تمرد الفلاحين عندما كانت الحكومات ضعيفة؟!!

فالقاعدة العامة في مذابح اليهود الكبيرة في أوربة المسيحية أنها لم تجيء من الحكام والمنتفذين وإنما من الحركات الشعبية من الفلاحين والمعوزين، كما ظهر عندما لَبَّى هؤلاء نداء بطرس الناسك في الحملة الصليبية الأولى، فكان الأسقف أو ممثل الإمبراطور في كل مدينة يعارضهم ويحاول عبثاً حماية اليهود. فأتثناء الحملة الصليبية الثالثة كان الثوار المعادين لليهود في إنجلترا جزءاً من الحركة الشعبية ضد الحكم الملكي، مما جعل ريتشارد الأول يعاقب بعض الثائرين، وأما مذبحه اليهود الكبيرة عام ١٣٩١م في إسبانية فكان سببها ضعف الملكية والبابوية معاً... ولا ننسى مذبحه اليهود الكبيرة الأخرى خلال ثورة شمبيلينكي في أوكرانيا عام ١٦٤٨م عندما تحول تمرد الضباط إلى حركة شعبية واسعة قام بها الأرقاء المضطهدون من الكنيسة الكاثوليكية، فكانت ثورة ضد السادة الذين كان اليهود يلتصقون بهم فلحقتهم المذبحة تبعاً لسادتهم.

فهل يستدعي هذا التاريخ اليهودي الحافل بالدماء العبرة فلا يتسلقون اليوم أمريكا وسادتها المحافظين الجدد كما تسلقوا بالأمس الحكام في الدول الأوربية عندما كان لها تقرير مصير السياسات الدولية؟

اذكروا ذلك يا سادة اليهود اليوم في فلسطين، ولا أقول (إسرائيل) قبل أن يبيعكم هؤلاء كما باعكم أولئك فتضيع عليكم فرصة العودة للعيش الكريم في ذمة المسلمين وخلافتهم القادمة بعون الله كما عشتُم بالأمس..

وهنا يأتي دور الحديث عن موضع آخر في هذا الفصل ، إنه اللاسامية الحديثة:

لقد ظهرت هذه اللاسامية أولاً في فرنسا وألمانيا ثم روسية بعد عام ١٨٧٠م. فالاجتماعيون اليهود يرون أن بداياتها وتطورها يُعزى للرأسمالية، والكاتب قد يخالفهم الرأي لأنه يرى أن الرأسماليين الناجحين في جميع البلدان بعيدين عن اللاسامية، وكانت إنجلترا وبلجيكا أول البلدان الرأسمالية أبعد البلدان عن انتشار اللاسامية.

فاللاسامية في أولها (١٨٨٠-١٩٠٠م) كانت مجرد رد فعل ممن كرهوا المجتمع الحديث بجميع مظاهره الحسنة والسيئة، وكانوا متحمسين لنظرية المؤامرة في التاريخ، وكان اليهود مجرد ظل في دور كبش الفداء ليتحطم المجتمع القديم، فكيف تحدد هذا الفداء؟ وما الصفة المشتركة بين جميع فئات اليهود العامة بعد أن تلاشت الملامح الدينية الخارجية على الأقل؟

لقد كانت نظرية العرق اليهودي الجواب اللاسامي لهذه المسألة .

ولقد كانت معارضة النصراني والمسلم لليهودية التقليدية خالية من العنصرية نتيجة علاقة النصرانية والإسلام باليهودية أصلاً وبسب وجودهما العالمي.

وقد كان اليهود يعاملون كنبلاء في بلدان كثيرة، ويتزوجون من أعلى النبلاء.

إنها أسطورة العرق اليهودي القائلة بميزات مهيمنة، وإن خفيت خارجياً. وقد عارض بعض القادة الكنسيين الفرنسيين العقيدة العنصرية الجديدة التي نشرها درومونت أول لاسامي شعبي فرنسي ومؤلف كتاب اليهود الفرنسيين عام ١٨٨٦م الذي انتشر بشكل واسع.

وبالرغم من معارضة اللاساميين الألمان الحديثين إلا أن بعض الجماعات الأوربية المحافظة كانت مستعدة للتعامل مع اللاسامية الحديثة واستخدامها لأغراضها الخاصة كما استخدم اللاسامية المحافظون عندما كانت تتاح لهم الفرصة وإن كانتا تلتقيان في العمق كما يقول الكاتب.

هذا وإن مثل هذا التحالف الانتهازي قد ظهر عدة مرات في أقطار أوربية مختلفة حتى هزيمة النازية.

ولابد من القول بأن تأثير اللاسامية الحديثة، وتحالفها مع المحافظين قد اعتمد على عوامل مختلفة نذكرها فيما يلي:

الأول – تقليد الكنيسة القديم بمعارضة اليهود الذي شاع في كثير من الأقطار الأوروبية، ولكن ميل الكنيسة الكاثوليكية للتحالف الانتهازي مع اللاسامية كان قوياً في فرنسا وليس في إيطاليا، في بولندا وليس في بوهيميا، في اليونان وليس بلغارية، وكانت الكنائس البروتستنتية الألمانية منقسمة بعمق بهذا الصدد..

والثاني- لأن اللاسامية تعبير عرقي عن كره الأجانب ورغبة في الصفاء العرقي المجتمعي، ولكن اليهود كانوا في كثير من الأقطار الأوروبية منذ عام ١٩٠٠م حتى الآن هم الإنسان الغريب الوحيد في غربته ولاسيما في ألمانيا لأن العنصريين الألمان كانوا يكرهون في مطلع القرن العشرين اليهود والسود على حد سواء.

والثالث – لأن نجاحات التحالف المؤقت بين المحافظين واللاسامين كانت نسبية، وكان الخصوم المؤثرون للاسامية في أوربة هم قوى الحرية والاشتراكية، وكان أعضاء الثورة الفرنسية ضد اللاسامية.

ولابد هنا من التمييز الحاد بين المحافظين والرجعيين من جهة والعنصريين الفعليين واللاسامين، من جهة أخرى. فالعنصرية الحديثة التي تشكل اللاسامية جزءاً منها تصبح قوة شيطانية عند توفر القوة لها، فهذه القوة المجهولة من حيث المبدأ يؤمل مع نمو المعرفة الإنسانية أن يمكن فهمها، فالنازية لم يمكن التنبؤ بفظائعها اللهم إلا من قبل بعض الفنانين والشعراء.

وبعدها يجد الكاتب نفسه أمام موضوع الرد الصهيوني على اللاسامية، فيعتبر الصهيونية رد فعل للاسامية وتحالف محافظ معها في نفس الوقت.

وكان اليهود الأوروبيون متفائلين قبل ظهور اللاسامية الحديثة، كما ظهرت في البلدان الغربية التي اختار يهودها اليهودية التقليدية، مع تشكل الحركة الثقافية القوية فيها.

فالتنوير اليهودي (حاسكalah Haskalah)، بدأ في ألمانيا والنمسة عام ١٧٨٠م ثم حمل لأوربة الشرقية وشعرت به القوة الاجتماعية المهمة ما بين ١٨٥٠-١٨٧٠م.

وقد استطاعت الحركة الثقافية أن تحيي الأدب العبري وتوجد أدب اللغة الإيديشية Yiddish، وكانت تتميز بعقيدتين عامتين:

الأولى – الإيمان بالحاجة للنقد الجذري للمجتمع اليهودي وبالذات في دوره الاجتماعي للديانة اليهودية التقليدية،

والثانية – الأمل المسيحي الكبير بالنصر لقوى الخير في المجتمعات الأوروبية الداعمة لحركة التحرر اليهودي.

ولكن مع نمو اللاسامية وتحالفها مع القوى المحافظة تعرضت حركة التنوير اليهودي لضربة شديدة دمرتها بسبب تحرير اليهود في بعض البلدان الأوروبية وليس كلها. ففي النمسة نالوا حقوقهم كاملة عام ١٨٦٧م بينما في ألمانيا نالوها في بعض الولايات فقط حتى منحها لهم بسمارك عام ١٨٧١م، واستمر التمييز ضدهم في الدولة العثمانية حتى عم ١٩٠٩م.

ومثل هذا الواقع جعل الصهيونيين يتجاهلون نصف الحقائق تبعاً لليهودية التقليدية، ويدعون بأن جميع غير اليهود يكرهون ويضطهدون جميع اليهود، مما أدى إلى رؤية أن الحل الوحيد حسب الصهيونية هو تركيز اليهود في فلسطين أو أوغندا أو غيرها.

إذن لقد كان هذا الحل وليد الخداع والتحايل على الواقع والزعم بكراهة اليهود الجماعية من قبل غير اليهود ولاسيما أنهم حرصوا على إبراز نظرية عدم التساوي الدائم والتاريخي بين اليهود وغيرهم كما أعلن الصهاينة واللاساميون، وزعموا بأن غير اليهود جميعاً يكرهونهم حيث تجمعوا سواء في فلسطين أو غيرها. وهنا لابد من إعطاء أمثلة على التحالفات بين اللاسامية والصهيونية:

١- تحالف هرتزل مع الكونت فون بليف Von Plehve الوزير اللاسامي للقيصر الثاني.

٢- تحالف جابوتنسكي مع تيلورا زعيم أوكرانية الذي ذبحت قواته مائة ألف يهودي بين عامي ١٩١٨ – ١٩٢١م.

٣- تحالف بن غوريون مع الفرنسيين بجناحهم اليميني المتطرف خلال الحرب الجزائرية.

٣- تحالف القادة الصهاينة مع هتلر عند ظهوره وتسلمه السلطة لمشاركتهم له الإيمان بأولوية العرق وعدائه لاستيعاب اليهود مع الآريين، فهنئوه لانتصاره على عدوهم المشترك المتمثل بقوى الحرية، وظهر ذلك صريحاً في كتاب الحبر الصهيوني جواشيم برنز الذي كان صديقاً لجولدا مائير، والذي قال في كتابه (نحن اليهود) إن معنى الثورة الألمانية للأمة الألمانية

سيظهر عملياً.. مع ضياع الحرية وعنصر استيعاب اليهود.. ثم عبّر عن سروره لخلط الزواج بين اليهود والألمان فقال: نحن لسنا تعساء لذلك، ثم دعا لإصدار قانون جديد بدلاً من قانون الاستيعاب لإلحاق اليهود بالأمة اليهودية والعرق اليهودي.. وقال بأن الألمان يريدون من اليهود أن يكونوا غير منافقين ولا زاحفين على ركبهم، وأن يكونوا مخلصين لمصالحهم الذاتية.

فالكاتب، كما يقول الكاتب هنا، مليء بالنفاق للعقيدة النازية، والسرور لهزيمة الحرية وتوقع انتصار الصهيونية والعرق اليهودي.

فالصهيونية المتمثلة بالدكتور برنز وأمثاله تحالفت مع النازية دون أن تدري موقفاً تلك الحركة من اللسامية الحديثة تماماً كما يجري الآن من الكثيرين الذين لا يعرفون إلى أين تقودهم الصهيونية، فهل هي تسعى لإيجاد خليط من الأحقاد القديمة لليهودية التقليدية نحو غير اليهود، مستخدمة التاريخ بما فيه من اضطهادات لليهود لتبرير اضطهادها للفلسطينيين؟!

هو هذا بالتأكيد يا دكتور شاحاك ولكن ليس لأن الفلسطينيين عرق آخر وإنما لأنهم مسلمون يقول الكثير منهم بملء الفم: لا لوجود هذا الكيان الدخيل في فلسطين.

وهنا يأتي الكاتب للحديث عن موضوع هام آخر من هذا الفصل، إنه كيفية مواجهة الماضي، فيدعو اليهود للتخلص من طغيان ماضيهم الاستبدادي بمجابهة مسألة موقف اليهود من الثورات الفلاحية، من ناحية، ومسألة الحوارات من هذه المسألة التي يقودها المدافعون عن اليهودية والاعتزال اليهودي، من ناحية أخرى.

صحيح أن تلك الثورات قد ارتكبت فظائع ضد اليهود ولكن ذلك لم يكن محصوراً في اليهود بل هم كغيرهم من المضطهدين، ولذلك لا يجوز استخدام هذا الأمر كحجة تبرر العنف ضد الفلسطينيين وإنكار حقهم في العدالة.

ولكن أي عدالة هذه؟ هل هي في السماح بإيجاد كيان فلسطيني في الضفة والقطاع يكون تحت سيطرة (إسرائيل) الكاملة؟! أم يكون مستقلاً هذا الاستقلال الوهمي الذي تتمتع به الكيانات الكرتونية في المنطقة؟! كيف لا وأن الكاتب يرى أن تلك العدالة تتحقق بنبذ الانغلاق على الذات وتحرير اليهودي من الخصوصية والعنصرية اليهودية، ومن اليد المينة للديانة اليهودية.

فإذا تحررت اليهودية من ذلك فماذا سيبقى لها؟ هل يبقى كونها دين مع الإسلام والنصرانية تعيش معهم في كيان واحد؟! إن هذا ما يرفضه المحافظون الجدد من سياسة أمريكا الذين يرون في استخدام العنصرية اليهودية سبيلاً أمثل للحفاظ على مصالحهم ليس في فلسطين فقط وإنما في المنطقة كلها.

ويعود الكاتب ليؤكد أن ثورات الفلاحين المضطهدين ضد ساداتهم ووكلاء ساداتهم لم تكن ثورات محصورة في مكان معين مع التاريخ الإنساني. فكما وقعت في أوكرانيا وقعت في ألمانية، وفرنسة وغيرها من أرجاء العالم، ولكنها لم يكن اليهود فيها هدفاً وإن رافقتها مذابح مرعبة، كما حصل في الثورة الفرنسية الكبرى، مما يستدعي التساؤل عن موقف المثقفين والمفكرين في كل تلك الأقطار بعد تلك الثورات، فهل الإنجليز يدينون ثورات الفلاحين الأيرلنديين ضد استعباد الإنجليز لهم؟ وهل يدينونهم كعصريين معادين للإنجليز؟ وهل الفرنسيون التقدميون يدينون ثورة العبيد الكبرى في سانتو دومينغو التي ذبح فيها الكثير من النساء والأطفال الفرنسيين.

إن هذه الأسئلة لا تتلقى من اليهودية التقدمية والاشتراكيين اليهود نفس الأجوبة من مثقفي غير اليهود، لأن اليهودي ينظر إلى الفلاح المستعبد كيف يتحول إلى وحش عنصري، فيرى في ذلك ما يفيد عند العبودية والاستغلال.. ولكنه سيبقى مداناً إذا لم يتعلم من التاريخ كما يقول الكاتب، ويتحرر من ماضيه الذي يردد مع الصهيونية والسياسات الإسرائيلية التي تنفذ على الفلاحين المضطهدين من أقطار أخرى عديدة نفس الدور اليهودي قبل عام ١٧٩٥م في بولندا عندما مارس ذلك وكلاء المضطهدين المتحكمين .

فالكاتب يريد من (إسرائيل) أن تعدل سياساتها ضد الفلسطينيين لتزيل هذه الأحقاد التي تراكمت في نفوسهم لتتمكن من العيش المشترك معهم. ولذلك فإنه يستنكر على (إسرائيل) تسليحها لقوات حكومة سوموزا في نيكاراغوا وقوات غواتيمالا والسلفادور وتشيلي ضد الثوار، وأكثر من ذلك فإنه يستغرب إن لم يستنكر هذا الصمت الشعبي الإسرائيلي أو بين اليهود في الشتات، فلماذا لم تثر تلك السياسات الإسرائيلية الشعب في (إسرائيل) فتجعله يطرحها للنقاشات؟! ويقف ضد تلك النفعية الذرائعية التي تستخدمها (إسرائيل) في سياساتها؟!!

ويستغرب موقف اليهود المتدينين، وسكوت أحبارهم عن ذلك بينما نجدهم، كما يقول، مفوهين في إثارة الكراهية ضد العرب!! وينتهي إلى القول بأن (إسرائيل) والصهيونية فيها وفي العالم أجمع هما إنعكاس لدور اليهودية التقليدية، تلك اليهودية التي قامت على العنصرية والانعزالية والكراهية للآخر.

ويأتي الكاتب للجواب عن تلك الأسئلة فيطالب جميع اليهود الذين يتصدون للدفاع عن الحرية الإنسانية مع أمثالهم من غير اليهود بالتصدي لكل تلك السياسات العنصرية، كما يطالب اليهود منهم بالذات بالتصدي للماضي اليهودي، ولكل تلك المظاهر الحالية في (إسرائيل) وغيرها القائمة على الافتراء بشأن الماضي وعبادة اليهود له، وأن أول متطلبات ذلك التصدي هو الأمانة التامة حول الحقائق دون تزييف ولا تحريف، وثانيهما الإيمان بالمبادئ الإنسانية العالمية التي يجب أن تقوم عليها السياسات والأخلاق في (إسرائيل).

فأي مبادئ إنسانية يريد الكاتب أن تلتزم بها (إسرائيل) في سياساتها وأخلاقها؟ لاشك أنه يهاجم الاحتيال والخداع والتزييف والذرائعية النفعية الوصولية التي تسيطر عليها دول الغرب كلها وعلى رأسها أمريكا وطفقتها المدللة (إسرائيل)، وإلا فسياسة الوجهين بل الوجوه المتعددة باتت هي الأساس المتبع في (إسرائيل) والعالم الغربي أجمع...

وكم سيكون نافعاً للدول في العالم أفراداً وجماعات لو التزمت بأعراف عامة تقوم على خير الشعوب والأمم في الأرض، فلتلتزم بها في الحرب والسلام؟!

وكم سيكون رائعاً لو التزمت الدول في تلك الأعراف بالقواعد الأربعة التي قالها الحكيم الصيني القديم منسيوس في القرن الرابع قبل الميلاد، وأعجب بها فولتير، ألا وهي:

- ١ - الإحساس بالعاطفة نحو الآخرين كبداية للإنسانية،
- ٢ - الإحساس بالخجل من الأعمال الشائنة كبداية للحق،
- ٣ - الإحساس باللطف في التعامل مع الآخرين كبداية للحشمة،
- ٤ - الإحساس بالحق والصواب مقابل الباطل والخطأ كبداية للحكمة.

وعندها ستتخلص اليهودية التقليدية من شكلها التقليدي والتلمودي الذي تسمم به عقول أتباعها وغير أتباعها وقلوبهم، ذلك لأن النقد الذاتي القاسي للديانة اليهودية نفسها هو السبيل الوحيد لجعل اليهودية إنسانية، كما يقول الكاتب، وفهم أتباعها لماضيهم الخاص وتربية أنفسهم للخلاص من الاستبداد وظلم أتباعها والآخرين معهم بالكلام دون خوف ولا تحيز عن ذلك الماضي للتخلص منه مرة وإلى الأبد.

الفصل الخامس

القوانين ضد غير اليهود

The Laws Against Non- Jews

فيرى الكاتب بأن التلمود البابلي وما قامت حوله من مناظرات جمعت ونسقت في القانون التلمودي هي اللازم المزيد منها بعد أن اكتسبت سلطة كبيرة في الحياة العامة.

ويقول بأن المجموعة الأولى من تلك القوانين التلمودية هي تورا المشناه Mishnah Torah التي كتبها موسى بن ميمون في القرن الثاني عشر، ويأتي دليلاً

للتلك التوراة شلحان عاروخ الذي ألفه الحبر يوسف كارو في القرن السادس عشر كتجميع شعبي وشرحاً أكبر لها إذ أضيفت إليه تعقيبات القرن السابع عشر ثم القرن العشرين المسماة Mishnah Berurah . ويأتي أخيراً الموسوعة التلمودية التي جمعت ونشرت في (إسرائيل) مع بدء خمسينات القرن العشرين، وهي الخلاصة التامة لمجموع الكتابات التلمودية .

وبعدها يذكر الكاتب الموضوع الأول في هذا الفصل الخامس، ألا وهو الجريمة والإبادة الجماعية Murder and Genocide فيقول بأن الديانة اليهودية تعتبر قتل يهودي أحد الذنوب الثلاثة الكبرى بالإضافة للوثنية والزنا. فاليهودي الذي يقتل يهودياً آخر انتهك قوانين السماء وعرض نفسه لعقاب الله أكثر من عقاب الإنسان .

بينما عندما يقتل غير يهودي فإنه ينتهك قوانين السماء أيضاً ولكنه لا يعاقب في محكمة ولا يعتبر القتل ذنباً ولا إثماً ! فلا يعاقب ولا بضربة يد ولا بأي عمل مباشر. وأما القاتل غير اليهودي فيجب إعدامه سواء كان المقتول يهودياً أو غير يهودي، وأما إذا تحول القاتل إلى اليهودية فلا يعاقب !
فيا لهذا التمييز في الدماء العنصرية حتى عند الجرائم ؟!

وهاهي قوانين الجنايات في (إسرائيل) لا تميز بين اليهودي وغير اليهودي ولكن الأحرار الأرثوذكس ينفذون ذلك التمييز عملاً بالحالآخاه !!

لاشك أن ذلك ليس بمستغرب على ديانة سارت على التحريف لتقوي من عنصرية أتباعها وانغلاقهم على أنفسهم !!

وأما تطبيق الحظر ضد قتل غير اليهود فهو من حق من ليسوا في حالة حرب معنا، كما يقول الكاتب، عندما وضع الأحرار القرار النهائي بشأن الحرب بقتل جميع الشعب المعادي، ومنذ عام ١٩٧٣م جرت الدعاية لهذا الحكم لتوجيه الجنود المتدينين، ونشر هذه الموعظة الرسمية قائد المنطقة الوسطى في الجيش الإسرائيلي التي تشمل الضفة الغربية، وكان مما قاله فيها ضابط الأركان تشابلين Chaplain بقتل المدنيين غير القادرين على إيقاع الأذى بقواتهم لأن الحالآخاه تأمر بذلك وبعدم الثقة بأي عربي مهما أظهر من تحضر ..

وهذه العقيدة نفسها نشرت في الرسائل المتبادلة بين الجنود الإسرائيليين الشباب وأحبارهم ، ونشرتها كلية الدراسات الدينية المسماة Midrashiyyat No'am حيث تجمع الكثير من القادة ونشطاء الحزب الديني الوطني وحركة غوش إيمونيم .

وهنا يورد الكاتب نموذجاً من تلك الرسائل برسالة من الجندي موشي إلى الحبر شيمعون ويزر ويسأله عدة أسئلة بشأن قتل غير المسلحين والنساء والأطفال، والثأر من العرب، وهل يببدهم أو يقتلوا الجنود فقط ؟ وهل تترك امرأة حية وإن

وجدت حالات رمتهم فيها النساء بالقتال؟ وهل يقدم الماء لعربي رفع يديه لأعلى مع أنه قد يقصد الخداع والقتل وقد حصل مثل ذلك؟

وأجابه الحبر على أسئلته تلك بأن اليهودي إذا قتل غير يهودي فإنه يعتبر قاتلاً ولكنه لا يعاقب في أي محكمة . فالقتل تعني الضغط كمنع رمزي، وغير اليهودي لا يدفع في البئر ليموت ولكن لا ينقذ منه إذا سقط فيه، وغير اليهودي يجب قتله وقت الحرب، وهذه هي قاعدة (طهارة الأسلحة) التي تذكرها الحالاخاه .

وعاد الجندي موشي وكتب للحبر ثانية بأنه فهم رسالته بأنه مأمور وقت الحرب بقتل كل رجل وامرأة من العرب إذا كان هناك أدنى سبب يخشى منه مساعدتهم، وطلب من الحبر أن يوضع موضوع (طهارة الأسلحة) في المؤسسات التعليمية الدينية خاصة ليكون مفهوماً ومطبّقاً دون اختلاف بين الجنود ..

فمثل هذه الرسائل ونشرها بين الجنود تثير جو الكراهية البغيض في نفوسهم، وحرصهم على قتل الآخرين بأدنى شبهة إذا كانوا في حالة حرب، ويفعل ذلك وقت السلم إذا وجدت الشبهة المحتملة . والتقيد بالحالاخاه غير منضبط لا مع قانون الجنايات الإسرائيلي ولا مع التنظيمات العسكرية الجارية في (إسرائيل) اليوم .

إنها دولة القتل والإبادة الدائمة لأن الأصل هو عدم وجود سلم مع الآخرين وإنما دوام الحرب .

ويأتي الكاتب بعدها لموضوع إنقاذ الحياة كقيمة عليا للإنسان توجب بذل قصارى الجهد من الإنسان نحو زميله عندما تتعرض حياته للخطر، وحصراً كلمة (الزميل) في اليهودي فقط، وأما غير اليهود فإن القاعد التلمودية الرئيسية توجب قتلهم فتقول (غير اليهود لا يرفعون من البئر ولا يلقون فيه) وقت السلم كما وضح الميمونيون بأن غير اليهودي ليس بزميلك .

والطبيب اليهودي لا يجوز له معالجة غير اليهودي، كما يقول ابن ميمون الذي كان طبيباً مشهوراً . ويقول (ومن هذا نعلم بأن من الممنوع معالجة غير اليهودي حتى لو مقابل أجر مدفوع ...) ولكن من ناحية أخرى إذا سبب رفض الطبيب اليهودي معالجة غير اليهودي عداوة له وخطراً على اليهود فيجب عليه معالجته، ويقول (ولكن إذا ذهبت خشيته أو خفت عداوته فليعالجه بأجر ويمنع ذلك دون أجر)، وكان هذا هو حال الطبيب موسى بن ميمون نحو صلاح الدين كطبيبه الخاص، فكان يصر على طلب الأجرة من السلطان ليؤكد بأن العمل ليس من باب التبرع الإنساني وإنما من باب الواجب المفروض . ولكن من ناحية أخرى كان يسمح لغير اليهود الذين تخشى عداوتهم بالعلاج (حتى مجاناً إذا كان لا يمكن تجنبه) كما يقول

ومثل هذه العقيدة تتكرر في مصادر كثيرة رئيسة منها عاروخ شلحان، وسلطات الحالاخاه التي تبين بأن كلمة (غير اليهود) تشير إلى جميع غير اليهود بدون استثناء .

وعندما يقول حكماءهم بأن المقصود بغير اليهود هم فقط الوثنيون الذين يعبدون الأصنام، ولا يؤمنون بخروج اليهود من مصر ولا بخلق الوجود من عدم، فإنهم يستثنون النصارى والمسلمين من (غير اليهود الوثنيين)، ويرون بأنه لا مانع من مساعدتهم والصلاة عليهم والدعاء لهم .

صحيح أن هذا القول الذي ورد في النصف الثاني من القرن السابع عشر لطيف من علماء الدفاع عن الدين ولكنه مجرد إزالة المنع من إنقاذ حياة غير اليهود وليس من باب الإلزام كما هو حال اليهودي، ويبقى محصوراً في إطار النصارى والمسلمين فقط، ولا يشمل أصحاب الأديان والمذاهب الأخرى، كما يكشف عن طريق يمكن لعقيدة الحالاخاه الفظة أن تتحرر فيه من قسوتها ولا إنسانيتها .. ولكن يبقى أيضاً القول بأنه بالرغم من تخفيف غلظة الحالاخاه إلا أن مثل هذا القول ليس إلا من باب محاولة التخلص من شيء من التحريف والتزوير التي أعملوها في التوراة، والتي ستظهر في الموضوعات التالية .

واستكمالاً لإنقاذ الحياة وعدمها جاء الحديث عن ذلك بشأن يوم السبت فوضع الكاتب هذا الموضوع تحت عنوان (انتهاك السبت لإنقاذ الحياة) .

لإنقاذ حياة يهودي يجب انتهاك حرمة يوم السبت، وأما إنقاذ حياة غير يهودي يوم السبت فممنوع على كل حال حتى في يوم آخر من أيام الأسبوع إلا في ظروف استثنائية:

الأول – عند احتمال وجود يهودي بين مجموعة من الناس في خطر . فميمون والتلمود وعاروخ شلحان يقررون الظرف حسب وزن الاحتمالات : فنجاة شخص واحد من عشرة تحت الهدم وفيهم يهودي واحد توجب إزالة الهدم كما يقول الشلحان لاحتمال أن اليهودي ما زال تحت الأنقاض وأما لو نجا تسعة وبقي واحد فلا يوجب العمل لقوة الاحتمال بأنه ليس اليهودي .

وكذلك الحال في كل الظروف المشابهة .

ويؤكد الحبر الكبير أكيفيا أيجر الذي مات عام ١٨٣٧م، بأن ذلك يجري عندما يتأكد وجود يهودي في الحادث وإلا فلا تنتهك حرمة يوم السبت لأن أغلبية الناس في العالم هم من غير اليهود ...

فيا للعمل الإنساني المريع !!

والثاني – لتجنب الخطر والعداوة يحصر إنقاذ غير اليهودي أو رعايته في يوم السبت، وأما في الأيام الأخرى فيمكن ذلك لأنه يستطيع استخدام عبادة السبت كعذر مقبول، وأما انتهاك السبت فيسمح به لليهود فقط، ويرى ميمون أن هذا مجرد تبرير لغير اليهود بحجة أنهم يجهلون أنواع الأعمال الممنوعة على اليهود يوم السبت.

ويقول الكاتب بأن هذا النوع من التبرير لا يمكن الاعتماد عليه للتحايل وتجنب عداوة غيرا ليهود، مما يفرض على السلطات الحبرية أن تخفف من هذه القواعد إلى مدى بعيد فتسمح للأطباء اليهود بمعالجة غير اليهود أيام السبت سواء كانوا أغنياء وأصحاب نفوذ، كما هو جاري الآن وفي كل زمان، أم من الفقراء والمحتاجين ..

فهذه النظرة شبه الإنسانية من الكاتب معدومة لدى التلمود وأحباره !

وكيف لا يكون ذلك وجرأة بعض الأحبار قد خففت هذه القيود في الماضي . فهي هو الحبر يونيل سركيس، مؤلف بيت حداث Bayt Hadash وأحد كبار أحبار القرن السابع عشر في بولنדה قد قرر وجوب علاج رؤساء البلديات والنبلاء الصغار والأرستقراطيين أيام السبت خوفاً من خطر عداوتهم، وأما إذا أمكن التبرير فلا تجوز المعالجة لأن الطبيب اليهودي، كما يقول، يرتكب (ذنباً لا يحتمل) إذا عالجهم يوم السبت.

كما قد قرر الحبر مئير في فرنسة جواز معالجة الطبيب اليهودي لحاكم كبير يوم السبت كمرضى اليهود للتخلص من عداوته .

ويقرر حوفمات شلومو المعلق على عاروخ شلحان في القرن التاسع عشر عدم إنقاذ حياة المهترطين اليهود يوم السبت لأن مفهوم (العداوة) لا ينطبق عليهم وإنما فقط على الوثنيين .

والحبر موشي صوفر المعروف بحاتم صوفر، حبر برسبيرغ المشهور، والذي مات عام ١٨٣٢م، اعتمد جوابه من قبل رئيس أحبار (إسرائيل) عام ١٩٦٦م (كقانون أساسي للحالاخاة)، وقد جاء جوابه بأن المسلمين والنصارى العثمانيين ليسوا فقط وثنيين بل (يعبدون آلهة أخرى ..) ويشبهون العماليق، ولذلك فإن حكم التلمود فيهم، كما قال، هو (ممنوع تكثير بذور العماليق) ولذلك لا يجوز مساعدتهم أيام الأسبوع الأخرى .

وأما إذا وجد في غير اليهود الأطباء والقابلات من أنفسهم فإنه يمكن علاجهم من اليهود حتى لا تقع خسارة الدخل منهم، وهذا في غير يوم السبت، وأما فيه فلا بد من التبرير بحرمة انتهاك قدسيته .

فالحبر حاتم صوفر يضع لأعمال انتهاك يوم السبت نوعين من الأعمال يمنعان يوم السبت :

الأول – العمل الممنوع من التوراة، كما يفسرها التلمود، فهذا العمل لايقام به إلا في الحالات الاستثنائية لدرء خطر العداوة الشديد ضد اليهود .

والثاني – الأعمال الممنوعة من الحكماء الذين وسعوا قانون التوراة الأصلي وجعلوا الموقف من الممنوعات أسهل بشكل عام .

فإذا كان نص التوراة يمنع أعمالاً معينة يوم السبت فكيف يلغىها التلمود بحجة التخفيف والتسهيل؟!

فيا للتلاعب بالنصوص وتحريفها بحجج عقلية و مبررات دنيوية؟!

وجواب حاتم صوفر الآخر يؤكد جواز انتهاك الممنوع في التوراة بواسطة الحكماء (!) دون أن ينسى قاعدة الخشية من إثارة العداوة غير المرغوب بها (لأن غير اليهود لا يقبلون ميرر عبادة السبت) و (يقولون بأن دم الوثني له قيمة أقل في أعيننا). وعند اعتذار الطبيب اليهودي بحاجة مرضاه له لا يوجد خوف من الخطر، ولكن عند (استحالة إعطاء ميرر) على الطبيب اليهودي أن يذهب بعربته يوم السبت لمعالجة غير اليهود ..

فالأمر الرئيس في كل هذه الظروف هو الأعداء التي يمكن تقديمها وليس ذات العلاج الفعلي أو حالة المريض، ويبقى المطلوب البديهي والصواب هو، كما يقول الكاتب، أن تخدع غير اليهودي بدلاً من أن تعالجه ما دام يمكن تجنب العداوة.

فالموقف كله إذن خال من الإنسانية، وأنه جزء من الخداع والاحتيال، فهل هذه هي التوراة الحقيقية أم تحريفها التلمودي وتزوير حكماهم لها؟!

ويرى الكاتب بأن الكثير من الأطباء اليوم غير متدينين ولا يعرفون هذه الأحكام، بل حتى المتدينين منهم يفضلون العمل بقسم أبيقراط بدلاً من أقوال أحبارهم وإن كانوا لا يحتجون عليها إذا علموا بها .

(وإسرائيل) اليوم يحكمها في هذا المجال كتاب (قانون الطب اليهودي) المعتمد على جواب الحبر اليعازر يهودا فالدينبرغ، رئيس قضاة محكمة منطقة القدس، وفيه (يمنع انتهاك السبت لأي قاريتي مهرطق من اليهود)

وفيه بشأن غير اليهود (فإنه تبعاً لحكم التلمود والقانون اليهودي يمنع انتهاك السبت سواء كان بانتهاك التوراة أو القانون الحبري وذلك من أجل إنقاذ حياة إنسان غير يهودي مهددة بالخطر، كما يمنع توليد امرأة غير يهودية يوم السبت ..)

ويقول الكاتب، مقرأً بأن الأحبار الإسرائيليين قد ساروا في تطوير التشريع فاصدروا تشريعاً جديداً يقول : (وعلى كل حال يسمح هذه الأيام بانتهاك السبت لصالح غير اليهودي والقيام بأعمال ممنوعة بالقانون الحبري لأن ذلك يمنع إثارة المشاعر السيئة بين اليهود وغير اليهود) .

ولكن هذا التشريع الجديد مداه محدود لأن المعالجة الطبية غالباً ما تشتمل على أعمال ممنوعة يوم السبت من التوراة نفسها دون أن يشملها هذا التشريع، وإن كان

هناك (بعض) سلطات الحالاخاة توسع هذا التشريع لتجعله يشمل هذه الأفعال أيضاً وإن كانت معظم سلطات الحالاخاة تأخذ بالرأي المعاكس.

فالمسألة التشريعية إذن ما زالت محل أخذ ورد تبعاً لما تراه عقول الأحرار والحكماء في تجنب إثارة العداوة . وهنا يقول الكاتب بأن حل مثل هذه الأمور يبقى معلقاً بالقانون التلمودي الذي يرى بأن المنع المفروض من التوراة على ممارسة أي عمل يوم السبت يجب تطبيقه فقط عندما تكون النية الأولية في العمل هي النتيجة العملية للعمل، (فمثلاً : طحن الحنطة ممنوع من التوراة إذا كان القصد الحصول على الطحين)، ومن ناحية أخرى إذا كان القيام بنفس العمل كمجرد عمل عرضي لقصد آخر فإن العمل يتغير وضعه وإن بقي ممنوعاً من الحكماء أكثر منه من التوراة نفسها .

ولهذا فإنه لتجنب أي انتهاك للقانون هناك طريقة قانونية مقبولة لتحويل المعالجة لصالح المريض غير اليهودي حتى عند التعامل مع انتهاك القانون التوراتي.

وهنا يضرب المثل التالي : لو فرضنا أنه عند تقديم الطبيب للمعالجة اللازمة فإن نواياه لا يجوز أن تكون أساساً لمعالجة المريض ولكن لحماية نفسه وحماية الشعب اليهودي من الاتهام بالتمييز الديني، وبالتالي تجنب الثأر الشديد الذي يعرضه للخطر هو خاصة والشعب اليهودي بعامة، وبهذه النية يصبح كل عمل من الطبيب مما تكون نتيجته العملية ليست غرضه الأساسي الممنوع يوم السبت بالقانون الحبري فقط .

وبهذا يظهر كم استطاع الأحرار والحكماء والخروج عن التشريع التوراتي بتطويره تبعاً لمقتضيات حاجة الفرد والجماعة اليهودية بشأن الأمن والأمان بالذات، وهذا ما يفسر سبب تكاليف (إسرائيل) اليوم على هذا المطلب بالذات في كل مفاوضات مع الفلسطينيين، وما هذا البديل الريائي، كما يسميه الكاتب ليمين أبيقراط إلا مقترح من السلطات العبرية الحالية . وقد لوحظ صمت الجمعية الطبية الإسرائيلية أمام ما نشرته الصحافة الإسرائيلية بخصوص ذلك، ولاسيما أن هذا هو موقف الحالاخاة من حياة غير اليهود، مما يستدعي، كما يرى الكاتب، ضرورة معالجة قوانين الحالاخاة التي تميز ضد غير اليهود .

وهنا يود الكاتب أن يشير لبعض هذه القوانين الكثيرة جداً والمهمة جداً فيبدأ بذكر الإساءات الجنسية:

فالزوجة اليهودية ترتكب خطيئة كبرى إذا زنت بأي رجل آخر غير زوجها، وأما غير اليهودية فتري الحالاخاة الأمر مختلفاً جداً إذ ترى غير اليهود كلهم غير شرعيين فتقول (فمن كان لحمه كلحم الحمير، ومن كان منيّه كالخيول فهو مثلهم) . فغير اليهودية، متزوجة أو غير متزوجة، لا قيمة لذلك لأن الحالاخاة ترى أن مفهوم الزواج لا ينطبق عليهن (لأنه لا يوجد زواج بين الوثنيين)، فمفهوم الزنا لا ينطبق على

زنا اليهودي بامرأة غير يهودية، والتلمود يساوي هذه المعاشرة بإثم البهيمة إذ (لنفس السبب فإن غير اليهود يعتبرون بشكل عام لا أصل لهم).

والموسوعة التلمودية تقول (فمن كانت لديه صلة جسدية بزوجة غير يهودية فإنه لا يتعرض لعقوبة الموت لأنه مكتوب " زوجة زميلك أكثر من زوجة الغريب ") .

وحتى أن قاعدة (أن الرجل يفض بكارة زوجته) يقصد به غير اليهود ولا ينطبق على اليهود لأنه لا زواج للوثني.. وتقول الموسوعة تلك : مع أن المرأة غير اليهودية المتزوجة محرمة على غير اليهود إلا أن اليهودي معفى ! ولكنها لا تذكر بسماع المعاشرة الجنسية بين الرجل اليهودي والمرأة غير اليهودية وإن كانت تنص على عدم معاقبة الرجل اليهودي، وأما المرأة غير اليهودية فتقتل حتى لو كانت معتسبة من اليهودي، فتقول (فإذا جامع يهودي امرأة غير يهودية، سواء كانت طفلة من عمر ثلاث سنوات أو بالغة، وسواء كانت متزوجة أم لا، وحتى لو كان هو من عمر تسع سنوات ويوم واحد، ولأنه كان راغباً في معاشرتها، فيجب قتلها كما هو الحال مع الحيوان لأنه خلالها تعرض اليهودي للأذى) .

فاليهودي يجب جلده على كل حال، وإذا كان من الكهان فإنه يتعرض لمضاعفة الجلدات لأنه ارتكب إساءة مضاعفة طالما يجب عليه عدم معاشرة العاهرات، والنساء غير اليهوديات يعتبرن كلهن عاهرات .

فيا للعار من هذا التمييز البغيض حتى في الزنا !!

وينتقل الكاتب للحديث عن الوضع القانوني لغير اليهود: فيرى بأن الحالاخاة لا تجيز لليهود أن يعينوا في أي مركز في السلطة أي غير يهودي مهما كان المركز صغيراً.

وهناك مثالان معروفان في ذلك هما :

١- (الأمر لعشرة جنود في الجيش الإسرائيلي)

٢- (المشرف على حفرة الري) .

فيجب ألا يعين أي غير يهودي في هذين المركزين، وأما إذا كان الشخص من المتحولين لليهودية، أو من أبنائهم بشرط (من نسل الأنثى) ولو إلى عشرة أجيال أو (إلى مدى ما يعرف به الحفيد) فيجوز ذلك .

ففي نظر الحالاخاه يعتبر غير اليهود كذابين من حيث النسل، ولا تقبل شهادتهم في المحكمة، فمكائهم نظرياً مكانة النساء والعبيد والقصر وعملياً أسوأ من ذلك بكثير، إذ يمكن للمرأة اليهودية حالياً أن تشهد على وقائع معينة عندما (تصدقها) المحكمة الحبرية، وأما غير اليهودية فلا .

فالمشكلة تقع عندما لا يوجد شهود إلا غير اليهود، وحالة الأرامل هي المثال المهم في ذلك. فقانون اليهود المتدينين يرى أنه يمكن إعلان أن المرأة أرملة ولها أن تتزوج ثانية إذا تأكد موت زوجها بشاهد رآه يموت أو تعرف على جثته، فشهادة اليهودي الذي سمع الخبر من غير يهودي مقبولة مع احتمال الكذب،

فالحبر الذي يتولى أخذ الشهادة من غير اليهودي يستنبط من شهادته دون سؤال مباشر ما يبين الحادثة كما وقعت .

وهنا يظهر هذا الوضع القانوني لغير اليهودي كم هو قائم على التحيز والتعصب !

وينتقل الكاتب بعدها إلى النقود والأموال فيسلط الضوء على ستة جوانب منها تبين مدى الإساءة في التعصب ضد غير اليهود:

الأول – الهدايا، فالتملود يمنع تقديمها لغير اليهود، ولكن السلطات الحبرية غيرت حكم التملود بسبب لزوم هدايا العلاقات بين رجال الأعمال، فحكمت بجواز ذلك من باب التعارف وليس الهدية، وبقيت هدايا (غير اليهود الغرباء) ممنوعة . وإعطاء الصدقات للمتسولين اليهود واجب ديني مهم، ولغير اليهود مجرد وسيلة للسلام، فتوقف إذا لم توجد عداوة . فيا للهدايا والصدقات الذرائعية!!

الثاني – التعامل بالربا، يسمح نظرياً بالتمييز في التعامل بالربا بين اليهودي وغير اليهودي، ولكن التشريع جرى تطويره فسمح بأخذ الربا حتى من المقترض اليهودي على اعتبار أنه استثمار، وإن كانت هناك توصية بمنح القرض اليهودي بدون فائدة، وأما غير اليهودي فيندب أخذ الفائدة منه بأكبر قدر ممكن كما تقول الميمونية نفسها . فيا للتعامل الربوي العجيب !؟

الثالث – الأملاك المفقودة، فعلى اليهودي إذا وجد مالا أن يبذل جهداً لإعادته لصاحبه الذي يحتمل أن يكون يهودياً، وأما إذا كان غير يهودي فيمنع من إعادته إليه، وما تأمر به الدولة من إعادة المفقودات بغض النظر عن أصحابها ليس كواجب ديني وإنما ما يسمونه الفعل الحضاري، ويا للدين غير الحضاري !؟

الرابع – الخداع في العمل، فمن الخطيئة الكبرى الخداع ضد اليهودي، ولكنه ممنوع فقط ضد غير اليهودي، وإن كان يسمح به بصورة غير مباشرة إلا إذا أثار العداوة . فالخطأ في الحساب أثناء البيع يصح لصالح اليهودي، ولا يعرف به غير

اليهودي، وإذا عرفه يقول له (إنني أعتد على حسابك) لتجنب العداوة . فيا لفن الكذب والخداع !!

الخامس – الغش، يمنع غش اليهودي في البيع والشراء، وأما غير اليهودي فالنص يقول (لا يغش أي إنسان أخاه) فيحذر غشه، ويجبر غير اليهودي على عدم غش اليهودي، واليهودي في كل أحوال الغش لا يعاقب كغيره.. إنه التمييز العنصري البغيض!!

السادس – السرقة والسلب، شلحان عاروخ ترى أن السرقة دون عنف ممنوعة تماماً فتقول (حتى من غير اليهودي) . وأما السلب بعنف فهو ممنوع بشدة إذا كان من يهودي، ولكنه غير ممنوع من غير اليهودي إلا (عندما يكون غير اليهودي ليس تحت حكمنا) ولكنه يسمح به (إذا كان غير اليهودي ليس تحت حكمنا). فالمسألة لاعلاقة للعدالة والإنسانية بها وإنما هي نفوذ اليهود وغير اليهود النسبي، ولذلك من القليل من الأحرار من احتج ضد سلب الفلسطينيين أملاكهم في (إسرائيل)، فهذا أمر وارد في ظل السيطرة اليهودية الجارية!!

وينتقل الكاتب هنا إلى موضوع آخر من هذا الفصل، إنه

غير اليهود على أرض (إسرائيل):

إن قوانين الحالاخاه ضد اليهود على (أرض إسرائيل) أو حتى أن يمرروا فوقها موضوعاً لتطویر السيادة اليهودية على تلك الأرض، لاسيما أن مفهوم (أرض إسرائيل) محل نزاع كبير في التلمود والأدب التلمودي وبين مختلف طلاب الرأي الصهيوني، إذ ترى أوسع نظرة بأنها تشمل فلسطين كلها وجميع سيناء والأردن وسورية ولبنان وأجزاء كبيرة من تركيا بالإضافة للعراق والكويت وأقسام من السعودية وقبرص . (فالحد الأدنى) يصل إلى نصف سورية ولبنان على خط عرض حمص، وهذا ما دعه بن غوريون. كما أن جميع أقوال التلمود تشمل قبرص . وأما (الحد الأعلى) فإنه يشمل العراق والكويت وشمال الجزيرة العربية.

إنها أحلام التلمود وأكاذيب الصهيونية التي تفتري على التوراة وعلى كلام الله تعالى فيها الذي حصر وجودهم في صدق إيمانهم، وفي زمانهم، فغيروا وبدلوا وانتهى زمانهم وانتهى عهدهم وحلت رسالة الإسلام الواجب عليهم اتباعها محل توراتهم : فهل هم إلا مصرون على الباطل والضلال !؟

ومن قوانين الحالاخاة الخاصة بحق غير اليهود مما يطبق في (إسرائيل) اليوم أنها تمنع اليهود بيع أملاك ثابتة من حقول وبيوت لغير اليهود .

وتسمح بتأجير بيت لغير يهودي بشرطين : الا يستعمل البيت للمسكن وإنما كمخزن مثلاً، وألا يؤجر له ثلاثة بيوت أو أكثر متجاورة .

فهي تقول (عليك ألا تسمح لهم بنصب خيام على الأرض لأنهم إذا لم يملكوا الأرض فإن جوارهم يجب أن يكون مؤقتاً) . ويمكن التسامح في الجوار المؤقت (عندما يكون اليهود في المنفى أو عندما يكون غير اليهود أكثر نفوذاً من اليهود) .

ولكن عندما يكون نفوذ اليهود أكبر من غيرهم فيمنع التآجير لوثني وتمنع الإقامة المؤقتة، كما يمنع المرور في الأرض إلا إذا قبلوا الوصايا السبعة (ليس لهم أن يسكنوا في أرضنا حتى مؤقتاً وإذا قبل الوصايا السبعة فإنه يصبح مقيماً غريباً...) وخلال أوقات الاحتفالات يمنع قبول أي شخص لم يتحول لليهودية .

والمسألة برمتها كما يقول قادة وأعضاء حركة غوش إيمونيم هي كيف يُعامل الفلسطينيون طبقاً للحالاخاة ؟ إنه تابع لمسألة النفوذ اليهودي، فعند توفره يجب طرد الفلسطينيين !!

فانتظروا ذلك يا من تسعون للسلام مع هؤلاء الصهاينة !؟

وكل هذه القوانين مقتبسة من قرارات المؤتمر الحبري لعام ١٩٧٩م الذي عقد لبحث معاهدة كامب ديفيد، وكل هذه التصريحات كان من النادر أن يعلنها (اليسار) الصهيوني !

لماذا ؟ لأنهم مشتركون مع اليمين الصهيوني في وجود وحماية دولتهم ولايختلفون عنهم إلا في الأساليب !

فالكنعانيون والعماليق يجب إبادتهم كما ترى الحالاخاة لأنهم لا وجود لهم(!) وأما غيرهم ممن هم من نسلهم من الفلسطينيين فالتوراة تكرر النصائح بإبادة جنسهم بعنف أشد !! كيف لا والأخبار يعرفون الفلسطينيين، وكل العرب، بتلك الأمم القديمة وتقول (عليك ألا تبقي شيئاً حياً يتنفس) ...

فماذا يريد دعاة أبناء (الجبابرة) غير هذا !؟

وينتقل الكاتب إلى موضوع إساءة المعاملة التي تمارسها قوانين الحالاخاه ضد غير اليهود، كما يمارسها الأحيار .

فهم يرون أن الأمم الأخرى كلها ترعع (وتصلي للباطل ولإله لا يساعد). وبعد أن حذفت أو استبعدت الصلاة بتلك النصوص إلا أنها الآن أعيدت إلى كتب الصلاة في (إسرائيل)، ومنها تلك اللعنة الخاصة ضد النصارى والمرتدين للنصرانية من اليهود والمهرطقين من اليهود الآخرين .

فبعد أن كانت تلك الصيغة في القرن الأول (ليس للمرووس أي أمل، ويهلك النصرى في الحال) خففت قبل القرن الرابع عشر بقليل لتصبح (لا أمل للمرتدين، وليهلك المهرطقون في الحال)، وبعد ضغوط أخرى أصبحت (لا أمل للمصلحين، وليهلك كل المهرطقين في الحال) . وبعد إقامة (إسرائيل) أعيدت الصيغة الثابتة، وبعد عام ١٩٦٧ أعادت غوش إيمونيم الصيغة الأولى، فهم الآن يرددون في صلاتهم (ليهلك النصرى في الحال) ..

هكذا إذن يجري اللعب حتى بالصلوات !!

وعلى اليهودي المتدين أن يحمد الربّ إذا رأى جمعاً من اليهود ويلعن الجميع غير اليهود، كما يأمره التلمود أن يدعو بتهديم وتخريب أي بناء يسكنه غير اليهود عندما يمر به .. وكذلك يمتنع الثناء على غير اليهود وأفعالهم ويوجب على اليهود وأفعالهم ..

إنه التعصب للعرق وليس سلامة الأفعال وأهميتها التي تستحق الثناء !!

ويمنع الالتحاق بأي مظهر فرح شعبي غير يهودي إلا إذا كان ذلك يثير العداوة فيسمح بالحد الأدنى !

ويمنع الالتحاق بأي مظهر فرح شعبي غير يهودي، إلا إذا كان ذلك يثير العداوة فيسمح بالحد الأدنى!

وهناك العديد من القواعد الأخرى التي تمنع الصداقة بين يهودي وغير يهودي، فقاعدة (خمر القربان) وقاعدة (إعداد الطعام) لغير اليهودي في عيد يهودي :

فاليهودي يمنع من شرب خمر غير اليهودي، كما يمنع الشرب من قارورة مفتوحة أو لمسها غير يهودي بحجة أنها من مشركين وحاقدين وأنها بنية قربان لصنمهم : (فالقنينة المفتوحة الملموسة من نصراني يجب إراقتها بعيداً، ولكن لو لمسها مسلم فيمكن بيعها أو إعطاؤها لليهودي وإن لم يشربها) ..

وقوانين منع العمل يوم السبت تسمح بالعمل غير السبت كإعداد الطعام للأكل خلال الأيام المقدّسة وغيرها، ويسمى هذا القانون بإعداد (طعام الروح) أي اليهودي وأما غير اليهود والكلاب فإنهم يستبعدون تماماً ولا يستثنى من ذلك إلا غير اليهود المتنفذين لعداوتهم الخطرة فيطبخ الطعام لهم في يوم مقدس دون تشجيع لهم بالمجيء والأكل .

والجدير بالذكر أن هذه القوانين تدرس كجزء من الحالاخاة والديانة اليهودية التقليدية ... فاليهودي الأرثوذكسي يتعلم في شبابه المبكر كجزء من دراسته الدينية بأن غير اليهود يقارنون بالكلاب، وأنه من الإثم مدحهم . فهذه القوانين لها تأثير أسوأ من التلمود والقوانين التلمودية لتوجهها للصغار والعقول الجاهلة، ثم لأن الدولة كررت

طباعتها طبغات رخيصة ووزعت بكثافة، فهي، كما يقول الكاتب، كتاب التربية المؤلف من أحبار مجهولين في القرن الرابع عشر في إسبانية، وفيه توضيح بـ ٦١٣ واجباً دينياً مرتبة حسب تفسير التلمود..

فهي تأكيد لمعنى التوراة في بيان عبارات مثل زميل، و صديق ، ورجل فكلها تعني اليهودي فقط بدلالة (عليك أن حب زميلك كما تحب نفسه) و(المكروه عندك لا تفعله لصديقك) وهذا يؤكد وجوب ألا تؤذي اليهودي زميلك و صديقك في أي شيء بل تحرص عليه في كل شيء، بينما تحافظ على العبد غير اليهودي كعبد إلى الأبد (بينما العبد اليهودي يجب تحريره بعد سبع سنوات) ذلك لأن الشعب اليهودي، كما تقول تلك القوانين التلمودية والتوراتية هو الأفضل بين جميع الأجناس البشرية، وأنه خلق ليعرف خالقه ويعبده، فهو يستحق أن يملك العبيد لخدمته، وأن يكون العبيد من الآخرين بعد أن تزال الوثنية من كلامهم حتى لا يعرضوا بيوت سادتهم اليهود للخطر ..

فما هذه النظرة الخالية من أي إنسانية للعبودية ؟!

وعند التعرض لأخذ الربا على القروض لغير اليهود يقول القانون : (نحن مأمورون بطلب الربا من غير اليهود عندما نقرضهم نقوداً، ولا يجوز أن نقرضهم دون ربا) .

فهذه التمييزات الكثيرة توضح مدى اللانسانية في أفعالهم ! وهاهي تأمر بدفع أجره العامل، وأن خطيئة ذلك أقل خطورة إذا كان العامل غير يهودي، كما أن اللعن لا يوجه لليهودي (لا تلعن أي يهودي رجلاً كان أو امرأة) بينما من الواجب الديني أن تلعن غير اليهودي حياً أو ميتاً !!

وهاهي تأمر بمنع إتباع التقاليد غير اليهودية في اللباس وفي جميع أنواع السلوك ..

وهاهي تأمر بالتزام كل هذه الأوامر دون مناقشة، وأن أي يهودي يعرضها لمسامح غير اليهود محققر، ويجب عند الاستنكار للجوء للخداع والمرأوغة، فيقصد بالرحمة اليهود فقط وإن صدرت الكلمة في سياق العموم، وهذا هو أمر الحالاخاة .

وكل من يعيش في (إسرائيل) يعرف كم هي هذه الأمور عميقة في حياة اليهود، كما يقول الكاتب، ولكن ذلك قد اشتد بعد عام ١٩٦٧ وظهور بيغين، وعندها برزت العبودية في التعامل مع غير اليهود، شاع ذلك حتى في التلفزيون وبين المزارعين اليهود الذين يستغلون عمل العرب وبخاصة عمل الأطفال، ويأمرون بعضهم كما تفعل غوش إيمونيم بقتل قادة الفلسطينيين كأمر إلهي لتنفيذ خطتهم في طرد جميع العرب من فلسطين !!

إذن هو الحقد الدفين والبغض العنصري والكره الديني وراء قتل قادة الفلسطينيين ! فليتهالك دعاة السلام عليه معهم وهم يقتلون ويدمرون صباح مساء!!

وإذا كان القادة الصهاينة يجادلون ضد هذه الأفعال فهي الاعتبارات النفعية
الانتهازية لليهودية أكثر منه الصلاحية !

ولتذهب القواعد الإنسانية والأخلاق القويمة للجحيم !!

وإلا ما معنى قولهم بهذا الشأن بأن طرد الفلسطينيين غير عملي تحت الظروف
السياسية الحالية، وأن هذا العنف الإسرائيلي ضد الفلسطينيين لا يؤدي إلى عزلة
(إسرائيل) دولياً.... ويعلن الكاتب هنا بأن أساس أعمال جميع الصهاينة، وبخاصة
(اليساريون) منهم هو تقاسم المواقف العميقة ضد غير اليهود والتي تطورها بمهارة
اليهودية الأرثوذكسية .

فيا للأعيب اليسار على طلاب السلام العرب !؟

ويقف الكاتب أخيراً مع موضوع المواقف من النصرانية والإسلام :

فاليهودية مُشربة، بالكراهية العميقة للنصرانية مع الجهل بها، وقد ساعد ذلك
اضطهاد النصرى لليهود، ولكن عندما كانت النصرانية ضعيفة لم يحصل من ذلك شيء
بل شارك اليهود في اضطهادهم مع أن النصرى لم يضطهدوهم قط. فالميمونية
اضطهدتها حكومة المهديين فهربوا إلى حكومة القدس الصليبية، ولكن كراهة اليهود
للنصرى لم تتغير لسببين رئيسيين :

الأول – إشاعة الكراهية والحقد ضد المسيح (عليه السلام) . فأكثر العلماء
الحديثين لتلك الفترة يرون بأنه تبعاً لنقص المعلومات الأصلية فإن تأليف الأناجيل
المتأخر والمتناقض فيما بينها يؤدي إلى فقدان المعرفة التاريخية الدقيقة لظروف
(إعدام المسيح) كما يسمونه. فالتقارير غير الدقيقة وحتى الكاذبة عن المسيح (عليه
السلام) في التلمود والأدب التلمودي السابق، والذي استمر اليهود على الاعتقاد به حتى
القرن التاسع عشر، وما زال الكثير من يهود (إسرائيل) يعتقدون به، فهذه التقارير لها
دور هام في الموقف اليهودي من النصرانية .

فطبقاً للتلمود أعدم المسيح من محكمة أحرار خاصة عقدت ضد الشرك.. فجميع
مصادر اليهودية التقليدية التي أوردت إعدامه سعيدة جداً لتحمل المسؤولية في ذلك مع
أن البيان التلمودي قد أغفل ذكر الرومان في ذلك!

كما اتهموه بالسحر، واعتبروا اسمه رمزاً لكل مكروه، وهذا ما زال مستمراً،
والأناجيل كلها مكروهة ولا يسمح بالاعتباس منها .

الثاني - تصنف الأسباب اللاهوتية اليهودية بكل جهلها النصرانية كدين شرك، كما يرى التعليم الحبري، ويبنون ذلك على تغير بسيط لعقائد النصرانية عن التثليث والتقمص، وأن كل شعارات النصرانية وصورها مجرد أصنام !

وأما موقف اليهودية من الإسلام فهو بالمقارنة لطيف نسبياً وإن كانوا يصفون محمداً (عليه السلام) بأنه رجل مجنون، والقرآن ليس مداناً كالعهد الجديد، فلا يجب حرقه، ولكنه ليس مبعجلاً بنفس الطريقة التي يكرم بها الحكم الإسلامي الكتابات اليهودية المقدسة، ومعظم سلطات الأحرار لا ترى أن الإسلام شرك، فالحالاحة ترى معاملة المسلمين كغير اليهود العاديين وليس أسوأ منهم . والميمونية ترى أن الإسلام ليس بشرك وإن كانت قوانينه تنطبق على المسلمين مثلهم مثل غير اليهود الآخرين من التمييز باستثناء حالات الخطر ..

فهل هذا الموقف من الإسلام يغير من موقفه بحق دولتهم الدخيلة في فلسطين؟!!

الفصل السادس

النتائج السياسية

فيقول بأن مواقف اليهودية التقليدية الثابتة نحو غير اليهود تؤثر على اتباعها من يهود أرثوذكس وصهاينة، فتؤثر على سياسة الدولة بعد أن أخذت تصبح يهودية منذ عام ١٩٦٧م أكثر فأكثر، وبعد أن ازداد وقوع الخبراء الأجانب بخطأ تجاهلهم للعامل الأيديولوجي في السياسة الإسرائيلية. فالأزمات الإسرائيلية الحكومية أكثرها ناتج عن أسباب دينية تافهة، ومناقشة الخصومات بين الجماعات الدينية أو بينها وبين الزمنية له حيز أكبر من غيره إلا وقت الحرب أو التوتر الأمني .

فمثلاً : هل يدفن قتلى الأمهات غير اليهوديات مع اليهود في المدافن العسكرية أم في مدافن منعزلة ؟ وهل تقوم جمعية الدفن اليهودية بختان الجثث اليهودية غير المختونة قبل الدفن ودون استئذان العائلة ؟ وهل استيراد اللحم غير الشرعي ممنوع بشكل غير رسمي فيسمح به أو يمنع بقانون؟

فهل مثل هذه الأمور تستحق الفراغ الكبير للمناقشة الصحفية أم أن المفاوضات مع الفلسطينيين ومع سورية أولى وأهم ؟

ويقول الكاتب بأن الحكومة الإسرائيلية دعمت النفوذ الأردني في الضفة الغربية، وبالرغم من ذلك فقد طلب الملك حسين مقابلاً لموساً عندما طلبت منه إسرائيل ذلك. ورتبت مساندة الشيخ الجعبري من الخليل الذي حكم القسم الجنوبي من الضفة الغربية وبدعم من موسى ديان وزير الدفاع، وذلك بإقامة حفلة لوجهاء المنطقة

في ساحة مقر إقامته في الخليل تكريماً لميلاد الملك حسين، ولكن المستوطنين رفضوا رفع الأعلام الأردنية في (ارض إسرائيل) فرضت الحكومة لمطلبهم لأنها تؤمن بنفس الفكرة، فالغى الشيخ الجعبري الحفلة. فبادر الملك حسين إلى تقديم اقتراح في اجتماع القمة العربية بأن يُعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للفلسطينيين، وتحقق الدعم الأردني (لإسرائيل) وسارت المفاوضات حول (الحكم الذاتي) للفلسطينيين وتأثره بالفكرة اليهودية.

فيؤكد الكاتب بأن الخطأ عدم تأكيد أهمية شخصية (إسرائيل) كحالة يهودية، وأن من الخطأ مقارنة (إسرائيل) بالحالات الإمبريالية الغربية الأخرى أو حالات المستوطنين. فالتمييز العنصري مثلاً في جنوب إفريقيا أعطى ٨٧% للبيض و ١٣% للسود، وأين هذا من (إسرائيل)؟! والأيدولوجية اليهودية لا تقبل أي جزء من ارض (إسرائيل) يمكن أن يخص غير اليهود، فلا تسمح برفع الأعلام الأردنية عليه..

ولا يحصل أي تراجع مؤقت إلا عند تعرض أرواح اليهود للخطر كما حصل عام ١٩٧٣م وأعوام ٨٣-١٩٨٥/، ولذلك فإن الحكم الذاتي الحقيقي لغير اليهود على أرض (إسرائيل) لأسباب سياسية غير مقبول. (فإسرائيل) دولة منغزة وعزلتها أمر خاص بها.

ويهود الشتات يقعون تحت تأثير الأيدولوجية اليهودية أيضاً لحرص (إسرائيل) على دعمهم لها بغض النظر عن التناقض بين يهود الشتات وغير اليهود في الشتات وبين موقف اليهودية التقليدية في (إسرائيل). ويبرز التناقض في البلدان الناطقة بالإنجليزية وخاصة في أمريكا وكندا التي تدعم (إسرائيل) رغم تناقض سياساتها مع حقوق الإنسان الأساسية لغير اليهود .

ودعم الولايات المتحدة (لإسرائيل) لا يمكن النظر إليه كأمر مجرد لأنه نتيجة المصالح الأمريكية الإمبريالية، وتأثير اللوبي الصهيوني المنظم في أمريكا الذي يظهر حقيقة السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط . وكذلك الحال في كندا وفرنسة وبريطانية وبلدان أخرى تدعم (إسرائيل) بقوة بتأثير دعم المنظمات اليهودية (لإسرائيل)، فالتعصب والوطنية المتطرفة (الشوفينية) دفعا يهود الشتات لدعم (إسرائيل) وخاصة منذ عام ١٩٦٧م ..

هذا وإن بطبيعة الانعزالية للمنظمات اليهودية في نشاطاتها الاجتماعية والسياسية لا تجيز لغير اليهودي أي شيء طبقاً لأيدولوجيتهم .

وإذا كانت هذه الانعزالية تأتي (بالمقابل لما تفعله المنظمات غير اليهودية من عدم السماح لليهود أن يدخلوا في نواديهم، كما يقولون فلماذا يصرف أولئك الذين يدعون باليهود المنظمين أكثر أوقاتهم خارج ساعات العمل مع يهود آخرين؟

لاشك أنها ليست مجرد مقابل بل عزلة الديانة اليهودية التقليدية من غير اليهود قائمة على التعصب العرقي والتطرف الديني والوطني ..

وهاهم يتجنبون الصراحة عن مواقفهم نحو غير اليهود في الولايات المتحدة، لأن غير اليهود يشكلون أكثر من ٩٧% من السكان، ولذلك يعبرون عن مواقفهم بدعمهم الدولة اليهودية، وبالمعاملة السيئة لغير اليهود في (إسرائيل)، والمخادعة مع سكان المنطقة التي تعيش فيها دولتهم .

إنه الخداع في كل مكان !! الخداع والكذب في دعمهم الحماسي لمارتن لوتر كنج بينما هم لا يمارسون شيئاً من الحقوق الإنسانية الفردية والجماعية للفلسطينيين!! الخداع والكذب في مواقف اليهودية التقليدية نحو غير اليهود بحجة أن حياتهم في خطر، وما هي إلا المصلحة النفعية الذرائعية اليهودية التي يدعمها أحبار الولايات المتحدة واليهود المنظمون الذين يتظاهرون بدعم حقوق السود !! فكيف يدعمونهم وهم ليسوا باليهود؟!

فاليهود المحافظون والأرثوذكس هم أكثر اليهود المنظمين الأمريكيين الذين يدعمون اليهودية التقليدية في (إسرائيل)، وأما الإصلاحيون اليهود فإنهم لا يعارضون اليهود الآخرين ويكتفون بالتظاهر بأنهم متأثرون بهم !

ولتوضيح هذا التناقض نذكر بأن اليهودية التقليدية ذات طبيعة توتاليتارية استبدادية، تماماً كما هي حال العقائد الاستبدادية الأخرى .

فستالين وأنصاره لم يكلوا يوماً في دعم التمييز ضد أمريكا أو سود جنوب أفريقية وهم في وسط أفضع الجرائم التي ارتكبوها في الاتحاد السوفييتي ! وحكومة جنوب أفريقية لم تتعب في إدانة انتهاكات حقوق الإنسان التي ارتكبتها الشيوعيون والحكومات الأفريقية الأخرى

وهنا يعلن الكاتب بملء فمه بأن دعم الديمقراطية وحقوق الإنسان أمر لا معنى له بل مؤذٍ ومخادع إذا كان لا يبدأ بالنقد الذاتي وبدعم حقوق الإنسان عندما تنتهكها نفس الجماعة ... فأى دعم لحقوق الإنسان لا يشمل دولته اليهودية هو خداع كدعم السنالينية لحقوق الإنسان، ودعم الأحزاب والمنظمات اليهودية الأمريكية في الخمسينات والستينات للسود في الجنوب الأمريكي الذي كان مدفوعاً فقط باعتبار المصلحة اليهودية الذاتية، تماماً كما كان الدعم الشيوعي لنفس السود ولنفس الهدف وهو السيطرة على مجتمع السود سياسياً، بينما كان مع اليهود لدعم السياسة الإسرائيلية في الشرق الأوسط.

فالاختبار الحقيقي ليهود (إسرائيل) والشتات هو اختبار النقد الذاتي للماضي اليهودي أولاً والحاضر أخيراً، بشرط أن يكون هذا النقد مواجهة مفصلة وأمينة لموقف

اليهود من غير اليهود، إذ كيف يطلبون ذلك من غير اليهود وهم لا يمارسونه على أنفسهم؟!

وبحسبة بسيطة نجد أن عدد قتلى غير اليهود من اليهود خلال الخمسين سنة الماضية أكثر بكثير من قتلى اليهود من غيرهم . فالاضطهاد والتمييز ضد غير اليهود من الدولة اليهودية، وبمعونة يهود الشتات المنظمين، أكبر بكثير مما عاناه اليهود من الدول المعادية .

وفي الوقت الذي يجب مواصلة الكفاح ضد اللاسامية والتمييز العنصري يجب الكفاح ضد التطرف الوطني اليهودي والانغلاقية بنقد اليهودية التقليدية ذاتها في طبيعتها وممارستها .

وإذا كان الكاتب يركز على النقد الذاتي لليهودية التقليدية وممارساتها الصهيونية فإنه لا شك يريد ذلك لتجنب مخاطر الهلاك التي تحفرها لنفسها،

فهو يريد أن تبقى لا أن تزول، فهل هذا هو حكم الدولة الدخيلة والغريبة في المنطقة أم أنه يجب اجتثاثها من الوجود ليعود اليهود الراغبين في العيش في هذه المنطقة في ذمة أهلها أكراماً بدلاً من هذا العداوة المستحكمة في عقيدة الصهيونية وديانتها التقليدية ضد كل ما هو غير يهودي؟!

وبهذا انتهت دراسة كتاب التاريخ اليهودي

والحمد لله رب العالمين

القسم الرابع

دراسة كتاب شهود يهوه

للدكتور محمد حرب

تقديم

هذا الكتاب كما يدل عنوانه لا يحتاج لتقديم طالما عرفت هذه الحركة الصهيونية الماكرة في اللعب على المسيحية بادعائها أنها تعمل لنشرها في الأرض وما هي في الحقيقة والواقع إلا محاولة لمزيد من التحريف لها ، ولكي تستدر المزيد من العطف والتأييد من العالم المسيحي وبالذات أمريكا لتحقيق مشروعها الكبير على مستوى فلسطين وما يحيطها من أقطار إن لم يكن على مستوى العالم أجمع. وإليك بيان ذلك من باب المزيد من العلم والمعرفة لمعرفة هذا العدو وأساليبه الخبيثة ولاتخاذ ما يقتضي ذلك من الإجراءات حياله .

المحرر

١. يبدأ المؤلف بتقديم الكتيب بالإشارة إلى تحريف وتبديل الكتب السماوية السابقة للقرآن الكريم، مما أدى إلى ظهور فرق مختلفة في الديانة (المسيحية) وكانت جماعة «شهود يهوه» آخر هذه الفرق، وهي في حقيقتها جمعية دينية سياسية ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهي تقوم بنشاط مكثف لعرض اعتقاداتها وأفكارها على العالم.. انها فرقة (مسيحية) متأثرة بالديانة اليهودية ولها أهداف سياسية، ويتخذ قاداتها من الولايات المتحدة الأمريكية مقراً لجماعتها المركزية حيث تنطلق أفكارها بشكل مخطط ومنظم تنظيماً دقيقاً في جميع أنحاء العالم.

هذا وانها منظمة تخص المسلمين بجهودها لنشر أفكارها ومعتقداتها في بلادهم الأصلية وفي مهاجرهم ولاسيما بين العاملين منهم في أوروبا وأمريكا.

وأما وثائقها فهي سرية دائماً، ولولا محاكمات لهذه المنظمة عامي ١٩٦٢ و١٩٦٦م في أنقرة لما كسرت تلك السرية إذ ظهرت وثائق تكشف حقيقتها، مما جعل بعض الدراسات القليلة تظهر عنها. وكانت هذه الدراسة (الكتيب) إحداها.

٢. وأما التعريف بهذه المنظمة فقد بادر المؤلف به على الصفحتين ٩ و ١٠ من الكتيب، فيذكر بأن (يهوه) عندهم هو بديل عن كلمة (الله) كما وردت في التوراة،

والمنظمة دينية تعادي كل العقائد والأديان الأخرى، وتتخذ لنفسها شكل مذهب ديني يتخذ شكل إحدى الفرق المسيحية لتحطيم الإسلام وتمزيق البلدان الإسلامية، وإضعاف (المسيحية) بإيجاد مجموعة من الاختلافات داخلها، مما تأمل منه أن تصل إلى خدمة اليهودية.

فقد كونت هذه المنظمة (جمعية العالم الجديد) تتولى الوعظ والدعاية لما يسمونه النظام العالمي الجديد الذي يطلقون عليه كلمة (مملكة) تضم جميع شعوب العالم في دولة واحدة يسودها الإيمان بالله اليهود (يهوه) كرب للجميع، وبالمسيح عيسى كآخر ملك، ولذلك تلغي جميع الشرائع الأخرى والنظم الموجودة في الأرض سواء كانت أرضية وضعية أو سماوية منزلة.

وأما نشر دعايتهم فيعتمد على نشرات خاصة، وعلى ما يسمونهم (وعاظ متجولون) و(وعاظ منازل)، ويحرصون أن يكون وعاظ المنازل هؤلاء عبارة عن شاب وفتاة، فتاة تتصف بالجمال واللباقة والجاذبية.

وأما عنوان مركز هذه المنظمة الرئيسي فهو:

١٢٤ مرتفعات كولمبيا

بروكلين ١

نيويورك - الولايات المتحدة الأمريكية

٣. أما تطور هذه المنظمة التاريخي فقد سار على الوجه التالي:

عام ١٨٧٤م شكل الراهب شارلز تيس راسل (١٨٥٢-١٩١٦م) منظمة دينية عرفت بأسماء مختلفة حتى استقرت عام ١٩٣١م على اسم (شهود يهوه)، وجعل لها الأهداف الآتية:

١- الاهتمام بكتب اليهودية والمسيحية المقدسة.

٢- تبني (المينورا) وهو الشمعدان السباعي، وهو الرمز اليهودي الديني والوطني.

٣- تبني (ماكين داوود) وهو النجمة السداسية، وهو أيضاً رمز يهودي ديني ووطني.

٤- تبني اسم (يهوه)، وهو اسم الله لدى اليهود، مع كتابته باللغة العبرية.

وكل هذه الأهداف تكشف مدى صلة هذه المنظمة باليهودية والصهيونية، ويؤكد ذلك إصدار المنظمة عام ١٨٧٩م مجلة باسم (برج مراقبة صهيون) ثم إخفاء كلمة صهيون عنها لتجنب كشف أهدافها الأساسية وتحويله إلى اسم (برج المراقبة).

إنهم يتصدون (للكتاب المقدس) بالتفسير حسب وجهة نظرهم، نظر قادتهم المقيمين في أمريكا، مما جعلهم يتعرض اتباعهم إلى المطاردة في كل مكان.

وفي عام ١٩١٦ مات راسل ليخلفه في رئاستها جوزيف فرانكلين رذرفورد (١٨٦٩-١٩٤٢م).

وكفكرة عن مؤسسها الأول (الراهب راسل) يمكن القول أنه ولد في بنسلفانيا ومن أصل اسكتلندي وإيرلندي، وكان ابتدائي التعليم، وعضواً في الكنيسة البروتستانتية البريسبيترانية. واشتهر بقلقه الدائم حتى استقال من الكنيسة واستأجر مكاناً خصه لدراسة المسيحية من جديد، وأعطى نفسه عام ١٨٧٢م لقب (الراعي العظيم الاحترام) من الرتب المسيحية المرموقة.

واستمر منذ عام ١٨٧٠ إلى عام ١٨٧٥م يدير مدرسة لدراسة الانجيل ثم بدأ بإصدار الكتب المختلفة المتصلة بذلك. وعام ١٨٧٩م اشكتت زوجته ماريا فرنسيس عليه للمحكمة بتهمة الغرور والأنانية وسوء الخلق، واعترف للمحكمة بأنه يعاشر ابنته بالتبني معاشرة الأزواج، وكان مشهوراً بالكذب حتى أدين أكثر من مرة بالكذب والاحتيال في مسائل دينية وفي الغش التجاري.

وعام ١٨٨٤م اعترفت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بهذه الجمعية، وعام ١٩١٦م وفي ٣١ من أكتوبر مات راسل.

وأما خليفته جوزيف فرانكلين رذرفورد فقد ولد في ميسوري عام ١٨٦٩م من عائلة عضو في كنيسة بروتستان بابتيست، وكان محامياً اشتغل بالقضاء. وفي عام ١٩١٧م نشر كتاب (سقوط بابل) أوضح فيه أن الكنيسة البروتستانتية والكاثوليكية هما بابل الجديدة، مما يعني أن هدف جمعيته هو إسقاط هذين المذهبين الممثلين للديانة المسيحية، ومما جعل الحكومة الكندية تصدر قراراً في فبراير عام ١٩١٨ بمنع تداول هذا الكتاب. ثم صدر في الولايات المتحدة حكم ضده مع ثمانية من موجهي جماعته بالسجن بتهمة العمل ضد الدولة. وفي نهاية الحرب العالمية الأولى نجح أعضاء المنظمة بالإفراج عنه في مايو عام ١٩١٩م. وفي هذا العام ظهر اصطلاح (جمعية العالم الجديد) لجمعيته. وبدءاً من عام ١٩٢١م أخذت كتبه تحل محل كتب راسل لدى المنظمة، ونجح في إرساء نظام محكم للمنظمة وربط فروعها بالمركز.

وعام ١٩٣١م عقدت المنظمة مؤتمراً في مدينة كولومبس بولاية أوهايو وتم فيه اختيار اسم (شهود يهوه) للمنظمة من بين عدة أسماء. وعام ١٩٤٢م مات رذرفورد ليخلفه في رئاستها ناثان هومركفور (١٩٠٥-؟). وقد ولد هذا الرئيس الثالث للمنظمة في بنسلفانيا وتأثر مبكراً بأفكار راسل. وعام ١٩٤٣م أنشأ مدارس للمنظمة لتخريج الدعاة وسميت (جيلد شوله) - أو مدرسة الوعظ المسيحي - وانتشرت في العالم، علنية أحياناً وسرية أحياناً أخرى. وعام ١٩٥٦م افتتح ناثان (مدارس خدمة المملكة) لتقديم دراسات

أعلى لمراقبي شهود يهوه. وقد تضاعف نشاط المنظمة بين عام ٤٢ و ١٩٥٥ بنسبة ٤٠٠%.

٤. أما أسس عقائد هذه المنظمة، فبالرغم من بلوغ عدد أتباعها المليون إلا أن الحكومة الأمريكية قبضت على ناثنان بتهمة تنظيم اجتماع مؤيد للشيوعية، ولكنه استمر في نشاطه فأنشأ دور نشر خاصة بها كما أنشأ مزارع ومدارس لها مع جمعيات مختلفة المقاصد حتى أصبحت كأنها دولة داخل دولة، وانتشرت أفكارهم بشكل واسع في أوروبا منذ ١٩٤٥م. واختاروا الكتاب المقدس للمسيحيين ككتاب مقدس لديهم، وأمنوا ببعيسى وبيهوه إلهاً لهم، وأخذوا يفسرون هذا الكتاب تفسيرات تصل للخطأ والفهم العكسي اتباعاً لأوامر قادتهم ومقر المنظمة الرئيسي،

وهم الملزمون بالطاعة العمياء لهم. فالمسيح عيسى كالكتاب المقدس محل استغلال للوصول إلى أهدافهم، وهي التي تتركز حول إقامة مملكة دنيوية دينية يعتقد فيها أن عيسى المسيح ملك، ورسول كلفه يهوه بتأسيس تلك الدولة الدنيوية. فهم يقدمون أنفسهم كشهود يهوه المسيحيين، ويوزعون تحت هذه التسمية نشراتهم وكتبهم بينهم، ولكنهم يقتصرون على تسمية شهود يهوه بين المسلمين ويخفون كلمة مسيحي.

وهم يعتقدون بالتثليث والتعميد ويظهرون أنفسهم بأنهم مكلفون بإقامة دولة دينية مسيحية، وهم لا يؤمنون بالآخرة، ويؤمنون بأن الجنة ستحدث في الدنيا، ولا يؤمنون بجهنم، ويرون أن عيسى سيقود حرباً تهزم شرار الناس وأتباع الشيطان ليلقوا في هاوية وذلك بقوة جيوش المسيح عيسى الذي سيدير الجنة بمعاونتهم من خلال ١٤٤٠٠٠ يهودي من الصفة المختارة منهم.

إنهم يعمدون إلى أجزاء من كتابهم فينقلونها وينشرونها، وهي تحبب الناس بإسرائيل وباليهود وتظهر الاحترام لهم. ويرون أن الزواج وانجاب الأطفال وتربيتهم سيكون لها مكان في دولتهم أو الجنة التي يتصورونها في الدنيا. وهم لا يؤمنون بالروح ولا بخلودها ويرون تلاحم الروح بالجسد، ويوزعون نشراتهم بالملايين مجاناً.

ولهم معابد لعباداتهم ولا تسمى كنائس وإنما (القاعة الملكية) أو (القاعة الملكية الدينية) أو (بيت المقداس) أي بيت الرب. وفي البلاد التي تحظر نشاطهم يتخذون حجرة كمعبد لهم. وهم يرفضون عمليات نقل الدم عند الحالات الطبية القصوى.

٥. خلاصة محتوى كتبهم ونشراتهم:

- ١- المسيح عيسى هو رئيس مملكتهم المقبلة، مملكة يهوه تشمل العالم كله،
- ٢- ستقوم هذه المملكة بعد هدم جميع النظم السياسية في العالم كله،

- ٣- ملزمون بتأسيس مملكة المسيح في العالم كله،
- ٤- حرب (الأرماكادون) ستشتعل لتنتصر عقيدتهم وسيطروا على العالم كله،
- ٥- كل الحكام السياسيين الحاليين فسقة وأعداء الله وسيحكم المسيح عيسى بن الله!
- ٦- المسيح عيسى موجود وان لم يره أحد وسيقعد في السماء على يمين يهوه حتى يتولى عرش مملكة العالم.
- ٧- عند نهاية (أزمة الشعوب) ستعلن مملكة العالم لديهم.
- ٨- أزمة الشعوب انتهت عام ١٩١٤م، وستقوم مملكتهم في الأيام الحالية!
- ٩- سيزعم المسيح عيسى في مملكته كل سكان العالم تحت حكمه وسيطرته.
- ١٠- ترى كتاباتهم أن مملكة يهوه ستقام بعد قيام القيامة كما تراها الأديان الأخرى ولكنهم لا يرون أي وجود لعالم آخر.
- ١١- سيدافع المسيح عيسى عن شريعة التوراة.
- ١٢- يحصل في رأيهم وحي الرسل الموجود في الانجيل بما يوائم مع التوراة.
- ١٣- يستخدمون قوانين إسرائيل القديمة.
- ١٤- يحرمون ما تحرمه التوراة من رسم ونحت تماثيل.
- ١٥- يمنعون كل أنواع العبادة باستثناء يهوه، فيمنعون احترام الرمز الوطني وأعلام الدول.
- ١٦- يرون الوقوف حداداً نوعاً من الكفر.
- ١٧- يرون ضرورة توائم كافة البشر مع قوانين يهوه وليس القوانين الوضعية.
- ١٨- يرون ضرورة إعفاء أفراد منظماتهم في كل الدول من الخدمة العسكرية.
- ١٩- يرون أن أنظمة الأمم المتحدة أنظمة شيطانية، ويجب التمرد عليها ومعارضتها.
- ٢٠- يرون إعلان العداء لجميع الأديان والمعتقدات والنظم الوضعية والايديولوجيات المختلفة وأنها رجس من عمل الشيطان.
- ٢١- يرون علم أي دولة وسلامها الوطني واحتفالاتها الوطنية وتاريخها القومي والوطنية والقومية أعداء لشهود يهوه.
- ٢٢- يرون معاداة فكرة الدولة والحزب والمؤسسة والخدمة العسكرية والدفاع عن الوطن، لأنها كلها أعداء لشهود يهوه.

٦. أما مفهوم الأخوة لدى شهود يهوه: فإنهم يعتبرون أنفسهم أخوة لباقي البشر، ويسمون الآخرين بأسماء الحيوانات كالماعز، وإن الأخوة محصورة فيهم فقط، فهم (أخ) و(أخت) كالماسونيين.

٧. ويرون بأن منظمتهم منظمة دينية. وقد بدأ تنظيمهم الديني في الاجتماع (المسيحي) الأول عام ١٩٣٨م، وعام ١٩٤٦م عقدوا مؤتمرهم في سان لويس بميسوري، وفيه ردّدوا عبارة مهمة هي (ها هي ذا المملكة، وها هو الحكم الديني يسود) ولكن مجلتهم (برج المراقبة) تردّد عبارة (ضرورة تطبيق تعليمات الحكم الديني على أسرع وجه ممكن) وفيها عنوان (أيها المسيحي تعهد بتنفيذ واجباتك) لمخاطبة الأعضاء وتنظيم خطوات عملهم.

وبالرغم من أنهم يّعون قصر نشاطهم على الوعظ ونشر الكتاب المقدس للمسيحيين إلا أن هذا الإدعاء يتهافت عند ملاحظة ما يلي:

- ١- مبنى مركز المنظمة ومكاتبها المالية والقانونية ورؤساؤها ومساعدوهم كلهم موجودون في أمريكا حيث يقدر الجميع المقر ويسمونه (بيت - ايل) - أي بيت الله - وينظمون زيارات الأعضاء للمركز حيث قاعات الاجتماعات وصلات العبادة وطقوس الأدعية ومتعلقاتها.
- ٢- للمنظمة مدارس خاصة لتخريج دعائهم.
- ٣- لها مدارس تحضيرية في أمريكا أيضاً.
- ٤- لها مزارع خاصة لأغراض مختلفة بإدارة خاصة.
- ٥- لها دورها الصحفية الخاصة ودور نشرها الخاصة.
- ٦- لها مكاتب للترجمة والتأليف وإدارة خاصة بها.
- ٧- لها لجان دينية عليا مهمتها تفسير الكتاب المقدس لدى المسيحيين بشكل يحقق أهدافهم وإن كانوا يدّعون ظاهرياً أنهم يتخذون ذلك الكتاب أساساً لهم.

٨. أما تدرج سلمهم الوظيفي فهو:

- ١- الإدارة، ٢- فموجه المنطقة، ٣- فموجه الشعبة، ٤- فخادم الولاية، ٥- فخادم الحي، ٦- فخادم الاجتماع. وتنقسم هذه إلى ثلاثة: أ- شارح الكتاب المقدس لدى المسيحيين، ب- وموظف توزيعه، ج- والعامل المكلف بزيارة المنازل.

٩. وأما نظرتهم للوطنية والقومية:

فكتبهم تقول بأن مئات الآلاف من الناس الأعضاء في جمعية العالم الجديد الآن هم حملان (خواريف)، بأمل الحياة على الأرض، دون انفصال عن الجمعية، فالكل قطيع يرعاهم راع واحد دون نظرة اعتبار لجنس أو لغة أو مسافة.. ويهوه إلههم ومانحهم القانون السماوي، فلا مفاخر إنسانية وأوامر بشرية بل طاعة الوحي الإلهي المقدس وإقرار بالمسيح الموعود،

فلا مفاخر وطنية وقومية وإلا فقدوا أسس كونهم شعب يهوه السعيد.. وقد آن الأوان لشجب القومية التي تسببت في الأحقاد والتفرقة وهدر الدماء..

وخلاصة نظرتهم هذه:

- ١- أمل أعضاء جمعية العهد الجديد بالحياة هنا في عالمنا هذا،
- ٢- ويدعون إلى تكوين وحدة جامعة تنمحي فيها الفروق القومية بين الشعوب.
- ٣- ويرون التضاد بين القومية والوطنية من جهة وبين فكرة شعب الله المختار (شهود يهوه) من جهة أخرى.
- ٤- إنهم ضد نظم الحياة السياسية والاقتصادية وضد وحدة اللغة والجنس والدين والأرض..

١٠. وأما مصادر تمويلهم فهي:

- ١- المنظمات السرية العالمية التي تعمل على ضمان السيطرة.
- ٢- المنظمات اليهودية، فكل رؤسائهم من أصل يهودي.
- ٣- المنظمات الشيوعية والاشتراكية الدولية.
- ٤- تبرعات المعادين للأديان وخاصة أعداء الإسلام.
- ٥- المنظمات المسيحية التبشيرية.
- ٦- تبرعات بعض أغنياء اليونانيين والأرمن.
- ٧- تبرعات بعض أغنياء المسيحيين الذين يرون المنظمة تجديداً للدين المسيحي.

١١. وأما نظرتهم لليهود وإسرائيل:

فإنهم يعترفون بكتب اليهود المقدسة الـ ١٩ ويتبنونها، وليس لهم نشاط كبير في إسرائيل، ولا يقفون ضد الرموز الوطنية والقومية والحربية في إسرائيل، عكس البلاد

الأخرى، مما يكشف حقيقة وجودهم وتوجههم. وقد تصدرت حوليتهم عام ١٩٦٨ على الصفحة ١٢٦ منها بأن إسرائيل داعية لشهود يهوه، ولذلك فإنهم يقصرون رعايتهم في إسرائيل على المسلمين والمسيحيين فقط، ويمتدحون انتصار اليهود في حرب الأيام الستة، ويعبرون عن سعادتهم لأن تلك الحرب حققت تلاقي وتباحث شهود يهوه الموجودين في البلاد العربية ويسرت لهم عقد اجتماعاتهم بحرية.. وتقول تلك الحولية بأنه من حسن الحظ أن تجتمع العائلات العربية واليهودية في إطار الجماعة، كما تعبر عن زهو رؤسائها بانتصار اليهود على العرب وما أوجده من إمكانية التزاور بين أعضائها في البلاد العربية وفي إسرائيل.. وكل هذا يكشف أكثر فأكثر عن حقيقتهم وحقيقة منظماتهم الصهيونية.

١٢. وأما رأيهم في الأخلاق والتثليث والمعتقدات الأخرى:

فترجع الأخلاق عندهم إلى مجمل الكتاب المقدس ووصايا موسى عليه السلام العشر، ولا يرفضون التثليث ولكنهم يفهمونه بشكل يختلف عن بعض المذاهب المسيحية، فيرون المسيح ابن الله الذي أعطاه الروح ويقف عن يمينه، وهو (المسيح) ليس بإله وإن كان ليس كالناس الآخرين، ويوجهون بعض أدعيتهم إليه. إنهم يؤمنون بالروح القدس كشيء صادر عن الله، وهو روحي معنوي وليس جسمانياً مادياً، فهم يفترقون في هذا عن الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية. فروح القدس عندهم قوة مقدسة تنفيذية، ولهذا يرون التثليث بأنه (يهوه - الابن - الروح القدس) بينما ترى المسيحية أن الله يختار الروح القدس لتقف على كتف الإنسان تدفعهم كحماسة بيضاء إلى الطريق القويم مما يجعل التثليث عندها (الله الأب الخالق - عيسى الابن المنقذ - الروح القدس القوة المقدسة).

ولا يرون أضحية من أحد، لأن عيسى نفسه ضحية والوعظ بالانجيل أضحية. ولا يقولون بالختان، وكأنهم يتركون ذلك للتوفيق بين المسيحية واليهودية لسوق المسيحيين إلى منظماتهم.

١٣. وأما عقوبة المنسحبين من منظماتهم فإنها تظهر من كتاباتهم التي ترى أن انقطاع أي عضو عن المشاركة في نشاطهم يعتبر نكبة كبيرة، بحجة أنه انقطع عن النشاط في المشاركة في منظمة هي عين الله في الأرض فانقطع عن يهوه وتوجيهاته، فيكون قد خرج من الجماعة، وعلى الباقيين قطع كل علاقة معه وعدم إعانتته بأي شكل، مما يتناسب حسب قولهم مع الكتاب المقدس. ويتهددون المنقطع بالعقوبة إذا انضم إلى جماعة أخرى فيفشي أسرارهم ويعرضهم للخطر، ويرون أن ذنب من تكون له أية علاقة بالمنقطع كبير، ويفرضون على زوجة المنقطع دوراً مؤثراً تجاهه بعدم ترديد كلمة أمين على الأكل عند الدعاء ورفضها الدعاء هذا أصلاً، وتكون عقوبته في النهاية: طرده من

رحمة يهوه وتأييده، وطرده من كل جماعات المنظمة، وعدم تعامل أحد من المنظمة معه حتى بالسلام، ومعاملة كل من يعامله بنفس الطريقة: وسيكون للمنظمة شأن آخر مع أقاربه المنقطع منها أمر الزوجة بأن لا تشاركه لا بالقلب ولا باللسان في دعاء الطعام المقدس.

١٤. وأما نظم المنظمة الفكرية تجاه العالم فيمكن إيجازها فيما يلي:

- ١- ليست منظمة شهود يهوه (جمعية العالم الجديد) جمعية دين جديد لأنهم لا يرون إحداث دين جديد منفصل عن المسيحية، وفي ذلك استدراج لاتباع المسيحية.
- ٢- مركز هذه الجمعية في أمريكا ولكنه يخدم أغراضاً غير وطنية أي لخارج أمريكا.
- ٣- تحرص مجلتهم (برج المراقبة) على إيراد مجموعة (أوراد) في رأس كل عدد يلتزم بها الأعضاء.
- ٤- يداومون على عقد اجتماعاتهم تحت اسم «دراسات في الكتاب المقدس» ليقووا روابطهم ويودوا طقوسهم الخاصة.
- ٥- يجتهدون في ضم الآخرين إليهم والسير معهم وأخذ معتقداتهم.
- ٦- يعينون تلامذة لهم يوقفون أنفسهم لخدمة هذا الفكر.
- ٧- رأى المدعي العام البرتغالي عام ١٩٦٨ بأن منظمتهم تعمل بمنهج الطرق الصوفية وأنها طريقة دينية.
- ٨- يهدفون إلى إقامة مملكة في هذا العالم ولا علاقة لها بالعالم الآخر.
- ٩- ويصرحون بأن هذه المملكة هي مملكة يهوه إله اليهود الذي ذكره الإنجيل والتوراة.
- ١٠- سيرأس هذه المملكة المسيح عيسى آخر ملك في المملكة الدنيوية، وتعمل بفكر يهوه وشريعته في الحكم، وتعمل لإزالة كل فكر مضاد لذلك وتجميع البشر بالقوة حول هذه الشريعة.
- ١١- لهذا فهم ينكرون الوطنية والقومية.
- ١٢- ويرون أن ظلم دولة بابل على اليهود كان ظملاً على يهوه نفسه، وأن كل دولة موجودة في العالم الآن إنما هي دولة بابل الظالمة تلك والتي يجب إزالتها جميعاً لتحل محلها دولتهم الدينية الواحدة التي تسيطر على العالم كله.
- ١٣- تتبنى شهود يهوه اليهودية بصراحة وشعاراتها ويسعون لإقامة أحكامها في الأرض.
- ١٤- تعمل المنظمة على الزج بعمالها وأعضائها في المجتمعات للإفادة منهم في أعمال الاستخبارات والدعاية.

١٥. وأما المراحل التي يمر بها عضو المنظمة فهي على الترتيب:
- ١- الاستماع إلى كلمات يهوه، وهذا هو الوعظ.
 - ٢- الإيمان بها.
 - ٣- وقف إمكاناته وخدماته في سبيل يهوه.
 - ٤- ضبط حياته وتصرفاته وفقاً لمعايير يهوه.
 - ٥- إعلان مملكة يهوه.
 - ٦- اعتبار نفسه واسطة في إدارة أرض مملكة يهوه.
 - ٧- تجنيد نفسه لبث أفكار المنظمة بين الآخرين وكسب عضويتهم للمنظمة مهما كان شعبهم.

١٦. وأما درجات وألقاب النشطاء في المنظمة فقد كشف عن ذلك نشرة (الوعظ والتنسيق في إطار السلام والوحدة) التي ظهرت في محكمة الاستجواب الثانية في أنقرة، وفيها تتضح جميع شروط العضوية وكيفية الالتحاق والرقابة والتفتيش ووظائف المنظمة وطريقة تقديم التقارير والالتزام بها وكيفية صرف المرتبات والمصاريف النثرية وغيرها.. مما يؤكد حقيقة كونها جمعية دينية بجوانب خفية.

وأما الدرجات والألقاب الأخرى بعد الرئيس والمدير والرتب العالية فهي:

- ١- الناظر - وهو خادم الجماعة لإعداد المشرفين الوعاظ الذين يتولون حسب تعبيرهم (سوق القطيع) والناظر هو المحامي لهم.
- ٢- مساعد الناظر.
- ٣- خادم دراسة الكتاب المقدس.
- ٤- نظار الحي والمنطقة (الجوالون) الذين يقومون بالإرشاد والتفتيش وإصدار التعليمات وتنظيم اجتماعات القطاع كل ستة أشهر. والاجتماع الأعلى مستوى.
- ٥- المبشرون، والرواد، وهم شعبتين:
 - أ- شعبة رواد العطلات.
 - ب- وشعبة المبشرين.
- ٦- خدمة (بيت ايل)، وخدمة توزيع المجلات التابعين مباشرة للجمعية المركزية.
- ٧- المخابرون.

١٧. مواقف بعض الدول تجاه هذه المنظمة:

- ١- ألمانيا - منع هتلر عام ١٩٣٣ منظماتهم وحمل على أعضائها حملة عنيفة وزج بهم في السجون حتى كان عدد المسجونين منهم عام ١٩٤٥ عشرة آلاف مسجون مات منهم ألفان وأصيب منهم مئتان بعاهات شديدة.
 - ٢- يوغسلافيا - أصدر تيتو عام ١٩٤٩م قراراً بإعدامهم ولكنه خفف الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة تحت ضغط الرأي العام العالمي.
 - ٣- سويسرا - منعت نشاطهم أثناء الحرب العالمية الثانية واستولت على مباني إدارة فرعهم ومطبخاتهم وحاكمتهم عسكرياً بتهمة التمرد والخروج على النظام العسكري ولكن المنظمة عادت لنشاطها هناك بعد الحرب وبعد أن أفتق رئيسها (كنور) الحكومة السويسرية بأنه لا خطر من المنظمة عليهم.
 - ٤- الاتحاد السوفيتي - فقد نفى ألفين من أتباع هذه المنظمة عام ١٩٤٦م إلى سيبيريا والأورال وقبض على جميع أتباعها وصادر مطبوعاتها بين عام ١٩٤٧-١٩٤٨م.
 - ٥- ألمانيا الشرقية - طردت أتباعها بين عامي ١٩٥٠-١٩٥٥م وسجنت كل من ألفت القبض عليه.
 - ٦- الكاميرون - بعد أن سمحت لها باشرت باستجواب أعضائها عام ١٩٧٠م ثم قبضت على مئات منهم وسجنتهم وحظرت نشاطها رسمياً وأبعدت الأجانب منهم خارج البلاد.
- وحرمت نشاط المنظمة كثير من الدول منها: اليونان، وساحل العاج، وسورية، والفلبين، وهولندا، وسنغافورة، ولوكسمبرج، والمكسيك، ولبنان، والنرويج، والسويد، والأرجنتين، والبرازيل، والدومينكان، وألمانيا الغربية، ويوغوسلافيا، وسويسرا، وتشيكوسلوفاكيا، والمجر، وبولندا، ورومانيا، والاتحاد السوفيتي، وبلغاريا، والكاميرون، والصين الشعبية، والعراق، وتركيا.
- وللتخلص من مطاردة الدول الأفريقية لها قامت بالتعاون مع الجمعيات التبشيرية المسيحية، ومازالت تزاوّل نشاطها في تلك القارة وقارة آسيا تحت شعار البعثات المسيحية. هذا وقد نقلت تلك البعثات مركزها إلى أنقرة.

١٨. ومن كتب هذه المنظمة ونشراهم ما يلي:

- هذا الخبر الجيد عن المملكة،
- الأساس في الإيمان بعالم جديد،
- لقد اقترب علاج الأمم،

- من الفردوس المفقود إلى الفردوس المكتسب من جديد،
- عندما تتحد أمم العالم تحت ظل مملكة الله،
- العيش بأمل نظام عادل جديد،
- الحقيقة الدامغة للحياة الأبدية،
- الإله لا يكذب،
- فليكن الله هو الحق،
- انظر! ها أنذا أضع كل شيء من جديد،
- هذا الخبر الملكوتي الطيب،
- مفاتيح الوعظ والإرشاد،
- الوعظ والتعليم في إطار من السلام والوحدة،
- الزواج في الجنة والزواج خارج الجنة.

١٩. إشارات لما تحويه كتاباتهم:

- للشهادة على وجود مملكة في كل الأرض لا بد من شهود أحياء يشهدون باسم الله وهو يجعلهم شهود يهوه.
- سبب قول الشهود بأن مملكة الله السماوية ستبدأ عام ١٩١٤ لأنه من الضروري انتهاء عهد الأمم وعصورها في هذه السنة، وهذه الأمم هم غير قوم يهوه.
- فالعباد الحقيقيون عندهم هم شهود يهوه المسيحيون، بدلائل يعرفها كل البشر في العالم وسهل الحصول عليها.

٢٠. مقتطفات من تقرير لدى وزارة العدل التركية عن المنظمة:

- ليست المنظمة ديناً مستقلاً وإنما فرقة مسيحية خاضعة لليهودية.. ويتخذون من (الرسول بافلوس) مرشداً لهم،
- يعرفون أنفسهم ومنظمتهم بأنها (جمعية العالم الجديد) وأنهم شهود يهوه، وأنهم سيعيشون الف عام من أجل تحقيق (مملكة الله) بواسطة مبشرين يعملون في تركية بسرّية ويوزعون مجلتهم التي تطبع في أمريكا باسم (مجلة برج المراقبة) والتي تروج دعايتهم.

- ويطلقون على أنفسهم اسم الخدمة العامة، وأنهم تابعون ليهوه،
- ويرون أن كل مسيحي حقيقي يجب ان يتعرض للظلم وإلا فهو ليس مسيحياً حقيقياً.
- ويرفضون قوانين الحكومات والخدمة العسكرية فيها.
- وهم عبارة عن فرقة مسيحية متأثرة باليهودية وخاضعة لها، وليست ديناً مستقلاً بذاته.
- وترى الحكومة التركية أنه إذا سمح لهم بالدعاية فسيؤدي ذلك إلى أضرار بالغة إدارياً وسياسياً في البلاد بقدر ما يضر بالإسلام.
- وصدر التقرير بتوقعات عديدة في ١٩٦٦/٥/٢م.

هذا وقد انتهى الكتيب بعد أن أورد مصادر البحث المختلفة، بالإضافة للوثائق الموضحة بالصور، إذ ظهرت على الصفحة ٥٣ منه صورة صفحة من أحد كتبهم فيها كلمة (يهوه) بالعبرية ضمن عرش من نور على يمينه حَمَلٌ ويمثل المسيح عيسى، وتحتَه (القطيع) المكون من (١٤٤) ألف يهودي إسرائيلي هم الصفوة التي ستحكم العالم وتدير جنة يهوه!

وعلى الصفحة ٥٤ منه صورة لصفحة من نشرات شهود يهوه تتحدث عن حكام العالم الجديد وتحتها صورة المينورا، وهي كلمة عبرية تعني الرمز الديني والوطني لإسرائيل، وهي من رموز شهود يهوه، وهي عبارة عن سبعة شمعدانات لكل منها سبعة فروع تصدر الضياء، وهذا الرمز مرسوم على باب البرلمان الإسرائيلي.

وعلى الصفحة ٥٥ منه صورة لختمين من أختام إحدى الجمعيات التابعة لشهود يهوه في الولايات المتحدة الأمريكية، ويحمل الختم الأول الأعلى عبارة من الأعلى تقول ZION'S WATCH TOWER أي (برج مراقبة صهيون) وعبارة من الأسفل تقول TRACT SOCIETY أي جمعية الجهاز أو المسار، وداخله تاريخ ١٣ ديسمبر ١٨٨٤ يشير إلى موعد انشائها.

ويحمل الختم الثاني الأدنى عبارة تقول WATCH TOWER BIBLE SOCIETY OF PENNSYLVANIA AND TRACT وفي داخله عبارة أنها مؤسسة خيرية أسست بتاريخ ١٥/١٢/١٨٨٤م

وعلى الصفحة ٥٦ صورة لصفحة من أحد كتب شهود يهوه تمثل مظاهرة قام بها شهود يهوه في لندن عام ١٩٣٩م.

وعلى الصفحة ٥٧ صورة لثلاثة أغلفة من مجلة برج المراقبة التي يصدرها شهود يهوه.

ثم يأتي أخيراً فهرست الكتيب

تم القسم الرابع بدراسة كتاب

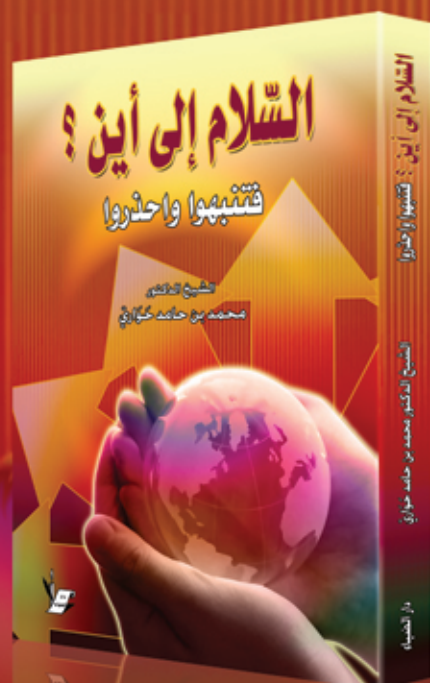
شهود يهوه وبه انتهى

كتاب السلام .. إلى أين؟! فتنبهوا واحذروا ..

والحمد لله رب العالمين

السَّلام إلى أين ؟

فتنبهوا واحذروا



ردمك (ISBN 978-9957-05-169-3)

الفصيح